جبران شامية

عضو مشارك، جمعية دراسات
الشرق الأوسط لأميركا الشمالية

# آل سعود

## ماضيهم ومستقبلهم



دار الأبحاث والنشر

# آلُ سُعُود

## مَاضيهُم وَمُسْتقبلهُم

دارُ الأبحَاث وَالنشر

دار الأبحاث والنشر
ص. ب. ٥٥٠٢٥
سن الفيل، لبنان

The Research & Publishing House
P.O.Box 55025
Sin el Fil, Lebanon

or

P.O.Box 1325, Station B
Montreal, H3B 3k9
Canada

يُطلب هذا الكتاب من المكتبات ومن
«دار الأبحاث والنشر» على العناوين أعلاه.

الطبعة الأولى ١٩٨٦

## المؤلف

وُلد المؤلف في دمشق عام ١٩١٤ ونال درجة ماستر في العلوم السياسية من الجامعة الأميركية في بيروت ثم ليسانس في الحقوق. يتقن العربية والإنكليزية والفرنسية.

اشترك بتأسيس «حركة القوميين العرب» في منتصف الثلاثينات في الجامعة الأميركية حيث كان منشأها.

انتدبته الحكومة السورية عام ١٩٤٧ ليمثلها في وفد ضم السيد نصري المعلوف (نائب ووزير لبناني)، والسيد أكرم زعيتر من كبار الوطنيين الفلسطينيين لشرح القضية الفلسطينية في دول أميركا اللاتينية. رأس وفداً فلسطينياً ثانياً عام ١٩٦٢ مندوباً من الهيئة العربية العليا إلى الدول الأميركية. ثم حضر الوفد جلسات الأمم المتحدة في نيويورك بشهر نوفمبر ١٩٦٢.

ترشح للنيابة عن مدينة دمشق في انتخابات ١٩٤٩.

على أثر الانقلابات السورية المتكررة انتقل إلى بيروت سنة ١٩٥٤ وانتخب سكرتيراً تنفيذياً «لمؤتمر خريجي الجامعة الأميركية» الذي عقد دورته الأولى في بيروت سنة ١٩٥٥ وعقد دورته الثانية في القدس سنة ١٩٥٦ تحت اسم «مؤتمر الخريجين العرب».

كان المعلق الرئيسي في صحيفة «الحياة» البيروتية من عام ١٩٥٤ إلى حين اغتيال صاحبها المرحوم كامل مروة.

أسس «دار الأبحاث والنشر» في بيروت سنة ١٩٦٦ وأصدر موسوعة «سجل العالم العربي» باللغتين العربية والإنكليزية بالإضافة إلى نحو ثلاثين كتاباً مؤلفاً ومترجماً.

أصدر في السنوات القليلة الماضية باللغة الإنكليزية ثلاثة كتب سنوية عن المملكة العربية السعودية (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣) وكتاباً رابعاً عن الخطة الخمسية الثالثة للمملكة السعودية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٥).

انتخبته «جمعية دراسات الشرق الأوسط في أميركا الشمالية» عضواً مشاركاً تقديراً لأهمية موسوعة «سجل العالم العربي».

## كتب أخرى للمؤلف

صدرت عن «دار الأبحاث والنشر»:

سجل العالم العربي ١٩٦٦ - ١٩٧٧، ٢٣ مجلد، بالعربية والإنكليزية.

«قضايانا العربية»، ١٩٦٦.

«يا عقلاء العرب اتحدوا!»، سلسلة من عشرة كتب، ١٩٦٧.

«الاشتراكية المصرية والقضية الفلسطينية»، ١٩٦٨.

«الاشتراكية الثورية في التطبيق»، سلسلة من سبعة كتب ١٩٦٩.

مزرعة الحيوانات لجورج أورويل، مترجم.

العالم عام ١٩٨٤ لجورج أورويل، مترجم.

رجل دين في موسكو، لجيوفاني غويراشي، مترجم.

Saudi Arabia Yearbook, 1979 - 1980

Saudi Arabia yearbook, 1980 - 1981

Saudi Arabia: Record of Economic Development, 1983

Saudi Arabia: The Third Five-Year Economic Development Plan, 1980 - 1985

ينفرد هذا الكتاب بأنه من الكتب القليلة باللغة العربية الذي يروي تاريخ آل سعود، وأوضاع الحكم الحالي، متحرراً من أية رقابة حكومية.

## المقدمة

قد يتساءل البعض ما شأننا بالكتابة عن المملكة السعودية والبلاد ليست بلادنا وسكانها ليسوا اهلنا، وما الذي يدفعنا إلى ذلك.

وردنا على ذلك متعدد الوجوه.

فالسعودية أولاً تنفرد بين البلاد العربية بتناقضات غريبة ومشوقة للباحث إذ أن العائلة المالكة وقسماً كبيراً من السكان النافذين سياسياً واقتصادياً يدعون ظاهراً للعودة إلى حياة القرن السابع انسياقاً مع الدعوة الوهابية السلفية، لكنهم مع نسبة متزايدة من السكان العاديين، يتمتعون في الوقت نفسه في حياتهم اليومية، في منازلهم وفي عملهم، بأحدث اختراعات المدنية الغربية التي يرفضونها، ويمارسون انماطاً من المعيشة والعلاقات الاجتماعية، ضمن محيط سعودي ضيق نسبياً في الوقت الحاضر لكنه يتسع باضطراد، لا تأتلف مع التعاليم الدينية السائدة. وسيكون من المشوق والطريف تتبع هذا الصراع الصامت بين المعتقد السلفي والحياة المعاشة لنرى الوضع الذي سينتج عنه ولمن ستكون الغلبة.

لكن مصير التطور الاجتماعي في السعودية على طرافته، ما كان ليشكل سبباً كافياً لنا للكتابة عنها لولا أن السعودية أصبحت عنصراً مؤثراً في سياسات المنطقة يتجلى في المحاولات التالية:

أولاً ـ تدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية .

تتدخل الدولة السعودية في الشؤون الداخلية للبلاد العربية باسلوبين :

فهي تشجع الحركات السلفية وتدعمها مالياً وسياسياً ومعنوياً دعماً ظاهراً أو مستتراً . ولا يخلو بلد عربي من هذه الحركات .

وبما أن المنظمات السلفية تسعى غالباً لتغيير الوضع الاجتماعي والسياسي في بلادها عن طريق العنف لاقامة «الدولة الإسلامية» فإن السعودية تمارس بالفعل دوراً خطيراً في السياسات الداخلية للبلاد العربية .

أما الاسلوب الثاني للتدخل فيأتي عن طريق المساعدات المالية التي تدفعها السعودية للدول وللحكام . بعض هذه المساعدات قررتها مؤتمرات القمة العربية . وبعضها ترتب بموجب اتفاقات ثنائية تحاول السعودية من خلالها تحقيق أغراضها . وكثير منها يذهب لجيوب الحكام الخاصة لاستمالتهم إلى مواقف سعودية معينة إذ أن آل سعود من المؤمنين بفاعلية الاغراء المالي وهم يمارسونه باستمرار وعلى نطاق واسع .

**ثانياً ـ تصدي آل سعود للزعامة العربية .**

هذا سبب أخر يدفعنا للكتابة عن الدولة السعودية . فبعد وفاة الملك فيصل وتولي الملك خالد، وخاصة بعد تولية الملك فهد، اتضح أن الحكم السعودي بدأ يحاول أن يلعب دوراً رئيسياً في سياسة الشرق الأوسط، بل أصبح يطمح للزعامة العربية. وقد ترافق ذلك مع ازدياد عائدات البترول ما بين ١٩٧٣ و١٩٨٢ وتهافت دول العالم على كسب ودّ المنتجين، كما ترافق مع اقصاء مصر عن المجموعة العربية سنة ١٩٧٩ بعد اتفاقية كامب دايفيد مع اسرائيل .

ثم جاءت الحرب بين العراق وايران لتشغل العراق عن الشئون العربية، واستمرت حاجة سوريا إلى الدعم المالي لمؤسساتها العسكرية، فظن آل سعود أن الفرصة اتتهم تسعى ليحتلوا زعامة المشرق العربي. وكان هذا الطموح كافياً لينقل السعودية من عزلتها الصحراوية ويجعلها موضع اهتمام العرب والأجانب إذ لم يعد بالمستطاع معالجة الصراعات العربية المتفاقمة، وأوضاع منطقة الخليج المتردية، وحرب العراق وايران،ومأساة لبنان، ومصير الفلسطينيين دون التعرف

على السياسة السعودية التي دفعت نفسها إلى واجهة الأحداث. كما لا يمكن فهم السياسة السعودية دون معرفة خلفيتها التاريخية والمذهبية وتركية مجتمعها وطبيعة حكم آل سعود فيها. وهكذا وجد المجتمع السعودي المغلق أنه اصبح محط اهتمام الصحفيين والكتاب من عرب واجانب. وإذا كان بالامكان وبأساليب مختلفة تلافي خوض الكتاب والصحفيين العرب في الشئون السعودية الصميمة التي لا يرغب آل سعود بالتعرض لها، فإن ذلك لا يتيسر لهم بالدرجة ذاتها بالنسبة للكتاب الأجانب.

### ثالثاً ـ سوء السمعة التي يشيعها آل سعود

أن السبب الثالث الذي يدفعنا للكتابة عن السعودية هو سوء السمعة الذي تلصقه تصرفات آل سعود بجميع عرب المشرق. إذ أنه بعد وفاة الملك فيصل (١٩٧٥) وغياب هيبته التي كانت تضبط تصرفات الأمراء إلى حد كبير اندفع هؤلاء وراء غرائزهم وعم الفساد حتى اصبحوا حديث الصحافة العالمية كما كانوا في عهد الملك سعود. ولا يعني هذا أن الفساد غير موجود في حكام عرب اخرين أو في الدول الاجنبية، لكنه لا يبلغ هناك مقدار السفه الموجود في السعودية نظراً لضخامة المبالغ المتاحة ولانعدام الضوابط الدستورية وغياب المؤسسات التمثيلية الشعبية.

ولما كان معظم الأجانب العاديين لا يميزون بين عربي واخر فإن فضائح بعض آل سعود تصبح بنظرهم سمة العرب جميعاً. بل أن بعض الأجانب اصبحوا يبررون تصرفات آل سعود بأنها امر معتاد في المجتمعات العربية.

وقد وجدنا من الضروري أن ندحض هذه الفكرة باستنكار هذه التصرفات، وأن نبيّن بقدر من التفصيل بعض الوقائع الثابتة التي يأنف منها العربي العادي كي لا يجرؤ اجنبي على وصمنا بها، ثم لعل اطلاع القارىء العربي على ما يجري يساعد على تشكيل رأي عام يردع آل سعود عن تماديهم.

ويهمنا الايضاح منذ البداية أن تعبير «آل سعود» يشمل عشيرة تتألف من

عدة آلاف بينهم الصالح والطالح، والمتعبد والزنديق، والمتدين والمنافق، فلا يمكن أن تطلق عليهم صفات تشملهم جميعاً. ونحن نستعمل هذا التعبير في كتابنا هذا للدلالة على اولئك من العائلة السعودية الذين يتولون الحكم وعلى من حولهم من المشاركين بالسلطة والمنتفعين بها.

* * *

لقد كان تأليف هذا الكتاب من أصعب ما كتبت في حياتي وقد ألفت وترجمت ما يزيد عن ثلاثين كتاباً بالاضافة إلى «سجل العالم العربي» الذي يأتي وصفه في الفصل الأول.

ولا تكمن الصعوبة في مراجعة المصادر وجمع المواد وتحريرها وتبويبها وتنسيقها فذلك كله يدخل في مهمة التأليف. لكن الصعوبة أتت بسبب مبدأ اتخذته وسرت عليه. فأنا كاتب سياسي عالجت في كتبي ومقالاتي اتجاهات سياسية وتصرفات انظمة حكم عربية لكني لم اتعرض يوماً لمسئول قدحاً أو مدحاً رغم اختلافي العميق مع سياسات بعضهم وتأييدي لاتجاهات اخرين. وقد ساعدني على ذلك وجود مؤسسات سياسية في كل البلاد العربية تخطط السياسة وتتخذ القرارات وتتمثل بهيئات دستورية أو شبه دستورية تتحمل مسئولية القرار حسب نظام كل بلد بحيث يمكن بحث تصرفات هذه المؤسسات دون التعرض لاشخاص القائمين عليها.

لكن الأمر مختلف في المملكة العربية السعودية إذ ليس هناك مؤسسة سياسية تتحمل مسئولية ما يجري. هناك مجلس وزراء تصدر القرارات باسمه لكنه لا يصنعها لأن سلطة الملك شخصية ومطلقة. فهو الذي يقرر مع عدد قليل من اخوته لا يضمهم مجلس ذو شرعية بل يجتمعون سراً ويتداولون، واحياناً يستشيرون ثم يقررون وتكون قراراتهم نافذة.

نظراً لهذا الحكم الشخصي وللاندماج بين الحكم وآل سعود وبغياب

المؤسسات الدستورية والتمثيلية اصبح الباحث في نظام الحكم مضطراً للتطرق إلى الاشخاص القائمين عليه وكلهم من آل سعود.

في عهد الملك فيصل كان لهذا النظام بعض الايجابيات في ظل الوضع العشائري السائد وظروف المنطقة خلال ولايته. ويرجع الفضل في هذه الايجابيات إلى شخصية الملك فيصل وحكمته وتدينه وتقاربه مع شعبه لا إلى مجلس وزرائه. ويجدر بنا أن نلاحظ أن ذلك العهد خلا من الفضائح التي لازمت العهد الحالي خلال تولي الأمير فهد ولاية العهد ثم الملك.

في هذا العهد يرتبط الوضع ايضاً بشخصية الملك. فالملك فهد إمام الدعوة الوهابية يحكم باسمها ويستمد شرعيته من التزامه بمبادئها والدفاع عنها ونشرها. ويسري هذا الالتزام على آل سعود جميعاً وعلى وزرائهم وجهاز الدولة كله.

فهل يمكن في هذا الوضع بحث أحوال الحكم في البلاد السعودية دون النظر فيما إذا كانت تصرفات الامام ـ الملك ، وأفراد أسرته الذين في الحكم ، وأعمال وزرائهم وكبار موظفيهم ملتزمة أخلاقياً بما تفرضه عليهم مبادىء دعوتهم .

وإذا جاءت تصرفات هؤلاء مخالفة للمبادىء التي يستمدون شرعيتهم منها وذكر الكاتب بعضها فهل يكون ذلك تشهيراً بالاشخاص أم نقداً للنظام ؟

ننتقل إلى القوة السياسية الثانية في البلاد وهي طبقة العلماء القيّمين على المبادىء الوهابية إلى جانب الامام وقد ألزموا أنفسهم بالسهر على تطبيقها وتنفيذ تعاليمها . فهل يعتبر إنتقاد تصرفات بعضهم تشهيراً بالعلماء أم وصفاً لواقع جماعة تؤثر في سياسة الحكم وإتجاهاته الإجتماعية والسياسية ؟

إن إضطرارنا للتعرض بالنقد لبعض آل سعود مبعثه طبيعة حكمهم الشخصي الذي يدمج الدولة بالعائلة ويرفض أن يميز بين ما للدولة وما لآل سعود كما يمنع تنظيم الدولة ووزاراتها وعلاقاتها مع المواطنين بموجب مبادىء

وأساليب دستورية وديمقراطية تمثيلية فيرغم الباحثين على اعتبار أن آل سعود هم الدولة . وهم بالفعل كذلك .

لقد حال آل سعود دون الانتقال بمجتمعهم من الحالة القبلية والدينية إلى وضع دستوري وقانوني عصري بالأساليب السلمية فبذروا بذور فتنة مقبلة هم مسؤولون عنها .

لقد توخينا في هذا الكتاب أن نتفحص العوامل التي تدل على مدى استقرار حكم آل سعود في السنين القريبة وفي المستقبل المنظور . ولعلنا توفقنا بإلقاء بعض الضوء على ذلك .

وسيجد القارىء في هذا الكتاب معلومات عن الحكم السعودي تحاشاها معظم الكتاب العرب ولم يتضمنها كتاب عربي آخر حسب علمنا وإن سبقتنا إلى بعضها كتب ومقالات نشرت باللغات الأجنبية فأصبح القارىء الأجنبي أكثر إطلاعاً على الأوضاع الحقيقية للحكم السعودي من القارىء العربي . ولعل هذا الكتاب يساعد على تسديد هذا النقص .

أما الرسائل والنشرات والكتب عن النظام السعودي التي تنشر بالعربية في البلاد الاجنبية وتتضمن نقداً له فإنها على الغالب تخلو من إسم صريح لكاتبيها وتتستر وراء عناوين دور نشر قد تكون موجودة فعلاً أو وهمية فتفقد هذه المطبوعات بعض أهميتها . ولعل لكتابها عذرهم .

وسيجد القارىء أننا استعملنا تعابير واضحة وقاسية أحياناً بحق بعض آل سعود لاعتقادنا أن المصارحة والوضوح أفضل في إصلاح الوضع من المواربة والرياء . وقد آن للمواطن العربي أن يتحرر من مداهنة الحكام وأن يجابههم بحقيقة أفعالهم . وقديماً وقف إعرابي بوجه الخليفة عمر ابن الخطاب وقال له : لو رأينا فيك إعوجاجاً لقومناه بسيوفنا .

لقد كانت معلومات هذا الكتاب عن تاريخ آل سعود من بداية قبولهم الدعوة الوهابية عام ١٧٤٤ إلى نهاية عهد الملك عبد العزيز عام ١٩٥٣ مستمدة

من مصادر عربية موالية في معظمها لآل سعود أبرز مؤلفوها النواحي الايجابية وتغاضوا عن النواحي السلبية . وينطبق هذا بصورة خاصة على عهد الملك عبد العزيز الذي كتب عنه أشخاص رافقوه وكانوا موظفين لديه أو معجبين به يجد القارىء أسماءهم في لائحة المراجع . وقد أمكننا ، من خلال الاحداث التي سردوها إبراز أمور فضلوا التغاضي عنها، والتوصل إلى استنتاجات لم يتعرضوا لها وهي مختلفة عن هالة الاعجاب التي نسجوها حول تاريخ آل سعود في مختلف عهودهم .

أما العهد المعاصر الذي تلا الملك عبد العزيز فقد عشناه وسجلنا أحداثه في سجل العالم العربي يوماً بيوم وأطلعنا على ما يكتب عنه إلى يومنا الحالي في المؤلفات والصحافة العربية والأجنبية .

أما بالنسبة لأخبار الفساد والرشوات والسطو على مال الدولة بأساليب مختلفة التي يتناقلها السعوديون والمؤلفون والصحف العالمية فقد دققنا في مصادرها وتابعنا أخبارها في السعودية وبيروت وباريس ولندن وواشنطن وذكرنا منها بعض ما تأكدنا من صحته . وقد تختلف المصادر بتقدير مبلغ الرشوة الإجمالي وحصص المرتشين لكنه لا مجال للشك بحدوث الصفقة وحصول الرشوة والإختلاس وأسماء المنتفعين .

ستصدر طبعة إنكليزية من هذا الكتاب في الأشهر المقبلة كي لا يتهمنا الاجانب ، كما يفعل بعض كتابهم ، أن العرب يعتبرون الفساد في الحكم والفسق في الحاكمين أمراً عادياً ومقبولاً في المجتمعات العربية . كما سنوالي متابعة التطورات السعودية وننقلها الى القراء العرب والاجانب في مؤلفات مقبلة .

وعلينا قبل الختام أن نوجه الشكر لأولئك الأصدقاء السعوديين والعرب الذين زودونا بمعلوماتهم وحمّلونا آمالهم بتقويم الأوضاع والذين لا نستطيع ذكر أسمائهم لاسباب واضحة .

مونتريال - يناير ١٩٨٦

جبران شامية

# القسم الأول

# تاريخ آل سعود

| | |
|---|---|
| الفصل الأول | التعارف |
| الفصل الثاني | نشوء الدولة |
| الفصل الثالث | الأوضاع المحيطة بالدولة الناشئة |
| الفصل الرابع | التوسع العسكري السعودي |
| الفصل الخامس | آل سعود في المنفى |
| الفصل السادس | عودة آل سعود |
| | عبد العزيز ابن عبد الرحمن |
| الفصل السابع | عبد العزيز والأخوان وفتح الحجاز |
| الفصل الثامن | من الفقر إلى الثروة |
| الفصل التاسع | آل سعود والثورة العربية الكبرى |
| الفصل العاشر | عهد الملك سعود وصراع الأخوين |
| الفصل الحادي عشر | عهد الملك فيصل |

# الفصل الأول

# التعارف

في أحد أيام خريف ١٩٦٦ تلقيت دعوة لزيارة المملكة العربية السعودية ولم يكن لي بها أو بأحد قادتها معرفة أو صلة سابقة . ولعل سبب الدعوة كانت مقالاتي الأسبوعية في جريدة «الحياة» التي توالت أكثر من عشر سنوات إلى حين إغتيال صاحبها الأستاذ كامل مروة سنة ١٩٦٦ بسبب مواقفه الوطنية المعارضة للانقلابات العسكرية .

وكانت «الحياة» أكثر الصحف العربية إنتشاراً وأقواها نفوذاً في ذلك الوقت باستثناء الصحف المصرية ، لأن صاحبها كان صريحا وملتزماً وواضحاً في مواقفه السياسية لا يحيد ولا يساير . وقد جمعت بيننا صداقة من أيام الدراسة في الجامعة الاميركية ، وإنتماؤنا الى حركة «القوميين العرب» .

وعندما انتقلت من دمشق إلى بيروت في آخر سنة ١٩٥٤ لأصبح سكرتيراً تنفيذياً «لمؤتمر خريجي الجامعة الاميركية» الذي أصبح بعدئذ «مؤتمر الخريجين العرب» صرت أكثر تفرغاً للكتابة أزود «الحياة» اغلب الاسابيع بالمقال الأسبوعي الطويل وبمقال آخر بعنوان «أحداث الأسبوع في العالم العربي» بالاضافة إلى عملي الاساسي في «دار الأبحاث والنشر» التي أنشأتها وأصدرت عنها «سجل العالم العربي» .

من الطبيعي أن الصراحة في المواقف السياسية المعلنة تجلب لصاحبها

التأييد والحماس ممن يشاركونه بالرأي ومن الذين يعبر عن مشاعرهم التي لا يجراؤون على البوح بها ، كما تجلب عليه النقمة والسخط من أرباب الأنظمة التي ينتقدها . وفي الحالتين يكسب الصحفي والكاتب الشهرة التي يسعى إليها الكثيرون .

من آثار النقمة التي تعرضت لها أن حكومة الدكتور نور الدين الاتاسي والسيد يوسف زعين أصدرت قراراً عرفياً من الحاكم العسكري سنة ١٩٦٧ بمصادرة ما تبقى لي من الاراضي بعد استيلاء «الاصلاح الزراعي» على جزء منها في منطقة الجزيرة في شمال شرق سوريا وهي أراضي أمضيت جزءاً كبيراً من شبابي لحيازتها واستصلاحها . وبقيت أملاكي مصادرة إلى أن استعدتها بموجب حكم قضائي سنة ١٩٨٠ في عهد الرئيس حافظ الأسد. ولعلها ضريبة يدفعها الكتاب السياسيون المخلصون لمبادئهم.

وبالحقيقة ، لم يكن هناك ترابط فكري بيني وبين النظام السعودي . فأنا نشأت في زمن قريب جداً من الثورة العربية الكبرى ، وفي بيت سياسي يميل إليها . وكان والدي ممن تعاونوا مع الملك فيصل الاول أثناء حكمه القصير في دمشق . وربيت على أمل الوحدة العربية للبلاد الشمالية . وتعزز هذا الشعور أثناء دراستي في الجامعة الاميركية في بيروت في الثلاثينات حيث نشأت حركة «القوميين العرب» وكنت أحد مؤسسيها ، وكان تطلعاتنا تتجه نحو العراق باعتباره «بروسيا العرب» الذي سيحقق الوحدة إلى أن انهارت الآمال بفشل ثورة ١٩٤١ ضد الانكليز التي ساهم بها القوميون العرب .

من ناحية أخرى ، فإن تصرف الكثيرين من الأمراء السعوديين خارج بلادهم ومجونهم أيام الملك سعود (١٩٥٣ـ ١٩٦٤) كان يدعو إلى الاشمئزاز وإلى الإبتعاد عنهم ولم تكن لي معرفة بأي منهم .

ولم أجد تفسيراً للدعوة التي تلقيتها إلا أني كنت في مقالاتي أعارض

باستمرار الإنقلابات العسكرية التي تسلطت على بعض الأقطار الشمالية . وكنت جمعت مقالاتي وبوبتها حسب مواضيعها وأصدرتها سلسلة في سبعة كتب تحت عنوان «يا عقلاء العرب اتحدوا» . وأصدرت سلسلة ثانية في عشرة كتب بعنوان «الاشتراكية الثورية في التطبيق» اثبت فيها دون تعليق ما كانت تنوله الصحف والمجلات المصرية عن أوضاع مصر الإقتصادية والصحية والإجتماعية المتدهورة تحت الحكم الثوري . وترجمت كتابين شهيرين لجورج اورويل يعتبران من روائع النقد الطريف للدكتاتورية وعنواناهما «مزرعة الحيوانات» و«العالم عام ١٩٨٤» . كما ترجمت رواية طريفة عن الفرنسية بنقد المبادىء الشيوعية بعنوان «رجل دين في موسكو» للكاتب الايطالي الشهير جيوفاني غويراشي .

لم تقتصر جهودي على المعارضة والنقد بل ألفت عام ١٩٦٥ كتاباً بعنوان «قضايانا العربية» عرضت فيه نظاماً ديمقراطياً بديلاً للاشتراكية الثورية شاركني في إعداده عدد من رفاق الفكر في حركة القوميين العرب وإن تحملت مسئوليته وحدي .

من المحتمل أن هذا النشاط والاتجاه الفكري تلاقى مرحلياً مع السياسة السعودية بعدما تولى الملك فيصل الحكم وعزل الملك سعود عام ١٩٦٤ ، وبعدما توقفت السعودية عن تمويل النشاطات السياسية والإعلامية للنظام المصري الناصري في مختلف البلاد العربية التي كان يرعاها الملك سعود كما سيأتي .

وعندما استلمت الدعوة لزيارة السعودية كنت توقفت عن الكتابة في «الحياة» وانصرفت بكليتي إلى إصدار موسوعة «سجل العالم العربي» باللغتين العربية والانكليزية لأنه بعد إغتيال الاستاذ كامل مروه وقع اضطراب في إدارة الجريدة ولم أعد أجد الجو مريحاً . وكان ذلك ختام نشاطي في مجال الكتابة الصحفية باللغة العربية .

في الرياض قابلت الملك فيصل في مكتبه الخاص فأثنى على عملي وشرحت

له الهدف من موسوعة «سجل العالم العربي» فأبدى تأييده وتشجيعه . وبعد وقت قصير من عودتي لبيروت وردتني من وزارتي الاعلام والخارجية طلبات إشتراك بالموسوعة كما اشترت وزارة الاعلام عدداً كبيراً من الكتب التي نشرتها . والارجح أن ذلك جرى بايعاز من الملك فيصل الذي استمرت رعايته إلى حين اغتياله عام ١٩٧٥ .

تعرفت في تلك الزيارة على مستشار الملك الدكتور رشاد فرعون الدمشقي الاصل الذي أكن له تقديراً كبيراً ، وعلى الدكتور جميل حجيلان وزير الاعلام وسفير السعودية في باريس حالياً . ووجدت في الرياض أصدقاء سوريين يتعاونون مع الملك فيصل . فكان الدكتور معروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا أيام الحكم النيابي مستشاراً في مجلس الوزراء للشؤون الإسلامية ، وكان الدكتور منير العجلاني أحد الوزراء والنواب السوريين السابقين مستشاراً في وزارة المعارف ، وكان الاساتذة احمد عسه وشكيب الجابري ونهاد الغادري وفايز أجاز وزهير الشلق يتعاونون مع وزارة الاعلام ومع مديرها العام النشيط الفعال الشيخ فهد السريري (امير نجران حالياً) . وكان الاستاذ عبد الوهاب الفتال يتعاون مع وزارة المعارف .

تكررت زياراتي بعدئذ للملكة فتعرفت على عدد من الأمراء النافذين واستمعت إلى آرائهم .

وعرفني أصدقاء على عدد كبير من السعوديين المهتمين بالشؤون العامة من مختلف الإتجاهات وأطلعت على أفكارهم ، بالاضافة إلى متابعة تطور علاقات المملكة بالدول العربية والأجنبية واحوالها الداخلية يوماً بيوم في «سجل العالم العربي» .

وتعززت معرفتي بأحوال البلاد الإقتصادية ، لما أصدرت ثلاثة كتب سنوية عن المملكة باللغة الإنكليزية تشمل أعوام ١٩٧٩ - ١٩٨٣ وكتاباً رابعاً عن الخطة الخمسية الثالثة ١٩٨٠ - ١٩٨٥ .

وهكذا أكون قد رافقت عن كثب تطور البلاد السعودية طيلة ثمانية عشر عاماً مكتسباً خبرة بأحوالها ومعرفة برجالها قد لا تتيسر للكثيرين مما يؤهلني للكتابة عنها كتابة عارف مطلع .

## ما هو سجل العالم العربي

كثرت إشاراتي في ما تقدم إلى «سجل العالم العربي» الذي شغل إصداره ثلاثة عشر عاماً من عمري وكان سبب تعرفي على المملكة وأحوالها ، لا رغبة بالدعاية والترويج له فقد نفذت طبعتاه العربية والإنكليزية ولم يعد معروضاً في الأسواق ، ولكن لتدارك نقص لا يزال باعتقادي يشوب ملفات معظم وزارات الخارجية العربية وينعكس على مستوى التحليلات والأبحاث السياسية في الصحف والمجلات العربية .

لقد كان «السجل» كما يدل اسمه يسجل الأحداث ، وينقل الوثائق ويعرض الإتجاهات السياسية العربية المختلفة دون إنحياز لاحدها . كان كل حدث ووثيقة يحمل بوضوح التاريخ والمصدر . وكان كل إتجاه سياسي عربي يُنقل من بيان أو صحيفة مخولة بالنطق بإسم تلك الجهة . وبما أن الخلافات العربية حالة مزمنة ودائمة فإننا كنا ننقل آراء كل دولة أو حزب من مصدرها تاركين للقارىء حرية الإستنتاج والتحليل .

أن ضرورة «التوثيق» لم تعد موضع نقاش في البلاد العربية وقد كثر الكلام عنها وقلّ العمل من أجلها . وكانت الجامعة الأميركية في بيروت تصدر «الوثائق العربية» في فترات متفاوتة لكنها لم تكن برايي كافية الشمول والتغطية لأنها كانت تغفل أي ذكر للاتجاهات السياسية ضمن كل بلد والعلاقات بين البلاد العربية . فجعلت «السجل» شاملاً للأحداث وللوثائق وللاتجاهات .

ربما يستغرب القراء إذا عرفوا أن «السجل» كان يتضمن طيلة صدوره معلومات عن بلاد عربية غير مدونة لدى إدارات الدولة المعنية . ولا أزال أذكر

سفارة عربية إتصلت بي في بيروت تطلب مني نصّ بيان صدر عن مؤتمر عقد في بلدها قبل بضعة أشهر فارسلته لها وكان الأحرى أن تطلبه من وزارة خارجيتها لو وجد لديها . واستطيع أن أؤكد أن وزارات خارجية عربية كثيرة ينقصها في ملفاتها معلومات ذكرها «السجل» عن شؤون عربية معنية هي بها .

لقد نشأت فكرة «السجل» عن حاجة شعرت بها عندما كنت أكتب في صحيفة «الحياة» حيث كنت في تحليلاتي السياسية احتاج أحياناً إلى معرفة نص وتاريخ بيان أو مشروع أو إجتماع أو موقف سياسي جرى قبل أشهر أو سنوات . فكنت أضطر إلى صرف ساعات أراجع مجموعات «الحياة» القديمة حتى أعثر على حاجتي . لذلك حرصت في «السجل» على التاريخ والمصدر والخبر والنص الكامل معاً . وعلى سبيل المثال عن الحاجة إلى «السجل» ، من يتذكر الآن نص مشروع روجرز ، أو بيان مؤتمر الخرطوم ، أو بيان مؤتمر بغداد ١٩٧٩ أو نص القرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين يكثر الكلام عنهما باعتبارهما أساساً لحل القضية الفلسطينية ، أو نص مشروع الرئيس رونالد ريغان عام ١٩٨٢ ، أو بيانات وتواريخ مؤتمرات القمة العربية بالنصوص الدقيقة المطلوبة لكتابة بحث سياسي ذي مستوى رفيع ، إلى آخر الوثائق اللازمة للباحث السياسي .

إني أقف كل يوم بإعجاب أمام المعلقين والمحللين السياسيين الذين يعالجون جميع هذه المواضيع الشائكة في الصحف والمجلات العربية معتمدين على ذاكرتهم وحدها . إنهم يستحقون من قرائهم التقدير العميق على هذه الذاكرة العجيبة .

لقد أصدرت «السجل» خدمة للباحثين والكتاب العرب فلم تشترك به صحيفة عربية واحدة سوى «الاهرام» المصرية لفترة من الزمن . ولم تهتم جامعة عربية بتقريظه وإعطاء رأيها به .

وأصدرت «السجل بالانكليزية فكان موضع دراسة ثلاثة أساتذة في جامعة نيويورك هم : روبرت باروز ، دوغلاس مازيو ، وبرت سبيكتور

Robert Burrowes. Douglos Muzzio. Bert Specter

قـارنوه مـع عشـرين مصـدر عربي وأجنبي للمعلومـات عن الشـرق الاوسط في مقـال بعنـوان «مصـــادر دوليـة عن أحــداث الشـــرق الاوسط»
Sources of Middle East International Event Data
وقالوا عنه ما يلي :(*) «أن سـجل العـالم العربي هـو بجميع المقـاييس أكثر مصادر المعلومات عن البلاد العربية واسـرائيل طموحاً وفائدة . أن الـسجل الـذي يصدر في بيروت باللغة الانكليـزية يتـألف من مجلدات فصلية تـزيد عن ستمـاية صـفحـة . ويعرض كـل مجلد الاحداث التي تشـمـل جميع نـواحي الحياة العـربيـة السيـاسيـة والإقتصـادية ، الـداخلية والخـارجيـة ، حسـب تـسلسلهـا التـاريخي . ويـستمد الـسجل معلوماته من مصادر شرق أوسـطية وشـمـال افريقيـة مع التـأكيد عـلى الصحافـة الإقليميـة ، بـالاضافـة إلى وكـالات الأخبـار العـالميـة . وينـسـب «الـسجل» كل خبر أو وثيقة أو رأي إلى تاريخه ومصـدره بوضوح .

«ويحتوي كل مجلد عـلى أقسـام مـستقلة عن كـل بلد عربي وعن اسـرائيل . وتقسم المعلومات عن كل بلد إلى ثلاثة أجزاء تعالج العلاقات مع البلاد العربيـة الأخرى ، والعلاقات مع الدول الأجنبية، والأحوال الداخلية .

ويحتوي «الـسجل» أيضاً على أبواب تبحث العلاقـات العربيـة المشتركـة ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمات الدولية .

إن «سجل العالم العـربي» يمثل مجهـوداً ضخماً وهـو ذو قيمة لا تقـدر للذين يريدون متابعة الـسيـاسـة العربية . (انتهى)

وكتب لي الاسـتاذ سـتيفان بوسوني Stephan T. Possony من مؤسـسة هوفر في جامعة سـتانفورد بكـاليفـورنيـا Hoover Institute, Stanford University, «إني معجب جداً بالمادة الواردة . ولا يكفي أن نقـول بأن الـوثائق ثمينـة ، لأنني حسـب إطلاعي أجد «الـسجل» فريداً في نوعه ولا غنى عنه لأي بحث جدي عن العالم العربي» .

(*) Middle East Studies Association Bulletin: Vol. 5,no.2, May, 1971.

وكتب لي الاستاذ مالكولم كير Malcolm Kerr أحد كبار خبراء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة ورئيس الجامعة الاميركية في بيروت الذي أغتيل مؤخراً : «أن معلومات السجل تبدو لي دقيقة ومفصلة ومرتبة بعناية وخبرة . وستكون ذات فائدة قصوى لمن هم مثلي من الجامعيين الذين يهتمون بمتابعة أحداث الشرق الاوسط» .

وكتبت لي مؤسسة دراسات السياسة الخارجية في بون ، المانيا الغربية : «أن السجل ، هو بما لا يقاس ، أفضل توثيق عن الشؤون العربية أطلعنا عليه» .

وانتخبتني «مؤسسة دراسات الشرق الاوسط في اميركا الشمالية»
«Middle East Studies Association of North America»
عضواً مشاركاً فيها تقديراً «لسجل العالم العربي» ، فأين العرب من الغرب في تقدير علمائهم!

لنعد إلى البلاد السعودية . فبعدما تعذر علي متابعة إصدار «السجل» بسبب أحوال الحرب في لبنان حاولت أن أثير إهتمام أوساط سعودية لتتابع المهمة فلا يتوقف هذا المشروع العلمي الفريد باعتبار ان الامكانات المالية متوفرة لديهم ويمكن تدريب جهاز سعودي يتابع العمل .

اتجهت أولاً نحو أولاد الملك فيصل باعتبار أن المشروع كان يحظى برعاية أبيهم ولديهم الإمكانات اللازمة سواء في وزارة الخارجية أو في مبرّة الملك فيصل التي يرأسها الأمير خالد . فلم ألقَ من سعود وخالد إلا الإعراض رغم أنهما درسا في جامعات أجنبية ويفترض أن يكونا مدركين كوالدهما لفائدة هذا المشروع الذي رعاه والذي إحتل مكانة عالية في أرقى المؤسسات العلمية . وأدركت أن الدراسة في الجامعات الأجنبية قد لا تكون في كثير من الاحيان أكثر من طلاء يخفي جهلاً وبداوة .

ولم تكن المساعي مع وزارتي التعليم العالي والإعلام وجامعتي الرياض وجدة أكثر جدوى . وشعرت باتجاه لدى المسيطرين حالياً على الدولة لطمس مآثر

الملك فيصل وتبديل سياسته لكن بهدوء ومثابرة مع إدعائهم بالسير على نهجه .

وليس من الصدف أن الثلاثي الذي كان مسيطراً على وزارة الإعلام وهم الوزير محمد عبده يماني ووكيل الوزارة عبد العزيز الخوجه ومساعد الوكيل عبد العزيز الصويغ نفذوا هذه الخطة الخبيثة في وزارتهم بالابتعاد عن نهج الملك فيصل فاستعدوا جميع الكتاب والصحفيين العرب الذين تعاونوا مع العهد الفيصلي فأبعدوهم بتوجيه من ولي العهد الامير فهد وخلا الجو لهم ولبطانتهم . ومن المؤسف أن يساهم وزير الخارجية سعود الفيصل بهذه الخطة وينفذها في وزارته وهي موجهة بالأساس ضد سياسة والده ومكانته . ولا عذر له إلا العجز والجبن وهذه صفات لم يرثها طبعاً من والده الكبير .

وقد أُقصي الدكتور محمد عبده يماني عن وزارة الاعلام سنة ١٩٨٣ ولحقه وكيل الوزارة عبد العزيز الخوجة سنة ١٩٨٤ بسبب تجاوزات بقيت مكتومة ولقلة كفاءتهم . ويقي من الثلاثة عبد العزيز الصويغ وكيل الوزارة للاعلام الخارجي وهو أقلهم كفاءة وأضيقهم أفقاً وأدناهم فهماً للإعلام العصري ولطريقة التعامل مع الاعلاميين الاجانب . وهو فوق كل ذلك مثال الموظف البيروقراطي المتعالي التافه الذي أحسن وصفه وزير الصناعة السابق الدكتور غازي القصيبي في كتابه «عن هذا وذاك» والذي سنطلع عليه القاريء في الفصل الثاني عشر .

# الفصل الثاني

# نشوء الدولة

## آل سعود قبل الدعوة الوهابية

ينتسب آل سعود إلى فخذ من قبائل عنزة الضاربة في نجد وبادية الشام.
ويقول الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه عن تاريخ الملك عبد العزيز وقد عاش فترة طويلة في المملكة وعمل في وزارة الخارجية(١).

ينتسب السعوديون إلى الشيخ سعود إبن محمد إبن مقرن إبن مرخان إبن ابرهيم إبن موسى إبن ربيعة ابن مانع المُرَيدي.

وكان مانع من سكان بلدة قرب القطيف تسمّى الدرعية نسبة إلى آل درع حكام نواحي قطيف. وانتقل مانع باهله من جوار القطيف إلى وادي حنيفة على بعد نحو عشرين كيلومتراً من الرياض وبنى ومن معه مساكن من اللبن والحجارة المركزة على الطين وسموا القرية «الدرعية» على اسم بلدتهم الأولى.

خلف مانع عند وفاته ابنه ربيعة لكن حفيده موسى إبن ربيعة طمع بالحكم فحاول قتل أبيه وأصابه بجراح فهرب الأب واستولى الابن على القرية.

وخلف موسى ابنه ابرهيم ثم مرخان إبن ابرهيم ثم ربيعة ومقرن إبنا مرخان مشتركين (١٦٣٠).

تنازع على الإمارة بعدهما ولداهما وطبان بن ربيعة ومرخان بن مقرن. فتغلب وطبان على مرخان عام ١٦٥٥ وقتله.

ثم حكم الدرعية محمد إبن وطبان وقتل سنة ١٦٧٣ فخلفه محمد إبن مقرن الذي توفي عام ١٦٩٤.

خلفه ابرهيم إبن وطبان الذي قتله رئيس بلدية الرياض فخلفه أخوه أدريس إبن وطبان الذي قتل أيضاً حوالي سنة ١٦٩٥.

وذهب حكم القرية إلى بني خالد حتى عام ١٧٠٩ حين تولى الحكم موسى إبن ربيعة إبن وطبان واستمر حتى خلعه أهل الدرعية.

بعد خلع موسى تولى سعود إبن محمد إبن مقرن إمارة الدرعية سنة ١٧٢٠ وهو الذي تنتسب إليه أسرة آل سعود وقد توفي عام ١٧٢٥.

بعد وفاته تولى الدرعية زيد إبن مرخان إبن وطبان. فزاحمه حفيد لأحد أخوته اسمه مقرن وهو أخو سعود الأول أبي آل سعود. وتولى مقرن الإمارة ودعا عمه وابن أخيه محمد إبن سعود لزيارته يريد الغدر بهما إلا أن محمد بن سعود ومن معه وثبوا على عمه مقرن فقتلوه وردوا زيداً للإمارة. لكنه قتل على يد أمير العينة محمد بن عمر عام ١٧٢٧.

تولى الدرعية بعد ذلك محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي تحالف مع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب. وهكذا بدأ دور الأمامة في بيت آل سعود.

يتابع الزركلي قائلاً: «أصطبغت سياسة محمد إبن سعود وحروبه بالصبغة الدينية الخالصة. فحروبه «جهاد» وغاراته «غزوات» وانتصاراته «فتوحات» ورعاياه «مسلمون» والخروج عن طاعته «ردة» ومرجع أحكامه الكتاب والسنة. وكانت وفاته لسنة ١٧٦٥ عن نحو سبعين عاماً ودام حكمه أربعين عاماً وخلف ولدين: عبد العزيز الذي قام بالإمارة بعده، وعبد الله أبو الإمام تركي جد الملك عبد العزيز[٢]». (اهـ).

## مكانة آل سعود بين القبائل العربية

يتضح مما قاله الأستاذ خير الدين الزركلي أن آل سعود كانوا نصف حضر

سواء حين أقامتهم بجوار القطيف أو عند انتقالهم إلى الدرعية قرب الرياض. ولم يكونوا يوماً شيوخاً لعشيرة بدوية معروفة. وهم، وإن انتسبوا إلى قبيلة عنزة الكبرى، فلم يكونوا رؤساؤها أو رؤساء فخذ معروف فيها.

وقد كان مجتمع الجزيرة العربية سواء أيام الأمام سعود الكبير في القرن الثامن عشر أو أيام عبد العزيز إبن عبد الرحمن في القرن العشرين، مجتمعاً بدوياً احتكرت زعامته عائلات تتمتع تقليدياً بولاء عشائر معروفة قوية ومرهوبة الجانب. ولم يكن آل سعود من عدادها.

وإذا راجعنا بطون وافخاذ قبيلة عنزة التي ينتسب إليها آل سعود فإننا لا نجد في العائلات المتقدمة فيها ذكراً لهم. وقد عدد الأستاذ فؤاد حمزة بتفصيل فروع عنزة وعائلاتها[٣]. في تسع صفحات فذكر الرولة لآل شعلان، والعمارات لإبن هذال، والفدعان لابن مهيد، وبطوناً وأفخاذاً أخرى كثيرة ليس بينها آل سعود. وقد كان آل سعود وحدهم بين العائلات التي تصدت للزعامة في ذلك المجتمع البدوي دون عزوة عشائرية كبيرة ملتزمة الولاء تنصرهم وتشد أزرهم.

ولعل هذا الضعف في النسب العشائري هو الذي دفع محمد إبن سعود للتحالف مع محمد إبن عبد الوهاب ليكتسب بالدعوة الدينية أنصاراً وأتباعاً ليسوا له في التركيبة العشائرية القائمة. وهذا السبب هو على الغالب ما دفع عبد العزيز إبن عبد الرحمن لرعاية حركة «الأخوان» ليصبحوا جنده في مواجهة خصومه من عشائر شمر والعجمان والمنتفق وعتيبة ومطير وغيرها في الوقت الذي ليست عنده عشيرة تنصره.

## طوائف الجزيرة في القرن الثامن عشر

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو عليه أن معظم سكان الجزيرة العربية يتبعون المذاهب السنية الأربعة. وفيهم طوائف إسلامية أخرى أقل عدداً. وكان أكثر السكان، من مختلف الطوائف بدو رحل ينتمون إلى تجمعات قبلية ويعيش إلى جانبهم سكان الواحات والقرى. وكانت الشريعة الإسلامية تطبق في ذلك

الوقت على سكان الحواضر فقط. أما البدو فكانت لديهم قوانين وأحكام مستمدة من التقاليد والأعراف يقوم عليها القضاء، ولم يكونوا يطبقون الشريعة. وكان لكل قبيلة قاض يدعي باسم «عارف»[٤].

أما الطوائف الدينية فلم نقع على تقدير لعددهم في ذلك الزمن، ولعل ما كتبه الأستاذ فؤاد حمزة سنة ١٩٣٣ يلقي ضوءاً على الزمن الأبعد فيقول: يوجد من الشيعة في الوقت الحاضر أتباع للإمام محمد إبن الحنفية يقيمون في جبل رضوى قرب ينبع ويقارب عددهم عشرين الفا. وأتباع هذا المذهب أكثرهم من قبائل حرب وجهينة[٥].

وفي الاحساء يتناصف السكان في التوزيع بين أهل السنة وطائفة الشيعة حيث يوجد عدد كبير من الشيعة الأمامية أتباع جعفر الصادق يقيمون في القرى المنتشرة في الواحة وأكثرهم خليط من الأثني عشرية والقرامطة وبينهم قسم من بني خالد المتشيعين ويتجاوز عددهم خمسة وعشرين الفا. وتكاد واحة القطيف أن تكون كلها من الشيعة القرمطية وهم بقايا القرامطة الذين هددوا العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري (العاشر ميلادي).

ويوجد في القطيف أكثر من أربعين قرية سكانها كلهم عرب قرامطة يسكنون الواحة والجزر المقابلة للساحل في تاروت ودارين وغيرهما ويزيد عددهم عن أربعين ألفاً[٧].

والقرامطة شيعة ينتسبون إلى حمدان قرمط وهو يماني الأصل غالى في التشيع لآل البيت. وقد تغلبوا على شرق الجزيرة في أواخر المائة الثالثة للهجرة (وائل القرن العاشر ميلادي) واستولوا على ساحلها وعلى البحرين والأحساء والقطيف وخلعوا طاعة المعتضد العباسي. وفتحوا مكة عام ٣١٧ هـ (٩٣٠م) ونهبوها ونقلوا الحجر الأسود إلى القطيف وحكموا مكة ما يزيد عن عشرين سنة. وأعيد الحجر الأسود بأمر الخليفة الفاطمي سنة ٣٣٩ (٩٥١ م) وكان القرامطة على صلة بالفاطميين وينتسبون إليهم. وهكذا «كان التشيع لأزمنة عديدة المذهب الرسمي للدولة ولقسم غير قليل من الشعب» [٨].

وفي عسير المجاورة لليمن أتباع للمذهب الزيدي إلى جانب الشوافع وهم الأكثر عدداً. ويعلم من ذلك أن الشيعة في البلاد السعودية لا يبلغ عددهم مئة ألف (عام ١٩٣٣)(٩).

أما أهل السنة فانهم ينتمون إلى المذاهب الأربعة المعتمدة. وأهل نجد يذهبون مذهب السلف الصالح وفي الأجتهاد يتبعون الأمام أحمد بن حنبل. أما الحجاز ففيه أتباع المذاهب الأربعة. ويكثر في البادية أتباع الإمام الشافعي. وفي قبيلة حرب يكثر أتباع الإمام ابي حنيفة، وفي المدن يكثرا الاحناف أيضاً لقرب عهد الناس بالحكومة العثمانية التي كان مذهبها الرسمي المذهب الحنفي. وفي الحرم المكي مقامات أربعة للمذاهب الأربعة. وكانت الصلاة تقام في أوقاتها وراء أربع أئمة. وقد أبطلت هذه العادة تحت حكم آل سعود وأصبح الإمام في الصلاة حنبلياً يتبعه الناس كلهم. وقد كان في الحجاز أتباع للطرق الصوفية من سنوسية وإدريسية وقادرية وكيلانية وبكطاشية غير أن السعوديين قضوا عليها جميعاً(١٠).

## آل سعود والدعوة الوهابية

بدأ التاريخ يذكر آل سعود بعدما تبنوا دعوة الشيخ محمد إبن عبد الوهاب الدينية عام ١٧٤٤.

ولد الشيخ محمد سنة ١٧٠٣ في قرية العيينة في وادي حنيفة وتلقى تعليمه الديني المبكر عن والده الشيخ عبد الوهاب قاضي القرية الذي كان يتبع المذهب الحنبلي فنشأ محمد عليه. وبعدما بلغ العشرين ارتحل من نجد طلباً للعلم فذهب إلى الأحساء ثم إلى البصرة.

يقول الأستاذ أحمد عسه(١١): «شغل بال الشيخ ما أصبح المسلمون عليه من تخلف وبُعد عن الأسلام وصفائه في أيامه الأولى فاهتدى إلى أن العودة إلى الدين ونهجه في الحياة هي الوسيلة لبعث هذا المجتمع من جديد كما بعثه الأسلام أول مرة. . . وقرر أن الإسلام الصحيح يجب أن يؤخذ من القرآن والحديث.

وفيما يتعلق بالحديث نهج منهج الامام إبن حنبل، وهو أن ما اختلف عليه الائمة يهمل، وما اجمعوا عليه من الأحاديث يؤخذ. وهكذا صار يدعو إلى العودة لحياة الإسلام كما كانت في صدر الإسلام... وتيقن أن الإيمان الصحيح يجب ان يقترن بالعمل الصحيح، وأن الإعتقاد وحده لا يكتمل إلا إذا اقترن بالعمل».

نبذ الشيخ محمد ما اعتبره بدعاً دخلت على الدين كالطرق الصوفية. والتشفع بالأولياء، وأقامة النصب والقباب، وزيارة القبور. وقرر أن الرجوع إلى الأصول هو الطريق الوحيد للنهوض بالمسلمين من حالتهم المتردية. ودعا أيضاً إلى الزهد بالدنيا وابتغاء الآخرة، وإلى التقشف والعبادة والتقى والورع، وإلى الإبتعاد عن البذخ والترف وعن ملذات الحياة.

## إتفاق آل سعود ومحمد بن عبد الوهاب

بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته في قرية العيينة فاستمال شيخها عثمان بن معمر وكان من شيوخ نجد الأقوياء، وتمتع بحمايته. لكن شيوخ المناطق المجاورة لم يستسيغوا الشدة والصرامة التي تميزت بها الدعوة فاشتكوا إلى شيخ بني خالد سليمان بن محمد آل حميد وهو أقوى شيوخ شرق الجزيرة، فأمر إبن معمر بطرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ففعل. وفي رواية أنه أمر بقتله لكن إبن معمر هرّبه.

غادر الشيخ محمد العيينة عام ١٧٤٤ متجهاً إلى الدرعية مركز آل سعود وهي تبعد عشرين كيلومتراً عن الرياض، فرحب به شيخها محمد بن سعود. وكانت إمارة آل سعود لا تتعدى بلدتين أو ثلاثاً في وادي حنيفة[١٢].

قال إبن سعود للشيخ محمد: أبشر بالنصر لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، لكن أريد أن أشترط عليك إثنين:

أولاً: إذا قمنا بنصرتك وفتح الله لنا ولك اخشى أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا. فعاهده الشيخ أن لا يفعل.

ثانياً: إني اتقاضى من أهل الدرعية مالاً وقت الثمار وأخاف أن تمنع ذلك.
فقال الشيخ: لعل الله يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها.

وعلى هذا تم الإتفاق بين الرجلين(١٣).

وكعادة آل سعود التي لا يزالون يمارسونها إلى اليوم، توثق التحالف بين الرجلين لما زوج محمد ابن سعود ابنه عبد العزيز من إحدى بنات محمد إبن عبد الوهاب. ولا يزال العهد بين آل سعود وآل عبد الوهاب مستمراً إلى يومنا هذا وإن إختلف مضمونه. مع إستمرار التزاوج على نطاق واسع.

وبما أن الدعوة الوهابية ترفض التميز بين الشئون الدينية والدنيوية، وبين العمل الديني والسياسي، فإن زعامتها، أي الأمامة، تعود حكماً الى المتسلط من آل سعود الذي يجمع بين يديه السلطتين الدينية والسياسية. وتأكيداً لهذا الوضع قال الملك فيصل للمؤلف في إحدى المناسبات أنه إمام قبل أن يكون ملكاً فعبر بذلك عن طبيعة الحكم السعودي في عصرنا هذا.

وعلى هذا كان محمد إبن سعود الإمام الوهابي الأول.

# مراجع الفصل الثاني

## نشوء الدولة


١ - الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٣١-٣٥.
٢ - المصدر السابق، ص ٣٥ و٣٦.
٣ - حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص ١٧٨ - ١٨٦.
٤ - أبو علية، عبد الفتاح، الإصلاح الإجتماعي، ص ١١٨.
٥ - حمزة، فؤاد، سبق ذكره، ص ١٠٣.
٦ - المصدر السابق، ص ١٠٤، وعبد الفتاح أبو عليه، الإصلاح الإجتماعي ص ١١٨.
٧ - المصدر السابق، ص ١٠٤.
٨ - المصدر السابق، ص ٣٠٠.
٩ - المصدر السابق، ص ١٠٤.
١٠ - المصدر السابق، ص ١٠٤.
١١ - عسه، أحمد، معجزة فوق الرمال، ص ١٢-١٤.
١٢ - المصدر السابق، ص ١٧.
١٣ - أبو علية، عبد الفتاح، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص ١٣ و١٤.

# الفصل الثالث

## الأوضاع المحيطة بالدولة الناشئة

يحسن بنا قبل أن نتطرق بشيء من التفصيل إلى الحكم السلفي كما مارسه الأئمة الوهابيون، أن ننظر في أحوال المناطق المحيطة بنجد لما لها من أثر في المسيرة السعودية، ومن أهمها منطقة الخليج.

فقد كان الخليج، بصلاته التجارية الواسعة مع الأقطار المجاورة ومع الدول الغربية، واهتمام الحكومة البريطانية به باعتباره طريقاً للهند، يشكل النافذة التي إحتك من خلالها السعوديون بالقوى الأجنبية وخاصة بالحكومة البريطانية. كما كان الخليج الرئة التجارية التي يتنفس من خلالها أهل نجد لإستيراد ما يحتاجونه من سلع وبضائع لا غنى لهم عنها.

وهكذا بقيت أقنية من الصلات مفتوحة، رغم الصحاري المحيطة بنجد، بينها وبين الخليج والعراق والحجاز وبلاد الشام ومصر، وبالتالي مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الجزيرة العربية، ثم إمتداداً إلى الدول الأوروبية التي كانت لها مصالح في منطقة الخليج.

كما يحسن بنا أن نتطرق بإيجاز إلى التطور الفكري والعلمي الذي انتجته الحضارة الغربية في الزمن المعاصر لنشوء الحركة الوهابية لنستكشف النواحي التي يلتقيان فيها أو يفترقان.

# أهمية الخليج الإقتصادية

بدأ الخليج يكتسب أهمية تجارية عالمية بعد الإكتشافات الجغرافية البورتغالية التي وصلت إلى الهند وسنغافورة وجاوة وفتحت طرق التجارة بينها وبين أوروبا بعدما اكتشف فاسكو دي غاما البورتغالي طريق رأس الرجاء الصالح ووصل إلى الهند عام ١٤٩٨ أي بعد أربع سنوات من اكتشاف القارة الأميركية.

بعد ذلك أقام البورتغاليون قواعد لهم على الطريق للتجارة والتموين فاحتلوا مسقط عاصمة سلطنة عمان سنة ١٥٠٨ وبقيت بحوزتهم إلى سنة ١٧٤١ عندما طردهم الشيخ أحمد بن سعيد وأسس حكم أسرته الذي لا يزال مستمراً إلى يومنا هذا. وكان سلطان مسقط أقوى حاكم في الجزيرة العربية إلى منتصف القرن التاسع عشر. ويتبع أهل مسقط المذهب الاباضي. ولعل ذلك أحد أسباب سوء العلاقة المستمر مع آل سعود، كما قد يفسر ذلك تعاون مسقط الوثيق الدائم مع الأنكليز منذ القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا لرد أذى من يريد بهم شراً.

وكان لأهل مسقط في القرنين الثامن والتاسع عشر أقوى أسطول بحري في الخليج لأن تجارتهم كانت تمتد من جزيرة زنجيبار الخاضعة لهم، ومن سواحل أفريقيا الشرقية إلى مسقط ثم إلى الهند وجزر أندونيسيا (جاوة وسومطرة) وسنغافورة وغيرها. ولا يزال كثيرون من سكان مسقط وتوابعها مقيمين في تلك البلدان. وكانت مسقط المستودع الرئيسي في الخليج للبضائع الواردة من الهند.

كان العمانيون يجلبون العبيد من سواحل أفريقيا الشرقية ويبيعونهم في أسواق الخليج ونجد ومنها ينتشر الرقيق إلى بغداد والحجاز ومصر وغيرها. كما كانوا يصدرون الرمان والتمر والسمك المجفف، ويستوردون والتوابل والأقمشة والأرز والقهوة من الهند واليمن.

بعد أفول نجم البورتغاليين حلّت محلهم شركات تجارية هولندية وانكليزية

وفرنسية للتجارة مع الهند. وكان مصير هذه الشركات معتمداً على تطور الأحوال السياسية في أوروبا. وبالنهاية سيطر الأسطول الأنكليزي على البحار وبقي طريق الهند شبه حكر للسفن البريطانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

## شركة الهند الشرقية الإنكليزية

تأسست شركة الهند الشرقية الأنكليزية للتجارة مع الهند سنة ١٥٩٩ على شاكلة شركة الهند الشرقية الهولندية. ومع الوقت أصبح للشركة أسطول حربي يحمي سفنها من غزوات القراصنة في الخليج كما كانت تستعين عند الحاجة بأسطول حكومة بومباي. وبقيت الشركة تجارية خاصة إلى أن إستولت عليها الحكومة الأنكليزية سنة ١٨٥٨.

إنصب إهتمام الشركةوالحكومة على مسألتين: تأمين البريد المنتظم بين حكومة الهند ولندن، وحماية التجارة بين البلدين.

وكانت توجد أربع طرق ممكنة: الطريق البحري حول الرجاء الصالح، وهو أطول بمدة أربعة أو خمسة أشهر من طريق الهند - مخا (اليمن) - السويس - الأسكندرية - مرسيليا.

الطريق الثاني يأتي من بومباي بحراً إلى السويس، ثم براً إلى الأسكندريه، ثم بحراً إلى مرسيليا فلندن، ويدعى طريق البحر الأحمر.

وطريق ثالث يأتي بحراً من الهند إلى البصرة ثم براً إلى بغداد فالموصل فحلب فسواحل البحر المتوسط، ومنها بحرا إلى مرسيليا فلندن.

وطريق بري رابع يذهب من البصرة أو الكويت إلى القصيم ثم إلى بلدان نجد الشمالية ومنها إلى دمشق وبيروت فأوروبا إذا سمحت الأحوال الأمنية في نجد وبادية الشام.

في وقتنا الحاضر وقد إعتدنا على النقل السريع بالطائرة بريداً وركاباً وبضائع يصعب علينا فهم اهمية مواصلات تلك العصور وبالتالي اهمية الخليج

كطريق حيوي بين الهند وأوروبا.

لكن يجب أن نتذكر أن بلادنا والبلاد الأوروبية كانت تعتمد على هذه التجارة للحصول على التوابل والبهارات التي لا غنى عنها في كل بيت. كما كانت تصدر مصنوعاتها بالمقابل.

كانت الهند تصدر التوابل والبهارات والأقمشة والرز والسكر والخشب والحنطة والشعير والقطن والشاي والدخان والفواكه المجففة.

وكان الخليج يصدر بالمقابل اللؤلؤ والخيول والجلود والخضر والتمور، كما كان يصدر العبيد من أفريقيا الشرقية والحبشة عن طريق مسقط إلى عدد من البلاد العربية.

أما انكلترا فكانت تصدر الأقمشة والأسلحة والمصنوعات بأنواعها والالات خصوصاً بعد قيام الثورة الصناعية في أوائل القرن التاسع عشر.

وكانت هذه التجارة تأتي أيضاً بالبن من اليمن، والسجاد من إيران لمختلف البلدان.

وكانت كل محطة تجارية، بحرية أم برية، تشكل سوقاً للبيع والشراء وتدر الأرباح والخير على السكان والتجار. فكانت البصرة الميناء الرئيسي في الخليج تقاسمها التجارة الكويت والزبارة في قطر.

وكانت بغداد مركزاً آخر شهيراً على طريق القوافل تزود العراق بما يحتاجه، ومثلها حلب تتوزع منها البضائع إلى الأناضول وإلى مدن سوريا، ومثلها بيروت.

أما نجد فكانت تستورد وتصدر عن طريق الكويت بالدرجة الأولى، ثم عن طريق العقير والقطيف. وتستفيد من القوافل التي تتبع الطريق البري الرابع الذي ذكرناه.

## المرافىء التجارية في الخليج

كانت البصرة دون شك أهم مرفأ تجاري في الخليج إلا أن متسلمها (حاكمها) كان أحياناً يستبد به الطمع فيزيد المكوس على التجار وعلى البضائع الواردة.

ولاقت البصرة منافساً تجارياً لها في بلدان العتوب.

والعتوب ينتمون أصلاً إلى جماعات عربية انحدرت بمعظمها من الأفلاج بنجد. وكان أول مكان تجمعوا فيه هو مدينة الكويت حيث عاشوا زمناً بحماية شيخ بني خالد حتى عام ١٧٥٢. وكان يعيش في الكويت أيضاً عتوب قطر والبحرين. غير أن وفاة الشيخ سليمان آل حميد زعيم بني خالد أتاح الفرصة للعتوب للإستقلال فاختاروا صباح بن جابر شيخاً وكان بذلك أول حاكم للكويت. ولا تزال أسرته تحكم الكويت إلى الآن.

في عام ١٧٦٦ أسس العتوب ثاني مراكزهم التجارية في مدينة الزبارة بقطر وكان المؤسسون جماعة من آل خليفة. وفي سنة ١٧٨٢ - ٨٣ فتح العتوب البحرين باشتراك آل صباح وآل خليفة.

«على أن جميع المناطق التي نزل فيها العتوب باستثناء البحرين، كانت تقع ضمن نطاق نفوذ بني خالد»[1] وتحت السيادة العثمانية الأسمية.

لا يمكن التأكد من الحدود البرية لأراضي العتوب فيما عدا جزيرة البحرين لأن إهتمامهم اتجه نحو البحر وتجارته ولم يكن لهم مطمع بالتوسع في الصحاري المحيطة بهم. وهم في ذلك يشبهون المدن الفينيقية على شاطىء البحر المتوسط التي نشرت مستوطناتها على السواحل للتجارة ولم تلتفت إلى البر المحيط بها.

وقد بقي العتوب في أمان بظل بني خالد إلى أن تغلب عليهم آل سعود وفرضوا سيطرتهم على الأحساء وهاجموا الزبارة سنة ١٨٩٨ فهدموها أهلها وغادروها إلى البحرين. وفيما اعتنق القواسم في راس الخيمة الى جنوب العتوب المذهب الوهابي فان العتوب لم يتقبلوه[2].

رغم اضطراب الأحوال السياسية بسبب الغزوات السعودية فقد استمر ازدهار المرافىء التجارية في الخليج ما بقي العالم محتاجاً إلى هذا الطريق الحيوي ما بين الهند والعالم الغربي.

وقد زاد في أهمية الخليج أن السلطان العثماني أصدر فرماناً سنة ١٧٧٩ يمنع السفن المسيحية من التعامل مع مدينة السويس ومن نقل البضائع إليها فهبط التعامل التجاري على خط البحر الأحمر ونعزز إستعمال طريق الخليج ورأس الرجاء الصالح. وازداد التبادل التجاري العالمي إتساعاً وسرعة بدخول عصر البخار إذ عملت أول سفينة بخارية سنة ١٨٠٧ فاستقل النقل البحري عن اهواء الرياح وزادت حمولة السفن وسرعتها وانعكس ذلك بالخير على مرافىء الخليج. واستمر الأمر كذلك إلى تاريخ إفتتاح قنال السويس عام ١٨٦٩ الذي رجح أهمية طريق البحر الأحمر على طريق الخليج بالنسبة للتجارة والمواصلات ما بين الهند وأوروبا.

## القوى المجاورة

أحاطت بنجد قوى محلية مجاورة نخص بالذكر منها الاحساء، وسلطنة مسقط وعمان، وباقي مشيخات الخليج، ودول أبعد عن نجد جغرافياً قاومت على التغالب التوسع الوهابي وتشمل الدولة العثمانية بولايتيها العراقية والحجازية، ثم مصر تحت حكم محمد علي باشا الذي كانت له مطامع خاصة مع كونه والياً عثمانياً، وأخيراً الدولة الأجنبية الوحيدة التي تعاطت مع الجزيرة العربية في العصر الذي نبحثه وهي الدولة البريطانية.

وسيقتصر بحثنا هنا على عرض عام تاركين العلاقة التفصيلية لهذه القوى مع آل سعود إلى الفصل الرابع.

أول ما يجب ملاحظته هو أن كل الجزيرة العربية ما عدا مسقط كانت واقعة تحت السيادة العثمانية، بالإضافة إلى العراق وبلاد الشام ومصر وهي الأقطار التي تهمنا في هذا العرض.

ونسارع الى الإيضاح لئلا يلتبس الأمر ان مفهوم السيادة العثمانية في ذلك الوقت يختلف عن معناها الذي نعرفه في هذا العصر. فنحن نفهم السيادة، ما عدا استثناءات قليلة، بأنها سيطرة الدولة الفعلية على أراضي وسكان. ويشمل ذلك حفظ الأمن وتعيين الموظفين وجباية الضرائب وتطبيق القوانين.

أما الدولة العثمانية فكثيراً ما كانت تكتفي من ولاتها خصوصاً في الولايات النائية، بتقديم مبلغ معين من المال سنوياً حسب ثروة البلد وغناه، دليلاً على خضوع الوالي للباب العالي، وتترك إدارة الولاية وطريقة جباية المال من المواطنين لتدبير الحاكم. وفي فترات ضعف الدولة الذي ينطبق على العهد الذي نعالجه، كان الطامعون بالحكم من أهل الولاية يتقاتلون فيما بينهم فتعترف الدولة بالذي يتغلب على خصومه. وكان هذا هو الوضع في مصر والعراق واليمن، وإلى درجة أقل في الحجاز.

لنبدأ بأحوال الخليج المؤلف من وحدات قبلية عديدة متشابكة ومتنافرة تحيط بها قوى أكبر تتفاعل معها.

## الاحساء

تشكل الاحساء وساحلها وموانيها جزءاً من بلاد الخليج تنازع عليها العثمانيون والسعوديون وولاة العراق ومصر.

كانت الأحساء، في القرن الثامن عشر تخضع لقبائل بني خالد وهي قبائل نجدية كبيرة منتشرة على شاطىء الخليج الغربي تحت حكم شيخهم محمد آل حميد الذي أنذر عثمان إبن معمر شيخ العينة بطرد محمد إبن الوهاب من قريته لما أساءت تعاليمه إلى القرى المجاورة. وكان ذلك من أسباب العداء بين بني خالد وآل سعود بالإضافة إلى رغبة هؤلاء بالتوسع وأدّى ذلك الى سقوط الأحساء في يد الوهابيين عام ١٧٨٥.

وقد اشتهر شيوخ بني خالد بحسن السيرة والعدل في معاملة الناس وحفظ الأمن وتشجيع التجارة في البر والبحر.

وكانت الاحساء اخصب مناطق نجد مشهورة بكثرة مياهها وطيب ثمارها وغنى محاصيلها وفيها مدن هامة وموانيء مزدهرة مثل القطيف والعقير وسيحات تسير منها القوافل إلى نجد وبطن الجزيرة حاملة السكر والأقمشة والبهارات من الهند والقهوة من مخا باليمن. والاحساء شديدة القرب من البحرين وملاصقة للعراق.

لكن السعوديين، لم يتركوا الاحساء هادئة. فقد غزاها الإمام عبد العزيز إبن محمد سنة ١٧٦٢ ولم ينجح. ورد بنو خالد على ذلك بهجوم على الدرعية عام ١٧٦٤ قاده عرعر بن دجين بن سعدون شيخ بني خالد(٣).

ثم توالت غزوات الوهابيين على الأحساء. وانضم آل مسلم (حكام قطر) وغيرهم من القبائل إلى القوى الغازية رغبة بالسلب أو خوفاً من فتك آل سعود حتى تسنى لهؤلاء القضاء على نفوذ بني خالد سنة ١٧٩٣(٤) وقد ساعدهم على ذلك النزاعات العائلية الحادة بين أفراد العائلة الحاكمة في تلك العشيرة.

خلافاً لبني خالد الذين حموا التجارة البرية والبحرية، فإن آل سعود شجعوا عرب القواسم سكان رأس الخيمة وجوارها على أعمال القرصنة(٥) في الخليج إلى أن قضى عليهم الأسطول الإنكليزي وأجبرهم مع باقي المشيخات على الدخول تحت الحماية البريطانية.

وفي الاحساء نسبة لا بأس بها من السكان ينتمون إلى المذهب الشيعي وإلى القرامطة خصوصاً في القطيف والقرى التي حولها. أما البحرين فأكثر سكانها من الشيعة.

في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن ال سعود كانت قبيلة العجمان تسكن الاحساء. يقول عنها أمين الريحاني(٦).

«كان العجمان في الماضي يسكنون نجران، وهم من قبائل اليمن. ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا الاحساء أيام الامام تركي بن عبد الله (١٨٢٣-١٨٣٤) فأحسن إليهم وانزلهم ديره بني خالد المعادين له. ومع أنهم أصغر القبائل عدداً

فلا يبلغ عدد المقاتلة فيهم أكثر من خمسة الآف فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة. يلقبون «ألمان العرب» لشدة عصبيتهم وبأسهم وتفانيهم بعضهم في سبيل بعض. إذا سُئل أحدهم: أتقبل الخير من الله لنفسك، يجيب قائلا: لا أقبل خيراً لا يكون للعجمان كافة . إنهم موصوفون بالمكر والغدر ولكنهم شديدو الشكيمة وذوو عصبية نادرة. عَصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم. وكان العجماني يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل الاحساء لينعلها.

«عصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح فحاربهم ثم استرضاهم ولم يتمكن من كبح جماحهم ولا من كسب ولائهم. ثم والوا عبد العزيز إبن سعود ثم حالفوا أبناء عمه العرائف عليه. خافوه وحاربوه وغلبوه في باديء الأمر وبقوا شوكة في جنبه» (اهـ).

مسقط وعمان

استولى الإمام أحمد بن سعيد على مسقط عام ١٧٤٠ وهو من أحفاد الأئمة اليمنيين الاباضيين الذين وطدوا القوة العربية في جزيرة زنجيبار وعلى شواطيء أفريقيا الشرقية. واستمر آل سعيد حكاماً لجزيرة زنجيبار إلى منتصف العقد السادس من هذا القرن عندما ثار عليهم السود وضموا الجزيرة لتانكنيكا فأصبح إسم الدولة الجديدة تانزانيا. كما إستمر آل سعيد حكاماً على مسقط وعمان إلى يومنا هذا فهم بذلك أعرق عائلة حاكمة قائمة في الجزيرة العربية.

تصادم الإمام أحمد مع القواسم الذين كانوا يحتلون سواحل عمان وعيرها وتغلب عليهم فقد كان أسطول عمان يضاهي أسطول القواسم. واعترفت جميع مدن الساحل بسلطته عدا مدينة رأس الخيمة التي عقدت معه صلحاً سنة ١٧٦٣ دام عشرين عاماً(٧).

أما الساحل الشرقي الفارسي من الخليج فكانت تسكنه قبائل عربية من عرب بوشهر والمولة والمطاريش.

وكانت العلاقة بين مسقط والسعوديين تمثل أقوى أنواع التزاحم، ولعلها ما زالت كذلك إلى الآن. وتمتع سلاطين مسقط بمساندة بريطانيا المستمرة.

وقد تعرضت عمان لهجمات سعودية متكررة إعتباراً من مطلع القرن التاسع عشر وتمكن آل سعود من فرض سيطرتهم على البريمي وسواحل عمان في فترات مختلفة وأجبروا حكامها على دفع الاتاوة لكنهم لم يستطيعوا التغلب عن مقاومة الاباضيين وبقيت مسقط مستقلة. وقد وقع سلطان مسقط معاهدة مع الانكليز عام ١٧٩٨ وعززها سنة ١٨٠٠ حين حصل الأنكليز على حق إنشاء وكالة تجارية في بندر عباس على شاطىء الخليج الشرقي التي كانت تابعة لسلطان مسقط، وعلى الإحتفاظ فيها ببعماية جندي لحماية الملاحة، وعلى إقامة ممثل انكليزي في مسقط مع وعد من السلطان بعدم التعامل مع الدول المنافسة لانكلترا[٨].

فارس

كانت أحوال الدولة الفارسية في اضطراب شديد إلى أن وحدها نادر شاه عام ١٧٢٦، لكن فارس لم تتمكن يوماً من إنشاء أسطول قوي في الخليج بل كانت تستخدم أساطيل أتباعها العرب. وكانت الأحوال العدائية قائمة بين الفرس والعثمانيين في العراق يتبادلون الغزوات من حين لآخر. وكان أثر فارس في الخليج ضعيفاً في الفترة التي نعالجها باستثناء احتلالهم للبصرة خلال عامي ١٧٧٦ و١٧٧٧.

البحرين

البحرين درّة الخليج ومحطّ أنظار الطامعين نظراً لغناها باللؤلؤ. وقد حكمها الفرس مدة طويلة ثم تبادل السيطرة عليها في مطلع القرن الثامن عشر سلطان مسقط وعرب الهولة. ثم احتلها عرب المطاريش من أتباع نادر شاه إلى أن انتزعها منهم العتوب سنة ١٧٨٢ فقضوا على نفوذ عرب بوشهر فيها وبالتالي على النفوذ الفارسي.

وكان سكان البحرين في منتصف القرن الثامن عشر نحو ستين الفا ثلثهم عرب سنة والباقون شيعة يرتبطون بالمذهب مع أهل القطيف وسيهات وتاروت والمناطق الشمالية والشرقية في الاحساء وينظرون إلى التوسع السعودي نظرة تسلط مذهبي وسياسي(٩). لذلك قاوموا الأمتداد الوهابي ما أمكنهم.

والجدير بالملاحظةإن حكام البحرين من آل خليفة يتبعون المذهب السني خلافاً لأغلبية السكان. وكانت لهم أملاك كثيرة في القطيف وسيهات والمناطق المطلة على جزر البحرين(١٠).

لم تستطع البحرين مقاومة آل سعود طويلاً فقد إحتلها الإمام سعود إبن عبد العزيز سنة ١٨٠٠ فانتقل آل خليفة إلى الزبارة في قطر التي كانت تخضع لهم.

## قطر

تولى الحكم في قطر الشيخ قاسم بن ثاني من عام ١٨٠١ ـ ١٩١٢ فعمل على تحريرها من آل خليفة واستقل بحكمها. ولما تولى الإمام فيصل بن تركي الحكم في الرياض عام ١٨٤٣ ضم قطر إليه وبقي شيوخها موالين لآل سعود.

وكان الشيخ قاسم على عداء مع الأتراك في الأحساء فحاربهم وتغلب عليهم في بعض المعارك لكنه لم يستطع إخراجهم(١١). وكان سندا للسعوديين في محاولاتهم للسيطرة على تلك المنطقة.

## العراق

لم تكن أحوال العراق أكثر استقراراً من أحوال فارس بعد هدم بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨. وقد احتل العثمانيون كركوك وبغداد من الفرس سنة ١٥٣٤. أما البصرة فبقيت بيد الفرس إلى سنة ١٥٤٦. وفرض العثمانيون على العراق الخراج لكنهم تركوه لولاة محليين يتنازعون السلطة فيما بينهم فساءت أحوال البلاد الأمنية والأقتصادية واكتفت الحكومة العثمانية من الوالي بالحصول على العائدات السنوية المقررة.

تركزت سلطة الولاية نظرياً في يد والي بغداد الذي نادراً ما استطاع توطيد حكمه لانشغاله الدائم بالاقتتال مع الفرس وبالتغلب على الفتن الداخلية التي تطمع بمنصب الولاية.

وكانت البصرة على رأس الخليج مستقلة عملياً عن بغداد، لكن متسلّمها (حاكمها) لم يكن يستطيع الدفاع عنها دون مساعدة القبائل المحيطة بها واشهرها قبيلة المنتفق وشيوخها من آل السعدون الذين قاوموا الدعوة الوهابية والدولة السعودية منذ نشوئها حتى قيام حكم الملك فيصل في العراق.

بقيت البصرة إلى حين افتتاح قنال السويس عام ١٨٦٩ أهم المراكز للتجارة بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا وتركزت فيها مكاتب الشركات الأوروبية ومنها كانت تتوزع البضائع على مدن العراق، وتسير القوافل إلى حلب والأناضول وسوريا وشواطىء المتوسط إلى أوروبا. ولم يتعطل دورها إلاّ سنة ١٧٧٦ عندما احتلها الفرس لمدة عامين فانتقلت التجارة ومراكز الشركات إلى الكويت والزبارة ثم عادت إليها بعد جلاء الفرس. لكن الكويت بقيت الميناء الأول في الخليج بالنسبة للبلاد النجدية.

بدأ العثمانيون يفرضون سلطتهم المباشرة في العراق منذ ١٨٣١ وقضوا على الفوضى السائدة فيه لما عينوا مدحت باشا والياً (١٨٦٩ - ١٨٧٢) فأجرى إصلاحات إدارية وأصلح نظام الأراضي وعين متصرفاً على البصرة وأكد السيادة العثمانية على الاحساء واعتبر الإمام عبد الله إبن فيصل قائمقاماً سعودياً وكذلك شيخ الكويت فوضعهما في مرتبة واحدة.

## الكويت

لعبت الكويت دوراً سياسياً بارزاً في حياة المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر يفوق كثيراً ما يؤهله لها عدد سكانها ومساحتها. ويرجع الفضل في ذلك إلى موقعها الجغرافي وكفاءة بعض حكامها. فالكويت هي مفتاح ما بين النهرين ووسط بلاد العرب، والمدينة الوحيدة بين شط العرب ومضيق هرمز التي كانت

تتوفر لها الطرق الصالحة فأصبحت لذلك الثغر التجاري للمناطق الداخلية الذي تمر عبره صادراتها ووارداتها، وسوق الصحراء الذي يفد إليه الأعراب لبيع مواشيهم وشراء الأغذية والأسلحة مما أثار طمع الزعماء الأقوياء في المنطقة خاصة من حرم منهم من المنفذ البحري الذي يصله بالعالم الخارجي(١٢). وكان على الكويتيين أن يحافظوا على استقلالهم بمحالفات متقلبة يقيمونها مع القوى الداخلية في نجد مستعينين ببعضها على البعض الآخر، ومع دول خارجية تحميهم.

توالى على الكويت منذ نشأتها.

١ ـ صباح بن جابر الذي تنتسب إليه العائلة الحاكمة (حوالي ١٧٥٢ ـ ١٧٦٢).

٢ ـ عبدالله (الأول) ابن صباح (١٧٦٢ ـ ١٨١٥).

٣ ـ جابر (الأول) ابن عبدالله الصباح (١٨١٥ ـ ١٨٥٩).

٤ ـ صباح (الثاني) ابن جابر (الأول) (١٨٥٩ ـ ١٨٦٦).

٥ ـ عبدالله (الثاني) ابن صباح (الثاني) (١٨٦٦ ـ ١٨٩٢).

٦ ـ محمد ابن صباح (الثاني) اخو عبدالله (١٨٩٢ ـ ١٨٩٥).

٧ ـ مبارك ابن صباح (الثاني) تولى الحكم بعد مقتل أخويه محمد وجراح (١٨٩٥ ـ ١٩١٥).

٨ ـ جابر (الثاني) ابن مبارك الصباح (١٩١٥ ـ ١٩١٧).

٩ ـ سالم ابن مبارك تولى الحكم بعد وفاة اخيه جابر (١٩١٧ ـ ١٩٢٠).

١٠ ـ احمد بن جابر (الثاني) تولى الحكم بعد وفاة سالم ١٩٢٠.

١١ ـ عبدالله السالم الصباح ١٩٦١.

١٢ ـ صباح السالم الصباح.

١٣ ـ جابر بن احمد بن جابر (الثاني) الصباح وهو يحكم حالياً (١٩٧٧ ـ . . . .

في المرحلة الممتدة من منتصف القرن الثامن عشر إلى عام ١٨٨٧ كان على الكويت وحكامها أن يجابهوا قوى تتربص بهم طمعاً بثروتهم التجارية ومنتوجهم من اللؤلؤ. وأهم هذه القوى، بعد زوال حماية بني خالد، كانت آل سعود، وآل

الرشيد في جبل شمر. وقبائل المنتفق المقيمة حول البصرة، والعثمانيون في العراق الذين كانوا يحاولون تمكين سيادتهم على الكويت أما مباشرة أو بواسطة قبائل المنتفق.

وكانت علاقات الكويت على توتر دائم مع آل سعود الذين لم ينقطعوا عن مهاجمتها منذ عام ١٧٩١. ومع امتداد النفوذ الوهابي الذي شمل المناطق من حدود البصرة إلى إراضي القواسم في الجنوب، دفع شيخ الكويت جابر الصباح (١٨١٥ - ١٨٥٩) الزكاة للإمام تركي ابن عبد العزيز دليلاً على الطاعة. وكانت الكويت في الوقت نفسه تحت السيادة العثمانية[١٣] وتتمتع بحماية بريطانية غير رسمية.

ولم يكن آل رشيد شيوخ شمر أقل طمعاً بالكويت من آل سعود فكانت غزواتهم للكويت متكررة. وتأزم الوضع أكثر خلال ولاية الشيخ مبارك (١٨٩٥). فقد خلف محمد الصباح أخاه عبدالله عام ١٨٩٢ وحكم بالاشتراك مع اخيه الجراح. واختلف الاخوان مع اخيهم الثالث مبارك فابعداه عن منافع الحكم وضيقوا عليه وقربوا صهرهم يوسف آل ابرهيم الذي أصبح وكأنه الحاكم الفعلي للكويت فشدد خصومته لمبارك. وفي ليل من شهر مايو ١٨٩٦ هاجم مبارك واولاده اخويه وقتلهما وتولى حكم الكويت واصبح الحاكم السابع.

وهرب اولاد اخويه كما هرب يوسف آل ابرهيم والتجأ أولاً إلى البصرة ثم إلى آل رشيد في حائل يحرضهم على غزو الكويت[١٤].

وفيما يلي بعض الغزوات التي تعرضت لها الكويت من جهات طامعة مختلفة ما بين ١٧٩٣ إلى حين استعادة عبد العزيز آل سعود الرياض عام ١٩٠٢. أما علاقة الكويت مع جيرانها بعد ذلك التاريخ فسنفصله في فصل مقبل لأنه يدخل في تاريخ عهد الملك عبد العزيز آل سعود.

- عام ١٧٩٣ و١٧٩٦ غزا الكويت القائد السعودي ابن عفيصان.
- في عهد جابر (الأول (١٨١٥ - ١٨٥٩) غزا الكويت بندر السعدون شيخ قبائل المنتفق[١٦].

- عام ١٨٧٢ أغار الإمام سعود على الكويت[١٧].
- عام ١٨٧٧ غزاها محمد الرشيد.
- خلال ١٩٠٠ جرت غزوات متبادلة بين الشيخ مبارك وعبد العزيز الرشيد.
- عام ١٩٠١ هاجم الشيخ مبارك ابن رشيد متحالفاً مع عبد الرحمن وعبد العزيز آل سعود ومع سعدون السعدون شيخ المنتفق. فانتصر ابن رشيد عليهم وكبدهم خسائر فادحة[١٨]. وعرفت المعركة بموقعة الصريف.
- رد عبد العزيز الرشيد في نفس العام على هذه الغزوة بهجوم على الكويت ونهب عربانها.
- في ذلك العام هدد العثمانيون باخضاع الكويت لسيادتهم ثم تراجعوا بتدخل بريطانيا. واضطر الشيخ مبارك إلى إعلان معاهدة الحماية مع بريطانيا[١٩]. لكن العثمانيين أقاموا نقطة عسكرية في جزيرة بوبيان المتحكمة بالمدخل إلى شط العرب ورفضوا الانسحاب منها.

## معاهدة الحماية ، يناير ١٨٩٩

يقول السيد عبد العزيز الرشيد إن هذه المعاهدة بقيت سرية لم تنشر على أهل الكويت إلا أن الناس كانوا يتداولون بنودها التالية[٢٠]:

١ - بقاء الحكم في عائلة مبارك من آل الصباح.
٢ - لا بيع ولا تأجير أراضي إلا بموافقة بريطانيا.
٣ - حماية الكويت من أي اعتداء خارجي.
٤ - أن تكون الكويت صديقة لاصدقاء بريطانيا وعدوة لاعدائها.
٥ - ليس للانكليز التدخل في شئون الحكم الداخلية.
٦ - لا تكون الكويت مصدراً لبيع السلاح أو نقله إلى الخارج.

تحقق لبريطانيا بموجب هذه الاتفاقية أبعاد خطر وصول الإلمان إلى الخليج عن طريق سكة حديد برلين - بغداد، كما أبعدت خطر التسرب الروسي إليه عن طريق المحطة البحرية التي كانوا يفتشون عن موقع في الخليج لإقامتها.

أما الكويت فقد ضمنت سلامتها من أي اعتداء محلي عثماني أو شمري أو سعودي أو دولي. لكن السلطان عبد الحميد بقي متمسكاً بالسيادة على الكويت وأبلغ ذلك للحكومة البريطانية.

## دور العثمانيين في الخليج

بلغ العثمانيون أوج انتشارهم في اوروبا في حصارهم الثاني لفينا عاصمة الامبراطورية النمساوية عام ١٦٨٣ في وقت قريب من الزمن موضوع بحثنا. وقد ارتدوا عن فينا خائبين ثم انسحبوا من هنغاريا فبدأ انحسارهم العسكري عن اوروبا والبلقان الذي استمر قرنين من الزمن. وكان العثمانيون قبل ذلك قد خسروا قوتهم البحرية في المتوسط بمعركة ليبانتو (اكتوبر ١٥٧١) التي انتصرت فيها عليهم اساطيل البندقية واسبانيا والبابا انتصاراً حاسماً.

على أثر فشل حصار فينا انضمت هنغاريا إلى النمسا تحت عرش هابسبورغ فتشكلت الامبراطورية النمسوية - الهنغارية واعترف العثمانيون بالوضع الجديد في معاهدة عقدوها عام ١٦٩٩.

من ناحية أخرى لاقى العثمانيون المصاعب من جارهم الروسي في الشمال في حروب استمرت طيلة القرنين الثامن والتاسع عشر تمكن الروس بنتيجتها من الوصول إلى البحر الاسود وحرروا دولة التتار في شبه جزيرة القرم واجلوا العثمانيين عنها في معاهدة كوتشوك قاينارجي عام ١٧٧٤ ثم ضموا القرم إلى الممتلكات الروسية عام ١٧٨٣. وفي المعاهدة ذاتها حصل الروس على حق حماية المسيحيين الارثوذكس في الدولة العثمانية.

### حملة نابوليون ١٧٩٨

شاركت فرنسا في مساعي تصفية الامبراطورية العثمانية في حوض البحر المتوسط. فجرّد نابليون بونابارت حملة على مصر عام ١٧٩٨ فتغلب على حكامها المماليك في موقعة الأهرام قرب الاسكندرية وفرّ هؤلاء إلى صعيد مصر.

لم ترض بريطانيا عن نفوذ روسيا والدولة النمسوية ـ المنغارية وفرنسا في الشرق فعملت على تطويقه وتصدّت عسكرياً للوجود الفرنسي في مصر فأغرق الاميرال نلسون الاسطول الفرنسي في معركة ابو قير عام ١٧٩٨ واضطرت فرنسا إلى اخلاء مصر عام ١٨٠١ لكن نفوذها الثقافي استمر، كما اقتبس منها محمد علي باشا والي مصر الجديد انظمتها العسكرية والإدارية وبقي بعض ضباطها يعملون مع جيش محمد علي وابنه ابرهيم في مراتب كبيرة.

تتابعت الخسائر العثمانية. فقد اشتبك الاسطول العثماني يؤازره الاسطول المصري في معركة نافارينو البحرية (ميناء في اليونان) مع الأساطيل البريطانية والفرنسية والروسية بتاريخ ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧ فتدمر الاسطولان العثماني والمصري وتحررت اليونان عام ١٨٣٢ وصار البلقان كله موضع تنازع بين الامبراطوريات الثلاث العثمانية والروسية والنمسوية ـ المنغارية.

ونشأ عن هذه الأوضاع العثمانية المضطربة ما عرف في التاريخ باسم «المسألة الشرقية» و«مسألة رجل اوروبا المريض» أي المملكة العثمانية. واستعمل تعبير «المسألة الشرقية» ليصف المشكلة الدولية الناتجة عن حالة الفوضى ضمن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر المتأتية من خطر الانحلال الداخلي في ولاياتها الأوروبية المطالبة بالتحرر والاستقلال، وليعالج أحوال السكان المسيحيين المقيمين في الولايات العثمانية المشرقية الذين ادعت حمايتهم بعض دول اوروبا وخاصة روسيا وفرنسا.

شعرت الدولة العثمانية بالحاجة إلى إصلاح أوضاعها الداخلية المتدنية فدشن السلطان عبد المجيد ما عرف «بعهد التنظيمات» وأصدر في نوفمبر ١٨٣٩ «خط شريف كولخانة» تضمن اصلاحات سياسية ومالية وإدارية.

وتبع ذلك في عام ١٨٧٦ اصدار دستور ينص على انشاء مجلس نيابي وتوسيع الحريات الفردية لكنه لم يعمّر طويلاً.

ونشبت حرب جديدة مع روسيا عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ خسرتها الدولة

العثمانية وانعقد على أثرها مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ لتصفية آثارها فقضى بتحرير اجزاء واسعة من الأراضي الأوروبية التي كانت تحت السيطرة العثمانية.

وتلا ذلك ثورة في ارمينيا عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦، وثورة في جزيرة كريت عام ١٨٩٧ أدت إلى نشوب حرب مع اليونان.

تسبّبت هذه الهزائم العسكرية بازدياد النقمة على السلطان وطريقة حكمه فقام بعض ضباط الجيش بانقلاب عام ١٩٠٨ وعزلوا السلطان عبد الحميد الثاني وبايعوا أخاه محمداً الخامس عام ١٩٠٩ وأعادوا العمل بدستور عام ١٨٧٦ وعرفوا باسم «جمعية الاتحاد والترقي» وكانت نزعتهم عنصرية تركية متطرفة مع إن الدولة العثمانية مؤلفة من شعوب وعناصر شتى لا يشكل الأتراك أكثرية فيها.

تسبب هذا التطرف العنصري ببروز روح عربية استقلالية اتخذت اتجاهين: اتجاهاً اصلاحياً يدعو إلى اللامركزية مع المحافظة على وحدة الدولة العثمانية، واتجاهاً آخر يدعو إلى استقلال العرب والانفصال عن الاتراك في دولة عربية. وقاد هذا الاتجاه الثاني ضباط عرب في الجيش التركي ألفوا جمعيات سرية منها «جمعية العهد» و«العربية الفتاة» كانوا بعدئذ عماد الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين.

وقد عبر عن الروح العربية الجديدة زعماء عرب من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر عقدوا مؤتمراً في باريس عام ١٩١٣ أعلنوا فيه مطالبهم. وغاب عن المؤتمر أي ممثل عن الدولة الوهابية.

لم تنجح جمعية الاتحاد والترقي التي تسببت بتنفير العرب من الدولة العثمانية، وهم أكثرية سكانها، بتلافي الانهزامات العسكرية. فقد احتلت إيطاليا طرابلس الغرب وبرقة عام ١٩١١، ونشبت الحرب البلقانية عام ١٩١٢ حين احتلت اليونان اجزاء كبرى من مقدونيا، وحررت جزيرة كريت، كما تحررت بلغاريا وبوسنيا والهرسك (في يوغوسلافيا الحالية) من حكم العثمانيين.

ولعل أكبر خطأ ارتكبه الاتحاديون أنهم تخلوا عن صداقة بريطانيا وربطوا

مصيرهم بالدولة الالمانية مع أن بريطانيا كانت الدولة الاوروبية الوحيدة التي سعت طيلة القرنين التاسع عشر واوائل القرن العشرين إلى المحافظة على تماسك الدولة العثمانية في وجه الطامعين بتفكيكها كروسيا والنمسا. وبقيت بريطانيا متمسكة بهذه السياسة بالنسبة لجميع الولايات العثمانية حتى في الجزيرة العربية كما سنرى حيث اعترفت دوماً بالسيادة العثمانية عليها ما بقي طريق الخليج آمناً ومحمياتها غير معرضة لخطر.

نعود إلى أوضاع الخليج والجزيرة العربية.

لا شك أن الهزائم العسكرية المتلاحقة في اوروبا، والفساد المستشري في إدارات الدولة العثمانية، وتفكك الولايات النائية عن السلطة المركزية، افتقد الدولة القدرة على التصرف بحزم وقد تجلى ذلك في معالجتها لشئون بلاد الجزيرة العربية وللدعوة الوهابية.

بدأت الدولة العثمانية تشعر بخطر الامتدادالسعودي في الخليج في أواخر القرن الثامن عشر فحركت ضدهم علي باشا والي بغداد وثويني ابن سعدون شيخ عشيرة المنتفق وهي أقوى عشيرة عزبية تنزل في نواحي البصرة وكانت على عداء شديد ومستمر مع آل سعود. فسار ثويني للقتال عام ١٧٨٧ ثم عام ١٧٩٦ في حمله الثانية التي اغتيل فيها بتحريض من السعوديين.

بعد سنتين جهز والي بغداد حملة كبيرة فتقدم الفرسان عن طريق البر قاصدين الاحساء أما المشاة والمدفعية والذخائر فحملتها السفن إلى البحرين والكويت وكان حكام البلدين مناصرين للحملة. لكنها فشلت وعادت إلى بلادها(٢١).

خلال ذلك كان السعوديون قد ثبتوا أقدامهم في الأحساء واحتلوا قطر عام ١٧٩٥ وهاجموا الزبارة ١٨٩٨ فهجر العتوب مدينتهم والتجأوا بكاملهم إلى البحرين. وتابع السعوديون هجماتهم على القطيف وعقير وهما منفذ تجارة الخليج إلى نجد فانتقلت تجارة البلدين إلى مرافىء أخرى، كما فرّ كثيرون من أهل الاحساء إلى البصرة وبغداد مستنجدين بواليها في حين كان السعوديون يهددون البصرة.

اشتدت الحملات السعودية على العراق ما بين ١٨٠١ و١٨١٠ وكانت موجهة على الأخص إلى مدن السماوة وسوق الشيوخ والبصرة وكربلاء والنجف. وأهم هذه الغزوات احتلال كربلاء وتقتيل أهلها ونهبها عام ١٨٠٢ كما سيأتي تفصيله.

لم تستطع الدولة العثمانية مقاومة التوسع السعودي عن طريق والي العراق فالتجأت إلى واليها في مصر محمد علي باشا والحّت عليه بضرورة التصدي للسعوديين في الحجاز ونجد والاحساء.

## الدور المصري في الخليج

ينقسم التدخل المصري إلى مرحلتين: المرحلة الأولى بدأت عام ١٨١١ وانتهت بسقوط الدرعية والقضاء على الدولة السعودية الأولى. في هذه المرحلة كان محمد علي باشا يعمل كوالي عثماني ولمصلحة الدولة العثمانية. أما في المرحلة الثانية التي بدأت عام ١٨٣٦ وانتهت بمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ فقد كان محمد علي باشا يعمل لتأسيس دولة عربية كبرى تشمل الشمال العربي بكامله إضافة للجزيرة العربية ومصر والسودان يتولى حكمها مستقلاً عن السلطنة العثمانية.

### المرحلة الاولى

تردد محمد علي باشا بالاستجابة لطلب السلطان العثماني لقلقه من المماليك الذين أعادوا الفوضى إلى البلاد بعد انسحاب القوات الفرنسية. وكان علماء القاهرة قد انتخبوه والياً عام ١٨٠٥ ليعيد الامن إلى البلاد.

وأخيراً استجاب لرغبة السلطان فجهز حملة عام ١٨١١ ولّى عليها ابنه طوسون. وأقام حفلة في القلعة بمناسبة مغادرة الحملة دعا إليها كبار المماليك وهناك قتك بهم جميعاً واتبعهم بمن كانوا في الاقاليم فانتهى بذلك عهد المماليك في مصر.

بعد نكسات وانتصارات سيأتي تفصيلها احتلت القوات المصرية الحجاز ونجد ودخلت الدرعية عاصمة آل سعود عام ١٨١٨ ودمرتها ثم استولت على الاحساء وسلمت الحكم لبني خالد اعداء آل سعود. لكن حكم المصريين لم يدم طويلاً إذ قام الامام تركي بن عبد الله وأعاد النفوذ السعودي بحلول ١٨٢٤. ولم يأت عام ١٨٣٣ حتى كان شرقي الجزيرة بكامله يخضع لتركي وابنه فيصل.

المرحلة الثانية

بعد ثمانية عشر عاماً من تدمير الدرعية أي في عام ١٨٣٦ زحف محمد علي باشا ثانية على الجزيرة العربية ليس لحساب السلطان العثماني بل لتأسيس مجد ودولة خاصة به. وكان قد استولى على بلاد الشام بكاملها وعلى السودان وعلى قسم من الاناضول وصار يطمح إلى ضم العراق والجزيرة العربية.

كان محمد علي مدركاً أنه لن يستقر له أمر في الحجاز أو غيره من اجزاء الجزيرة ما دام حكم السعوديين مستمراً في نجد والاحساء فعزز قواته في الحجاز ثم زحف على الرياض فاحتلها سنة ١٨٣٧ وأعاد الامامة الوهابية إلى فرع سعود الكبير بتعينه خالد ابن سعود إماماً.

احتلت القوات المصرية الاحساء بقيادة خورشيد باشا وكان معنى ذلك تعاملهم مع النفوذ البريطاني المتنامي في الخليج. وعين خورشيد وكيلاً في واحة البريمي ليثبت السلطة المصرية في ساحل عمان على اعتبار أنه يمثل الإمام خالد وريث الدولة السعودية.

وقفت بريطانيا ضد هذا التوسع المصري الذي شمل بلاد الشام بكاملها منذ عام ١٨٣١، ثم امتد إلى اسيا الصغرى فاوغل في الاناضول حتى وصلت القوات المصرية إلى مدينة كرتاهية وأصبحت تهدد اسطبول العاصمة، وخضعت لها الجزيرة العربية ومعظم أراضي السودان. وتطلع محمد علي باشا إلى احتلال العراق.

شعرت بريطانيا أن مصالحها التجارية ومواصلاتها البحرية تتهدد إذا تمكن

المصريون من الاستيلاء على مصب دجلة والفرات. كما خشيت أن يتصل محمد علي باشا بالروس عن طريق شمال العراق بعدما استولى على دير الزور في شمال شرق سوريا على نهر الفرات فتدخل بذلك دولة كبرى جديدة إلى المنطقة منافسة لبريطانيا.

### مؤتمر لندن ١٨٤٠

ردت الحكومة الانكليزية على ذلك باجراءات حاسمة. فانذرت شيوخ المحميات في الخليج بعدم التعاون مع القوات المصرية. ثم احتلت عدن عام ١٨٣٩ فوضعت مواصلات مصر البحرية مع جيشها في الاحساء تحت رحمتها. ثم اقنعت الدول الأوروبية بان بقاء دولة عثمانية ضعيفة أفضل لمصالح الاوروبيين من قيام دولة فتية توسيعية مكانها. وهكذا عقد في شهر يونيو ١٨٤٠ مؤتمر دولي عرف باسم «مؤتمر لندن» ضم الحكومات العثمانية والانكليزية والروسية والنمسوية والبروسية وقاطعته الحكومة الفرنسية لأنها كانت مؤيدة لمحمد علي باشا.

قرر المؤتمرون الابقاء على الدولة العثمانية موحدة، وحرمان محمد علي باشا من انتصاراته، وإعادة الأقطار التي استولى عليها إلى السلطة العثمانية، وإعادة مصر نفسها إلى السيادة العثمانية على أن تبقى تحت حكم محمد علي وسلالته.

على أثر ذلك امر محمد علي قواته في الجزيرة العربية بالانسحاب وبذلك انتهى التدخل المصري في شئونها وعادت أمورها إلى رؤسائها المحليين في إطار السيادة العثمانية الاسمية. والجدير بالملاحظة أن كل محاولات آل سعود لبناء دولة مستقلة فشلت عندما كانت قوات محمد علي والعثمانيين تتصدى لها بقوة ولم يتم لهم الاستقلال (مع كثير من الفوضى) إلاّ بعد جلاء القوات المصرية[٢٢].

## دور الأنكليز في الخليج

إن إهتمام الدولة البريطانية بالخليج في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان ينصب على ضمان سلامة مواصلات الهند مع انكلترا فيما يتعلق بالبريد

وبالتجارة، وتأمين وصول بضائع شركة الهند الشرقية الانكليزية إلى موانيء الخليج لتتوزع منها في أقطار الشرق الادنى أي الجزيرة العربية وإيران وسوريا والعراق ومنها إلى أوروبا. وهذان الهدفان يقتضيان من حكومة انكلترا تأمين سلامة السفن والقضاء على القرصنة على طريق الهند وفي الخليج. وفي وقت لاحق اهتمت بريطانيا بمنع تجارة الرقيق عبر الخليج.

في القرن التاسع عشر لم توجد دولة خارجية أخرى تنافس بريطانيا في المنطقة إذا استثنينا إحتلال جيوش محمد علي باشا والي مصر للاحساء لفترة قصيرة. أما القوى الأخرى وهي الفرس والعثمانيون فقد انشغلوا عن ممارسة نفوذ فاعل في المنطقة بسبب إرتباكات داخلية وخارجية في بلادهم. واستطاع الأنكليز أن يحدّوا من محاولات الالمان والروس لإقامة قواعد لهم في الخليج بحيث تفردوا لدرجة كبيرة بمعالجة أوضاع المشيخات القائمة على شاطئه الغربي.

وبما أن إهتمام الإنكليز كان منصبّاً على تأمين حرية الملاحة والقضاء على القرصنة فقد تجنبوا الإحتكاك مباشرة بالقوة السعودية الناشئة. وعندما تصدى الإنكليز للقواسم الذين كانوا يهاجمون السفن التجارية، وهم حلفاء السعوديين، كانت تعليمات الحكومة الإنكليزية في الهند تحظر على الحملة الأنكليزية «القيام بأي نوع من العمليات الحربية البرية ضد الوهابيين وأن لا تظهر لهم أي نوع من العداء، كما عليها ان تتجاهل الصلات القائمة بين الوهابيين والقواسم وأن تعامل هؤلاء كقوة مستقلة(٢٣)».

بقيت هذه السياسة البريطانية التي تتجنب التورط في النزاعات الداخلية ضمن الجزيرة العربية قائمة طوال القرن التاسع عشر وإلى بداية الحرب العالمية الأولى بعدما فرضت حمايتها على سائر مشيخات الخليج وإن بقيت تتخذ موقف الحذر من الدولة السعودية التي تتطلع للسيطرة على المشيخات المحمية. لذلك لم يحصل إحتكاك بين الدولتين البريطانية والسعودية إلا عندما كان الوهابيون يحاولون غزو إحدى المحميات فكانت القوة البريطانية تردهم. لكن بريطانيا لم تمانع في أن يستوفي الوهابيون الخراج من ساحل عمان ومن قطر والبحرين

والكويت في فترات مختلفة وهم تحت حمايتها بحيث نشأت حالة غريبة في وضع الخليج الدولي إذ كانت أقطاره تخضع عملياً وفي فترات متقطعة لثلاث سيادات مختلفة في وقت واحد هي السيادة العثمانية التي تشمل الجزيرة العربية، وسيادة الوهابيين الذين يتقاضون الخراج ثم يدفعون بدورهم للحكومة العثمانية، وسيادة بريطانيا المتمثلة بمعاهدات الحماية، علماً بأن شيوخ الخليج، وهم نظرياً تحت السيادة العثمانية، لم يكونوا يملكون الحق الشرعي بعقد معاهدات مع دولة أجنبية.

## معاهدات الحماية

سنستعرض بإيجاز فيما يلي مراحل فرض الحماية البريطانية.

كان الخطر الذي يتهدد سلامة الملاحة بين الهند والخليج يتمثل في أسطول القواسم أهل رأس الخيمة وتوابعها المتحالفين مع السعوديين بعدما قبلوا الدعوة الوهابية في أوائل القرن التاسع عشر. وكان الوهابيون يرون في غزو غير المسلمين أمراً مشروعاً بل جهاداً واجباً ينطبق أيضاً على غزو سلاطين مسقط الاباضيين.

تصدى الأنكليز للقواسم عام ١٨٠٦ وأجبروهم على توقيع معاهدة للسلم البحري ما لبث أن نُقضت فجرد الأنكليز حملة بحرية وبرية على رأس الخيمة وعلى الموانيء التابعة لها تميزت بالعنف والتدمير. لكن القوات الأنكليزية انسحبت تفادياً للتصادم مع قوات وهابية قادمة.

بين عام ١٨١٠ و١٨١٩ وسّع القواسم هجماتهم واستهدفوا سفن شركة الهند الشرقية وسفن مسقط والهند. ووصلت غزواتهم عام ١٨١٥ إلى ساحل السند حيث استولوا على ستة مراكب هندية كما هاجموا ساحل بومباي وديو[٢٤]. وهاجموا أيضاً الشواطىء الإيرانية.

بقي الأنكليز ينتظرون الفرصة المناسبة لإخضاع القواسم نهائياً. وتسنى لهم ذلك عندما استولت الحملة المصرية على الدرعية عاصمة آل سعود ودمرتها عام ١٨١٨ وصار آل سعود في حالة إنهيار. عندئذ تحركت السفن البريطانية من

بومباي إلى مسقط في شهر نوفمبر ١٨١٩ حيث انضم إليها أربعة الآف مقاتل عماني وعدة سفن من أسطول السلطان فاحتلت الحملة مدينة رأس الخيمة عاصمة القواسم في ديسمبر ١٨١٩ واستسلم شيخها حسن بن رحمة للإنكليز، وهو موالي للوهابيين، فعزلوه وأعادوا الشيخ السابق سلطان بن صقر الموالي لسلطان مسقط إلى ولايته فشكل ذلك تفوقاً لمسقط على آل سعود لفترة من الوقت.

استولت الحملة على موانىء القواسم الأخرى وهي الجزيرة الحمراء وعجمان وأم القوين والشارقة. بعد ذلك أبحرت الحملة إلى البحرين التي لجأت إليها كثير من سفن القواسم فاستولت على السفن وأحرقت بعضها.

في ٨ يناير ١٨٢٠ وقع الشيخ حسن بن رحمة قبل عزله، «معاهدة السلم العامة» عن رأس الخيمة وجزيرة طنب، وتبعه شيوخ الجزيرة الحمراء والشارقة التي تتبعها جزيرة أبو موسى، وشيوخ أبي ظبي ودبي والعجمان وأم القوين وفجيرة والبحرين.

تضمنت الإتفاقية تعهداً من الشيوخ بالا يتخلوا أو يؤجروا بأي شكل من الأشكال قسماً من أراضيهم إلا بإذن بريطانيا، كما تعهدوا بالتوقف عن أعمال السلب والنهب في البحر والبر، وعدم التعرض للسفن، وقيام سلم مع الأنكليز، وتعيين وكيل للشيوخ الموقعين على المعاهدة لدى المقيم البريطاني في بوشهر، وتعيين وكيل للمقيم لدى كل شيخ، واعتبار نقل العبيد في سفن بلدان المعاهدة نوعاً من القرصنة الممنوعة. وتعهدت بريطانيا في مقابل ذلك بحماية مشيخات الخليج من بعضها ومن أي عدو خارجي. وأطلق على الساحل الذي يضم هذه المشيخات إسم «الشاطيء المتصالح» «ورفعت راية بريطانية على مدخل كل خور في الخليج وتمت السيطرة على مياهه بنفس القدر الذي كانت بريطانيا تسيطر على ميناء بومباي»[٢٥].

تعززت هذه المعاهدة باتفاقات أخرى سنة ١٨٣٥ انضمت الكويت إليها عام ١٨٤١ فأصبح «الشاطيء المتصالح» الممتد من مسقط إلى البصرة خاضعاً

للحماية البريطانية باستثناء ساحل الأحساء الذي بقي العثمانيون والسعوديون يتنازعونه.

في تلك الفترة وصلت حملة محمد علي باشا إلى الأحساء فخشي الأنكليز على مواصلاتهم مع الهند فاحتلوا عدن عام ١٨٣٩ وسيطروا بذلك على باب المندب أي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر. وكان عصر السفن البخارية قد بدأ في أوائل القرن فجعل الأنكليز من عدن المركز الرئيسي لتزويد السفن المتاجرة مع الهند بالفحم الحجري ذهاباً واياباً. وازدادت أهمية عدن بعد فترة قصيرة عند إفتتاح قنال السويس سنة ١٨٦٩ فأصبحت تجارة أوروبا مع الشرق الأقصى تمر بكاملها تقريباً في البحر الأحمر تحت السيطرة العسكرية الأنكليزية.

تعمق النفوذ البريطاني مع الزمن فوقّع الشيوخ إتفاقات أخرى عام ١٨٩٢ عهدوا فيها إلى بريطانيا بعلاقاتهم الخارجية. وحذا شيخ الكويت مبارك الصباح حذوهم سنة ١٨٩٩ بعدما هدد الأتراك في العراق باحتلال بلاده[٢٦].

يبدو أن هذه الإتفاقات تضمنت حماية المشيخات والمصالح البريطانية من الجوار أي من السعوديين والعثمانيين في العراق والأحساء. فقد حاول الإمام عبد الله إبن ثنيان (١٨٤١ ـ ١٨٤٣) بعد انسحاب المصريين من نجد، أن يعيد السيطرة السعودية على شيوخ الشاطىء المتصالح وعلى واحة البريمي وهي المدخل إلى ساحل عمان، فكتب إلى الشيوخ يدعوهم للطاعة. واطلع المقيم البريطاني العام في الخليج على الرسائل فحذر الشيوخ من الإستجابة لها وكتب إلى الإمام إبن ثنيان يذكره بأعمال القرصنة التي آزرها السعوديون في السابق «ويتهمه بانه يسعى لأدخال القرصنة من جديد تحت سلطة الوهابيين ونفوذهم»[٢٧]. وهكذا بقيت واحة البريمي جزءاً من مشيخة أبي ظبي إلى الوقت الحاضر.

وحاولت تركيا إحتلال الكويت من ناحية العراق سنة ١٨٩٨ فلجأ شيخها إلى حماية بريطانيا التي منعت الإتراك دبلوماسياً وحافظت على الوضع القائم.

وقد بقيت معاهدات الحماية قائمة إلى أن قررت بريطانيا من طرف واحد

سحب جيوشها من شرق السويس بما يشمل الخليج سنة ١٩٦٩ فتمتعت مشيخات الشاطىء المتصالح بالاستقلال التام منذ ذلك الوقت.

## فرنسا والخليج

عمل الأنكليز بجد على إبعاد فرنسا عن طريق الهند. وكانت قاعدة فرنسا الرئيسية في المحيط الهندي في جزيرة موريشيوس لكن الأسطول البريطاني دمرها عام ١٨١٠(٢٨).

سعت فرنسا لنشر نفوذها في شرق البحر المتوسط عندما احتل نابوليون مصر لكن بريطانيا افسدت عليها جهودها حين دمر الأسطول الأنكليزي سفن الحملة الفرنسية في معركة أبي قير البحرية وتبع ذلك إنسحاب الفرنسيين إلى بلادهم. بعد ذلك وجهت فرنسا جهودها الإستعمارية بصفة رئيسية إلى البلاد الأفريقية الأقرب إليها.

## روسيا والخليج

كان هدف روسيا الدائم ولا يزال الوصول إلى البحار الدافئة في الجنوب فاحتلت شبه جزيرة القرم وسواحل البحر الأسود الشمالية. وتطلعت نحو الخليج فبدأت البعثات الروسية تطوف أرجاءه من سنة ١٨٩٠ باحثة عن ميناء تتخذه ركيزة لها في سواحله.

وقد عبر وزير خارجية بريطانيا عن موقف بلاده فقال: «يجب علينا أن ننظر إلى إنشاء قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج بواسطة أية دولة على أنه تهديد خطير جداً للمصالح البريطانية. ويجب علينا بكل تأكيد أن نقاومه بجميع الوسائل(٢٩).

إزدادت مخاوف الأنكليز عندما احتل محمد علي باشا والي مصر بلاد الشام

ووصل إلى دير الزور وحلب، ثم إلى كوتاهية في الأناضول وأصبح إتصاله بالروس محتملاً. كما أن عملاء روسيا اتصلوا بالإمام عبد الرحمن إبن فيصل أثناء إقامته في الكويت (١٩٠١-١٩٠٢) وعرضوا عليه مساعدات إذا سار على خططهم.

وكانت الإتصالات مستمرة بين الدولتين الأنكليزية والروسية، وبعد مفاوضات اتفق الجانبان عام ١٩٠٧ على اقتسام النفوذ في إيران فخضع القسم الشمالي للنفوذ الروسي، والقسم الجنوبي للنفوذ الأنكليزي، وضمن بذلك الأنكليز أبعاد الروس عن طريق الهند.

## الألمان والخليج

شكلت المانيا تهديداً أكبر للمصالح البريطانية. فبعد تحقيق وحدتها القومية عام ١٨٧٠ بدأت تتطلع إلى التوسع فوجدت منافستيها بريطانيا وفرنسا قد سبقتاها في الميدان الأستعماري في أفريقيا وآسيا فاتجهت إلى النواحي الأقتصادية التي يرافقها نفوذ سياسي. ورأت في الدولة العثمانية شريكاً مهيئاً لقبولها لعدم وجود تاريخ استعماري لها. وكان السلطان عبد الحميد قد تولى الحكم بعد عزل أخيه مرادا الخامس سنة ١٨٧٦ فمنح الألمان امتياز مد خط حديد الشرق إلى اسطمبول الذي انتهى العمل به عام ١٨٨٨. ثم امتدت الخطوط إلى مختلف المدن التركية ورغبت الدولة العثمانية بمدها إلى العراق والخليج ومنحت الأمتياز أيضاً إلى الألمان. وكان معنى ذلك وصول الألمان في النهاية إلى الخليج ومزاحمتهم للنفوذ البريطاني فيه. وكانت شركة ملاحة المانية قد فتحت فرعاً لها سنة ١٨٩٠ في بلدة لنجة وهي ميناء على الشاطىء الفارسي من الخليج شمال جزيرة قشم ومضيق هرمز بينما وصل قنصل الماني إلى بلدة بوشهر في العام التالي. وبحلول العقد الثاني من هذا القرن كان النفوذ الألماني قد أصبح مسيطراً في العراق.

دأبت المانيا على تحقيق هدفها بالوصول إلى طريق الهند بواسطة البر.

فـأكملت خط برلـين ـ بغداد وصـارت تـسعى إلى إيصـالـه إلى مكان مـناسـب على شاطىء الخليج .

وعلى هذا زار الكويت عام ١٩١٠ قنصل المانيا في اسطمبول وكان يعتبرها أفضل مكان ينتهي فيه الخط المذكور. وحاول إغراء الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت ليوافق على المشروع . لكن الشـيـخ مبارك رفض طلبـه لأنه كـان مرتبـطاً بمعاهدة سرية مع بريطانيا تقضي عليه أن لا يتعامل مع دولـة أجنبية وأن لا يبيع أو يؤجر شيئاً من أراضي الكويت إلا بعد التشاور مع المقيم الأنكليزي .

عندها حرض الألمان الأتراك على مهـاجمة الكـويت فاسـتولوا عـلى جزيـرة بوبيان وحصّنوها ولم يلتفتوا إلى إعتراضات الشيخ مبارك وبقيت بيدهم إلى نهايـة الحرب العالميـة الأولى(٣٠). والجزيـرة تتحكم بمصب شط العرب ولا تـزال مدار خلاف بين العراق والكويت إلى الآن .

وجـاءت الحـرب العـالميـة الأولى فـوضعت حـداً لهـذا التـنافس لمصلحـة الأنكليز .

## عصر التنور

في الـوقتَ الذي كـان الوهـابيون يـدعـون النـاس إلى العـودة للمـاضي ، ويفـرضون دعـوتهم بقوة السـلاح حيثما استـطاعوا، ويحتكـرون معرفـة الأسـلام الصحيـح وطـرق تـطبيقـه، ويبيحـون دم من لا يـستجيب إليهم، ويـرفضـون التطورات العلمية الحديثة، كانت بلاد الغرب في القرنـين الثامن عشـر والتاسـع عشـر تشـهد نهضة فكرية وعلمية تتخـذ منحى متناقضـاً كل التـناقض مع المنحى الوهابي عرفت باسم «عصر التنوّر» الذي انتج بدوره الثورة الصنـاعية الغـربية في بداية القرن التاسـع عشر

شمـل «عصر التنـور» معظم شعـوب أوروبا وكـان حركـة واسعة تنـاولت الفكر والمعتقدات ارتكزت على تصور متـرابط للدين والعقل والـطبيعة والإنسـان

مؤسس على إعتقاد راسخ بأن العقل النيّر يستطيع التوصل إلى المعرفة الحقيقية وإلى قيادة الجنس البشري نحو السعادة.

تمتد جذور حركة التنور عميقاً في حضارة اليونان القديمة حيث اكتشف فلاسفتها الأولون تناسقاً في طبيعة الأشياء واستنتجوا أن الضابط الذي ينظمها هو العقل المدرك الجوال المتحرر من الضغوط الأجتماعية والدينية والسياسية.

تجلت مبادىء التنوّر في إتجاهات واضحة عامة أساسها تساوي جميع الناس بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية واجناسهم فنص الدستور الأميركي عام ١٧٧٦ أن جميع الناس متساوون مهما اختلفت أديانهم وأوضاعهم الأجتماعية، وجاءت الثورة الفرنسية تعلن بعد ثلاث سنوات مبدأ «الحرية والمساواة والأخاء» بين جميع أفراد الشعب ومنعت تدخل رجال الدين بالسياسة.

وترافقت فكرة المساواة بين البشر مع فكرة التسامح. والتسامح هو قبول الأنسان بحق الآخرين بأن يحملوا معتقدات وأفكاراً وان يبدوا أراء في شتى المواضيع الأجتماعية والسياسية والدينية لا تأتلف مع أفكاره ومعتقداته. فوضع الأنسان الأوروبي بذلك أسس الحياة الديمقراطية إذ لا ديمقراطية بلا تسامح وحرية ومساواة.

وجاءت حروب نابوليون في بداية القرن التاسع عشر تنقل مبادىء الثورة الفرنسية في «الحرية والمساواة والأخاء» وفكرة الدولة القومية إلى سائر شعوب أوروبا التي احتلتها جيوشه فزعزعت أركان الملوك المستبدين، وخلخلت أسس الأمبراطوريات المكونة من عدة قوميات.

وأثمرت هذه البذور في ثورات ١٨٤٨ التي عمت كثيراً من البلاد الأوروبية، ودعت إلى تقييد سلطات الملوك، وإلى التمثيل الشعبي في الحكم، وإلى استقلال الشعوب ذات القومية الواحدة.

في ذلك الوقت (بداية القرن التاسع عشر) كان الإمام سعود الكبير يفتخر أنه أدخل شيعة الاحساء في الوهابية بالسيف، ويعلن أن كل من ليس وهابياً فهو

كافر، ثم يكفّر خليفة المسلمين في اسطمبول واشراف مكة فيادله الخليفة تهمة الكفر ويتحاربون من أجل ذلك .

مع إنتشار المبادىء الديمقراطية بدأت المساعي لتقييد سلطة الملوك المطلقة عن طريق الانتخاب أحياناً وتعزيز سلطة البرلمان، وعن طريق الثورة أحياناً أخرى.

ارتكزت كل هذه الحركات على أسس فكرية بشّر بها كتاب وفلاسفة سياسيون واجتماعيون اغتنى بهم «عصر التنور» وغصت بمؤلفاتهم المكاتب ولا تزال أفكارهم ركيزة الفلسفة السياسية والأجتماعية الغربية. اشتهر منهم فرانسوا فولتير الفرنسي (١٦٩٤-١٧٧٨)، والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ٧٨) مؤلف كتاب العقد الأجتماعي ، ودنيس ديدرو الفرنسي (١٧١٣-٨٤) من أوائل الذين اهتموا بتأليف دائرة معارف، ومعاصروا ديدرو ادموند بورك الأنكليزي (١٧٢٩-٩٧) الذي دعا الى تقييد سلطة الملك، وصاموئيل جونسون الفيلسوف الأجتماعي الأنكليزي (١٧٠٩-٨٤)، وامانيويل كانت الفيلسوف الألماني (١٧٢٤-١٨٠٤)، والبارون مونتسكيو الفرنسي (١٦٨٩-١٧٥٥) مؤلف «روح القوانين» وهو فيلسوف حقوقي وسياسي، ويوهان غوته الأديب الألماني الشهير (١٧٤٩-١٨٣٢)، وتوماس جفرسون الأميركي الذي شارك بوضع وثيقة الأستقلال، وسبقهم توماس هوبس (١٥٨٨-١٦٧٩) وجون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) الفيلسوفان الأنكليزيان المتعارضان الذي دافع الأول عن السلطة الملكية في حين طور الثاني في أواخر القرن السابع عشر النظرية القائلة أن شرعية الحكم مستمدة من موافقة المواطنين وذلك يعني عملياً تغليب ارادة الأكثرية التي تتضمن في النهاية حق الثورة ضد الحكم الذي لا يستجيب للإصلاح ولرأي الأكثرية.

ترافقت هذه النهضة في النواحي الأجتماعية والسياسية والأدبية والفلسفية مع نهضة مماثلة في العلوم الطبيعية فوضع اسحق نيوتن الأنكليزي (١٦٤٢-١٧٢٧) قوانين الجاذبية ، واخترع جيمس واط الأنكليزي

(١٧٣٦-١٨١٩) طريقة إستعمال البخار لتحريك الالات في المعامل والقطارات والسفن.

وكان ذلك أساس ما سمي «بالثورة الصناعية» التي بدأت في انكلترا ثم عمت أوروبا وأميركا. والثورة الصناعية تعبير مرادف لتطوير ماكنات الغزل والنسج واستعمال المحركات البخارية ووضع نظام للعمل في المصانع. إنه تعبير يصف تطور انكلترا الأقتصادي من عام ١٧٦٠ إلى ١٨٤٠ حيث انتقلت الصناعة من مرحلة العمل اليدوي إلى استعمال الماكنات.

بحلول عام ١٨٠٠ كانت الاختراعات الأساسية في صناعة النسيج قد تمت وانتشرت وأصبح ما يزيد عن خمساية محرك بخاري قيد العمل في المصانع.

ومنذ عام ١٨٢٥ انتشرت الخطوط الحديدية في انكلترا وباقي البلاد الأوروبية. وعرفت تلك الحقبة التاريخية باسم «عصر البخار».

ثم بدأ استعمال التلغراف فتأسست شركة انكليزية وأخرى أميركية للإتصالات عام ١٨٤٥ وعم استعماله بعد سنة ١٨٦٢. وتبعه إختراع التلفون فسجل الكسندر بل الكندي اختراعه الأول في الولايات المتحدة عام ١٨٧٦. وهكذا ترافقت ثورة في المواصلات مع الثورة الصناعية ولازمتها.

أحدثت الثورة الصناعية وما رافقها من نزوح سكان القرى إلى المدن وسوء أحوالهم المعيشية وتدني أجورهم رد فعل عنيف لدى بعض المفكرين فقام الفيلسوف الألماني كارل ماركس في منتصف القرن التاسع عشر بنشر كتابه «رأس المال» في لندن بيّن فيه رايه بمفاسد النظام الرأسمالي، ودعا العمال لإسقاطه، وبشّر بحرب الطبقات، والقضاء على الملكية كنظام سياسي، وعلى الملكية الخاصة بالعنف والثورة وأصبحت تعاليمه أساساً للدول والحركات الشيوعية في العالم.

وما يهمنا ابرازه هو أن كارل ماركس نشر هذه التعاليم «الهدامة» بالنسبة لذلك العصر وللمجتمع الأنكليزي الذي لجأ إليه فلم يتعرض لنفي أو حجز أو

إضطهاد واستمر يبشر بمبادئه قبل مائة وأربعين عاماً دون ممانعة وهو قدر من حرية الرأي والتعبير يفتقده الكثير من البلاد العربية في يومنا هذا ولم يتمتع به أي مجتمع عرب سابق.

في تلك الحقبة أيضاً بلغ الشوق إلى المعرفة المجردة درجة رفيعة فارسلت «الجمعية الملكية البريطانية للعلوم» السيد تشارلس داروين في رحلة استغرقت خمس سنوات جاب فيها مناطق مختلفة في العالم باحثاً في علم النبات والحيوان وطبقات الأرض ثم عاد عام ١٨٣٦ ليضع كتابه الشهير «أصل الأجناس» The Origin of Species الذي شرح لأول مرة في تاريخ البشرية «نظرية التطور».

مع التقدم في الفلسفة الأدب والفكر السياسي، وفي العلوم الطبيعية والاختراعات، والمواصلات، كان لا بد أن يتكمل «عصر التنوّر» إبداعه في الفنون الجميلة لأن الحضارة ذات وجوه متعددة متكاملة لا يستقيم أحدها دون الآخر.

وإذا استعرضنا الفن الموسيقي نجد عصر «التنّور» قد انتج عباقرة يكفي أن نذكر منهم جون سباستيان باخ الألماني (١٦٨٥-١٧٥٠)، وولفغانغ موزارت النمساوي (١٧٥٦-٩١)، ولودفيغ فون بيتهوفن الألماني (١٧٧٠-١٨٢٧)، وفرانز شوبرت النمساوي (١٧٩٧-١٨٢٨)، وريتشارد واغنر الألماني (١٨١٣-٨٣)، ويوهان ستراوس النمساوي (١٨٢٥-٩٩)، وروبرت شومان الألماني (١٨١٠-٥٦).

استمرت الحضارة الغربية تنمو باضطراد متسارع في جميع الميادين العلمية والثقافية فتجاوزت «عصر البخار» في بداية القرن العشرين ودخلت «عصر الكهرباء». ثم تجاوزت «عصر الكهرباء» في منتصف هذا القرن ودخلت «عصر الذرة والألكترون»، وها هي الآن تجني فوائد الصناعة الالكترونية في الأنقلاب الذي يحدثه «الكومبيوتر» في حياة الإنسان اليومية وفي عمله وفي ثقافته.

ترافق عصر الألكترون مع دخول الغرب «عصر الفضاء». فالأقمار

الصناعية يدور بعضها حول الأرض يستكشف طبيعتها وتركيبها وطريقة تكوينها، ويوثق الإتصالات بين أرجائها، ووصل بعضها الى القمر وتجاوزه في محاولة لاستكشاف أسرار الكون.

والعرب في كل هذا ناقلون ومقلدون غير منتجين ولا مشاركين.

أما آل سعود فقد كانوا منذ نشأتهم ولا يزالون متناقضين فكرياً وفلسفياً مع أسس الحضارة الغربية وان بدأوا يأخذون ببعض مظاهرها السطحية دون أن يتعبوا أنفسهم بالأطلاع على كنهها.

# مراجع الفصل الثالث
## الأوضاع المحيطة بالدولة الناشئة


١ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت، ج ١، ص ٣٣٢.
٢ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ شرق الجزيرة العربية، ص ١٨١.
٣ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت، ج ١، ص ١٢٦.
٤ - المصدر السابق، ص ١٣٥.
٥ - المصدر السابق، ص ٣٠٠.
٦ - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٢٣-٢٢٤.
٧ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت، ص ١٤٣.
٨ - المصدر السابق، ص ٣١٦-٣١٧.
٩ - أبو عليه، عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٢٠.
١٠ - المصدر السابق، ص ٢٢٠.
١١ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ١١٣.
١٢ - السعدون، خالد محمود، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٦٨.
١٣ - أبو عليه، عبد الفتاح الدولة السعودية الثانية، ص ٧٩.
١٤ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٢٨.
١٥ - الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١١٤-١١٥.
١٦ - المصدر السابق، ص ١١٨.
١٧ - المصدر السابق، ص ١٦١.
١٨ - المصدر السابق، ص ١٦٣.
١٩ - المصدر السابق، ص ١٧١.
٢٠ - المصدر السابق، ص ١٠٠.
٢١ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت، ج ١، ص ٢٩٥-٢٩٨.
٢٢ - أبو عليه، عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٧.
٢٣ - أبو حاكمة أحمد، تاريخ الكويت، ج ١، ص ٣٢٤.
٢٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٨-٧٩.
٢٥ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤.
٢٦ - الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١٠٠.
٢٧ - أبو عليه، عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ص ٨٢ (نقلاً عن (Bombay Selections)
٢٨ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٢٢.
٢٩ - المصدر السابق، ص ٢٤.
٣٠ - الرشيد، عبد العزيز. سبق ذكره، ص ٩٩.

# الفصل الرابع

# التوسع العسكري السعودي

## العصبية عند العرب

نشأ آل سعود في مجتمع بدوي قبلي، وهم انفسهم ينتسبون إلى عشيرة عنزة البدوية وإن كانوا مستقرين في قرى منذ ما بدأ يظهر ذكرهم.

وقد وصف إبن خلدون المجتمع القبلي فقال عنه: «إن العصبية المستندة إلى قرابة الدم من أخص خصائص البادية ولا بد للحاكم من عصبية تمكنه من تأسيس السلطة السياسية وتساعده على حمل الناس على الطاعة والنظام واحترام الحقوق وأداء الواجبات. وبتعبير آخر، فإن العصبية هي منشأ الرئاسة والسلطان أو الدولة. وتكون الرئاسة دائماً لأهل العصبية. فالرئاسة لا تكون إلاّ بالغَلَب والغلب لا يكون إلاّ بالعصبية»[1] وتابع قائلاً «إن للدعوة الدينية أثراً في قيام الدولة، ولكن الدعوة الدينية نفسها لا يمكن أن تتحقق دون عصبية (قائمة على الدم)».

ويتابع إبن خلدون تحليله فيقول: لا يكفي أن يكون القائد من عصبية كبيرة فحسب، بل ينبغي أن يكون من نسل أقوى فرع من تلك العصبية الكبيرة.

وقال الدكتور طه حسين: أن التاريخ لم يذكر قط شعباً يفوق الشعب

عربي في إستمساكه بعصبيته وتقديم صلة الرحم (روابط الدم) على ما سواها من صلات. إن تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام وبعده ليس إلاَّ سلسلة طويلة من خصومات بين القبائل وهي خصومات منشأها الحقيقي تلك العصبية التي دفعت إلى حد التعصب. يقول المثل العربي «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فلا عجب إذا كان إبن خلدون يعلق على العصبية أهمية عظمى ويعتبرها العامل الجوهري لقوة المجتمع السياسي (اهـ).

إن هذه العصبية الناشئة عن القربى ورابطة الدم، وضرورة أن يكون القائد أو الزعيم من عصبة كبيرة، وأن يكون من نسل أقوى فرع من تلك العصبية الكبيرة، أمور يخلق الإنسان بها ولا يمكن اكتسابها. وآل سعود يفتقدونها. لذلك ليس من المستغرب أن يُقبل محمد بن سعود شيخ قرية الدرعية على إحتضان الدعوة الوهابية لما جاءه محمد إبن عبد الوهاب لاجئاً، لعل عصبية الدعوة الدينية تدعم طموحاته السياسية وتعوضه عن حاجته للعصبية النسبية. وهذا لا ينفي أن يكون قد اقتنع حقاً بالدعوة الوهابية.

ونرى بعد مائة وستين سنة من قيام الدعوة الوهابية أنه عندما سعى عبد العزيز بن عبد الرحمن لإستعادة سلطة أجداده، لم يرَ مخرجاً إلا تكرار ما فعله أسلافه من الإلتحام بالدعوة الوهابية وتسخير حماس أتباعها لتوسيع سلطته. أي أنه عاد يستخدم عصبية الدعوة الدينية لدعم طموحات سياسية مع أن عبد العزيز لم يكن مهتماً بشئون الدين في صباه فهو لم يدرس الفقه ولم يداوم على حضور الدروس الدينية بل كان أكثر إهتماماً بتعلم فنون القتال، ومعرفة علاقات القبائل العربية، والصيد والقنص.

## طبائع البدو

لما كان البدو عماد الدعوة الوهابية والركن الذي اعتمد عليه آل سعود في فتوحاتهم، فإنه يحسن بنا أن نتعرف على طباع البدو وعقليتهم باعتبار أنهم كانوا

«المادة الخام» في جميع التطورات التاريخية في الجزيرة العربية.

يقول إبن خلدون في وصفهم [٢] وهو يسميهم «العرب» ويقصد بهم البدو: «أنهم أهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ثم يفرون إلى منتجعهم بالقفر، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم. فكل أمر مستصعب عليهم فهم تاركوه إلى ما يسهل عنه ولا يعرضون له. أما الأراضي المبسوطة متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم حتى يصبح أهلها مغلّبين لهم إلى أن ينقرض عمرانهم.

«وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له. فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتنقل وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومنافٍ له. فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي للقدر، فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك. والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليقيموا منه عمداً لخيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك. فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران.

«وأيضاً فطبيعتهم إنتهاب ما في أيدي الناس، فرزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حدّ ينتهون اليه، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ما عون نهبوه، فإذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران. وهم أيضاً متنافسون في الرياسة وقلّ أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلا في الأقل، فيتعدد منهم الحكام والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقص.

«وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان كيف تقوض عمرانه، وافقر ساكنه، وبدّلت الأرض فيه غير الأرض: فاليمن قرارهم خراب إلا قليلاً من الأمصار، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس، والشام لهذا العهد كذلك، وأفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول

المائة الخامسة وغرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعاد عمرانه خراباً كله، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى» (اهـ).

يأتي الفيلسوف أمين الريحاني بعد ما يزيد عن خمساية عام ليصف بدو الجزيرة العربية وصفاً مماثلاً في كتابه «تاريخ نجد الحديث» فيقول[٣]:

البدو مثل ذوات الأجنحة طيارون أو أن لهم مزية الزئبق. رفاقك في الطريق اليوم وأعداؤك غداً. ولا أظنهم لولا الجنة والحور يخضعون لرب الكائنات. أما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه ردحاً من الزمن فيغسلونه مرة أو مرتين ثم يلبسونه مقلوباً، ثم ينبذونه وقد تمزق، نبذ النواة. يقولون كيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب؟ ولِمَ الصوم والسنة كلها عندنا رمضان؟ ولِمَ الصلاة وليس لله وقت يسمعنا؟

«وكانوا كذلك في ولائهم لهذا الأمير أو ذاك. فما الفرق وربك بين أبي مقرن وابن هاشم، أو بين ابن الصباح أو ابن الرشيد؟ كلهم عرب يقيمون في بلاد العرب ويغزون غزو العرب ونحن ان حاربنا مع هذا أو ذاك عرب.

«ما تغير العرب من أيام الرسول وأيام مسيلمة وأبي طاهر. دينهم حاجات لتلك الردات، وولاؤهم غايات لتلك الخيانات. فلطالما ارتدّوا وخانوا وعادوا تائبين من أيام عبد العزيز الأول إلى أيام عبد العزيز الثاني. وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ولا يعادون طويلاً. لا يثبتون ولا يسكنون ولا يستقيمون في مراهم أو في مغزاهم.

«البدو سيف في يد الأمير اليوم، وخنجر في ظهره غداً. مجاهدون إذا قيل غنائم، متمارضون إذا قيل جهاد. يحاربون ما زالوا آمنين على أموالهم وأنفسهم، ويفرون شاردين عند أول خطر يلوح» (اهـ).

وكان الكولونيل لورنس قد عرف البدو وحارب معهم ضد الأتراك عام ١٩١٦-١٩١٧ وخبر طبائعهم فوصفهم وصفاً مشابهاً في كتابة «أعمدة الحكمة السبعة».

## الدعوة للجهاد

لما اتخذ آل سعود الدعوة الدينية مركباً لمطامعهم، توسلوا «الجهاد» أسلوباً في حروبهم. فغطاء الدين يمكن أن يتغلب عند البعض على الولاءات القبلية ويجمع تحت لوائه أعداداً من قبائل مختلفة تعوضهم عن ضعفهم العشائري.

«والجهاد» لغة هو «القتال محاماة عن الدين»[4]. لكن المعنى تطور حسب رأي البعض عندما جرى الجمع بين الدعوة الدينية وبين تنفيذها بالفعل. وعبّر عن هذا الرأي إبن خلدون في مقدمته عندما قال: «لما كان الجهاد في الأمة الأسلامية مشروعاً لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الإسلام طوعاً أو كرهاً فقد اتحدت فيها الخلافة والملك. أما ما سوى الملة الإسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً إلا في المدافعة فقط[5].

أما الشيخ الأزهري علي عبد الرازق فيفرّق بين الدعوة إلى الدين، وبين الجهاد لتثبيت السلطان وتوسيع الملك فيقول: «دعوة الدين دعوة إلى الله تعالى بوسائل التأثير والأقناع... وما عرفنا في التاريخ رجلاً حمل الناس على الإيمان بالله بحد السيف، ولا غزا قوماً في سبيل الأقناع بدينه، وذلك هو نفس المبدأ الذي يقرره النبي فيما كان يبلّغ. جاء في القرآن الكريم «لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي» (سورة البقرة)،

ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (سورة النحل)،

«فذكّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» (سورة الغاشية)،

«فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فإنْ أسلموا فقد إهتدوا وأن تولّوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» (سورة آل عمران)،

«أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (سورة يونس).

«هذه مبادىء صريحة في أن رسالة النبي إنما تعتمد على الاقناع والوعظ وإذا كان قد لجأ إلى القوة والرهبة فذلك ليس في سبيل الدعوة إلى الدين بل لتكوين الحكومة الإسلامية. ولا تقوم حكومة إلا على السيف وبحكم القهر والغلبة فذلك سر الجهاد النبوي ومعناه»(٦).

يتابع الشيخ علي عبد الرازق قائلاً: هنا يبرز سؤالان في مسألة الجهاد «فقد غزا النبي المخالفين لدينه من قومه العرب وفتح بلادهم وغنم أموالهم وسبي رجالهم ونساءهم. ثم بدأ يصارع دولة الرومان في الغرب، ويدعو إلى الانقياد لدينه كسرى الفرس في الشرق ونجاشي الحبشة ومقوقس مصر(٧). وتابع الخلفاء فتوحاته. وكان جهادهم للإسلام ضد غير مسلمين سواء كانوا عرباً أو أجانب.

أما آل سعود فقد وجهوا «جهادهم» ضد مسلمين في الجزيرة العربية وجوارها أي في العراق وسوريا والأردن، لغرض تفسير معيّن للمذهب الحنبلي والغاء المذاهب الإسلامية الأخرى التي تبعها الناس منذ قرون. وسموا ذلك «جهاداً».

وللفقهاء أن يبيّنوا ما إذا كانت حروب آل سعود ضد المسلمين في سبيل تغليب مذهب على آخر ينطبق عليه مفهوم «الجهاد».

## الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤ ـ ١٨٤٣)

اصطلح المؤرخون على بحث تاريخ آل سعود في قسمين: القسم الأول يمتد من الإمام الأول محمد بن سعود إلى نهاية الحكم المصري وانسحاب جيش محمد علي باشا من نجد، ويمتد القسم الثاني من عودة الأمير فيصل بن تركي من منفاه في القاهرة، إلى تغلب آل رشيد على الدولة السعودية واخضاعهم لها عام ١٨٨٧.

## الإمام السعودي الأول محمد بن سعود ١٧٤٤ ـ ١٧٦٥

بعد إتفاقه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب حكم الإمام محمد بن سعود

عشرين سنة، إلى حين وفاته عام ١٧٦٥، كانت كلها غزوات على جواره من القرى والقبائل بقصد بسط سيطرة آل سعود ونشر الدعوة الوهابية بالقوة.

حصل أول صدام بين الإمام محمد وعثمان بن معمر شيخ العيينة. وكان هذا قد خشي من امتداد السلطة السعودية نسعى إلى عقد حلف مع شيخ ثرمداء وابن سويط شيخ الظفير. لكن بعض الوهابيين إغتالوا عثمان بن معمر عام ١٧٤٩ بعد خروجه من المسجد فانضمت العيينة بعد ذلك إلى الحكم السعودي وفقد آل معمر دورهم السياسي في نجد[٨].

حروب مع دهام بن دواس حاكم الرياض.

كان دهام بن دواس حاكم الرياض، ويُظن أنه من مطير، من الد أعداء الدعوة الوهابية. وقد دامت الحروب بين الرياض والدرعية سبعة وعشرين عاماً رغم قرب المسافة بينهما وكانت سجالاً فلم تمر سنة إلا ووقعت فيها غزوة بين البلدين. وفي إحدى هذه الغزوات قتل ولدا الإمام محمد، فيصل وسعود. وبعد وفاة الإمام محمد وتولي ابنه عبد العزيز زادت حدة التوتر إلى أن استطاع السيطرة على الرياض عام ١٧٧٣[٩].

منطقة الوشم ـ ثم استيلاء السعوديين على منطقة الوشم وقراها في غزوات امتدت من ١٧٥٥ إلى ١٧٦١.

منطقة سدير ـ رفضت منطقة سدير الدعوة الوهابية فاستمر آل سعود يهاجمونها من سنة ١٧٥١ إلى أن رضخت لهم سنة ١٧٦٤.

منطقة الخرج ـ إستطاع الإمام محمد الإستيلاء على الخرج. لكن زيد بن سالم صاحب الدلم نقض العهد بعد وفاة الإمام محمد وتحالف مع الدواس وغيرهم من القبائل وطلبوا العون من نجران لقاء مال.

لكن آل سالم انقسموا على أنفسهم فاستولى الإمام عبد العزيز على المنطقة عام ١٧٨٤ وعين سليمان بن عفصان حاكماً عليها[١١].

منطقة القصيم ـ قبلت بريدة الدعوة الوهابية عام ١٧٦٨ . لكن أهل القصيم نقضوا عهدهم للدرعية وأعلنوا الحرب عليها عام ١٧٨٢ واستنجدوا بسعدون بن عريعر شيخ بني خالد .

أما عنيزة فقد قتل الإمام سعود بن عبد العزيز حاكمها عبد الله بن زامل عام ١٧٦٨ فاعلنت ولاءها . ثم تزعمت عنيزة ثورة كبرى ضد الدرعية . وانجدها سعدون بن عريعر لكن الثورة فشلت ودخلتها القوات السعودية عام ١٧٨٨[١٢] .

يلاحظ من هذا الموجز التاريخي أمران :

إن المرحلة الأولى من مراحل نشر الدعوة الوهابية ، وبالتالي بسط سلطة آل سعود كانت مركزة على القرى المجاورة للدرعية . ثم تعدت ذلك إلى دائرة أوسع حتى ضمت جميع بلدان وقبائل نجد وقضت على الزعامات المحلية المنافسة[١٣] .

ونلاحظ ثانياً إن ما من منطقة نجدية قبلت الدعوة الوهابية وسيطرة آل سعود سلمياً وعن اقتناع ، بل أجبرت كلها على الأنصياع بالقوة العسكرية . لذلك نقضت معظم المناطق النجدية عهدها مع آل سعود بعد وفاة الإمام محمد ظناً منها أن الفرصة سنحت للتخلص من الدعوة ومن آل سعود . ولم تعود هذه المناطق إلى الحظيرة الوهابية إلا بمعارك جديدة شنها آل سعود .

## الإمام السعودي الثاني عبد العزيز إبن محمد
## (١٧٦٥ ـ ١٨٠٣)

خلف عبد العزيز أباه سعوداً فتابع الغزوات واستولى على الرياض عام ١٧٧٣ وأعاد السيطرة السعودية على الخرج وبريدة والقصيم ونواحي أخرى من نجد . وبعد أن بلغ السبعين ثقل جسمه وآثر الراحة فأخذ البيعة بولاية العهد لابنه سعود وسلمه مهام الدولة سنة ١٧٨٨ .

## الإمام السعودي الثالث سعود ابن عبد العزيز
## ١٠٨٣ - ١٨١٤

تولى سعود الامامة بعد وفاة والده دون منازع ودامت ولايته إحد عشر عاماً بعد الوفاة وثلاثة وعشرين عاماً منذ تسلمه امور الدولة فعلياً خلال حياة والده.

وصل الامتداد السعودي إلى أوجه في عهده وكانت غزواته على نوعين: بعضها استهدف ضم الأراضي وبسط السلطة لتحصيل الضرائب ونشر العقيدة كما حصل في نجد والاحساء وسواحل البحر الأحمر. والكثير منها كان غارات بدوية تستهدف السلب والغنائم في ديار لا طمع لآل سعود بضمها ولا قدرة لهم عليها كغزواتهم في البلاد العراقية وفي بر الشام حيث كانت الغزوة تقتصر على بضعة أيام ينهبون فيها ويسلبون العشائر والقرى ثم يرتدون مسرعين إلى نجد. ومع ذلك فإن بعض المؤرخين الموالين لآل سعود يحاولون الايحاء أن الإمام سعود سيطر على نصف العراق لأنه غزا كربلاء لبضع ساعات، وأن حدوده امتدت إلى جوار دمشق لأنه في إحدى غزواته وصل إلى بصرى في حوران حيث بات ليلة واحدة ثم ارتد إلى نجد خائباً بعدما عجز عن الاستيلاء على قلعة المزيريب وهي تبعد ماية كيلومتر جنوب دمشق.

اصطدم التوسع السعودي بالسيادة العثمانية المبسوطة على الحجاز وعسير واليمن في الغرب، وعلى شاطىء الخليج في شرق الجزيرة بالإضافة إلى العراق وبلاد الشام ومصر. وكانت هذه السيادة في أغلب الأحيان اسمية يكتفي فيها السلطان بالحصول على جعل سنوي ويترك الطامعين بالولاية يتنازعون عليها فيما بينهم.

لذلك لم تهتم الدولة العثمانية لما سيطر سعود على نجد لفقرها الاقتصادي وانعدام قيمتها الستراتيجية. ولم تكترث كثيراً لما توسع نحو الاحساء في الشرق ونحو عسير وتهامة اليمن وتركت ولاة تلك البلاد يتدبرون امورهم حسب عادات

الغزو المعتادة.

مثال ذلك أن الشريف غالب حاكم مكة هاجم الأراضي النجدية عام ١٧٩٥ فتصدى له سعود ورده وبقيت العلاقات عدائية بين آل هاشم وآل سعود إلى وقت قريب.

ونقض أهل الاحساء البيعة عام ١٧٩٧ فسير سعود عليهم جيشاً واخضعهم. ووصف عثمان ابن بشر الوهابي هذه الوقعة فقال: «لقد أكثر سعود فيهم القتل، فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام ويضربون عنقه عند خيمة الأمير سعود حتى أفناهم إلا قليلاً. وحاز سعود من الأموال في تلك الغزوة ما لا يُعد ولا يُحصى.»[١٤].

وفي السنة التالية جمع سليمان باشا والي العراق قوات كثيرة من عرب المنتفق وشمر وأهل الزبير وانضم إليهم أهل الهفوف والقرى الشرقية ونقضوا العهد الذي قطعوه للإمام سعود. وبعد معركة قاسية تصالحت القوات المحاربة على العودة إلى بلادها بسلام[١٥].

وغزا سعود حائل وجبل شمر وفتك بقبائلها (١٧٩٠!) فنزحت أعداد كبيرة منهم إلى العراق وبقوا هناك.

واحتل سعود البحرين عام ١٨٠٠ فانتقل آل خليفة إلى الزبارة في قطر.

وهكذا نرى أن الغزوات كانت متبادلة بين سعود من جهة وبين ولاة العراق والحجاز من جهة أخرى، وإن أهل الاحساء كانوا دوماً مستعدين لنقض البيعة.

## غزوة كربلاء

يقول عثمان بن بشر في وصفها:

«دخلت سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وفيها سار سعود ابن عبد العزيز بالجيوش المنصورة والخيول العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديها والجنوب

والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين (وهي في نظر الشيعة بلد حرام) فحشد عليها المسلمون الوهابيون وتسوّروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت.

«وهدموا القبة الموضوعة على قبر الحسين وأخذوا ما في القبة وما حولها من النفائس كما أخذوا النصيبة التي كانت على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر. وأخذوا جميع ما في البلد من الأموال والسلاح واللبس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عن الحصر. ولم يلبثوا إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال وقتلوا من أهلها قريب الفي رجل»[١٦].

يستدل من رواية ابن بشر أن الغاية من الغزوة كانت السلب والنهب وليس بسط سلطة ونشر دعوة وإقامة حكم لأن المهاجين «لم يلبثوا فيها الا ضحوة». ثم سار من كربلاء إلى النجف فاستعصت عليه وارتد عنها. وانتقم الشيعة من غزوة كربلاء بعد سنتين باغتيال الإمام عبد العزيز وهو يصلي في المسجد (١٨٠٣).

## فتح الحجاز واحتلال مكة ونهب الحجرة النبوية

بعد ذلك استدار سعود نحو الحجاز عام ١٨٠٢ فقاومه أهل الطائف فنكل بهم وقتل كل ذكر لم يتمكن من الهرب وبلغ عدد القتلى نحو تسعمائة، وفي رواية ابن بشر مائتين، «واخذوا من الأموال من البلد اثماناً ومتاعاً وسلاحاً وقماشاً وشيئاً من الجواهر والسلع المثمنة ما لا يحيط به الحصر»[١٧].

وكان الشريف غالب في مكة فهرب مع اتباعه وعساكره وخزائنه وذخائره إلى جدة. ودخل الإمام سعود مكة ١٨٠٣ ففعل بها وبأهلها ما فعله جنده بأهل الطائف. وفي ذلك يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي: «ووردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة في منتصف محرم ١٢١٨ هـ (مايو ١٨٠٣) فيها الاخبار باستيلاء الوهابيين على مكة يوم عاشوراء وإن الشريف غالب ارتحل إلى جدة.

وعند عودة الحج المصري حضر صحبته كثيرون من أهل مكة هروباً من الوهابي»[١٨].

وتابع الجبرتي قائلاً: «نهبوا في مكة الحجرة النبوية واستولوا على ما فيها من الجواهر والذخائر. عبأوا اربعة سحاحير من الجواهر المحلاة بالالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد ونحو مابة سيف قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزّل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرد وسلاحها من الحديد الموصوف وعليها دمغات باسماء الملوك والخلفاء والسلاطين.

«ومنع الإمام سعود وصول المحملين الدمشقي والمصري والحج الذي يرافقها فانقطع عن أهل مكة والمدينة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها فخرجوا من أوطانهم باولادهم ونسائهم إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى اسطنبول يتشكون من الوهابيين ويستغيثون الدولة لخلاص الحرمين»[١٩] (انتهى الجبرتي).

يجدر بنا هنا أن نفسر معنى «المحمل والصرة» التي ترافقه. فقد كان يرد إلى الحرمين وقت الحج المحمل الشامي والمحمل المصري. والمحمل اسم يطلق على الجمل الذي يحمل الهدايا المرسلة إلى الكعبة والحجرة النبوية وكان يزيّن بابهى زينة حتى أصبح لا يستطيع أن يحمل إلا زينته. وكان في دمشق والقاهرة مشاغل تعمل طول العام لتحضير زينة المحمل. أما ما كان يفترض أن يحمله من هدايا فاصبح يحمل في صناديق على جمال أخرى.

وكان يرافق المحمل عادةً «الصرة الشريفة» وهي الأموال الحكومية التي ترسل إلى الحجاز وعائدات أوقاف الحرمين، وعائدات أوقاف سلاطين آل عثمان. وكانت كل هذه تشكل مورداً رئيسياً لإعاشة أهل مكة والمدينة.

وكان «المحمل والصرة» يخرجان ضمن قافلة الحج من دمشق والقاهرة وكانت أيام خروج المحمل وعودته اياماً مشهودة في المدينتين يشترك بها الرسميون والكبراء والوجهاء. كما كان امير الحج شخصية من الطبقة الأولى فهو في مصر يأتي مباشرة بعد الوالي العثماني[٢٠].

نعود إلى فتح مكة على يد الإمام سعود. فلما دخلها دمرّ مزارات الاولياء والانصاب والقباب وبيوت الصحابة. ثم حاصر المدينة المنورة سنة ونصف وفعل بها وبأهلها ما فعله بالطائف ومكة. واستولى على ينبع ثم حاصر جدة فلم يتمكن منها.

بعد فتح الحجاز اتجه السعوديون إلى الشمال فوصلت غزواتهم عام ١٨٠٥ إلى الجوف والبتراء واجتازوهما إلى حوران والكرك. وارسل الامام سعود كتبا إلى الولاة في بلاد الشام يدعوهم إلى الوهابية فلم يستجيبوا له وكان منعه للحج الشامي ومعاملة السعوديين للحجاج قد كرّهت أهل الشام بدعوته.

يقول محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام»: «خرج عبد الله باشا العظم والي الشام (١٨٠٥) بالمحمل فحدثت بينه وبين الوهابيين امور عظيمة فهلك عسكره وانتهب الحج. وفي السنة التالية منع سعود الحجاج غير الوهابيين عن الحج واخرج من مكة من كان فيها من الترك. أضف إلى ذلك أنه لم يؤمن الاوروبين الذين كانوا في جدة فخرجوا منها سنة دخوله إلى مكة وكانوا بمجرد تصرفهم هذا حجة على حكمه».

وغزا سعود عسير وتهامة وحدود اليمن ثم انسحب منها. وغزا كربلاء مرة ثانية عام ١٨٠٧ فاستعصت عليه لأن أهلها حصّنوها بعد الغزوة الأولى. ثم هاجم البصرة والزبير وغنم بعض الأموال.

وعاد سعود يغزو بلاد الشام. وفي ذلك يقول صلاح الدين المختار وهو من المعجبين بآل سعود: «في الثالث من ربيع الثاني ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ م) سار الأمير سعود بثمانية الاف مقاتل إلى الديار الشامية فقد بلغه أن عشائر سوريا من عنزة وبني صخر وغيرها قد نزلوا في نقرة الشام. فلما وصلها لم يجد فيها أحداً. . . فتوجه بقواته إلى حوران وهاجم القرى والدساكر حول المزيريب وبصرى واستولى على ما عثر عليه من مال ومتاع وطعام وكان أهلها هربوا إلى مختلف النواحي عندما سمعوا بقدومه، ثم هاجم الأمير قصر المزيريب فاستعصى عليه

وارتحل إلى بصرى وبات ليلته بها ومنها قفل عائداً إلى بلده ومعه غنائم كثيرة[٢١].

يلاحظ أن الغرض من هذه الغزوات كان السلب والغنائم لأنها هجمات سريعة ومفاجئة تنقض على القرية أو العشيرة فتنهبها وتتراجع بسرعة على عادة الغزوات البدوية. وهي لذلك لا تتضمن معنى الفتح أو التبشير بالعقيدة الوهابية.

يقول الاستاذ خير الدين الزركلي واصفاً فتوحات الامام سعود: كانت بلاد سعود ممتدة من عمان ووادي حضرموت، ونجران، وعسير، إلى شواطىء الفرات، والبادية السورية، ومن الخليج إلى البحر الاحمر[٢٢].

في هذا الكلام شيء من المبالغة. فالإمام سعود غزا بعض هذه المناطق ثم تراجع عنها ولم يكن حكمه لها مستقراً أو مستمراً كما نفهم طبيعة الحكم المدني في هذا العصر. فلا يمكن مثلاً أن نقول أن غزوته لقبائل العراق ولحوران تعني أنه حكم مناطق الفرات والبادية السورية إلى قرب دمشق بشكل مستمر. كما أن المناطق الأخرى في الخليج وغيره كثيراً ما كانت تمتنع عن دفع الزكاة حالما تشعر بضعف الحكم المركزي أو تحس بقوة في نفسها فكان الحكم السعودي في مد وجزر دائمين.

ومهما كان الأمر فإن هذا الانتشار الوهابي لم يدم أكثر من اثني عشر عاماً تلاه تقلص سريع.

وكان امين الريحاني صديق آل سعود أكثر واقعية فقال مقيّماً عهد سعود الكبير[٢٣] «ولا حاجة لذكر البسالة في سعود والاقدام فإن فتوحاته الشاهد الأكبر على ذلك. إلا أنه لم يكن على شيء من الإدارة ولا كان النظام عنده معروفاً فما كان يربط النواحي ببعضها غير كلمة الأمير فإذا ذهبت صولته ذهب الملك». وقد أراد الريحاني أن يقول بصورة لبقة أن سعود لم ينشىء دولة على أسس نظامية متمدنة لتستمر بالبقاء بل كان حكمه بدوياً عشائرياً لا يعتمد على مؤسسات ويزول بزواله. وهكذا كان.

لقد كان إحتلال الطائف ومكة والمدينة وما فعله الوهابيون بها وبالأهالي، ومنع الحج الشامي والمصري، بداية النهاية لآل سعود فيما هم في أوج ما ظنوه من انتصارات.

فقد تصدى الإمام سعود لقوى دينية وسياسية ليس في مستواها، واثارها ضده دون مبرر. فما كان العالم يعيره انتباهاً لما كان يضرب في الجزيرة شرقاً وغرباً، أو يغزو أطراف العراق والشام غزوات خاطفة ينهب فيها بعض القبائل والقرى فتلك أمور متوقعة من البدو. لكنه عندما تصدى لمقدسات إسلامية اؤتمن عليها الخليفة العثماني الذي تتبعه جموع المسلمين في أندونيسيا وماليزيا والهند وبلاد العرب وأفريقيا، ولما نهب الحجرة النبوية ومنع الحج وهدم القباب وفرض المذهب الوهابي على السكان بالفتك والقتل، وعندما تحدى الدولة العثمانية وجيوشها النظامية واسلحتها بحفنة من البدو الذي لا يستقرون على مبدأ، فقد كان عليه أن يتوقع رد فعل يخرج عن المألوف.

وبالفعل حصد الإمام سعود نتيجة تحديه وتصدّيه قبل وفاته، فشاهد الجيوش المصرية تطرده من الحجاز وتتهيأ لإحتلال نجد (دمرت عاصمته الدرعية بعد أربع سنوات من وفاته).

ولا بد للمرء أن يتساءل لماذا تصرف الإمام سعود بهذا القدر من الخفة وعدم المسئولية؟ هل هو الحماس الديني غلب على بصيرته فلم يقدر العواقب، أم هو الطمع بالسلب والنهب، أم هو جهله بالعالم ودوله فظن أن قواته البدوية تستطيع التصدي للدولة العثمانية. على كل حال فإن سوء سياسته كانت السبب لحصول أول إحتلال أجنبي لقلب الجزيرة العربية في الزمن الحديث.

### الحملة المصرية الأولى ١٨١١

بعدما فشل ولاة العراق والشام بالتصدي للوهابيين إستجاب محمد علي باشا لإلحاح السلطان العثماني فجند حملة في خريف ١٨١١ مؤلفة من ثمانية الاف من الجنود ومعهم ضباط أوروبيون تحت قيادة ابنه طوسون الذي كان لا

يزال في السابعة عشرة من عمره جاء منهم ستة الاف بالسفن إلى ينبع والفان براً.

زحف الجيش المصري من ينبع فتصدى له السعوديون بقيادة عبد الله إبن الإمام سعود في مكان قرب المدينة وتغلبوا عليه وغنموا منه ارزاقاً وأسلحة كثيرة وعاد طوسون بجيشه إلى ينبع.

في تلك السنة حج الإمام سعود إلى مكة للمرة السادسة أو السابعة وأرسل نجدات إليها وأمر بتحصينها ثم عاد إلى نجد. ولا يعلم سبب مغادرته الحجاز مع علمه بأن طوسون ينتظر النجدات في ينبع وأن عرب الحجاز ينتظرون الفرصة للتخلص من الحكم الوهابي.

وصلت النجدات المصرية عام ١٨١٢ فزحف طوسون على المدينة وانضم إليه كثير من عرب جهينة وحرب فحاصرها وقطع عنها المياه وكان فيها سبعة الآف من أهل نجد ضاق بهم الآهالي ففتحوا أبواب البلد للمصريين وقتل من النجديين نحو أربعة الآف(١٤).

وانتشرت النقمة على السعوديين في مكة والطائف فدخلها طوسون بمساعدة الشريف غالب دون قتال عام ١٨١٣.

ثم جاء محمد علي نفسه على رأس نجدات جديدة فوصل جدة في أغسطس (آب) من تلك السنة وانتقل منها إلى مكة.

وفي العام التالي (١٨١٤) توفي الإمام سعود في الدرعية وهو في الثامنة والستين من عمره وكانت ولايته إحدى عشرة سنة من يوم وفاة والده عبد العزيز، وسبع وعشرين سنة إذا حسبناها من يوم بويع بالإمارة زمن والده.

## الإمام الرابع عبدالله إبن سعود الانشقاق العائلي الأول ١٨١٤

بعد وفاة سعود الكبير خلفه ابنه عبد الله وهو الإمام الرابع لكن عمه عبد الله إبن محمد نازعه الحكم وانقسمت العائلة السعودية على بعضها مما سهل مهمة

الجيش المصري الذي كان يستعد لاكتساح نجد.

في العام التالي قاد محمد علي حملة على تربة وهي تبعد ثمانين ميلاً من الطائف شرقاً بجنوب فانتصر على جيش سعودي قُدّر عدده بأربعين الفاً يقودهم فيصل بن سعود. فاحتل تربة ثم بيشة وهي مفتاح اليمن الشرقي فاستسلم أهلها ومنها إستولى على عسير وقضى فيها على آخر مقاومة وهابية ثم عاد إلى مكة ومنها إلى القاهرة في يونيو (حزيران) ١٨١٥.

بقي طوسون في الحجاز بعد حملته على نجد. ويقول عنه الريحاني أنه كان مثل أبيه وأخيه أبرهيم متساهلاً في أمور الدين وكان يميل خصوصاً إلى الأوروبيين ويحب الإنتفاع بعلومهم واختراعاتهم[٢٥].

زحف طوسون على الرسّ في نجد فاستسلم اهلها. وجاء عبد الله بن سعود يخرجه منها فلم يتمكن فقال له أهل نجد أخرج إلى طوسون أو أخرج عليه أي صالحه أو حاربه. واتفق الفريقان على صلح (١٨١٥) تعهد فيه النجديون بأن يأذنوا بالحج ويؤمنوا السبل ويعيدوا ما سلبوه من الحجرة النبوية، وتعهد طرسون بالخروج من نجد.

وعاد طوسون الى القاهرة حيث توفي بعد قليل. ولم يوافق والده على الصلح المعقود فجهز ابنه أبرهيم بحملة جديدة على نجد. وكان ابرهيم «صلب العود شديد البطش ثابتاً في عزمه ومقاصده، جلوداً تدوداً إرادته من حديد وقلبه مثل إرادته».

سافر ابرهيم بحراً إلى ينبع فوصلها بتاريخ ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٨١٦ ومعه ستة الآف جندي ومدافع ضخمة لم يرَ أهل نجد مثيلاً لها من قبل. سار من ينبع دون مقاومة إلى المدينة ثم انتقل بجيشه الى الحناكية على بعد تسعين ميلاً شرقي المدينة فعسكر هناك ستة أشهر وبدأ بإغراء البدو للأنضمام إليه، فجاءته حرب وعتيبة ومطير بزعامة فيصل الدويش ووقفت القبائل الحجازية بقوة الى جانب الجيش المصري فاشتد جيشه وقوي. ومما يدعو للإستغراب أن هذه القبائل كانت

وهابية قبلت الدعوة وحاربت مع الإمام سعود لنشرها. فلما جاءها المال وأرهبتها القوة المصرية انقلبت عليها مما يدل على أن الوهابية كانت ضحلة الجذور بين البدو الذين لم ينضموا إليها إلا خوفاً من بطشها أو طمعاً بمكاسب غزواتها فلما ضعفت تنكروا لها وحاربوها.

سار أبرهيم باشا من الحناكية على الرس فقاومه أهلها ثم سلموا. ثم احتل عنيزة وبريدة والمذنّب وهي آخر بلدة في جنوب القصيم. ثم دخل الوشم في ديسمبر ١٨١٧ واحتل أهم بلدانه شقرا. فسلمت بلدان الوشم الأخرى. وقاومه أهل ضرمى فأباحها لجنوده وقتلوا من أهلها ثمانمائة ودمروها. وساروا في وادي حنيفة يحتلون قراه حتى اشرفوا على الدرعية وباشروا حصارها في ١ أبريل (نيسان) ١٨١٨.

## تدمير الدرعية

استمر الحصار خمسة أشهر وكانت تتوالى على ابرهيم باشا النجدات والذخيرة من مصر، والارزاق من البصرة والمدينة، والمواشي والسمن من القصيم. وبقيت قبائل البدو التي انضمت إليه تناصره ما دامت عطاءاته مستمرة.

في نهاية الشهر الخامس من الحصار أي في نوفمبر ١٨١٨ استلم عبد الله بن سعود إلى ابراهيم باشا فأرسله أسيراً للقاهرة ثم للأستانة حيث طوّفوه في الأسواق ثم أعدموه. وقتل في الدرعية عدد كبير من آل سعود وآل الشيخ ونُفي قسم منهم إلى مصر. وسجل التاريخ دخول أول جيش أجنبي إلى قلب الجزيرة العربية وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى(٢٦).

أقام ابرهيم باشا في الدرعية سبعة أشهر ثم أمر بتدميرها فأصبحت اثراً بعد عين. وانسحب ابرهيم باشا بجنوده من نجد في صيف ١٨١٩ وصل محله الجنود الإتراك فضربت الفوضى أطنابها في البلاد.

## الإمام الخامس تركي ابن عبدالله
## بروز فرع سعودي جديد ١٨٢٣ ـ ١٨٣٤

كان تركي إبن عبد الله ابن محمد ابن سعود أحد الشيوخ الذين فروا أمام القوات المصرية ولاذ بالخرج وبقي متوارياً في البادية إلى عام ١٨٢٣ حيث جمع أنصاره واستولى على الرياض في العام التالي وطرد الحامية المصرية وأصبح الإمام الخامس.

أصلح الإمام تركي أمره مع المصريين والعثمانيين واعترف بسيادتهم فكفوا عن مقاومته فسيطر على نجد ومدّ نفوذه على جبل حائل والاحساء والقطيف. أما الكويت فقد دفع شيخها عبد الله الصباح (١٨١٤-١٨٥٩) الزكاة للإمام تركي دليلاً على طاعة الكويت لآل سعود.[٢٧]

## الإمام السادس مشاري إبن عبد الرحمن
## والإمام السابع فيصل ابن تركي

### انشقاقان متتابعان ١٨٣٤

إنتهت ولاية الإمام الخامس تركي إبن عبد الله إغتيالاً على يد إبن عمه مشاري إبن عبد الرحمن الذي إستولى على السلطة وأصبح الإمام السادس. ودام حكم مشاري أربعين يوماً إذ زحف فيصل إبن تركي من الهفوف إلى الرياض بمساعدة عبد الله وعبيد من آل الرشيد شيوخ حائل واستولى على المدينة واعدم مشاري وأصبح فيصل الإمام السابع في العائلة السعودية. وينقسم حكمه إلى ثلاثة أقسام: دور مشاركته لأبيه في الحكم، ثم فترة حكمه الأولى ١٨٣٤-١٨٣٧، ثم فترة حكمه الثانية ١٨٤٣-١٨٦٥.

## الإمام الثامن خالد إبن سعود
## الحملة المصرية الثانية ١٨٣٦ والأنشقاق العائلي الرابع

خلال هذه السنوات كان والي مصر محمد علي باشا قد استقل عملياً عن الأمبراطورية العثمانية بعدما فتح عكا وأخضع سائر الديار الشامية. عندها تفرغ لأنهاء الفتن في الجزيرة العربية وصار يطمح إلى ملك مستقل عن العثمانيين يشمل مصر والسودان وبلاد الشام والجزيرة العربية وأقطار الخليج والعراق. وكان يرى في قيام الدولة السعودية ما يهدد سيادته في نجد والمناطق الشرقية والحجاز. لذلك عزز قواته في الحجاز وزحف على نجد عام ١٨٣٦. وكان من أعوانه خالد أصغر أبناء سعود الكبير وأخو الإمام عبد الله الذي استسلم لأبرهيم باشا في الحملة المصرية الأولى وأعدم في اسطمبول.

نشأ خالد إبن سعود في القاهرة في كنف محمد علي الذي أعده ليتولى الحكم في الجزيرة العربية نيابة عنه، وكان لخالد أنصاره الذين لم يرضوا عن انتقال الإمامة من أولاد سعود الكبير إلى أولاد عبد الله إبن محمد. وخالد من أم حبشية، متوقد الذهن رقيق الشعور نشأ في بيئة القاهرة الأكثر تقدماً ورقياً وجاء يحكم نجد حكماً عصرياً[٢٨]

كان الإمام فيصل يواجه مقاومة داخلية فاختل الأمن في القطيف وسيهات وهما بلدتان شيعيتان كانتا تلقيان مساعدة وتشجيعاً على الثورة من شيوخ البحرين. كذلك امتنعت قبائل في الدهناء ومناطق الرياض عن دفع الزكاة ويعني ذلك رفض سلطة الامام فيصل[٢٩].

أرسل محمد علي باشا مندوباً إلى فيصل يطلب منه الإعتراف بالسيادة المصرية ودفع الخراج فحاول فيصل استرضاءه وأرسل أخاه جلوي ومعه الهدايا إلى أحمد باشا والي الحجاز طالباً توسطه لإقناع محمد علي باشا بأن فيصل لم يتمرد ولا موجب لتجريد حملة عليه. لكن الوساطة فشلت.

وجد فيصل أن أهل الرياض وقبائل كثيرة مالت إلى الأمير خالد لأنه لم يكن متمسكاً بالدعوة الوهابية بل كان يمثل نزعة مدنية بحكم تثقفه في القاهرة، مما دعا فيصل إلى ترك الرياض.

من ناحية أخرى، لم يتمكن عبد الله إبن رشيد حليف فصل من مقاومة المصريين في حائل ففر منها بأمواله وأسلحته، وخضعت نجد بكاملها للجيش المصري.

دخل الأمير خالد الرياض سنة ١٨٣٧ وقدمت له القبائل الطاعة فأعاد الإمامة إلى فرع سعود الكبير وأصبح الإمام الثامن.

في العام التالي أسرت القوات المصرية الإمام فيصل ونفته ثانية إلى القاهرة وهكذا انتهت الفترة الثانية من حكم فيصل التي امتدت من ١٨٣٤-١٨٣٨ وأصبحت الجزيرة العربية تحت سيادة محمد علي من البحر الأحمر إلى الخليج بعدما احتلت قوات قائده خورشيد باشا الأحساء والقطيف وسيهات وتاروت.

بعد ذلك، وقع شيخ البحرين عبد الله آل خليفة معاهدة حماية مع خورشيد باشا ليساعده ضد بعض أفراد أسرته. وأرسل خورشيد وكيلاً إلى واحة البريمي ممثلاً للأمير خالد لتثبيت السلطة المصرية في عمان باعتبارها وريثة الدولة السعودية.

لم يدم الحكم المصري طويلاً، لا بسبب المقاومة السعودية، بل بسبب تطورات دولية لا علاقة للجزيرة العربية بها. فقد وقفت بريطانيا ضد امتداد نفوذ مصر إلى الخليج ومصب دجلة والفرات خوفاً على العراق، وعلى مصالحها التجارية في الخليج، وعلى مواصلاتها البحرية والبرية مع الهند، فانذرت شيوخ الشاطىء المتصالح بعدم التعاون مع المصريين وأصبحت مواصلات خورشيد باشا البحرية مع مصر تحت رحمة بريطانيا بعدما احتلت عدن عام ١٨٣٩.

ولم تكن بريطانيا تعبأ باحتلال السعوديين لشاطيء الخليج الغربي لأنهم

بنفوذها مجموعة قبائل لا تشكل خطراً على مصالحها. اما الإحتلال المصري فأمر آخر خصوصاً وأن محمد علي باشا كان حليفاً لفرنسا.

معاهدة لندن ١٨٤٠

استطاعت بريطانيا أن تؤلب الدول الأوروبية على محمد علي مبيّنة لها أن دعم دولة عثمانية ضعيفة أفضل للمصالح الأوروبية من دولة مصرية فتية وتوسعية وعلى هذا قررت الدول الأوروبية في معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وجوب انسحاب محمد علي باشا من بلاد الشام والجزيرة العربية مع بقاء مصر في ولايته له ولأولاده من بعده تحت السيادة العثمانية الاسمية.

وهكذا انسحبت الجيوش المصرية من نجد وتركت خالد بن سعود وحيداً.

## الإمام التاسع عبدالله إبن ثنيان ١٨٤١ ـ ١٨٤٣

قام على خالد إبن عمه عبد الله إبن ثنيان إبن ابرهيم وهو من فرع ثالث في العائلة السعودية وأصبح الإمام التاسع ودام حكمه سنتين إلى ١٨٤٣.

ترك خالد الرياض وذهب إلى الأحساء عام ١٨٤١ فسقطت الرياض واستتب الأمر لعبد الله الذي استعمل الشدة والفتك بمن عاده.

وغادر خالد الأحساء إلى الدمام ثم إلى الكويت ومنها سار سراً إلى القصيم ثم إلى مكة فتعاون مع الشريف إبن عون ضد أولاد عمه بن آل سعود. وتوفي خالد في مكة عام ١٨٦٠.

كانت الأحوال المعيشية سيئة في الجزيرة من كثرة الأقتتال وقد زادت الضرائب لمصاريف الحرب وصاحبتها شدة بالتحصيل، وعمّت الفوضى وأعمال السلب والنهب لضعف الحكومة المركزية.

زاد في متاعب عبد الله إبن ثنيان إنتشار المذهب الشيعي في الساحل الشرقي ووجود تقليد استقلالي فيها بزعامة آل عربعر من بني خالد وهم أصحاب

السلطة القوية في الاحساء وأعداء الوهابيين تقليدياً خضعوا لهم قسراً أيام الأمام عبد العزيز. كما أن شيوخ البحرين كانوا يشجعون مقاومة آل سعود لأنهم، بالإضافة إلى الخلاف المذهبي، كانت لهم أملاك كثيرة في سيهات والدمام والدوحة والقطيف والزبارة وكانوا يدّعون حق السيادة على شبه جزيرة قطر.

كتب عبد الله إبن ثنيان لشيوخ منطقة الخليج موضحالهم نيّته بالسيطرة على البريمي وعُمان ودعاهم لتقديم المساعدة. فأرسل المقيم البريطاني في بوشهر كتباً للشيوخ يحذرهم من التعاون مع آل سعود. كما كتب أنذارا لإبن ثنيان يتهمه بالعدد، إلى تشجيع القرصنة في الخليج. وقد سبق للحكم السعودي أن شجع عمليات القرصنة والأخلال بالأمن وآوى الفارين[30] في عهود سابقة.

# الدولة السعودية الثانية

## الإمام العاشر فيصل إبن تركي
## ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

### عودة فيصل والأنشقاق العائلي الخامس

اتخذت مصر موقفاً عدائياً من عبد الله إبن ثنيان الذي أقص صديقها الأمير خالد عن الحكم فاطلقت سراح فيصل إبن تركي سنة ١٨٤٣ ليعود إلى الرياض ويستولي على الحكم من إبن ثنيان. وفي روايات عربية أن فيصل هرب خفية من سجنه في القاهرة ووصل إلى نجد وهو قول يصعب تصديقه لصعوبة الفرار من بلدغريب ولبعد المسافة. ويقول أمين الريحاني أن محمد علي باشا هو الذي أخرج فيصل من السجن ليعيده أميراً على نجد انتقاماً من عبد الله إبن ثنيان وليكسب ولاءه. وبالفعل ظل فيصل طوال حكمه إلى سنة ١٨٦٥ محافظاً على علاقاته الودية مع باشا مصر[31].

غادر فيصل القاهرة مع ابنه عبد الله وأخيه جلوي (الذي تنحدر منه أسرة

جلوي الحاكمة حالياً في المنطقة الشرقية) وابن عمه عبد الله إبن أبرهيم وذهبوا إلى جبل شمر حيث نصرهم عبد الله ابن رشيد وتمكنوا بمساعدته من إحتلال الرياض سنة ١٨٤٣ وأسروا إبن عمهم عبد الله إبن ثنيان الذي توفي بعدئذ في السجن. وأصبح فيصل الإمام العاشر وبدأ تاريخ الدولة السعودية الثانية. وكان حكم فيصل هذا أطول حكم لإمام من آل سعود ما بين سقوط الدرعية بيد الأتراك عام ١٨١٨ وبداية العهد الحالي الذي أسسه الملك عبد العزيز. ومع فيصل انتقلت السلطة ضمن العائلة السعودية من أولاد سعود الكبير إلى أولاد فيصل الذين يحكمون حالياً بينما يشعر أحفاد سعود بالحيف والغبن ويعتبرون أنفسهم أحق بالأمامة ويشار اليهم الآن بلقب «العرايف».

كان حكم فيصل هذا فترة توطيد وبناء وتنظيم إداري واقتصادي لم تخلو من متاعب إذ قامت ثورات في الاحساء وفي القصيم التي كان سكانها يتعاونون مع شريف مكة محمد إبن عون ويريدون أن تكون منطقتهم حيادية غير خاضعة لآل سعود. ولم تكن الحالة في مناطق جنوب الرياض بأفضل منها في المناطق الشرقية والقصيم.

لكن الإمام فيصل تغلب على هذه الثورات وأخضع المناطق وانتزع قطر من حكام البحرين وضمها إليه وبقي حكامها آل ثاني موالين لآل سعود. كان لدى قطر ثلاثماية سفينة أصبحت تحت تصرف الإمام فيصل في الخليج.

لكن يبدو أن السلطة السعودية لم تشمل الكويت التي لم تدفع زكاة للسعوديين(٣٢).

### حدود دولة فيصل

يقول لويس بلي Louis Pelly المعتمد البريطاني في الخليج في تقرير بعث به إلى حكومته وقد زار الرياض سنة ١٨٦٥ قبيل وفاة الإمام فيصل، إن السعوديين كانوا يسيطرون على الساحل الغربي من الخليج وعلى ساحل عُمان

ويأخذون الزكاة النقدية أو العينية من شيوخ البحرين وأبو ظبي ودبي وأم القوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة وسلطنة مسقط.

حدد فيصل دولته في الشرق لبلي فقال:(٣٣) إنها القسم الشرقي من بلاد العرب من الكويت إلى القطيف وقطر ورأس الخيمة وعمان ورأس الحد وما وراءها. وقال أن مسقط تدفع لنا الزكاة وقد أخذناها بقوة السلاح.

أما الحدود الشمالية فقد وصلت إلى صحراء النفود وضمت جبل شمر الذي كان يدفع الزكاة لكنه مستقل بإدارته تحت حكم آل رشيد. ومن الجنوب صحراء الربع الخالي وشمال شرق عسير. ومن الغرب جبال تفصل بين نجد والحجاز.

ولم يبق لآل سعود سلطة في الحجاز بعدما أخرجهم محمد علي باشا منه وكانت العلاقات بينهم وبين الأشراف عدائية.

## وفاة الامام فيصل

توفي الإمام فيصل عام ١٨٦٥ بعدما أصيب بالشلل وفقد بصره وكان سلم الأمور لأبنه عبد الله.

بعد وفاته شبت حرب أهلية بين أولاده الأربعة وهم عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن، وعمت الفوضى في البلاد.

## سياسة بريطانيا تجاه فيصل

سلكت بريطانيا سياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية للجزيرة الا بقدر ما يضمن السلام في الخليج. فكان موقفها من إمتداد النفوذ السعودي أقل عداء من موقفها ضد النفوذ المصري أيام محمد علي باشا نظراً لأن هذا الأخير يمثل دولة في حين أنها كانت ترى في آل سعود مجموعة قبائل لا يشكلون خطرا على ملاحتها أو تجارتها.

ولم يكن يعني بريطانيا ان يدفع شيوخ الخليج زكاة للإمام السعودي ما دام ذلك لا يعني التدخل في شئون المشيخات الداخلية والخارجية ولم تكن الزكاة تدفع بانتظام.

وفي وقت سابق كان آل سعود يشجعون عمليات القرصنة في الخليج مما كان يمس بمصالح البريطانيين إذ جاء في كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» ان الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب كان يعتبر القرصنة التي يقوم بها القواسم من أهل رأس الخيمة ضد التجارة في الخليج واجباً دينياً وعملاً حلالاً. ويقول مؤلف الكتاب أن الوهابيين اتخذوا من القواسم أداة للقرصنة وكانوا يحرضونهم على ذلك. وكانت القرصنة تهدد السفن والتجارة بين الهند وأوروبا وموانيء الخليج سواء في الشاطيء الفارسي أو العربي أو العراقي وتضر بأحوال سكانها.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية «أن قبيلة القواسم كانت ذات كفاءة بالتجارة البحرية إلى أن خضعت للنفوذ الوهابي سنة ١٨٠٥ وانصرفت لأعمال القرصنة»(٣٤).

والجدير بالذكر أن السعوديين رغم احتلالهم لشاطيء الخليج في فترات مختلفة لم يصبحوا يوماً دولة بحرية ولم يملكوا أسطولاً خلافاً للعتوب من أهل الكويت والبحرين وقطر ولسكان عمان والقواسم.

لكن الأنكليز كانوا قضوا على القرصنة في عهد سبق ولاية الإمام فيصل كما رأينا في الفصل الثالث فلم يسبب ذلك مشكلة بينهم وبينه.

كان الإمام فيصل وأبوه تركي أكثر حكمة من سلفهم الإمام سعود الكبير، واتعظوا بما حلّ به لما تنطح لمقاومة دولة كبيرة فاعترفا بالسيادة العثمانية وطبق الإمام فيصل نظام الإلتزام الذي كان سارياً في الدولة العثمانية ويقضي بأن يدفع الوالي للدولة مبلغاً سنوياً من المال دليلاً على الطاعة ويستقل بتصرفاته الداخلية. وكان المال يرسل إلى إشراف مكة الذين ينقلونه إلى السلطان في

اسطمبول. ونشير الوثائق الأجنبية [٣٥] أن شريف مكة استقطع ولاية نجد من الحكومة العثمانية مقابل ستين الف تومان في السنة، والشريف بدوره يأخذ الخراج من نجد باسم الدولة العثمانية. ويبدو أن الإمام فيصل لم يكن يدفع الخراج بشكل مستمر بل حسبما يمكنه تحصيله من زكاة الاعراب. وكانت الدولة العثمانية تنظر إلى تركي وولده فيصل من بعده على أنهما ولاة نجد والأحساء تابعين لها. وكانا قد قبلا ذلك منها[٣٦].

وكان الإمام فيصل أيضاً أقل تعنتاً في شئون الدين وأكثر اعتدالاً من الأئمة الذين سبقوه. فقد صادف زمن نفيه في القاهرة بداية الحركة الليبرالية لتحديث الإسلام ومن المحتمل أن يكون تأثر بها.

يقول المؤرخ سانت جون فيلبي في تقيمه لعهد الإمام تركي وابنه فيصل «أن الدافع السياسي لا الحماس الديني هو الذي أوجد الدولة السعودية خلال حكم الإمام تركي وابنه فيصل، في حين كان للحماس الديني الأثر الأهم في قيام الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤-١٨١٨)، وفي بناء الدولة السعودية التالية (عهد الملك عبد العزيز) الذي أعتمد كثيراً على فرق الأخوان»[٣٧].

## الإمام الحادي عشر عبدالله بن فيصل ١٨٦٥ ـ ١٨٧١
## الإمام الثاني عشر سعود بن فيصل ١٨٧١ ـ ١٨٧٥

## الإنشقاق العائلي السادس

بويع عبد الله بن فيصل بالأمامة بعد موت والده فأصبح الإمام الحادي عشر. لكن أخاه سعود إعترض على ولايته وأدعاها لنفسه وحاربه وأطاح به سنة ١٨٧١.

تُعزى الفتنة بعد موت الإمام فيصل للأسباب التالية[٣٨]:

أولاً ـ طمع سعود بالحكم.

ثانياً - مؤازرة بعض القبائل الكبيرة له لأضعاف السلطة السعودية والتخلص من دفع الزكاة واستعادة حرية التصرف خصوصاً قبائل القصيم.

ثالثاً - شجع الفتنة آل رشيد في حائل، وآل خليفة في البحرين، وإمام عمان للتخلص من نفوذ آل سعود ومن الضريبة السنوية، كما شجعها العثمانيون لإستعادة السيطرة على الأحساء.

رابعاً - الخلاف بين سلالة تركي إبن عبد الله وسلالة أولاد عمومتهم أبناء سعود إبن عبد العزيز. فشجع الفرع الأخير الفتنة.

خامساً - كان عبد الله متعصباً في شئون الدين بخلاف سعود الذي كان يميل إلى الأعتدال والتسامح.

إستولى سعود على الأحساء وساعده شيخ البحرين وسلطان مسقط وقبائل بني خالد والعجمان وبني مرة وباتت الطريق مفتوحة إلى الرياض فدخلها سعود عام ١٨٧١.

عندها أرسل عبدالله رسائل إلى مدحت باشا والي بغداد يطلب مساعدته فكانت المناسبة المرجوة عند العثمانيين لأستعادة الأحساء. فجهز مدحت باشا حملة من خمسة الآف جندي واستعان بناصر السعدون شيخ قبائل المنتفق وبعبد الله الصباح شيخ الكويت وأعلن أن سعوداً ثائر ضد الدولة العثمانية وأنه يتعاون مع الأنكليز. ووسع مدحت باشا شقة العداء بين سعود وأخويه فاطلق محمدا من سجنه في القطيف.

اتجهت الحملة من البصرة عام ١٨٧١ وساعدتها الكويت بالسفن والرجال فسارت بحراً الى العقير، وبراً إلى القطيف، ثم احتلت الاحساء وقطر فقطع مدحت باشا بذلك الصلة بين نجد وعُمان.

وأصدر مدحت باشا منشوراً على السكان جاء فيه:

«إن نجد وملحقاتها تشكل جزءاً من الممتلكات العثمانية أسوة بالعراق واليمن ومصر وغيرها. وبما أن سعوداً أسقط سلطة عبد الله القائمقام الذي عينه السلطان تابعاً لولاية العراق، فقد أرسلنا قوة لمساعدة عبد الله وإخضاع القبائل

نـفته. وقد وعدنا سعوداً بالعفو إذا تقدم واعتذر عن تصرفه وإلا فسندمره مع القبائل التي تناصره». واستمرت السيطرة العثمانية على المنطقة الشرقية إلى قبيل الحرب العالمية الأولى.

والجدير بالملاحظة أن العثمانيين كانوا يعتبرون الإمام الوهابي بمثابة قائمقام تابع لمتصرف البصرة ثم لوالي بغداد ولا يعيرونه أهمية تذكر. فقد كانت نجد بمجملها صحراء نائية معزولة عن العالم ليس فيها زرع ولا ضرع وليس لها أثر فيما يشغل الدولة العثمانية من سياسات دولية كما أنها بعيدة عن أن تكون لها قيمة ستراتيجية. ويأتي القائمقام في الترتيب الإداري العثماني في الدرجة السفلى الثانية إذ يتدرج حكام المقاطعات من مدير ناحية، أي حاكم بضع قرى، إلى قائمقام يدير منطقة تسمى «قضاء» تشمل عدداً من «النواحي»، إلى متصرف يدير عدداً من الأقضية والمدن، إلى الوالي وهو قمة الإدارة في المقاطعات يدير قطراً كبيراً كولاية بغداد وولاية دمشق، وولاية حلب، وولاية بيروت الخ. ويتبع الوالي وزير الداخلية في العاصمة مباشرة.

دامت ولاية الإمام سعود إلى وفاته عام ١٨٧٥. وشهدت نجد خلالها كثيراً من المحن «فقد اجتاحتها مجاعة عامي ١٨٧١ و١٨٧٢ فمن لم يمت بالسيف مات جوعاً. وكان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الأباعر ويدقونها بل كانوا يدقون حتى العظام ويأكلون مسحوقها»[٣٩].

كذلك انفصل جبل شمر والقصيم والأحساء عن السلطة السعودية.

### افتتاح قنال السويس ١٨٦٩

في الوقت الذي كان آل سعود يتناحرون ويتقاتلون فيما بينهم على الإمامة في نزاعات دموية عقيمة، جرى في جوارهم وهم لا يدرون، حدث ذو أهمية ستراتيجية عالمية واقليمية أثر على مستقبل المنطقة بكاملها لأجيال قادمة لكنهم لم يفهموا مغزاه وأهميته.

فقد افتتحت قناة السويس عام ١٨٦٩ واتصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر والمحيط الهندي ثم بالشرق الأقصى عن أقصر طريق فصارت الأساطيل الأوروبية تجوب بسهولة البحار المحيطة بالجزيرة العربية. واستفادت بريطانيا على الخصوص من الوضع الجديد وتعزز نفوذها في المنطقة وصارت لها الكلمة الأولى.

ونتج عن ذلك أيضاً أن الخليج فقد أهميته الستراتيجية كطريق للمواصلات والتجارة ما بين الهند وبلاد الشرق الأدنى وأوروبا وتعزز دور البحر الأحمر. وبقي الأمر كذلك إلى حين إكتشاف البترول في العقد الرابع من هذا القرن فعادت إلى الخليج أهميته الأقتصادية والستراتيجية.

## الإمام الثالث عشر عبد الرحمن إبن فيصل
## الأنشقاق العائلي السابع والثامن وسقوط آل سعود ١٨٨٧

إذا كانت الأحداث والنزاعات السابقة ضمن العائلة السعودية معقدة فإن ما سيأتي أبعث على الإرتباك.

فقد توفي الأمام الثاني عشر سعود إبن فيصل في الرياض في يناير ١٨٧٥ وكان أخوه ومنافسه عبد الله في الصحراء مع أخيه محمد وبعض رؤساء القبائل. وكان في الرياض عبد الرحمن الأبن الرابع لفيصل الذي أخذ الأمر بيده وأعلن نفسه إماماً خلفاً لأخيه سعود فأصبح الإمام الثالث عشر. وآزره أولاد أخيه سعود ضد أخيه وعمهم عبد الله. ولم يطل الوقت حتى اختلف عبد الرحمن مع أولاد سعود فترك الرياض وأصلح شأنه مع أخيه عبد الله إبن فيصل وأقرَّ له بالأمامة فشكل الأخوة الثلاثة عبد الله ومحمد وعبد الرحمن جبهة موحدة ضد أولاد أخيهم سعود. وعاد عبد الله إبن فيصل إماماً (الإمام الرابع عشر والأخير قبل سقوط دولة آل سعود.

زحف الأخوة الثلاثة على الرياض فتركها أولاد سعود واعتصموا بمنطقة الخرج. وبعد ثلاث سنوات زحفوا من الخرج على الرياض وأسروا عمهم الإمام عبد الله. وكان هذا قد استنجد بمحمد إبن رشيد شيخ شمر ضد أولاد أخيه. فهاجم إبن رشيد الرياض سنة ١٨٨٧ وفك أسر الإمام عبد الله لكنه أخذه معه إلى حائل كضيف دائم حيث توفي سنة ١٨٨٩ وسارعت قبائل نجد تقدم الطاعة لمحمد إبن رشيد مع أنه لم يكن وهابياً بل كان حليفاً للخليفة العثماني يتبع المذهب الحنفي ويستمد منه المال والسلاح. ومرة أخرى تبيّن أن الوهابية سطحية الجذور في الجزيرة العربية.

والجدير بالملاحظة أن آل رشيد استولوا على نجد وقضوا على حكم آل سعود دون معركة. وكان من أهم أسباب نجاحهم النزاعات الداخلية ضمن العائلة السعودية والحروب الدامية بين أفرادها الطامعين بالأمامة، وضعف ولاء السكان للدعوة الوهابية.

وهكذا انتهت الدولة السعودية التي دامت من ١٧٤٤-١٨٨٧. وقد علّل مؤرخ آل سعود هاري سانت جون (عبد الله) فيلبي ذلك بقوله «أن الوهابية فقدت زخمها لما توسعت فوق طاقتها فانهزمت. وهكذا خسروا الأرض والحركة الوهابية».

أما السيد حافظ وهبه فقال: «أن السبب الرئيسي لسقوط الدولة السعودية إنها كانت مستندة على القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب لأن الدعوة الوهابية لم تتمكن من قلوب الناس».

عيّن محمد بن رشيد سالم السبهان، وهو شمري من أخواله، حاكماً على الرياض. والملفت للنظر أن شيخ الكويت مبارك الصباح كان مؤيداً لإبن رشيد في سياسته ضد آل سعود طيلة هذه الفترة.

عندما توفي الإمام عبد الله الفيصل في حائل انتقلت الإمامة الوهابية وزعامة آل سعود إلى أخيه عبد الرحمن الذي كان في الرياض ثم غادرها كما سنرى في الفصل التالي.

# شمر وآل رشيد

كانت الرئاسة في شمر في القرن التاسع عشر لآل رشيد. وشمر، كما يقول أمين الريحاني «من أكبر قبائل العرب عدداً وارسخهم في القومية وأبسلهم في القتال. ولم يؤثر المذهب الجديد (الوهابي) في عصبيتهم الشمرية فأهل الجبل لا يغالون في الدين كبعض أهل نجد. وقد كانوا في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن إبن الرشيد ونار علمه، وآية عزه ونصره ولم تستطع العصبية الوهابية أن تحل محل العصبية الشمرية»[٤٠]

تقطن قبائل شمر الأراضي الشمالية في نجد وعاصمتهم حائل في جبل شمر وتمتد منازلهم إلى العراق وسوريا. وكانت العلاقة بين آل سعود، وآل الرشيد في حالة مد وجزر تتراوح بين العداوة والصداقة.

### أمراء حائل الرشيديون

توالى على حكم حائل منذ القرن التاسع عشر ثلاثة عشر أميراً كما ذكر أمين الريحاني هم[٤١]:

١ ـ عبد الله بن علي بن رشيد توفي عام ١٨٤٨.

٢ ـ طلال بن عبد الله. انتحر عام ١٨٦٦.

٣ ـ متعب أخو طلال. قتله أبناء أخيه بندر وبدر عام ١٨٦٨.

٤ ـ بندر بن طلال بن عبد الله. قتله عمه محمد عام ١٨٧١.

٥ ـ محمد بن عبد الله الذي يُدعى «الكبير». كان عاقراً ومات موتاً طبيعياً. تولى الإمارة من ١٨٧١-١٨٩٧ واستولى على نجد كله. قتل أولاد أخيه طلال انتقاماً لقتلهم عمهم متعب أخي محمد.

٦ ـ عبد العزيز بن متعب بن عبد الله. قتل في معركة روضة المهنا ضد عبد العزيز آل سعود عام ١٩٠٦.

٧ - متعب بن عبد العزيز حكم عشرة أشهر وقتله أبناء حمود بن عبيد مع أخويه مشعل ومحمد عام ١٩٠٦.
٨ - سلطان بن حمود بن عبيد. حكم سبعة أشهر وقتله أخوه سعود.
٩ - سعود بن حمود بن عبيد. حكم أربعة عشر شهراً وقتله سعود إبن عبد العزيز وأعاد الإمارة إلى آل عبد الله.
١٠ - سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله. قتله عبد الله بن طلال عام ١٩١٩ وهو من آل عبيد.
١١ - عبد الله بن طلال. لم يحكم. قتله عبد من عبيد سعود.
١٢ - عبدالله بن متعب بن عبد العزيز بن متعب إبن أخ الأمير سعود المقتول. لجأ إلى عبد العزيز إبن سعود وأقام لديه.
١٣ - محمد بن طلال بن نايف بن طلال. دافع عن حائل وجبل شمر في وجه الغزوات الوهابية إلى أن انكسر فاستلم لعبد العزيز إبن سعود في ٢ نوفمبر ١٩٢١.

لقد كان آل رشيد أكبر منافسي آل سعود على زعامة نجد خصوصاً في عهد الملك عبد العزيز آل سعود. أما قبل ذلك فكانت العلاقات مع شمر متقلبة بين الحرب والمودة. فقد هاجم سعود الكبير جبل حائل وأجلى عشيرة جربا الشمرية الكبيرة إلى العراق. لكن عبد الله وعبيد الرشيد ساعدا الإمام فيصل بن تركي على احتلال الرياض عام ١٨٣٤ وعلى الانتقام من ابن عمه مشاري الذي قتل والده الإمام تركي.

والتجأ الإمام فيصل مرة ثانية إلى جبل شمر عندما عاد من القاهرة عام ١٨٤٣ فنصره عبد الله الرشيد وساعده على إحتلال الرياض وتخليصها من عبد الله بن ثنيان. ودامت العلاقات ودية بين البيتين إلى أن انقسم آل سعود على أنفسهم وأفنوا بعضهم بعضاً بحروب دامية فسقطت نجد في يدي آل رشيد دون قتال. أما الملك عبد العزيز فقد احتل جبل شمر عام ١٩٢١ وقضى على زعامة آل رشيد فهاجرت قبائل اخرى منهم الى العراق[٤٢].

## العبر المستخلصة

إن الإستعراض التاريخي الذي أوردناه والذي يتناول الحقبة من ١٧٤٤ إلى سقوط الدولة الوهابية عام ١٨٨٧، يخولنا أن نستخلص بعض العبر فيما يتعلق بالحكم السعودي كسلطة سياسية، وبالدعوة الوهابية كحركة سلفية.

### الحكم السعودي كسلطة سياسية

ما بين قيام الحركة الوهابية عام ١٧٤٤ ويومنا الحاضر، أي في مدة مايتين وأربعين عاماً، توالى على الإمامة من آل سعود عشرون إماماً بمن فيهم الإمام الحالي فهد إبن عبد العزيز أي بمعدل إمام كل اثني عشرة سنة.

من هؤلاء العشرين، ستة توفوا وهم أئمة، وستة عزلوا من مناصبهم، وستة قتلوا، وأحدهم تخلى عن الامامة لابنه، وآخرهم لا يزال إماماً.

الإمام الأول محمد إبن سعود مات موتاً طبيعياً عام ١٧٦٥.

الإمام الثاني عبد العزيز بن محمد (١٧٦٥-١٨٠٣) إغتاله شيعي انتقاماً لغزوة كربلاء.

الإمام الثالث سعود إبن عبد العزيز (١٧٨٨-١٨١٣) مات موتاً طبيعياً.

الإمام الرابع عبد الله إبن سعود (١٨١٣-١٨١٨) أعدم في الأستانة.

الإمام الخامس تركي إبن عبد الله (١٨٢٠-١٨٣٠) إغتاله إبن عمه مشاري إبن عبد الرحمن.

الإمام السادس مشاري (١٨٣٠) قتله فيصل إبن تركي إنتقاماً لأبيه.

الإمام السابع فيصل بن تركي (١٨٣٠-١٨٣٩) نفي إلى القاهرة.

الإمام الثامن خالد بن سعود (١٨٣٩-١٨٤١) خلعه إبن عمه عبد الله إبن ثنيان وتوفي في المنفى.

الإمام التاسع عبد الله إبن ثنيان (١٨٤١-١٨٤٢) حبسه فيصل بن تركي ومات في السجن.

الإمام العاشر فيصل بن تركي (١٨٤٣-١٨٦٥) تولى الإمامة بعد عودته من القاهرة ومات وهو إمام.

الإمام الحادي عشر عبد الله إبن فيصل (١٨٦٥-١٨٧١) عزله أخوه سعود.

الإمام الثاني عشر سعود إبن فيصل (١٨٧١-١٨٧٥) مات وهو إمام.

الإمام الثالث عشر عبد الرحمن إبن فيصل عزله أولاد سعود.

الإمام الرابع عشر عبد الله إبن فيصل إستعاد الإمامة لكن أولاد أخيه أعادوا الكرة عليه فاستنجد بمحمد آل رشيد أمير حائل الذي تغلب على أولاد سعود وأخذ عبد الله ضيفاً إلى حائل حيث توفي وهو شبه أسير عام ١٨٨٩.

وعادت الإمام إلى الإمام الثالث عشر عبد الرحمن إبن فيصل وهو يتنقل منفياً فيكون الإمام الخامس عشر، وقد تخلى عن منصبه في ولايته الثانية.

الإمام السادس عشر الملك عبد العزيز آل سعود (١٩٠٢-١٩٥٣) الذي أخذ الإمامة من والده.

الإمام السابع عشر الملك سعود بن عبد العزيز (١٩٥٣-١٩٦٤) عزل من منصبه وتوفي في المنفى.

الإمام الثامن عشر الملك فيصل بن عبد العزيز (١٩٦٤-١٩٧٥) إغتاله إبن أخيه فيصل بن مساعد.

الإمام التاسع عشر الملك خالد بن عبد العزيز (١٩٧٥-١٩٨٢) توفي وهو إمام.

الإمام العشرون، الملك فهد بن عبد العزيز لا يزال في منصبه.

يبرز من هذا السجل أن بين الأئمة الستة المقتولين واحد إغتاله شخص غريب (عبد العزيز بن محمد)، وآخر أعدم في الأستانة (عبد الله بن سعود) وأربعة قتلهم أقاربهم من آل سعود (تركي إبن عبد الله، ومشاري إبن عبد الرحمن، وعبد الله إبن ثنيان الذي مات في سجن فيصل إبن تركي، والملك فيصل إبن عبد العزيز).

وبين الأئمة المعزولين الستة فقد عزل محمد علي باشا الإمام فيصل إبن تركي (في دور إمامته الأولى)، واستلم الإمام الرابع عشر عبد الله إبن فيصل لآل رشيد ومات في حائل، وتنازل عبد الرحمن إبن فيصل لابنه عبد العزيز. أما الأئمة الثلاثة الآخرون وهم خالد بن سعود، وعبد الله إبن فيصل (في دور أمامته الأولى)، والملك سعود إبن عبد العزيز فقد عزلهم أقاربهم من آل سعود.

يتبيّن من هذا التاريخ أن الغدر والفتك بالأخ والعم وأبناء الأخ وأبناء العم طمعاً بالحكم سمة ملازمة لمسيرة العائلة السعودية.

ونلاحظ أن هذه الصراعات العائلية الحادة حول الأمامة ثم الملك استمرت واستفحلت مع وجود عدو خارجي يهدد البلاد. وظهر دائماً إستعداد لدى أفراد من آل سعود للتعاون مع قوى أجنبية لأقتناص الحكم. فقد تعاون الإمام الثامن خالد إبن سعود الكبير مع الإحتلال المصري وتعاون الإمام فيصل إبن تركي مع الدولة العثمانية، وتعاون الملك عبد العزيز مع بريطانيا لتوسيع ملكه، وتعاون «الأمراء الأحرار» مع الرئيس جمال عبد الناصر، كما تعاون معه الملك سعود بعد عزله من الملك.

كما نرى أن العائلة السعودية عجزت طول تاريخها عن صدّ أي هجوم خارجي. فقد اجتاحت الجيوش المصرية الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج وبسطت سلطانها عليها في زمن محروم من المواصلات الحديثة كان فيه الجنود يقطعون هذه الصحاري مشياً على الأقدام. ولولا تدخل الدول الأجنبية ضد والي مصر محمد علي باشا، لسياسات لا علاقة للجزيرة العربية بها، لاستقرّ الحكم المصري في الحجاز ونجد والأحساء. وفي مرحلة أخرى إستولى مدحت باشا والي بغداد على الأحساء وبقي فيها إلى قبيل الحرب العالمية الأولى.

ولا يبدو الآن أن الدولة السعودية الحالية أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها دون مساعدة أجنبية.

## الدعوة الوهابية كحركة سلفية

تولى آل سعود الدعوة الوهابية في نجد وهي محيط إسلامي صرف ليس فيه سكان غير مسلمين، وتوسع حكمهم بالقوة والبطش في مناطق إسلامية خالصة (نجد والحجاز وتهامة وعسير والأحساء) وعلى شعوب إسلامية سنية وشيعية ليس فيها مسيحي أو يهودي أو وثني.

وقد فشل الوهابيون باستمالة أية جماعة إلى مذهبهم بالطرق السلمية والاقناع بين الشعوب الإسلامية سواء في الجزيرة العربية أو في الشمال العربي المتحضر نسبياً أي في العراق وبلاد الشام ومصر ورفضتها تلك الأقوام فبقيت الوهابية، وبالتالي حكم آل سعود، محصورة في بعض مناطق الجزيرة التي فُرضت عليها بالقوة معزولة عن التطورات الحضارية في مجالات العلم والفكر في جوارها العربي والعالم الأبعد. ولا يغير من هذا الواقع أنهم تغلبوا على قوات عثمانية ضمن الجزيرة العربية، وتسللوا إلى كربلاء ونهبوها وقتلوا سكانها، وإلى جوار عمان في الأردن، وإلى بصرى قرب دمشق في غزوات سريعة دامت أياماً معدودة كان السلب والنهب من أغراضها الرئيسية.

ونرى أنه في المرحلة من تاريخ آل سعود ما بين ١٧٤٥ إلى ١٨٨٧ كان أول ما فعله الشيخ محمد إبن عبد الوهاب بعدما تحالف مع محمد إبن سعود أنه دعا اتباعه للجهاد والغزو وحضهم عليه[٤٣]. فبدأوا يغيرون على القرى والقبائل المجاورة للدرعية واعتبروا كل مسلم سني لا يقبل دعوتهم كافراً وأباحوا دمه وماله. وهكذا أصبح العنف الطريقة الوحيدة لنشر الدعوة الوهابية في محيط الجزيرة العربية.

وبسبب ذلك لاحظنا إنحسار الدعوة الوهابية في كل مناسبة تضعف فيها السلطة السياسية لآل سعود. فقد تقبل سكان نجد الغزو المصري مرتين في بداية القرن التاسع عشر وساعدوه على الإمام الوهابي كما تقبلوا حكم آل رشيد دون تذمر وهم غير وهابيين. وهذا يثبت الحقيقة التاريخية بأن العقيدة الدينية التي

تفرض على الناس بحد السيف تذروها الرياح بمجرد رفع السيف عن الرقاب. وعلل السيد حافظ وهبه إنحسار الدعوة الوهابية «بأنها لم تستحوذ على قلوب الناس».

لكن الوهابيين نجحوا في عزل محيطهم عزلة تامة فلم يتأثروا بمحاولات التوفيق التي قام بها المصلحون في مصر في القرن التاسع عشر كما لم يتأثروا «بعصر التنور» الذي عم العالم الأوروبي، فابقوا مجتمعهم في حالة بداوة متأخرة.

## مراجع الفصل الرابع

## التوسع العسكري السعودي


١ - إبن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر، ج ٢، ص ٦٣٦و٦٣٨.
٢ - إبن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٢-٢٦٧.
٣ - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٥٩-٢٦٠.
٤ - قاموس «المنجد».
٥ - عبد الرازق، علي، الإسلام وأصول الحكم، ص ١٢١ نقلاً عن ابن خلدون.
٦ - المصدر السابق، ص ١١٦ و١١٧.
٧ - المصدر السابق، ص ١١٦.
٨ - أبو عليه، عبد الفتاح، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، ص ١٦.
٩ - المصدر السابق، ص ١٩ و٢٠.
١٠ - المصدر السابق، ص ١٢.
١١ - المصدر السابق، ص ٢٣.
١٢ - المصدر السابق، ص ٢٤.
١٣ - المصدر السابق، ص ٢٥.
١٤ - إبن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٠٦.
١٥ - المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٧٢.
١٦ - إبن بشر، عثمان، سبق ذكره، ص ١٢١-١٢٢.
١٧ - المصدر السابق، ص ١٢٣.
١٨ - غالب، محمد أديب، إخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، ص ٩٣.
١٩ - المصدر السابق، ص ١١٦ و١١٨.
٢٠ - السعدون، خالد، العلاقات بين نجد والكويت.
٢١ - المختار، صلاح الدين، سبق ذكره، ج ١، ص ١١٠.
٢٢ - الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٣٩.
٢٣ - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص ١٦٠.
٢٤ - ابن بشر، عثمان، سبق ذكره، ص ١٦٠.

٢٥ - الريحاني، سبق ذكره، ص ٧٧.
٢٦ - أبو عليه، عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ص ٢٤.
٢٧ - المصدر السابق، ص ١٠٩.
٢٨ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ٩٥.
٢٩ - أبو عليه، عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ص ٤١.
٣٠ - المصدر السابق، ص ٨٢.
٣١ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ٩٥.
٣٢ - أبو عليه، سبق ذكره، ص ١٣٠.
٣٣ - المصدر السابق، ص ١١٢.
٣٤ - Encyclopedia Brittanica, Trucial Coast.
٣٥ - من تقرير المعتمد البريطاني في الخليج عام ١٨٥٠.
٣٦ - أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت، ج ١، ص ١٤٤.
٣٧ - Philby, Harry St. John, Saudi Arabia, p. 159
٣٨ - وهبة، حافظ، خمسون عامة في جزيرة العرب، ص ٢٤٠.
٣٩ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ٩٩.
٤٠ - المصدر السابق، ص ٣٠٤ و٣٠٥.
٤١ - المصدر السابق، ص ٢٩٦.
٤٢ - المصدر السابق، ص ٢٩٧.
٤٣ - إبن بشر، سبق ذكره، ص ١٤.

## الفصل الخامس

# آل سعود في المنفى ١٨٨٧ ـ ١٩٠٢

توفي الإمام عبد الله الفيصل في حائل عام ١٨٨٩ فانتقلت الإمامة الوهابية وزعامة آل سعود إلى أخيه عبد الرحمن الذي بقي في الرياض. وقد حاول عبد الرحمن إستعادة السيطرة على البلدة من حاكميها الشمري سالم السبهان فحصلت مناوشات بينهما في الرياض وحولها انهزم فيها عبد الرحمن في أوائل ١٨٩١ وهام على وجهه مع عائلته وفي رواية أخرى أنه نمي إليه أن سالم السبهان ينوي قتله مع سائر آل سعود فاشتبك معه ثم غادر الرياض.

تبع ذلك فترة مشوشة. فقد قصد عبد الرحمن بني مرّة في أطراف الربع الخالي وأقام بينهم مدة ثم أرسل نساءه إلى البحرين للإقامة عند الشيخ عيسى آل خليفة.

وأقام هو في الأحساء مدة ثم إستضافه حاكم قطر أربعة أشهر في نهاية ١٨٩٢. ثم عاد إلى الأحساء وبقي يسعى مع الدولة العثمانية ويستعطفها حتى سمحت له بالإقامة في الكويت وهو ما كان يتمناه فوصلها مع عائلته في تاريخ غير مؤكد ما بين ١٨٩٣ و١٨٩٦.

وعيّنت له الدولة العثمانية معاشاً شهرياً ستين ليرة ذهبية لم تكن تدفع له بانتظام. وبقي آل سعود في حالة فقر شديد.

## آل سعود في الكويت

لم يكرم الشيخ مبارك الصباح ضيافة آل سعود في الكويت فسكنوا ثلاث غرف من طين في أحد ازقة الكويت الحقيرة القذرية من البحر ذات الروائح الكريهة [4]. فالكويتيون لم ينسوا الغزوات الوهابية ضدهم عندما كان آل سعود قادرين.

كان الإمام عبد الرحمن يميل ضمناً إلى الشيخ محمد بن صباح والى صهره يوسف الإبراهيم فلما استولى الشيخ مبارك على الحكم بعد مقتل محمد وأخيه جراح زادت الشقة بينهما[2]. لكن ابنه عبد العزيز كان معجباً بشخصية الشيخ مبارك وكان يتردد على مجلسه. «ويبدو أن أول ما جذب الشاب إلى الشيخ الكهل هو سحر شخصيته إذ كان مبارك محدثاً لبقاً بارع النكتة غني التجارب حافظاً لأخبار التاريخ فحرص عبد العزيز لذلك على حضور مجالسه وسماع أحاديثه. وسُرّ الرجل لأنه وجد مستمعاً شديد الأنصات لما يروي. وتطور هذا السرور إلى إهتمام حين لاحظ علائم النجابة على ضيفه الشاب»[3].

## صفات الشيخ مبارك (١٨٩١ ـ ١٩١٥)

يقول عبد العزيز الرشيد مؤرخ آل صباح[4] مبارك هو الكويت بأسرها، وهو الذي رفعها على ما سواها من أترابها وإطار صيتها في سائر الأقطار، فيه اشتهرت وبه زهت. وكان عصرها في يومه عصر الأمن والدعة، عصر القوة والهيبة، أصبحت درّة في تاج الخليج العربي وامتدت اسطورتها في الفيافي والقفار، وصارت تساوي البصرة في الشهرة.

أما أمين الريحاني المعجب بآل سعود فقد قال فيه[5]: كان حاد المزاج شديد البأس كثير التقلب فيه شيء من الأسد وأشياء من الحرباء. بدوي الطبع حضري الذوق، تارة يجبه الخصم وطوراً يجامله. كان كريماً جواداً بل كان مسرفاً. يحب نواعم العيش ويقدمها على كل شيء إلا حبه للمجد والسيادة. كان أميراً مجيداً

لقب «بالحذاقة» أي من يلف ويدور. نصف عمله سرّ والنصف الآخر خدعة (لعل ذلك لأنه محاط بقبائل وحكام أكثر عدداً وأوسع أرضاً كعشيرة المنتفق وآل رشيد وآل سعود). لاعب العشائر وغالبها وما كان دائماً من الفائزين. خطب ودّ الدولة العثمانية فماشته ثم انقلبت عليه. وغازل الدولة البريطانية فحمته من الطامعين. أحب آل سعود نطوقهم بذراعيه - أنتم أعز من أولادي - ثم ضرب بهم عدوه إبن الرشيد. أحب العجمان ثم حاربهم ثم اشعلهم حرباً على ابن سعود. (انتهى الريحاني).

لقد تبسطنا في وصف الشيخ مبارك نظراً للدور الكبير الذي لعبه في مصير آل سعود إلى حين وفاته عام ١٩١٥. فقد كان آل سعود خلال أقامتهم في الكويت مدة سبعة أو ثمانية أعوام تحت أمرته يوجههم للغزو حيث يشاء خدمة لمصالحه. « وبعدما استولى عبد العزيز على الرياض عام ١٩٠٢ بقي محتاجاً الى المساعدات الكويتية لتوطيد حكمه ودامت هذه الفترة التي يسميها خالد السعدون «مرحلة التحالف المطلق » إلى عام ١٩٠٤[٦] بقي فيها عبد العزيز يتصرف بما لا يخالف مصالح الشيخ مبارك، تلتها مرحلة «الإختلاف ضمن إطار التحالف» دامت إلى حين وفاة الشيخ مبارك عام ١٩١٥.

لقد كانت مجالس الشيخ مبارك بالنسبة للشاب عبد العزيز مدرسة تلقى مما يدور فيها من أحاديث، خبرة وتجارب في طريقة التعامل مع العرب والأجانب «ولعل أهم درس وعاه هو الحذر عند التعامل مع القوى الدولية والنظر بعين الإعتبار لمركز بريطانيا المتفوق في الخليج»[٧].

وليس من المستبعد أن يكون مبارك قد رأى في عبد العزيز عنصراً يستطيع الإستفادة منه مستقبلاً، كما أن عبد العزيز حرص على صداقة مبارك أملاً في الحصول على عونه ودعمه في تحقيق أماله. وهكذا كانت علاقة الرجلين مزيجاً من الصداقة والمنفعة المتوقعة.

## سياسة مبارك

كان الشيخ مبارك يعتقد أن سلامة الكويت تقتضي أن يبقى وسط الجزيرة مقسماً وموضع تنازع بين قاتليها فلا تظهر فيه قوة مسيطرة سواء كانت آل رشيد في حائل أو آل سعود في الرياض. ويقي هذا المبدأ الركن الأساسي الذي لا يتحول في تعامله مع القوى المحيطة به وهو يفسر تصرفاته وتحالفاته المتقلبة.

لذلك لم يكن مرتاحاً لإستيلاء إبن رشيد على الرياض وبسط سيطرته على سائر نجد فعمد إلى مقاومته بتبادل الغزوات وبتقريب عبد العزيز آل سعود إليه واشراكه بغزواته على حائل ثم بمساعدته على إحتلال الرياض وانتزاعها من آل رشيد.

وقد توثقت العلاقة الشخصية بين الكهل والشاب فكان مبارك يخاطب عبد العزيز ويكاتبه بقوله «ولدي»، وكان عبد العزيز يبدي له إحتراماً فائقاً ويخاطبه باسم «والدي». واستمر على ذلك رغم ما بدا بينهما من إختلافات سياسية لاحقة حتى وفاة الشيخ مبارك عام ١٩١٥[٨].

يضاف إلى ذلك أن إقامة عبد العزيز في الكويت الميناء المفتوح على العالم الخارجي، أثرت في شخصيته فصار أكثر مرونة في التعامل مع الآخرين ومع الأحداث مما لو عاش تلك السنوات الت في بيئة نجد المغلقة. كما أنها افادته في تبيّن أهمية الكويت الأقتصادية في المنطقة والتأثير السياسي الذي تمتعت به في المناطق المجاورة[٩].

أثناء إقامتهم في الكويت كان آل سعود يلحّون على الشيخ مبارك بتأييدهم لإستعادة سلطتهم في نجد ويمنونه بوقوف أنصارهم الكثيرين في نجد إلى جانبه حين يسلك ذلك السبيل[١٠].

وكان العداء مستفحلاً بين آل رشيد وآل صباح. فعندما توفي محمد بن رشيد عام ١٨٩٨ أوصى خلفه عبد العزيز الرشيد بمقاومة مبارك الصباح باعتباره العدو الأول الباقي لأسرتهم[١١].

كان عبد العزيز بن متعب الرشيد شاباً قوي العزم يميل إلى القوة في تعامله السياسي[١٢]. فاتجه لحسم علاقته مع الكويت مدفوعاً بعدة عوامل: منها تقريبه ليوسف الأبرهيم عدو الشيخ مبارك واستماعه إلى نصائحه، وطمعه بالاستيلاء على الكويت وثروتها التجارية، وحاجة أراضي شمر الواسعة لمنفذ بحري، وتخوفه من عودة آل سعود إلى الرياض بمساعدة الشيخ مبارك وهم مقيمون عنده. وكان تخوفه هذا في محله إذ أن مبارك إستفاد من وجود آل سعود لديه فشاركهم في غزواته ضد آل رشيد.

من ذلك أن الإمام عبد الرحمن إتجه إلى أقليم سدير في خريف ١٩٠٠ واغار على قبيلة قحطان الموالية لإبن رشيد كما قام في نفس الوقت رجال من المنتفق وقبائل أخرى مقيمة شمال الكويت بغزو أراضي تابعة لحائل. ورد عبد العزيز الرشيد على ذلك بحشد نحو عشرة الآف مقاتل توجه بهم ضد شيخ المنتفق الذي انسحب إلى ما وراء الفرات. وطلب هذا النجدة من الشيخ مبارك فسار إليه مصطحباً عبد الرحمن وعبد العزيز آل سعود إلا أن الأصطدام لم يحصل لأن القوات العثمانية فصلت بين الجيشين ثم أجرت تسوية بينهما في البصرة وانسحبت الجيوش إلى بلادها. إلا أن مبارك أرسل إبن سعود وابنه مع فرقة فتعقبوا جيش إبن رشيد وأغاروا على مؤخرته غارة لم تسفر عن شيء[١٣].

### معركة الصريف، فبراير ١٩٠١

لم يدم الهدوء الذي أعقب تسوية البصرة الأحوالي شهر انصرف مبارك خلاله إلى حشد قوة كبرى إستعداداً لمهاجمة إبن رشيد في دياره وانجده حليفه سعدون المنصور من العراق، وجنّد القبائل المحيطة بالكويت، والحق بجيشه آل سعود وآل سليم وآل مهنا أمراء بريدة وعنيزة واتباعهم من النجديين المقيمين في الكويت كما استمال العجمان وقبائل اخرى فتألف جيش من نحو عشرة الآف مقاتل[١٤].

وصلت الحملة في فبراير ١٩٠١ إلى قرب القصيم فاستقبلها زعماء المنطقة ومنحوا تأييدهم لمبارك.

كان غرض الشيخ مبارك من أصطحاب آل سعود وآل سليم وآل مهنا معه توجيههم لإحتلال الرياض وعنيزه وبريدة ليشغلوا الشمريين عنه. ونجحت الخطة في بادىء الأمر فاحتل آل سليم وآل مهنا بريدة وعنيزة. وهاجم عبد العزيز الرياض فتحصن أميرها عبد الرحمن إبن ضبعان في قصرها. فشرع عبد العزيز بحفر خندق يصل إلى القصر لينسفه بالبارود.

جرت المعركة الرئيسية بين الجيشين في الصريف في السابع عشر من مارس ١٩٠١. وابتدأ عبد العزيز الرشيد بالهجوم. وقبل إنتهاء النهار كانت قوات مبارك قد انهزمت هزيمة شنيعة ولم ينجُ مبارك شخصياً إلاّ بجهد كبير. ولما بلغت أخبار المعركة الرياض سارع عبد العزيز إلى فك الحصار والأنسحاب وكذلك فعل أميرا بريدة وعنيزة.

وكان إبن رشيد قاسياً متشفياً فقتل جميع الأسرى وسار إلى البلدان النجدية التي رحبت بالحملة الكويتية فنكل برؤسائها ونزع السلاح من أهلها وفرض عليهم الضرائب الفادحة(١٥).

كانت نتيجة معركة الصريف إن إبن رشيد فرض سيطرته على كل التخوم المحيطة بالكويت إضافة إلى سيطرته التامة على نجد فانتكست آمال آل سعود وتأثر بذلك إقتصاد الكويت المعتمد على التجارة تأثراً بليغاً حيث أصبحت الطرق التي تصلها بالداخل تحت رحمة إبن رشيد(١٦).

وفي خريف تلك السنة (١٩٠١) غزا إبن رشيد الكويت فاستنصر الشيخ مبارك بسعدون باشا شيخ المنتفق الذي لبّاه كما استنصر بالإنكليز. رأت بريطانيا في نجاح آل رشيد تعزيزاً واضحاً للنفوذ العثماني وانتقاصاً لهيبتها في الخليج مما قد يساعد على تحقيق المشروع الألماني الذي بدأ يدور اللغط حوله ويرمي إلى مدّ خط حديدي من برلين إلى بغداد تكون نهايته على الخليج في الكويت بحيث

بسهل نقل الجيوش الألمانية من وسط أوروبا إلى شاطيء الخليج لتهديد مواصلات بريطانيا مع الهند.

وكان لبريطانيا اسطول في الخليج وبارجة راسية أمام الكويت. فلما اقترب الغزو الشمري نصبت بريطانيا مدافعها في البر إضافة إلى مدافع الأسطول. وكان الشيخ مبارك قد حصن المدينة وبنى خندقاً حولها. فحاصرها إبن رشيد لكنه لم يستطع دخولها واكتفى بنهب ثمانية الاف من الغنم والفين وسبعمائة من الأبل للكويتيين. وأتلف كثيراً من مزارعهم وبساتينهم ثم انسحب وعسكر قريباً من الكويت.

## الإنكليز والعثمانيون يتفقون على استمرار «الوضع الراهن» في الكويت

بعد معركة الصريف همت الحكومة العثمانية بضم الكويت باعتبارها قائمقامية تابعة لمتصرفية البصرة وخيّرت الشيخ مبارك بين ثلاثة أمور: أما أن يسافر إلى الإستانة فيعيّن عضواً في مجلس الشورى، أو يسكن في أية بلدة عثمانية يختارها والحكومة تقوم بما يحتاجه، أو تستولي الدولة على الكويت بالقوة[١٧]. وكان الشيخ مبارك ينكر حتى ذلك التاريخ أن تكون بينه وبين بريطانيا معاهدة حماية فلما تلقى التهديد العثماني اضطر إلى إعلان المعاهدة فانذر القائد البريطاني الوفد العثماني الذي جاء من البصرة بالرحيل. ثم اتفقت الحكومتان البريطانية والعثمانية على إبقاء الوضع الراهن على حاله فيما يتعلق بالكويت[١٨]. لكن التوتر استمر بين مبارك والحكومة العثمانية فارسلت بريطانيا خمس سفن حربية رابطت أمام الكويت، وضغطت على وزارة الخارجية العثمانية التي لم ترغب بالتورط في صدام مع بريطانيا بسبب خلافات قبائل فطلبت من إبن رشيد العودة إلى بلاده وقدمت له ترضية مالية مقدارها أربعة الآف ليرة ذهبية.[١٩]

بقيت قضية الخط الحديدي تتفاعل. ففي عام ١٩١٠ زار قنصل المانيا في

الأستانة مدينة الكويت وغرضه البحث عن موضع صالح لنهاية خط حديد برلين - بغداد، وقد رفض الشيخ مبارك العرض الألماني لإرتباطه بمعاهدة مع بريطانيا تمنعه من أن يبيع أو يؤجر شيئاً من أراضي الكويت قبل إستشارة حليفته.

عندها حرض الألمان الاتراك فاستولوا على جزيرة بوبيان الواقعة عند مصب شاطيء العرب وحصنوها وبقيت بيدهم إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. وجزيرة بوبيان هي نفسها التي طالب العراق بملكيتها أو استئجارها قبل إنشغاله بالحرب القائمة مع إيران ليجعل فيها مصب أنابيب بتروله نظراً لإنفتاحها على مياه الخليج وسهولة وصول السفن الكبيرة إليها.

## آل سعود والعثمانيون أيام النفي

تبين العلاقة بين الطرفين من رسالتين كتبها الإمام عبد الرحمن بن فيصل من الكويت إلى السيد رجب النقيب نقيب اشراف البصرة يطلب منه التوسط في أمره لدى متصرف البصرة.

كتب الرسالة الأولى يوم خروجه بالحملة مع الشيخ مبارك الصباح ضد آل رشيد عام ١٩٠١ وقال فيها: «ما يخفى عليكم قدم خدماتنا للدولة العلية أدامها رب البرية من وقت الآباء والأجداد وتعديات إبن رشيد على بلداننا وعشائرنا. وبسبب ظلمه لهم أكثر علينا أهل نجد الإلحاح أن نتوجه لإنقاذهم منه وقد لبينا طلبهم. فنرجو منكم أن تترحموا لنا من حضرة والي البصرة وتعلموه سبب قيامنا ونحن خدام الدولة وعلى هذا عهد الله وميثاقه أننا لا نزال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين أدام الله مجده وعزه»[٢٠]

أما الرسالة الثانية فقد كتبها الإمام عبد الرحمن عندما غادر الكويت للإلتحاق بابنه عبد العزيز بعدما احتل الرياض وتاريخها صفر ١٣٢٠ (١٩٠٣) قال فيها: «قبل هذا أرسلنا لكم كتاباً شرحنا فيه أحوالنا. اننا خدام محسوبون على الدولة العلية. ولما صار علينا ما صار من غدر إبن رشيد لم نلتجأ إلى أحد إلاّ

إلى الله تعالى ثم إلى عدالة أمير المؤمنين أدام الله مجده. وقد طالت المدة علينا وأخذنا ننتظر تعطفاته الملوكية بأن نعطى من المعاش ما يقوم بأحوالنا وننصف ممن ظلمنا فلم يحصل لنا من أمالنا إلاَّ هذا المعاش القليل الذي لا يقوم ببعض أحوالنا. ومع ذلك لم يحصل لنا فيه شيء كل خمسة أشهر أو ستة أو شهرين. فلما ضاقت بنا الحال وتراكمت الديون علينا لم نعد نجد في الكويت ما نعيل به أنفسنا وأطفالنا واتباعنا فتوجهنا إلى بلدتنا وعشائرنا. ونحن في كل حال ومكان لا نزال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين بأذلين الجهد فيما يحصل به رضاه، متنادين إلى أوامر الدولة العلية. فترجو من مراحم وتفضلات وإحسان حضرة أمير المؤمنين أن ينظر إلى وضعنا ويرفع عنا تعديات إبن رشيد وإجراء ما تفضل به من معاش»[٢١].

وروى السيد عبد العزيز الرشيد قول البعض في الكويت إن الإمام عبد الرحمن عندما هم بالخروج من الكويت كتب بمثل ذلك إلى المقيم البريطاني في بوشير يرجو فيه أن تضع الحكومة البريطانية أنظارها عليه وأن تشمله بعطفها ويخبره أن السفير الروسي في بغداد عرض عليه إستعداد حكومته لتقديم المساعدات التي يحتاجها وتلبية جميع طلباته لكنه رفض ذلك رغبة منه بالحكومة البريطانية[٢٢].

لا بد هنا من ملاحظة التبدل الذي أصاب آل سعود في برهة قصيرة. فبعد أن كان الإمام الوهابي يتهم الخليفة العثماني بالكفر، ويمنع المحملين المصري والشامي من دخول مكة بالموسيقى والجند، وينهب الحجرة النبوية، وينكل بالمسلمين الذين لا يتبعون الدعوة الوهابية، أصبح الآن يعتبر نفسه خادماً لأمير المؤمنين الحنفي يستجدي رضاه واحسانه.

## مراجع الفصل الخامس

## آل سعود في المنفى


١ - Lacy, Robert, the Kingdom, p. 33.
٢ - حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، ص ١٧ و١٨ .
٣ - السعدون، خالد، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٦٦ .
٤ - الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١٤٦-١٤٧ .
٥ - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص ١٠٩ و ١١٠ .
٦ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٦٣ .
٧ - المصدر السابق، ص ٦٧ .
٨ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ١٥١ و١٥٢ .
٩ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٦٨ .
١٠ - المصدر السابق، ص ٥٤ .
١١ - الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١٦٠ و٢٠٩ .
١٢ - حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص ٣٥٤ .
١٣ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٥٠ .
١٤ - المصدر السابق، ص ٥٣ .
١٥ - الريحاني، سبق ذكره، ص ١١٩ .
١٦ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ٦٢ .
١٧ - المصدر السابق، ص ٦١ .
١٨ - المصدر السابق ص ٦٢ .
١٩ - المصدر السابق، ص ٦٢ .
٢٠ - الرشيد، عبد العزيز، سبق ذكره، ص ١٦٢ (الهامش) .
٢١ - المصدر السابق، ص ١٧٩ .
٢٢ - المصدر السابق، ص ١٧٩ .

## الفصل السادس

# عودة آل سعود، عبد العزيز بن عبد الرحمن
# قيام الدولة السعودية الجديدة

رأينا أن إبن رشيد أقام بجوار الكويت مدة من الزمن حتى أقنعه الإتراك بالإنسحاب. ورأى الشيخ مبارك الفرصة مناسبة لإنهاك خصمه. فقوات حائل أبعد ما تكون عن الرياض موجهة إهتمامها نحو الكويت، وحامية الرياض مطمئنة لا ترى خطراً يتهددها، والظروف مناسبة لأن إبن رشيد غضب على أهل الرياض وعنيزة وبريدة لفتح أبوابهم أمام آل سعود ومنها وسليم قبل معركة الصريف ففرض عليهم ضرائب فادحة نفرتهم منه.

لذلك لبى الشيخ مبارك رغبة عبد العزيز آل سعود بمفاجئة الرياض فمنحه «أربعين ذلولاً وثلاثين بندقية ومائتي ريال وبعض الزاد»[1]. ورافق عبد العزيز أخوه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي وبعض أتباعيم وعددهم نحو أربعين رجلاً.

### احتلال الرياض ١٩٠٢

سارت الجماعة متخفية حتى وصلت ضواحي الرياض وغافلت حراسها ليل ١٥ يناير ١٩٠٢ ودخلت المدينة خلسة وقتلت قائد الحامية الشمري عبد الرحمن إبن ضبعان فاستسلم رجاله وخضعت الواحة لآل سعود.

وكان عبد العزيز عندما تقدم به السن يرتاح إلى التبسط في الحديث عن هذه الغزوة تاركاً خياله العنان بحيث رواها للعديد من زواره العرب والأجانب على عشرين صورة فاختلط الواقع بالخيال وضاعت الحقيقة إلى الأبد[٢].

كان أول عمل أتاه عبد العزيز أرساله ناصر بن سعود إلى الشيخ مبارك مبشراً وطالباً المدد[٣]. كما أعلم حاكم البصرة بأنه سيحكم الرياض باسم السلطان العثماني[٤] ليحول دون مساعدة الدولة العثمانية لابن رشيد.

لبى الشيخ مبارك طلب المعونة ونصح عبد العزيز ببناء سور حول الرياض ففعل. ويقول عبد العزيز الرشيد[٥]: «في ذلك الوقت كان الشيخ مبارك ركن عبد العزيز الأعظم الذي عليه يعتمد فتراه يبعث إليه الأمدادات بسخاء وكرم ويخرج إليه الحملات الواحدة تلو الثانية، والقافلة أثر أختها تحمل الأطعمة والذخيرة، فانتصار عبد العزيز على ابن رشيد هو انتصار للشيخ مبارك على خصمه ونجاح لخططه ولسياسته». والحقيقة أن مساعدات مبارك كانت حيوية لعبد العزيز في ذلك الوقت لأن الكويت كان صلته الوحيدة بالعالم الخارجي.

عبد العزيز ينتزع الامامة من والده

بعد ذلك انتزع عبد العزيز لقب الإمامة من والده عبد الرحمن واتخذها لنفسه. ولم يعارضه والده بذلك. وقد رويت روايات كثيرة عن أن عبد العزيز لم يغتصبها وأن والده أصرّ عليه بذلك فقبلها مكرهاً بشرط أن يبقى أبوه مشرفاً على سير الأمور. وقد تكون هذه الروايات صحيحة أو لا تكون لكن الواقع هو أن الإمامة انتقلت إلى عبد العزيز في حين كان عبد الرحمن لا يزال صحيح الجسم والعقل.

## ما بين آل عثمان وآل وندسور

قبل أن نتابع تطورات عهد عبد العزيز الذي تأرجح من عام ١٩٠٢ إلى

عام ١٩١٥ ما بين انتصار وهزيمة دون حسم واضح في الحروب القبلية التي دارت خصوصاً بين آل سعود وآل رشيد، يحسن بنا أن نتعرض علاقة عبد العزيز بالقوى الفاعلة في الجزيرة العربية. فقد أدرك عبد العزيز بعد إستيلائه على الرياض أن لا سبيل لترسيخ سلطته وتوسيع رقعته الا بالتعاون مع إحدى الدولتين اللتين تؤثران في مجرى أحداث الجزيرة وتموّلان الفرقاء المحليين المتصارعين بالسلاح والعتاد والمال وهما الأمبراطورية العثمانية والأمبراطورية البريطانية.

كانت الأمبراطورية العثمانية تسيطر على المشرق العربي بكامله بما فيه الجزيرة العربية وتبسط سيادتها على الحجاز وعسير ونجد واليمن والأحساء متعاونة مع حكام محليين كآل الرشيد في حائل وجبل شمر، والشريف حسين إبن علي في الحجاز والادارسة في عسير والإمام يحيي حميد الدين في اليمن.

أما بريطانيا فحصرت إهتمامها بشواطىء الجزيرة العربية لتأمين خطوط مواصلاتها البحرية إلى الهند واهملت ما يجري في صحارى الجزيرة الداخلية. وزاد اهتمامها بالشواطىء بعد فتح قنال السويس سنة ١٨٦٩ ثم بعد إحتلالها لمصر سنة ١٨٨٢.

في المجال الدولي كانت سياسة الدولتين البريطانية والعثمانية منسجمة إلى حد كبير. فقد دافعت بريطانيا عن كيان الأمبراطورية العثمانية وسيادتها وتماسك أجزائها لتقف حائلاً دون إمتداد الأمبراطورية الروسية جنوباً. وقد رأينا كيف أحبطت بريطانيا ودول أوروبية أخرى مطامح محمد علي باشا والي مصر وادّت إلى إنسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية ومن بلاد الشام عام ١٨٤٠.

وبقي المبدأ الرئيسي للسياسة البريطانية في الجزيرة العربية الإعتراف بالسيادة العثمانية وعدم الأنغماس داخل الجزيرة بالخلافات والمنازعات القبلية. وقد التزمت بريطانيا بهذه السياسة بحزم تاركة شئون الجزيرة، عدا الشاطىء المتصالح، للإدارة العثمانية إلى أن دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا سنة ١٩١٥ فسارعت بريطانيا تفتش عن حلفاء لها في الحجاز ونجد.

تجاه السياسة البريطانية الممالئة لآل عثمان والمتعاونة معهم، وجد عبد العزيز مجال المناورة ضيقاً خصوصاً وأن آل رشيد كانوا الحلفاء التقليديين للعثمانيين في وسط الجزيرة. ومع ذلك لم يكفّ عن السعي ليحصل على مرتبة مساوية لشيوخ الشاطىء المتصالح. فقد كتب والده للمعتمد البريطاني في مايو ١٩٠٢ بعد الإستيلاء على الرياض يعرض أن يدخل في نطاق ترتيبات هؤلاء الشيوخ فيقبل الحماية البريطانية ويتخلى عن السياسة الخارجية ويستقبل ممثلاً بريطانياً يقيم في الرياض لقاء إعانة مالية سنوية وحمايته من العثمانيين ومن أعدائه في نجد[٦].

وعاد عبد العزيز يحاول اكتساب الإنكليز عن طريق التلويح بالخطر الروسي إذا ابلغ الإنكليز عن طريق الشيخ مبارك في مايو ١٩٠٤ نص رسالة وصلته من الروس عام ١٩٠٣ يعدونه بكل مساعدة يحتاجها ويلمح للانكليز بأنه قد يضطر إلى القبول بذلك إذا لم تنجده بريطانيا[٧].

لم ينجح هذا التهديد الودي المبطن لأن بريطانيا لم تجد لها فائدة من علاقة كهذه مع عبد العزيز تورطها في صراع مع الاتراك وليس في صحاري نجد ما يغريها عدا أنه كان بوسع تركيا الرد على عمل كهذا بخلق مشاكل لبريطانيا في الشرق الأوسط وأوروبا هي بغنى عنها. لذلك بقيت عروض عبد العزيز دون ردّ. ونتابع فيما يلي علاقة عبد العزيز مع الدولتين الكبيرتين إلى أن حصل على ما أراده فدخل تحت الحماية البريطانية في معاهدة القطيف عام ١٩١٥.

نعود إلى تطور الأحوال الداخلية في نجد.

لم يبقَ إبن رشيد مكتوف اليدين أمام الحليفين مبارك وعبد العزيز فتحرك في أواخر ديسمبر ١٩٠٢ نحو الكويت لكن الحكومة العثمانية تقيدت باتفاقها مع بريطانيا على إحترام الوضع الراهن في الكويت فاكتفى إبن رشيد بغزو بعض القبائل على أطرافها. ويبدو أن مبارك استنجد بعبد العزيز الذي وصل إلى الكويت في أوائل مارس ١٩٠٣ سواء لنجدة الشيخ مبارك أو بسبب حاجته لسد النقص في ذخيرته كما قال جون فيلبي[٨]. وتشكلت اثر ذلك قوة سعودية ـ

كويتية مشتركة قوامها نحو عشرة الآف رجل من أهدافها مطاردة إبن رشيد المعسكر قريباً من الكويت. ومن الطبيعي أن تمويل هذه القوة وقع على عاتق الشيخ مبارك.

زحفت القوة المشتركة نحو معسكر إبن رشيد ولما لم تدركه اكتفت بالهجوم على قبيلة مطير ورئيسها فيصل الدويش «فغنمت منها أموالاً كثيرة من ضمنها خمسة الآف رأس من الأبل نال عبد العزيز منها خمساية»[٩].

بعد إنتهاء المعركة ورد رسول إلى عبد العزيز يخبره أن إبن رشيد يحاصر الرياض فتوجهت القوة المشتركة نحوها لكن إبن رشيد أسرع بالأنسحاب.

في تلك الأثناء (١٩٠٣) تعززت مكانة الشيخ مبارك في الجزيرة العربية بزيارة حاكم الهند اللورد كورزن للكويت. وقد كانت زيارة محفوفة بالابهة والعظمة وأقام له الشيخ مبارك إحتفالاً عظيماً.

ظلت الحرب سجالاً بين حائل والرياض وتركز الصراع خلال الفترة الممتدة إلى عام ١٩٠٤ حول منطقة القصيم الفاصلة بين البلدين.

## إتكال عبد العزيز على المساعدة الكويتية

إعتمد عبد العزيز في حربه إعتماداً كلياً على مساعدة حليفة مبارك الذي وقف وراءه بكل قوة وأمده بجميع ما احتاجه من سلاح وذخيرة. وأكد ذلك تقرير للوكيل السياسي البريطاني في الكويت نوكس قال فيه «إن إبن سعود لا يستطيع تثبيت نفسه دون مساعدة خارجية. وحيث أنه لا يستطيع طلب المعونة من الاتراك المتحالفين مع إبن رشيد، فليس له ملجأ إلاّ الشيخ مبارك»[١٠].

وقد طال أمد القتال بين الفريقين دون أن يستطيع أحدهما حسمه لصالحه. فقرر العثمانيون مساعدة حليفهم إبن رشيد بصورة فعالة تشمل القوات والسلاح والعتاد والمال. وسارت تلك القوة من بغداد والبصرة وعدة أماكن أخرى في العراق إلى مدينة السماوة على نهر الفرات في أواخر ابريل ١٩٠٤ حيث التقت

بقوات إبن رشيد ورافقتها إلى عنيزة. كما التحق بالقوة أعداد كبيرة من شمر العراق.

التقى الجيشان في وقعات تعرف عند أهل نجد بوقعة البكيرية ووقعة الشنانة وكان الهدف من هذه الحرب الإستيلاء على منطقة القصيم.

### وقعة البكيرية والشنانة ١٩٠٤

اصطدم الجيشان صدمة هائلة في البكيرية فقتل من جيش إبن سعود تسعمئة، وقتل من جيش الإتراك نحو ألف وفيهم أربعة من كبار الضباط، وخسر أهل حائل نحو ثلاثمائة وفيهم إثنان من بيت رشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جابر. وأصيب عبد العزيز آل سعود بشظايا قنبلة في يده. ولم تكن معركة البكيرية فاصلة إذ تعادل الفريقان في الإطابات وفي المنهوبات. وانتقل عبد العزيز الى الرسّ في حين عسكر إبن رشيد في الشنانة. وعرض عبد العزيز الصلح فرفضه إبن رشيد.

التحم بعدها الخصمان في نهاية سبتمبر ١٩٠٤ فانهزم إبن رشيد. وأراد عبد العزيز تعقبه لكن رجاله انشغلوا بنهب أموال الحملة التركية بالإضافة إلى الأبل والغنم. ووجدوا بين تلك الأحمال صناديق ذهب فحملوها إلى عنيزة مقر إبن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله وكانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تتراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بعيراً(١١).

### أسر العرايف

عند إحتلال عنيزة أسر عبد العزيز أولاد عمه الذين كانوا يقيمون عند آل رشيد ويناصبونه العداء لأنهم يعتبرون أنفسهم أحق منه بالإمامة. وتعود هذه الخلافات إلى القتال العائلي الذي نشب بين عمومة عبد العزيز في الثمانيات وأدّى

بن سقوط الدولة السعودية.

وقد عامل عبد العزيز أولاد عمه برفق ودعاهم عرائف وهو تعبير بدوي يعني على الأبل التي يخسرها صاحبها أثر غزوة ثم يستعيدها في غزوة أخرى.

ورغبة منه بإزالة الضغائن مع العرائف، زوج ثلاثة منهم بثلاث من اخواته، وأعطى أخته نورا المحبة إليه لكبيرهم سعود. وسكن العرائف بعد ذلك في الرياض. لكن بعض آل سعود، ومنهم أخو عبد العزيز الأصغر سعد، ظلوا يرتابون بهم. وحصلت محاولة لتسميم عبد العزيز فاتهم سعد العرائف بها. فغضبوا وارتحلوا من الرياض عام ١٩١٠ إلى الاحساء حيث قاموا يحرضون قبائل العجمان على عبد العزيز، ويعتدون على القوافل، ويغزون القبائل الموالية كما كان يفعل فيصل الدويش في الشمال. واستمر العرائف يشكلون شوكة في جنب عبد العزيز ردحاً طويلاً من الزمن إلى أن استسلم سعود الكبير سنة ١٩١٦ وأقام مع أهله في الرياض.

ولا يزال العرايف الى الآن يشكلون أحد مراكز المعارضة في العائلة السعودية خصوصاً بعدما استولى أولاد عبد العزيز على جميع مراكز النفوذ والغنائم في الدولة وحرموهم منها.

## الأتراك يساعدون إبن رشيد

بعد معركة البكيرية والشنانة ذهب إبن رشيد إلى جبل حائل واستنجد مرة اخرى بالاتراك فقرروا مساعدته وأرسلوا إليه حملة بقيادة كبار رجالهم المشير أحمد فيضي باشا الذي جاء من بغداد بثلاثة طوابير، والفريق صدقي باشا الذي جاء من المدينة بطابورين فالتقوا وعسكروا قرب القصيم. ولم تكن الدولة العثمانية تقصد الحرب بل كانت تريد المفاوضة من أجل السلم عن طريق إظهار القوة.

## إتفاق مع العثمانيين عام ١٩٠٥

اتصلت الدولة العثمانية بعبد العزيز إبن سعود بواسطة الشيخ مبارك

ودعته لإرسال والده عبد الرحمن لمفاوضة والي البصرة في الزبير ولبى عبد الرحمن الدعوة ووصل إلى الكويت ومنها إلى الزبير برفقة الشيخ مبارك حيث عقدت الجلسة الأولى من المباحثات في الثامن من فبراير ١٩٠٥.

توصل الفريقان إلى إتفاق تضمن:

١ - إعتراف عبد العزيز بالسيادة العثمانية على نجد.

٢ - إقرار العثمانيين بسيطرته على مناطقه لكن بصفته موظفاً عثمانياً برتبة قائمقام وهي ثاني أدنى رتبة في التسلسل الإداري العثماني.

٣ - تعهد العثمانيون بمنع آل رشيد عن التدخل في شئون إمارة آل سعود.

٤ - تصبح القصيم منطقة عازلة بين آل سعود وآل رشيد وتقيم الدولة العثمانية حامية عسكرية في بريدة وعنيزة للفصل بين الجانبين.

ارتاحت بريطانيا لهذا الإتفاق لأنه أنهى النزاع بين صديقتها تركيا وبين آل سعود أصدقاء آل مبارك المتمتعين بحمايتها دون تدخل ظاهر منها.

أما عبد العزيز الرشيد فقد غضب من هذا الإتفاق، وعمت الفوضى بين أهل القصيم ففريق يريد بقاء الاتراك للتخلص من حكم آل سعود وآل رشيد على السواء، وفريق مع آل سعود، وآخر مع آل رشيد.

## بداية الفراق بين عبد العزيز والشيخ مبارك

تطوران أنهيا مرحلة «التحالف المطلق» بين عبد العزيز والشيخ مبارك. حدث التطور الأول حين لمس مبارك تعاظم أهمية إبن سعود لما طلبت منه الدولة العثمانية أن يتوسط بينها وبينه وهو التوسط الذي انتج إتفاق ١٩٠٥ الذي ذكرناه.

أما التطور الثاني فكان إنتصار عبد العزيز على إبن رشيد في موقعة الشنانة (١٩٠٤) فرأى مبارك أن ميزان القوى في نجد بدأ يميل إلى كفة الأول فازدادت مخاوفه من قوة حليفه(١٢) وهو الذي يرى سلامة الكويت في بقاء الخصمين متعادلي القوة في نجد.

## مبارك يحالف عبد العزيز الرشيد ١٩٠٥

سعى مبارك إلى إعادة التوازن في نجد فتبل وساطة خالد باشا العون بينه وبين عبد العزيز إبن رشيد التي أثمرت عام ١٩٠٥ عن إتفاق الطرفين على طيّ صفحة العداء وتعهد مبارك بالوقوف على الحياد في الصراع بين آل سعود وآل رشيد. وتوطدت العلاقات اكثر بين الكويت وحائل بعد وفاة يوسف الأبراهيم في يناير ١٩٠٦ الذي كان يشكل عنصراً رئيسياً من عناصر الخلاف بين مبارك وآل رشيد.

وقد قابل ذلك مزيد من الفتور في علاقات مبارك وابن سعود.

تتابعت الأحداث التي تزيد في شعور عدم الثقة. فبعد المهادنة مع العثمانيين حاول عبد العزيز أحياء السلطة الوهابية في شرق الجزيرة. فزار منطقة الاحساء في صيف ١٩٠٥ عارضاً على رؤساء القبائل مغانمه من الأتراك في معركة الشنانة فانبهروا بها. وكتب من هناك إلى مشايخ الشاطىء المتصالح يخبرهم بعزمه على زيارتهم في العام التالي.. وقد اعتبر هؤلاء ذلك تهديداً خطيراً لهم فاجتمع كبيرهم شيخ أبو ظبي مع سلطان مسقط وبادر الإثنان بعرض مخاوفهما على السلطات البريطانية. فارسل المعتمد البريطاني في بوشير الماجور برسي كوكس، الذي أصبح بعدئذ المندوب السامي في العراق رسائل إلى شيوخ الخليج يحذرهم فيها من التعامل أو الإتصال مع عبد العزيز فاستجابوا لتحذيره. وكرر بذلك ما فعله المقيم البريطاني مع عبد الله إبن ثنيان عام ١٨٤٢.

من جهته، أعتقد الشيخ مبارك أن مشروع الزيارة غايته حصول عبد العزيز على المال من شيوخ الخليج لكنه كانت لديه أيضاً إعتراضات قوية على إستخدام عبد العزيز لأي ميناء آخر في الأحساء غير الكويت. لذلك كتب لعبد العزيز يقول له انه إذا تابع سياسته هذه في الأحساء فستكون أول ثمارها قطع العلاقات بين الكويت والرياض(١٣). فالغى عبد العزيز زيارته المزمعة.

أسباب الخلاف بين عبد العزيز ومبارك

أما الأسباب المباشرة للخلاف بين مبارك وعبد العزيز فيقول أنصار آل سعود أن الشيخ مبارك هو المبتدي، بالعداء لأنه عقد إتفاقاً مع عبد العزيز الرشيد عام ١٩٠٥ بواسطة خالد باشا العون أثناء زيارته للكويت تلك السنة كان من مواده أن مبارك يلتزم الحياد فيما يدور بين إبن الرشيد وعبد العزيز من حروب ويتمنى فوز إبن الرشيد. ثم كتب إلى أهل نجد يخبرهم بتخليه عن نصرة عبد العزيز[١٤].

ويقول أنصار الشيخ مبارك عن سبب الخلاف أن عبد العزيز أرسل معتمدين لقبض الرسوم على الأموال التي تخرج مع القوافل النجدية من سوق الكويت وهذا مجحف بحق الكويت واعتداء على سلطة حاكمها، ومنع عبد العزيز رجاله عن الاتجار مع أهل الكويت وهي البلد التي يعتمدون عليها لإستيراد ما يلزمهم فاوقعهم وأهل الكويت في ضيق واشترط أن لا يزيل المنع الا إذا قبل الكويتيون بأحد ثلاثة شروط: إمّا أن يجروا له راتباً سنوياً يسد حاجته، أو يسمحوا بإقامة موظف سعودي في سوق الكويت لقبض الرسومات من رعاياه، أو يقوموا هم بقبض تلك الرسوم ثم يرسلونها إليه[١٥]. وقد رفض الكويتيون هذه المطالب.

وفي أوائل ١٩٠٦ وقعت في يد عبد العزيز رسالة بعثها مبارك لإبن رشيد يحرضه فيها على قتال إبن سعود. كما كتب لعبد العزيز في الوقت ذاته يقول: «يا ولدي. أنا معك في كل حال وحين قواك الله وتولاك. لا تترك هذا الكلب ولا تدعه يستريح ولا تصالحه. أنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد[١٦]».

كان غرضه أن يحرض الإثنين على بعضهما فيضعفهما. وكان قد قام حلف معادي لعبد العزيز سنة ١٩٠٦ مؤلف من فيصل الدويش زعيم المطير، ونايف الهذال شيخ العمارات من عنزة، ومحمد أبا الخيل من آل مهنا أمير بريدة والشيخ مبارك الصباح.

لكن مبارك كان يعرف كيف يرضي صديقه عبد العزيز ويزيل من نفسه أي سوء تفاهم يحدث. من ذلك أنه أمدّه خلال سنة ١٩٠٦ بثلاثة الآف بندقية تقدر قيمتها بمائة وخمسين ألف دولار(١٧). وكان عبد العزيز يسكت عن سياسة مبارك لحاجته إلى المساعدة والمال.

**مقتل عبد العزيز الرشيد في روضة مهنا ١٩٠٦**
**وإخراج الإتراك من نجد**

لم يكن التفاهم الذي تم بين عبد العزيز والعثمانيين عام ١٩٠٥ حول العلاقة مع حائل أكثر من هدنة إذ فاجأ السعوديون آل رشيد في روضة مهنا شمال بريدة في ربيع ١٩٠٦ وتغلبوا عليهم وقتلوا أميرهم عبد العزيز الرشيد. ولم يعد عبد العزيز بحاجة إلى حياد السلطة العثمانية بعد هذا الإنتصار فعادت القبائل التابعة له إلى مهاجمة الحامية التركية في بريدة وعنيزة وإلى قطع خطوط تموينها مما اضطرها إلى الإنسحاب من نجد في العام نفسه واستولى عبد العزيز على القصيم.

لكن مقتل إبن رشيد لم يحقق لآل سعود التفوق الذي يطلبون.

خلف متعب بن عبد العزيز الرشيد والده. ومال ميزان القوى لصالح الرياض. وسعى أمير حائل الجديد إلى السلم فوسط الشيخ مبارك بذلك لدى عبد العزيز الذي استجاب للمسعى وعقد صلح بين الطرفين في يوليو ١٩٠٦.

لكن هذا الصلح لم يدم طويلاً إذ قُتل متعب على يد أقاربه أبناء حمود بن عبيد الرشيد في يناير ١٩٠٧ وتولى الإمارة سلطان بن حمود الذي نقض الصلح وانضم إلى الجبهة المعادية لعبد العزيز التي ذكرناها والمؤلفة من فيصل الدويش زعيم قبيلة المطير ونايف الهذال زعيم قبيلة العمارات من عنزة ومحمد أبا الخيل أمير بريدة(١٨) برعاية الشيخ مبارك الصباح.

ثم قتل سلطان الرشيد على يد أخيه سعود في ربيع ١٩٠٨ فارسل حاكم

بريده محمد أبا الخيل من آل مهنا رسولا إلى مبارك يرجو توسطه لدى عبد العزيز لإجراء مصالحة. وقبل عبد العزيز بذلك بعدما كان قد احتل بريدة يوم ٢٣ مايو ١٩٠٨ وتغلب على محمد أبا الخيل.

وهكذا نرى أن الأطراف المتقاتلة في نجد كانت غالباً ما تلجأ إلى وساطة الشيخ مبارك لفض النزاعات بينها وكان هذا يستغل هذه المناسبات لتقوية نفوذه وتحقيق أغراضه.

في أيام سعود الرشيد الذي تولى إمارة حايل تحت وصاية أخواله آل سبهان في اغسطس ١٩٠٨، أمكن الرجوع إلى حالة من توازن القوى بين آل سعود وآل الرشيد[١٩]. وهو ما كان يسعى اليه الشيخ مبارك. وكان الطرفان حريصين على ود مبارك يراسلانه باستمرار.

### وقعة هدية ١٠ يونيو ١٩١٠

تأزمت العلاقات بين مبارك وسعدون المنصور شيخ قبائل المنتفق في أوائل ١٩١٠ لخلافات على أمور قبلية تتعلق بغزوات العربان المتبادلة ورد المنهوبات. ويقول الريحاني غير ذلك فينسب حركة السعدون إلى أنه كان موالياً لحكومة الإتحاد والترقي التركية في حين كان مبارك وطالب النقيب والشيخ خزعل يطالبون باللامركزية بل وباستقلال العراق فدفعت الحكومة السعدون للتحرش بأقواهم وهو الشيخ مبارك[٢٠].

وكانت تلك السنة (١٩١٠) سنة جدب في نجد وعرفت باسم «الساحوق» فخسر عبد العزيز عدداً كبيراً من الأبل والمواشي ولم يبق لديه ما يمكنه من الحرب والغزو[٢١].

جهز منصور السعدون حملة من العشائر على الكويت وانفض حلفاء مبارك عنه فارسل يستنجد بعبد العزيز آل سعود قائلاً: أنت ولدي وهل يقبل الولد أن يُهان أبوه. وأجاب عبد العزيز: لا والله. ولك ما تريد. إني ملبي الطلب إن شاء الله ولكني أسأل والدي أن يمهلني لاستنجد أهل نجد فليس معي الآن الا مئتين

من رجالي. أما العشائر فلست مركناً إليها في القتال[٢٢]. لكن مبارك أصرّ فخرج عبد العزيز مع الحملة وكانت مؤلفة من نحو سبعة الآف مقاتل بقيادة جابر إبن مبارك.

إشتبك الفريقان فانهزم آل سعود وجيش الكويت هزيمة شنيعة وتركوا وراءهم كثيراً من الأمتعة والأبل والخيل غنمها إبن السعدون ومقاتلوه فكانت له هدية من أهل الكويت ولذلك دعيت هذه الوقعة «بوقعة الهدية».

قبل وصوله إلى الكويت كان عبد العزيز قد عقد حلفاً مع إبن هذال شيخ العمارات وابن شعلان شيخ الرولة للعمل سوياً ضد إبن رشيد[٢٣].

وبينما هو في حملة الكويت هاجمها إبن رشيد وتغلب عليهما. وخشي عبد العزيز أن يحتل إبن رشيد القصيم وأن يقوم العرائف بحركة في الرياض فعاد إليها رغم أن مبارك حثه على البقاء عنده.

## أول إجتماع لعبد العزيز مع مسؤول بريطاني ١٩١٠

انتهز عبد العزيز فرصة وجوده في الكويت فاجتمع لاول مرة في فبراير ١٩١٠ برسمي بريطاني هو المعتمد في الكويت الكابتن وليام شكسبير ونشأت بينهما مودة وتقدير متبادل. واجتمعا ثانية سنة ١٩١١ وكذلك في ربيع ١٩١٣ حيث شرح له عبد العزيز بأن الوقت مناسب لتخليص نجد والاحساء نهائياً من السيطرة العثمانية. وكان جواب الممثل البريطاني في كل مرة أن بريطانيا لن تقدم أية مساعدة سياسية ومالية لعمل موجه ضد الحكومة العثمانية.

### سوء حالة عبد العزيز ما بين ١٩١٠ و١٩١٢

يقول أمين الريحاني: «عاد عبد العزيز من الكويت في أواخر ١٩١١ (بعد إجتماعه بالمعتمد البريطاني وليام شكسبير) يخف به جيش من الغنم وراكباً مطية الأفلاس فتصالح مكرها مع إبن رشيد ليتمكن من استخدام ما تبقى لديه من

قوة في مقاومة أقاربه العرائف. وأرسل أخاه سعدا إلى العتيبة عام ١٩١٢ يستنجد بها لهذه الغاية. لكن عتيبة انحازت إلى حسين شريف مكة مضيف بعض العرائف فقبضوا على سعد وأخذوه أسيراً إلى الشريف الذي لم يفرج عنه إلا بعد أن إفتداه أخوه بستة الآف مجيدي يدفعها سنوياً(٢٤).

وكانت حال عبد العزيز ما بين ١٩١١ و١٩١٢ حال المصارع الذي يستوي واقفاً قبل أن تلمس يده الأرض. فلم يستطع أخصامه، على ضعفه، أن يغيروا هدفه وأن انهكوه. وبقي يضرب من حين لآخر ضربات مدوخة(٢٥). من ذلك استيلاؤه على الاحساء عام ١٩١٣.

## إحتلال الأحساء

إحتل العثمانيون الأحساء سنة ١٨٧١ وكان يتولى إدارتها متصرف تركي تابع للبصرة. لكن سيطرتهم الفعلية لم تكن تتعدى أسوار المدن بينما ظلت الصحراء الواسعة المحيطة مسرحاً لنفوذ القبائل مثل بني خالد وبني مرّة والعجمان وبني هاجر مما أتاح لعبد العزيز آل سعود أن يحاول مد سلطان عليها باعتبارها جزءاً من اراضي آل سعود التي آلت إليه بالوراثة دون أن يعترض العثمانيون على ذلك.

وكان عبد العزيز يحتاج موانيء الاحساء لتصبح متنفساً لنجد. ولعله فكر بالاستعاضة بها عن الكويت ليتخلص من نفوذ آل صباح. لذلك استقر رأيه على إزالة الوجود العثماني من المنطقة.

إهتم عبد العزيز بمعرفة رد الفعل البريطاني باعتبار أن إحتلال الاحساء سيجعله مطلاً على الخليج وهو منطقة نفوذ بريطانية. ويبدو أنه إستعان بالشيخ مبارك ليعرف له موقف الإنكليز. كما اجتمع بالوكيل السياسي البريطاني في الكويت في ابريل ١٩١١ وبحث معه الفكرة فلم يلق منه تشجيعاً.

بقي عبد العزيز يتحيَّن الفرص. فقد بدأ رجال الإتحاد والترقي بسحب جيوشهم من البلاد العربية نتيجة هزائمهم في مناطق أخرى (أحتلت إيطاليا طرابلس الغرب وبرقة عام ١٩١١، واستولت اليونان على جزيرة كريت ومقدونيا عام ١٩١٢، وسبق ذلك استقلال بلغاريا والبوسنة والهرسك بمساعدة روسيا) فوجد عبد العزيز الظرف مناسباً فهاجم الأحساء في مايو ١٩١٣ وفعلت قواته من «الأخوان» بأهل الأحساء، وخصوصاً الشيعة منهم، ما فعله الوهابيون في مناسبة سابقة عام ١٧٩٢ من قتل وسفك وتدمير.

وهكذا استولى السعوديون مرة ثانية على شاطيء من الخليج طوله نحو ثلاثماية كيلومتر وهي المنطقة التي تضم حالياً منابع البترول.

أما الحامية التركية فقد صادر عبد العزيز خزيتها وأسلحتها وسمح لها بالإنسحاب بحراً إلى البصرة.

## صدّ بريطاني آخر ١٩١٤

بعد إحتلال الأحساء ومنطقة واسعة من شاطيء الخليج أعتقد عبد العزيز أنه أصبح في وضع مساوي لباقي شيوخ الشاطيء المتصالح فكتب مرة أخرى إلى المعتمد البريطاني في صيف ١٩١٣ يطلب من بريطانيا ان تعامله بمثل ما تعاملهم، وأن توفر له الحماية من أعدائه ومن العثمانيين، وتمنحه المساعدة المالية السنوية. لكن بريطانيا رفضت طلبه وامتنعت عن الإعتراف به حاكماً على الأحساء مراعاة لمشاعر الأتراك.

## معاهدة مع الأتراك، مؤتمر الصبيحة مايو ١٩١٤

مال الأتراك إلى تصفية ذيول خسارة الأحساء وديّا لكثرة مشاكلهم في ذلك الوقت. فتوسط في الأمر عبد اللطيف المنديل والشيخ مبارك واجتمع عبد العزيز مع المندوبين الاتراك في الصبيحة قرب الكويت. وبعد مفاوضات وقع الجانبان

إتفاقية تعهد فيها عبد العزيز أن يضع قواته المسلحة تحت تصرف الدولة التركية وعند طلبها في حالة نزاعها مع دولة أجنبية أو حصول اضطراب داخلي في أية ولاية تركية(٢٦). وبالمقابل رفعته الدولة من رتبة قائمقام إلى رتبة والي عثماني على نجد ومتصرف على الاحساء تحت السيادة العثمانية. وجاء الإتفاق الجديد تجديداً لاتفاق ١٩٠٥. وكان عقده في الكويت دليلاً على موافقة بريطانيا على مضمونه(٢٧).

## الإتراك يوثقون تحالفهم مع آل رشيد

في الوقت الذي كان الاتراك يعقدون إتفاقهم من إبن سعود في الصبيحة، إجتمع سعود بن رشيد بوالي البصرة شفيق كمالي باشا قرب الزبير واتفقا أن تساعده الدولة على محاربة إبن سعود. وقدمت له تركيا عشرة الآف بندقية وكثيراً من الذخائر، وشيئاً من المال.

علم عبد العزيز بهذا الإتفاق بعد رجوعه من الصبيحة إلى الرياض فكتب إلى إبن رشيد يذكره بالصلح الذي بينهما وينتقد إتفاقه مع الإتراك. فاجابه سعود الرشيد «إني من رجال الدولة، ومصالحتي أياك لا تكون إلاّ أن رضيت الدولة بها»(٢٨). وكان ذلك كافياً لتجدد النزاع بين آل سعود وآل رشيد.

## تبدل السياسة البريطانية

دخلت تركيا الحرب العالمية الاولى إلى جانب المانية في أكتوبر ١٩١٤ وصارت بريطانيا بحاجة إلى حليف في وسط الجزيرة لإشغال الاتراك وحليفهم إبن رشيد. فأرسلت إلى عبد العزيز آل سعود صديقه الكابتن ويليام شكسبير في شهر يناير ١٩١٥ فوجد عبد العزيز كالعادة متشوقاً للحماية البريطانية.

في برهة أسبوعين اتفق الطرفان على صيغة تعترف بعبد العزيز حاكماً مستقلاً على نجد تحت الحماية البريطانية وتعده بالمساعدة المالية والعسكرية. وأرسل شكسبير مسودة الإتفاق إلى المعتمد البريطاني في الخليج للتوقيع.

## معركة جراب، يناير ١٩١٥

حشد عبد العزيز ستة الآف من رجاله تحف بهم آلاف من البدو وزحف بهم، برافقه الكابتن شكسبير كمراقب، لملاقاة سعود إبن رشيد حليف الاتراك الذي هدده بالعشرة الآف بندقية التي استلمها حديثاً.

التقى الفريقان في جراب على بعد أربعماية كيلومتر شمال الرياض قرب بلدة الزلفي في القصيم. واشتبك الجيشان في ٢٤ يناير ١٩١٥ وكانت المعركة بالحقيقة بريطانية ـ تركية اصطدمت فيها الدولتان بواسطة حلفائهما المحليين.

لم تصمد قوات عبد العزيز والأخوان بوجه الهجوم الشمري فانهزمت. وصمد الكابتن شكسبير في موقعه قرب المدفعية فقتل ونهب العربان ما وجدوه من أسلحة وعتاد في مخيم إبن سعود. ونسب آل سعود هزيمتهم إلى تخاذل العجمان ونقموا عليهم. فقد كان هؤلاء أول المنسحبين من المعركة لما مالت الكفة لصالح سعود إبن رشيد.

لقد كانت هزيمة جراب نكسة قوية لعبد العزيز ولمطامعه وتبيّن أن جيشه من «الأخوان» لم يكن كفوءاً لمقارعة شمر المدعومة بالسند التركي.

من ناحية أخرى، فإن مقتل الكابتن شكسبير أبلغ الحكومة البريطانية بطريقة دارماتيكية إنها لم تعد تستطيع الوقوف على الحياد فيما يتعلق بالأحداث الداخلية في قلب الجزيرة لأن أي نجاح جديد لقوات إبن رشيد المتحالف مع الاتراك يضعف مركزها في بلاد الشرق الأوسط. وهكذا أصبح عبد العزيز آل سعود لأول مرة مشمولاً بالحماية البريطانية وانفتح أمامه باب التمول والتسلح من الإنكليز. ولم يتردد عبد العزيز في الإستفادة من الوضع الجديد فكتب في يوليو ١٩١٥ إلى السير برسي كوكس طالباً المعونة فارسل له ثلاثماية بندقية وعشرة الآف روبية كمساعدة موقتة واردفها بعد بضعة أشهر بألف بندقية مع ذخيرتها وعشرين الف جنيه[٢٩].

انتصار العجمان، معركة كنزان صيف ١٩١٥

لم يكن عام ١٩١٥ عاماً موفقاً لآل سعود. فقد أراد عبد العزيز معاقبة العجمان فجرد عليهم حملة في صيف ١٩١٥ وكان قد انضم إليهم بنو مرّة الذين شتّ عبد العزيز بينهم، كما انضم اليهم العرايف كعادتهم، فالعجمان أخوالهم.

إشتبك الطرفان قرب الهفوف في الأحساء فدارت الدائرة على عبد العزيز والأخوان وجرح عبد العزيز في المعركة وقتل أخوه سعد. فلجأ إلى الهفوف وتحصن بها. وكانت من أشد الهزائم التي حلت بعبد العزيز خصوصاً وانها جاءت بعد بضعة أشهر من هزيمة جراب وأصبح وضع عبد العزيز العسكري في الحضيض.

سيطر العجمان على الطرق والمناطق المحيطة بالهفوف وبقي عبد العزيز شبه أسير في المدينة إلى أن تمكنت قوات كويتية أرسلها الشيخ مبارك مع قوات نجدية من فك الحصار[٣٠].

بعد ذلك استضعف الشيخ مبارك عبد العزيز فتقرب إلى العجمان واستمالهم، وتابع سياسته بأضعاف خصومه في نجد فصار يراسل عبد العزيز آل سعود، وسعود آل رشيد يحرض إحدهما على الآخر وغايته إنهاك الطرفين بالحروب. ويقول عبد العزيز الرشيد «أن مبارك كان يكيد لعبد العزيز ويستطيع تفكيك بادية نجد من حوله إذ عنده من الثروة والدهاء ما ليس عند عبد العزيز عشر معشاره. لكن الموت عاجله عام ١٩١٥ فكانت وفاته حياة لعبد العزيز»[٣١].

العلاقة مع الكويت بعد وفاة الشيخ مبارك

خلف جابر الثاني والده وبقيت الصلة متينة بين الكيوت وحائل وتوفي عام ١٩١٨ وخلفه أخوه الشيخ سالم بن مبارك آل صباح. وقد اشتد العداء مع الإمام عبد العزيز خلال ولاية سالم الذي كان ينفر من المذهب الوهابي ويتهم السعوديين

بفساد العقيدة وبالجهل والتعصب. من ناحية أخرى، كان الأخوان يكفرون أهل الكويت وشيخها علناً عندما يأتون أسواقها ويختلطون بأهلها(٣٢). وقد وقف سالم بوجه عبد العزيز لما أراد الأجياز على العجمان فأواهم وحماهم. وكان يستقبل وفود آل الرشيد ويكرمهم فيغيظ ذلك عبد العزيز.

ومن أسباب العداء كما يقول عبد العزيز الرشيد «سعي عبد العزيز ضد مصلحة الكويت وهو الفريق باحسانها المشمول بنعمة حكامها وجيرانها يوم كان صفر اليدين. ثم تحريضه للعوازم ضد الشيخ سالم وهم من قبائل الكويت(٣٣).

بقيت العلاقات عدائية بين آل سعود وآل مبارك طيلة إمارة سالم بن مبارك. وعادت العلاقة فتحسنت بعض الوقت بعد وفاته عام ١٩٢٠ عندما تولى خلفه الشيخ أحمد جابر الصباح ثم ساءت لما منع عبد العزيز أهل نجد من الإتجار مع الكويت كما سنرى.

**معاهدة القطيف (أو معاهدة دارين) ٢٦ ديسمبر ١٩١٥**

**عبد العزيز يفوز بالحماية البريطانية**

قلنا أن بريطانيا أدركت بعد معركة جرّاب أن أي انتصار آخر لابن رشيد، وهو حليف لتركيا، يعتبر هزيمة لها. فاجتمع المعتمد البريطاني في الخليج السيد برسي كوكس بعبد العزيز في القطيف (وقيل في دارين وهي جزيرة مقابل القطيف)، وكانت الأحساء لا تزال بأكثرها في يد العجمان، ووقعا يوم ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ الإتفاقية التي كان وضع أسسها الكابتن شكسبير.

اعترفت بريطانيا في المعاهدة بعبد العزيز وذريته حاكماً مستقلاً على نجد وتوابعها له حرية التصرف ضمن مناطقه وتعهدت بحمايته من أعدائه في الداخل والخارج، وانعمت عليه برتبة «الفروسية» فأصبح لقبه «السيد عبد العزيز إبن سعود». وعينت له مساعدة سنوية مالية وعسكرية أسوة بشيوخ الشاطىء

النصائح، بلغت بعد فترة من الزمن ستين ألف جنيه ذهبياً بالإضافة إلى الأسلحة والذخائر.

تعهد عبد العزيز بالمقابل بعدم إقامة علاقات خارجية مستقلة، وأتباع مشورة بريطانيا في كل ما يتعلق بذلك، ومنحها إمتيازات تجارية. ونصت المادة السادسة من المعاهدة: «تعهد عبد العزيز، كما تعهد والده قبله، بأن يمتنع عن أي تجاوز وتدخل في أراضي الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترا والذين لهم معاهدات معها»[٣٤]. أي أنه تنازل عن أية إدعاءات توسعية على حدوده الشرقية.

ثم عقد برسي كوكس مؤتمراً في الكويت في شهر نوفمبر ١٩١٦ دعا إليه الشيوخ المتمتعين بالحماية البريطانية ومنهم عبد العزيز ليدعموا بجهودها الحربي فكانت أول مرة يجتمع فيها عبد العزيز بزملائه في الحماية، وبالمعتمدين البريطانيين في الخليج كمجموعة. وترك إنطباعاً طيباً لديهم.

شكلت المنحة المالية البريطانية الركيزة المالية لحكم عبد العزيز التي طالما تمناها. وبفضلها تمكن من إخضاع قبيلة العجمان والثائرين عليه وإعاد سلطته على الاحساء ثم احتل جبل شمر في وقت لاحق. وبعدها شن حملاته على عسير والحجاز لإزالة الحكم الهاشمي بمباركة بريطانيا. وقد بقيت هذه المعاهدة عماد التوسع السعودي وسارية المفعول إلى أن استبدلت بمعاهدة جدة بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٢٧ التي وقعها عبد العزيز والجنرال كلايتون.

ويُلاحظ أن عبد العزيز سبق الهاشميين بمدة شهر في التحالف مع الإنكليز ضد الدولة التركية.

وهكذا بعد ثلاثة عشر عاماً من السعي المتواصل منذ غزوة الرياض حصل عبد العزيز على حماية بريطانيا لآل سعود من أعدائهم في الداخل والخارج (انتقلت مسئولية هذه الحماية الآن من بريطانيا إلى الولايات المتحدة)، وأصبح له حليف من الدول العظمى ينهي أدعاءات السيادة التركية على أواسط الجزيرة ويساعده على إخضاع خصومه بين القبائل.

لقد شكلت معاهدة القطيف نهاية عهد وبداية عهد جديد بالنسبة لآل سعود.

أما العهد الذي انتهى فقد حفل بالقلاقل والفتن وبمعارك خاضها عبد العزيز ولم يكن دائماً موفقا بها. فقد كان مهدداً باستمرار من آل رشيد في حائل الذين لم يستطع أن يتغلب عليهم، ومن شيخ الكويت مبارك الصباح، ومن آل سعدون شيوخ عشائر المتفق حول البصرة، ومن العجمان في الاحساء، ومن شرفاء الحجاز، ومن قبائل مطير وعتيبة بقيادة فيصل الدويش الذي كان يهاجم القوافل المتجهة إلى الرياض (١٩٠٧) وهو حفيد فيصل الدويش الذي تعاون مع الحملة المصرية على تدمير الدرعية عام ١٨١٨. أما العرائف أقارب عبد العزيز فقد تعاونوا مع كل فريق من هؤلاء الخصوم للكيد لقريبهم.

في معاركه مع آل رشيد شيوخ شمر وامراء حائل إلى عام ١٩١٦ خسر عبد العزيز معركة الصريف لكنه احتل الرياض. وربح وقعة الشنانة ووقعة روضة مهنا التي قتل فيها عبد العزيز الرشيد لكنه خسر وقعة الهدية. وفتح الاحساء لكنه خسر معركة جرّاب ثم استولى العجمان على الاحساء. وبقيت منطقة القصيم موضع تنازع بين الطرفين إلى أن رجحت كفة عبد العزيز. وهكذا نرى أن الحرب بقيت سجالاً بين آل سعود وآل رشيد مع رجحان خفيف للأولين لم يبلغ حد الإنتصار الحاسم وبقيت نجد موضع تجاذب بين الفريقين. ولم يحسم الموضوع إلاّ انتصار بريطانيا حليفة عبد العزيز على تركيا حليفة آل رشيد في ميادين بعيدة عن الجزيرة العربية.

### كفاءة عبد العزيز العسكرية

يقول روبرت لاسي صديق آل سعود في تقيم كفاءة عبد العزيز العسكرية: «كان سجله في قيادة المعارك مشوشاً. فقد كان مقاتلاً شجاعاً لكنه قليل المعرفة بالستراتيجية. وبالحقيقة فإنه لم ينتصر مرة واحدة في معارك خاضها وجهاً لوجه مع أعدائه وكانت حروبه كلها غزوات بدوية مفاجئة مماثلة لعملية إحتلال الرياض»[٣٥].

ويقول السيد حافظ وهبه أنه في أحد معارك الحجاز وضع عبد العزيز مدافعه في أرض مكشوفة فأشار عليه وهبه بوضعها في خنادق لحمايتها، كما كان لاحظ الاتراك يفعلون، فلم يستجب له عبد العزيز. ثم سقطت قنبلة حجازية على مركز لبطارية مدفع سعودي فدمرته وقتلت طاقمه. وفي الليل أمر عبد العزيز بوضع جميع مدافعه في خنادق، وأصبح حافظ وهبه مستشاراً عسكرياً !

وكان اقسى ما صادفه عبد العزيز في هذه الفترة قبل تحالفه مع بريطانيا حاجته الشديدة للمال «حاول أن يستدين من أهل الكويت فمنعهم شيخهم مبارك الصباح. ثم أرسل عبد العزيز إلى نسيبه ووكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل يطلب منه الفي ليرة يستوفيها مما تبقى عند الدولة العثمانية من معاش والده عبد الرحمن إبن فيصل»[٣٦].

## عهد ما بعد القطيف

أما في عهد ما بعد القطيف أي ما بعد التحالف مع بريطانيا، فقد ارتاح عبد العزيز مالياً لدرجة كبيرة كما توافرت لديه الأسلحة. ولم تطلب منه بريطانيا الإشتراك في معارك الحرب العالمية الأولى في العراق والشام كما طلبت من الهاشميين، فتفرغ لبسط نفوذ آل سعود وسيطرتهم على الجزيرة. وكان من نتيجة التحالف أن بريطانيا امّنت له خطر الكويت، وقبائل المنتفق بعد إحتلالها للبصرة، وخطر الهاشميين في الحجاز، واطلقت يديه في إخضاع قبائل نجد وعلى رأسها آل رشيد الذين خسروا سندهم بانكسار الدولة التركية فأصبح مصيرهم محتوماً، ثم وجهته بريطانيا ضد الهاشميين للتخلص من وعودها لهم. وهكذا نرى أن جميع معارك آل سعود بعد دخولهم تحت الحماية البريطانية أصبحت إنتصارات.

يقول السيد حافظ وهبه أن فؤاد حمزة من مستشاري عبد العزيز حاول اثناء الحرب العالمية الثانية أن يغيّر موقف عبد العزيز لمصلحة المانيا فلم يفلح. «وقدر له الإنكليز هذا الموقف الودي فاعانوه منفردين بما لا يقل عن أربعة ملايين

جنيه كل سنة، ثم انضم إليهم الأميركان فوصلت الإعانات إلى ثمانية ملايين قسم منها أغذية وبضائع وقسم ذهباً»[٣٧].

لكن هذا التحالف الوثيق مع بريطانيا لم يخلُ من الخطر. فقد كان عبد العزيز في هذه الأثناء ينمي قوة «الأخوان» كما سنرى على أساس ديني متعصب ليعوضوا له ضعف عصبيته القبلية فأنشأ في القرن العشرين دولة دينية مماثلة للدولة السعودية الأولى (١٧٤٤-١٨١٨) ولقن الأخوان ان التعامل مع المشركين كفر. واستطاع عبد العزيز أن يخفي تحالفه مع الإنكليز مدة من الزمن لكن الأخوان تبيّنوا ذلك بعد مدة فثاروا عليه وكادوا أن يطيحوا به كما سيأتي.

## التوسع السعودي بعد التحالف مع بريطانيا

ترافقت هذه الفترة مع تطورات دولية عملت لمصلحة آل سعود، فقد انتهت الحرب العالمية الأولى واستسلمت تركيا بشهر اكتوبر ١٩١٨ وتبعتها المانيا في نوفمبر. وافتتح مؤتمر الصلح في فرساي بشهر يناير ١٩١٩. وبذلك لم يعد لتركيا دور في الجزيرة العربية وانفردت بريطانيا بالتحكم بشؤون المنطقة.

من ناحية أخرى نجد بريطانيا قد خانت وعودهاللهاشميين بإنشاء الدولة العربية الكبرى في الشمال كما سيأتي وصارت تسعى للتخلص منهم ومن وعودها لهم فوجهت حليفها عبد العزيز ضدهم وزادت من مساعداتها المالية والعسكرية له حتى تغلب عليهم وطردهم من الحجاز.

وجاء إمتداد سلطة عبد العزيز على نجد والحجاز مرافقاً للدور الذي أرادته له بريطانيا وضمن الحدود التي رسمتها له. وكان إذا تجاوز هذه الحدود ترده إلى النطاق المسموح له به.

في هذه الفترة التي شهدت إحتلال آل سعود لحائل ثم للحجاز وعسير

اختلطت السياسة بالدين، وبرزت قوة الأخوان مما سيكون موضوع الفصل التالي.

## الزواج سياسة ومتعة

جعل عبد العزيز من الزواج، طيلة حياته، وسيلة سياسية لكسب تأييد القبائل والأنصار بالاضافة إلى المتعة الشخصية. فتزوج في الكويت امرأة من عرير من بين خالد هي وضحة بنت حزام والدة تركي وسعود (الملك).

وبعد فتح الرياض تزوج من طرفه بنت قاضي المدينة الشيخ عبد الله إبن عبد اللطيف من أحفاد الشيخ أحمد إبن عبد الوهاب التي ولدت له فيصل (الملك) فجدد التحالف الوثيق بين السلطتين المدنية والدينية باعتباره إماماً للوهابية.

وتزوج جوهرة بنت مساعد من عائلة جلوي فاحبها كثيراً وهي والدة محمد وخالد (الملك).

بعد مقتل أخيه سعد في الحرب مع العجمان تزوج عبد العزيز أرملته واسمها أيضاً جوهرة وهي بنت سعد السديري فولدت له ابنين سعدا ومساعدا وتوفيت وهي تلد عبد المحسن. وبعد وفاتها تزوج اختها حية التي أنجبت له بدراً وعبد الله وعبد المجيد وعبد الاله. وتزوج سديرية أخرى هي حصة بنت أحمد السديري وكان عمرها ثلاثة عشر عاماً وولدت له سعدا الذي توفي طفلاً. ثم طلقها لأسباب غير معروفة فتزوجها أخوه محمد إبن عبد الرحمن وولدت له عبد الله. وبعد فترة ندم على طلاقها فاقنع أخاه بالتخلي عنها وعاد فتزوجها وأنجبت له سبعة أولاد وخمس بنات وهم الذين يطلق عليهم الآن إسم «السديريون السبعة» وهم فهد (الملك) وسلطان (وزير الدفاع) ونايف (وزير الداخلية) وسلمان (أمير منطقة الرياض) وأحمد (نائب وزير الدفاع) وعبد الرحمن وتركي. ويبلغ بذلك عدد أولاد عبد العزيز من زوجات سديريات أربعة عشر ولداً وعشر بنات.

بعد إحتلال حائل سنة ١٩٢١ تزوج عبد العزيز فهدة بنت عاصي الشريم أرملة إبن رشيد فولدت له عبد الله ولي العهد الحالي. ومن نساء عبد العزيز بزة والدة ناصر وبندر وفواز، وشهيدة والدة منصور ومشعال ومتعب، ومنير، ويقال إنها أرمنية والدة طلال ونواف. وبشرى والدة مشاري. وبنت الشعلان من قبيلة الرولة والدة ممدوح ومشهور، وسيدة اليمنية والدة هذلول، وبركة اليمنية والدة مقرن، وفطيمة اليمنية والدة حمود.

# مراجع الفصل السادس
## عودة آل سعود


١ - الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص ١٢١ .
٢ - Lacy, Robert, The Kingdom, p. 47
٣ - حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، ص ٢٤ والرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١٧٤ .
٤ - السعدون، خالد، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٧٥ .
٥ - الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ١٧٥ .
٦ - خالد السعدون، سبق ذكره، ص ١٦٥
٧ - المصدر السابق، ص ١٦٦
٨ - Lacy, Robert, op. cit., p 76 and Philby, Harry St. John, Arabia, p. 242
٩ - الرشيد، عبد العزيز، سبق ذكره، ص ١٨٢ .
١٠ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ١٠٠ .
١١ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ١٤٠-١٤٧ .
١٢ - السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ١١٤ .
١٣ - المصدر السابق، ص ١٠٨ و١٠٩ .
١٤ - الرشيد، عبد العزيز، سبق ذكره، ص ٢١٠
١٥ - المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢ .
١٦ - الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ١٥٢ .
١٧ - السعدون ، خالد، سبق ذكره، ص ١١٨ .
١٨ - المصدر السابق، ص ١٢٠ .
١٩ - المصدر السابق، ص ١٢٣ .
٢٠ - الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ١٨٤ .
٢١ - المصدر السابق، ص ١٨١ .
٢٢ - المصدر السابق، ص ١٨٥ .

٢٣ ـ المصدر السابق، ص ١٨٢ .
٢٤ ـ المصدر السابق، ص ١٩٠ و١٩٣ .
٢٥ ـ المصدر السابق، ص ١٩٧ .
٢٦ ـ السعدون، خالد، سبق ذكره، ص ١٦٠ .
٢٧ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٩٩
٢٨ ـ الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ٢١٧-٢١٨ .
٢٩ ـ Holden, David, Johns, Richard, The House of Saud, p. 50.
٣٠ ـ Lacy, Robert, op. cit., p. 123.
٣١ ـ الرشيد، عبد العزيز، سبق ذكره، ص ٢١٥-٢١٦ .
٣٢ ـ المصدر السابق، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥
٣٣ ـ المصدر السابق، ص ٢٤٥ .
٣٤ ـ خالد السعدون، سبق ذكره، ص ١٨٣
٣٥ ـ Lacy, Robert, op. cit., p. 124-125
٣٦ ـ الريحاني، أمين، سبق ذكره، ص ١٨٩ .
٣٧ ـ وهبه، حافظ، خمسون عاماً في الجزيرة العربية، ص ٤٩-٥٠ .

# الفصل السابع

## عبد العزيز، والاخوان، وفتح الحجاز

مع أفول نجم آل سعود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب إقتتالهم على الامامة خبا أيضاً وهج الدعوة الوهابية وضعف أثرها في نجد لأن إنتشارها كان متلازماً مع البطش والإكراه الذي مارسته القوات السعودية فلما انتقلت السلطة إلى آل رشيد ارتفع الضغط عن النجديين . واستمرت الدعوة على ضعفها إلى أن استولى عبد العزيز على الرياض وبدأ يجهد لاستعادة المناطق التي دانت بالطاعة لاسلافه في فترات متقطعة .

بعد ذلك بسنوات ظهرت حركة وهابية جديدة سُمي أتباعها «الاخوان»واعتبرت إحياء للدعوة السابقة تدين بنفس العقيدة لكنها تختلف عن سالفتها بأنها ظهرت بين البدو وتوجهت بإهتمامها إلى القبائل في حين كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب موجهة بالأساس إلى سكان الواحات .

هناك خلاف على تاريخ قيام الدعوة . بعضهم يقول أنها ظهرت عام ١٩١٢ في الارطاوية التي تبعد أربعماية كيلومتر شمال الرياض في منطقة عشيرة المطير التي يرأسها فيصل الدويش حفيد فيصل الدويش الذي تعاون مع الحملة المصرية ضد آل سعود ، وبعضهم يقول أنها قامت بعد سنة ١٩١٣ بدليل أن الاخوان لم يلعبوا أي دور في استيلاء الامام عبد العزيز على الرياض عام ١٩٠٢ ثم على الاحساء سنة ١٩١٣[١] .

برز في زعامة الاخوان إلى جانب فيصل الدويش زعيمان آخران هما سلطان بن بجاد في قرية غطغط وهو شيخ عشيرة العتيبة التي تقع منازلها ما بين نجد والحجاز ، وضيدان بن حثلين شيخ قبائل العجمان في الاحساء .

كما ثار تساؤل حول الذي أسس حركة الاخوان ، وهل كان الامام عبد العزيز صاحب الفكرة أم أنها نشأت بين البدو فاستغلها الامام ووضع نفسه على رأسها .

يقول هـ . ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في البحرين والمعاصر للحركة أنها لم تكن من تأسيس ابن سعود ، وبالتالي ليس هو صاحب الفكرة الاولى لهذه الحركة وإنما استهوته بعد دخوله الاحساء عام ١٩١٣ فوضع نفسه على رأسها واستغلها لتحقيق أطماعه في الجزيرة العربية(٢) .

وقد اختلف وضع عبد العزيز عن أسلافه . فأولئك اعتمدوا على السكان نصف الحضر من أهل الواحات الذين فقدوا عصبيتهم القبلية فكانوا على مستوى متقارب مع آل سعود . واستطاع هؤلاء بوجاهة الامامة أن يسودوا أهل الواحات وشكلوا منهم قوة تغلبت على بعض القبائل البدوية ، والتحقت بها قبائل أخرى عن قناعة دينية ، أو بما وفّروه للبدو من فرص الغزو .

أما عبد العزيز فقد وجد أمامه حركة دينية قامت بها عشائر بدوية من أقوى عشائر نجد كعتيبة ومطير والعجمان. ويتزعم كل عشيرة شيخها الذي لا ينازعه الزعامة أحد . وهكذا تحققت شروط ابن خلدون : عصبية دينية ، تدعمها عصبية بدوية مستندة إلى قرابة الدم ، يتولى قيادتها في كلّ من القبائل الثلاث أقواها وأثبتها نسباً .

إذاً ما حاجة هذه التركيبة الدينية ـ العشائرية القوية التي عرفت باسم «الاخوان» إلى آل سعود ؟

لم يجلب عبد العزيز لهذا الجهاز القبلي ـ الديني القائم إلا فائدة معنوية

عتـزه أمام الوهابية بـالتوارث ، وسليـلاً للعائلة التي نشـرت الدعـوة في القرن

ــابق أما من ناحيـة القوة الفاعلة فقـد كان آل سعـود هم المـستفيدون من قـوة

تيـة والمطير والعجمان لا العكس.

ومما يجب الانتباه إليـه أن زعماء القبـائل الثـلاث ، التي شكلت عماد حـركة الاخوان طيلة خمس عشرة سنـة ما بـين ١٩١٤ ـ ١٩٢٩ حين قضى عبـد العزيـز على الحركة ، بقوا متـساندين ومتكاتفين تجاه عبد العزيز الـذي لم يـستطع تفكيكهم واستمـالـة بعضهم ضـد البعض الآخر . ولمـا دبّ الخلاف بـين عبـد العـزيـز والاخـوان بعد فتـح الحجاز ، وجـدنا الثـلاثة في صف واحـد ضـد آل سـعـود ، وكأنهم كانوا يعتبرون آل سعود عنصراً غريباً عنهم لا يمتزجون معه .

فهل كان ذلك تضامناً بدوياً تلقائياً ضد سكان الواحات انصاف الحضـر ؟ إن الذين كتبوا عن عهد عبد العزيز لم يفسـروا هذه الـظاهرة لكنـنا نعتقد أن هـذا هو الواقع .

لا شك أن آل سعود شعروا بضعفهم أمام هذا التحالف البـدوي القوي . وما كان باستطاعتهم استبداله بحلف مختلف لأن القبـائل الأخـرى القويـة كشمر والمنتفق وقبائل الحجاز كانت معادية لهم.

لم يبق أمام آل سعود إلا أن يلجأوا إلى حليف قوي خارج محيط الجزيـرة . ولم يكن الخيار أمامهم واسعاً لأن الاتراك كانوا الحلفاء التقليديـين لآل رشـيد فلم يبقَ في الســاحة إلا الانكليـز .ولعل هذا يفـسـر تهافت عبد العزيز للحصول على الحماية البريطانية ضد أعدائه الظاهرين أي آل رشـيد والاتراك والهـاشـمين وربمـا أيضـاً ضد حلفائه الأقوياء من رؤسـاء القبائل وهكذا استبدل عبد العزيز العصبية العـربيـة التي لا غنى عنهـا في كـل دولــة حسـب رأي ابن خلدون بـالعصبيــة الانكليزية التي أثبتت أنها أفعـل وأمضى . وبالفعـل نصره الانكليـز وغلّبوه عـلى خصومه الظاهرين وعلى حلفائه الذين ثاروا ضده فيها بعد .

### تطور حركة الاخوان، تأسيس الهجر

نعود إلى بحث التطور التاريخي لحركة الاخوان .

في سنة ١٩١٦ أمر عبد العزيز القبائل البدوية التابعة له بالإنضمام إلى الاخوان واعتناق الدعوة الوهابية ودفع الزكاة له وترك حياة البداوة والتنقل ، والاستيطان في الهجر . فاطاعته بعض القبائل ورفضته قبائل أخرى كالرولة والعجمان لأنهم رأوا في الاستيطان تفكيكاً لمجتمعهم القبلي[٦] وكانت محاولة عبد العزيز من الامثلة القليلة في العصر الحديث التي يعتنق فيها شعب مذهباً دينياً معيّناً بأمر الحاكم لا عن قناعة وجدانية .

أنشأ عبد العزيز الهجر (جمع هجرة) وهي مستوطنة غايتها توطين البدو وإلصاقهم بالارض ليتخلوا عن حياة التنقل ويتحولوا إلى مزارعين مع تلقينهم الدعوة الوهابية بأمل أن تحل العصبية الدينية محل العصبية القبلية ويتجه ولاء الاخوان إلى أمام الحركة لا إلى شيخ العشيرة . ولم تنجح المحاولة لأن شيخ العشيرة أصبح هو نفسه رئيساً للحركة في عشيرته .

ترافق إنشاء الهجر مع عقد معاهدة القطيف ـ دارين في ديسمبر ١٩١٥ ودخول عبد العزيز تحت الحماية البريطانية وبدء المساعدات الانكليزية المالية له . ولا شك أن المال الانكليزي ساهم في بناء الهجر الوهابية كما ساهم السلاح الانكليزي في «جهاد» الوهابيين ضد المسلمين الآخرين .

وهكذا تمكن عبد العزيز من تمويل عملية الاستيطان «ففرض» على كل قبيلة بدوية أن تهجر بيوت الشعر وتبني إلى جوار الماء حيثما وجد ،وأن تزرع وتحصد وتستقر ، ولها من بيت المال المساعدة على البناء والزراعة .[٧]

وقد نشأت خلافات بين المؤرخين العرب حول غاية عبد العزيز من بناء الهجر . فبعضهم كالسيد خير الدين الزركلي والاستاذ أمين الريحاني والسيد فؤاد حمزة نسبوها إلى رغبة الامام عبد العزيز «بتحضير» البدو أي نقلهم من حياة

التنقل إلى حياة الاستقرار والالتصاق بالارض عن طريق الزراعة . فهي برأيهم عملية إقتصادية ـ إجتماعية تدل على تطلعات الامام عبد العزيز الحضارية[٨] .

لكن السيد حمد الجاسر يقول «أن الهجر لم تكن هجراً زراعية بالمعنى الحقيقي ، وإنما هي على شكل وحدات سكنية بناها البدو حول بئر ماء وبجانبه مسجد . وكان جل اعتماد سكان الهجر على عطايا الدولة[٩] ويدل على ذلك أن أكثر البدو الذين سكنوا الهجر لم يتخلوا عن الترحال وحياة البداوة في فترات من كل سنة ، كما أن بعضهم هجر الهجر كلياً وعاد إلى البداوة.

ويقول الاستاذ عبد الفتاح أبو علية أن الأخوان أسموا قراهم بالهجر نسبة إلى هجرة الرسول وصحبه من مكة إلى المدينة[١٠] .

وللسيد محمد جلال كشك رأي مماثل فهو يستنكر أن تكون الغاية من الهجر نقل البدو إلى الحياة المدنية ، أي غاية إقتصادية ـ إجتماعية ، ويعتبر أنها كانت عملية ثورية لاحياء الدين فيقول : لا تعني «الهجرة» الانتقال من حياة البدو إلى حياة الزراعة وإنما هي هجرة تستوحي الهجرة الاولى أي الهجرة إلى الله ورسوله[١١] ويقول : تحدث عبد العزيز نفسه عن الهجرة فلم يشر إلى مشروعات الزراعة أو بناء المدن بل شرح طبيعتهم التطوعية أو الندائية فقال يجيئوننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال لكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئاً[١٢] .

لعل رأي الاساتذة حمد الجاسر وعبد الفتاح أبو علية وجلال كشك في الغاية من «الهجر» أقرب الى الحقيقة . فالامام عبد العزيز كان شيخاً بدوياً خالصاً يعيش ليومه ويعجز عن التخطيط للامد البعيد . لذلك يُستبعد أن يكون بدأ مشروعاً لتحضير البدو يستغرق بأفضل الاحوال أجيالاً ويتطلب نفقات يعجز عنها ، ومثابرة على العمل ليست من طبيعة البدوي ، ولعل أفضل دليل على خلو ذهن الامام عبد العزيز من تخطيط إجتماعي ـ إقتصادي كهذا ما رواه السيد محمد أسد في كتابه «الطريق إلى مكة» فقال أنه رجع من رحلة في الأراضي

السعودية عام ١٩٢٨ بعدما احتل الامام عبد العزيز الحجاز وأصبح أكثر شعوراً بمتطلبات الحكم المدني ، فقال له أن في وادي بيشة في عسير إمكانيات زراعية يمكن أن تجعله مصدراً كبيراً للقمح يموّن الحجاز كله . وأرهف الملك أذنيه وسألني قائلاً : كم يلزم من الوقت ليصبح وادي بيشة كذلك . فقلت له ما بين خمس وعشر سنوات . فصاح عبد العزيز أنها مدة طويلة . نحن البدو لا نعرف إلا شيئاً واحداً هو : ما نحصل عليه نأكله . أما الخطط والمشاريع لعشر سنوات فشيء يطول أمره علينا .

ويقول محمد أسد أنه تبادل النظر بذهول مع الامير شكيب ارسلان الذي كان حاضراً الحديث . ومنذ ذلك الحين بدأت أسأل نفسي هل ابن سعود رجل عظيم يبني دولة ، أو مجرد رجل يسعى إلى السلطة .

يُستنتج من ذلك أن الذي لا يدرك أهمية تطوير الزراعة في بيشة لتموين الحجاز لا يمكن أن يكون استهدف غاية اقتصادية وحضارية عن طريق اسكان البدو حول آبار متفرقة في صحاري نجد .

لكن حركة توطين البدو في الهجر ، سواء كانت الغاية منها إجتماعية ـ إقتصادية ، أو كانت تستوحي الهجرة إلى الله ، فإنها لم تنجح ولم تستمر على الصورة التي أريدت لها . فكثير من البدو الذين سكنوها في البداية عادوا إلى ديارهم البدوية الاولى . وبعضهم كان يعيش في البادية طوال العام ولا يعود للهجر إلا أثناء الزرع والحصاد . أما الذين بقوا مقيمين فما كان اعتمادهم على الزراعة بل على معونات ابن سعود مما يعني عدم اعتمادهم على جهودهم[١٣] .

عقيدة الاخوان

يقول الدكتور عبد الفتاح ابو علية :

«تشترك حركة الاخوان مع الحركة السلفية الاولى بطابعها الديني . فالتعصب الديني الشديد الذي تميز به الاخوان كان يماثله التشدد الديني عند

السلفيين القدامى . والشدة القاسية التي عامل بها السلفيون الأوائل سكان العراق وبلاد الشام أثناء غزواتهم الاولى (الفتح الاسلامي) تتشابه إلى حد كبير مع القسوة التي عامل بها الاخوان سكان نفس المناطق على اعتبارهم ليسوا سلفيين أو أخوان فاعتبروا أن كل من ليس سلفياً أو من الأخوان كافراً يحل قتله وأخذ أمواله . «والاخوان والسلفيون يكنون كرهاً شديداً للافرنج المسيحيين . وقد لمست بنفسي أثناء إقامتي في السعودية كره السعوديين وبخاصة المتقدمين في السن منهم للاجانب المسيحيين . كما يكنّ الاخوان كرهاً شديداً في الاحساء للشيعة حيث نصف السكان من أتباع هذا المذهب فطالبوهم أن يبايعوا من جديد على الإسلام (الوهابي) ، وأن يُمنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية في الحسينيات وإجبارهم على الصلاة في مساجد السنة . كما منعوهم من التدخين حتى في بيوتهم . وقتل الاخوان الكثير منهم في الاحساء»[١٤] .

إستخدم الامام عبد العزيز وسائل الاغراء والتبشير والتهديد لنشر دعوة الاخوان . فالاغراء بالعطايا تمثلت باعطاء شيوخ القبائل بيوتاً في الرياض ، وأموالاً وثياباً وارزاً وتمراً وشاياً وقهوة وطحيناً ، وكان التبشير من نصيب أفراد القبائل العاديين ، والتهديد والارغام من نصيب من لا ينفع معه الإغراء والتبشير .

أقنع الامام عبد العزيز رؤساء القبائل بالحضور إلى الرياض ودراسة الامور الدينية على يد مشايخ وهابيين أعدّهم لهذه الغاية مغرياً إياهم بالهدايا والعطايا والبيوت التي وهبها لهم في الرياض[١٥] . وقد تلقوا تعليماً دينياً بدائياً فاعلنوا انتسابهم للوهابية وخضوعهم للامام عبد العزيز . «وأرسل عبد العزيز إلى الهجر والقبائل عدداً كبيراً من «المطاوعة» بقصد التثقيف الديني . وأهم ما يقوم به المطوّع «الارشاد إلى الطاعات» . وهو الخطيب في القرية يصلي بأهلها ويعلم أبناءها ويفتي كبارها ويعقد لها في الزواج ويقسم مواريثها ويتوسط في حل مشكلاتها . وللمطوع سلطة الجزر عن المعاصي»[١٦]

ولا يزال المطاوعة يمارسون مهامها في قرى المملكة ومدنها في الوقت الحاضر . ومن يطّلع على مستوى ثقافتهم المتدنية حالياً يستطيع أن يتصور ما كانوا عليه من جهل ونقص في المعرفة قبل خمسة وسبعين عاماً .

«وقد وضع الامام عبد العزيز كل ثقله لانجاح مشروعه فركز على أهمية العطايا وأهمية تثقيف البدو الثقافة الدينية إلا أن بعض أدعياء العلم ثقفوهم تعاليم دينية ناقصة فلقنوهم أن غير الاخوان من المسلمين كفرة ، وغرسوا في نفوسهم حب الامام ، وقالوا أن لبس العقال حرام ويجب لبس العمامة وعليهم دفع الزكاة للامام»[١٧] .

وقال عنهم السيد حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز «أن العلماء الجهلة انتشروا في قرى الاخوان وعلموهم التعاليم الدينية الناقصة . وزاد الطين بلة جيل الاخوان إذ أن القليل والنادر منهم من يقرأ ويكتب . هذا ما جعلهم متعصبين ومتزمتين لما تلقوه من انصاف المثقفين الدينيين حتى اعتقدوا أن هذه التعاليم هي الدين وما سواها ضلالة . كما أساؤا الظن بغيرهم من حضر نجد (وفي وقت لاحق) بولي أمرهم الامام عبد العزيز . وقالوا بغزو الحضر سكان المدن النجدية والحجازية لأنها بلاد الكفار .

«واعتقد الاخوان أن العمامة هي السنة وأن العقال من البدع المنكرة بل غالى بعضهم فجعله من لبس الكفار ويجب مقاطعة لابسيه . وقضوا بحلق الشوارب وإطلاق اللحى واعتبروا ذلك من السنة . ونال بعضهم من الامام عبد العزيز نفسه فرموه بموالاة الكفار (الانكليز) والتساهل في الدين ، وأنكروا عليه ألقاب السلطان والملك وتطويل شاربه وثوبه ولبس العقال»[١٨] .

وقال الاستاذ احمد عبد الغفور العطار في كتابه «صقر الجزيرة» «إن أكثر الاخوان كانوا جامدين يعيشون فيما يشبه الجب لا يبرحونه . وبلغوا من الشدة والعنف والجهل أن حرّموا ما أحله الله وافتوا بغير ما انزل وكفروا المسلمين واعلنوا الحرب على كل ما انتجته الحضارة وانكروا على المصلحين إصلاحهم .

وقال أن فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين (زعماء الاخوان الذين قادوا غزوات عبد العزيز) وأتباعهم يعيشون عيشة بدوية فظة غليظة وهم أعداء الحضارة والمدنية وكانوا متساوين في الجلف والشدة والنقمة العارمة على المتمدنين والمدنية . وهم وحوش ضارية مفترسة ينساقون مع غرائزهم المتوحشة . وكان سلطان بن بجاد الذي لقب نفسه «سلطان الدين» سفاحاً قاتلاً[19] . (ابن بجاد هو شيخ قبيلة العتيبة وصهر فيصل الدويش فتحا مكة والمدينة عام ١٩٢٤) .

وقال السيد محمد المانع الذي عمل مترجماً في ديوان الملك عبد العزيز ما بين ١٩٢٦ ـ ١٩٣٥ «أن الاخوان اشتهروا بتعصبهم الديني وكانوا تواقين إلى شن الحروب على الكفار . والكافر بنظرهم كل من ليس من الاخوان . وكانوا يحرمون الموسيقى ويكرهون الشعر والشعراء ويصرون على لبس الملابس الخشنة إذ يعتبرون لبس الحرير بذخاً محرماً . وكانوا لا يحبون أي نوع من أنواع الحلي ويستنكرون استعمال العطور . وحين تصاعدت قوتهم إزداد نفوذهم في الحياة اليومية للناس العاديين لدرجة أن الذين لم يمروا بتلك التجربة يصعب عليهم تصورها . وقبيل وصولي إلى الرياض أول مرة عام ١٩٢٦ جلد الاخوان علناً رئيس الديوان الملكي بمجرد الشك أنه لم يؤدِ الصلاة مع الجماعة . وكانت جماعات منهم تجوب الشوارع وتتصرف بوصفها شرطة دينية عينت نفسها لتعاقب كل شخص لا يتبع تعاليمها» .

وأضاف السيد محمد المانع : «كانوا يمسكون في الشارع أي رجل وشارباه غير محفوفين أو ثوبه أطول من المقبول لديهم فيقصّوا الزائد من شعره وثوبه . ولم يسلم عبد العزيز من هذا . فقد قيل أنه زار مرة فيصل الدويش في الارطاوية فحياه مضيفوه بأن ثوبه أطول مما ينبغي وأحضروا مقصاً فأزالوا من الثوب ما يتجاوز «حد الدين» . وكانت رؤية سيكارة في يد إنسان تعني جلده على الأقل .

«وكان الاخوان كارهين للعلم وللتقدم فاعتبروا أي نوع من أنواع التقنية

الحديثة شراً وكفراً كالتلفون والتلغراف والسيارات والساعات والكهرباء وقالوا عنها أنها سحر من عمل الشيطان لأنه لم يرد لها ذكر في القرآن فقاوموا استخدامها ونشرها وأخروا تقدم البلاد»[٢٠].

ويروي السيد جلال كشك أنه في العقد الثاني من القرن العشرين أعلن الاخوان أن المندوب السامي البريطاني نجس وأن النجاسة تنتقل منه إلى كل من يؤاكله ، وهذا ينقلها بدوره إلى غيره مما يحتم كسر الزير او الابريق إذا لمسه كل من أكل مع مسيحي[٢١].

في ذلك الوقت كان أمامهم عبد العزيز يقبض الاموال من الانكليز ويستلم منهم الاسلحة لمقاتلة المسلمين في جبل شمر والحجاز فلا يعترض الاخوان على ذلك ولا يرونه مخالفاً للدين . ترى إلى حد يمكن أن يصل التمويه والسفسطائية في أمور الدين ؟

وقال امين الريحاني «أن الاخوان في ما ظهر من بسالتهم وبطشهم وهول إستشهادهم أورثوا عبد العزيز مشكلاً آخر . فقد طغى الاخوان وتجبروا فضج الناس . راح الاخوان يحاربون من لم يتبعهم من البدو فيكفرون وينهبون ويقتلون . أنت يا بدوي مشرك ـ والمشرك حلال الدم والمال . أنت يا أبا العقال من الكفار ـ أنا أخو من طاع الله ، وأنت أخو من طاع الشيطان . كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصابة البيضاء (اي الأخوان) على سواه من العرب فيعيّر ويشتم ويسفك الدماء . وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد وكاد يقطع حبل الأمن والسلام»[٢٢] .

وقد تمادى الاخوان في قصاص الناس خصوصاً بعد دخولهم الحجاز . وكانوا ينفذون القصاص في الحال ولابسط الامور . فقد جلدوا رئيس الديوان الملكي كما رأينا ، وحاولوا قتل ثلاثة قناصل مسلمين في جدة هم قنصل روسيا وايران وجاوة . وهاجموا المحمل المصري لأنه برأيهم بدعة ، وأزالوا الكثير من

القباب والأضرحة المرتفعة عن سطح الأرض على اعتبارها من البدع . ولو تركوا على هداهم لدمروا كل ما أقامه الفن العربي في الجزيرة .

واضطر الملك عبد العزيز لفرض ضرائب غير الزكاة لتنظيم الدولة بعد فتح الحجاز . إلا أن الاخوان تصدوا له وطالبوه بإلغائها .(٢٣)

واحتجوا على الملك لإرساله إبنه سعود لزيارة مصر للعلاج لأنها بلد الكفار . واحتجوا على إرسال إبنه فيصل لزيارة البلاد الأوروبية لأنها أكثر كفراً . وطالبوه بمنع قبائل العراق والاردن من الرعي في أراضيهم على اعتبارهم كفرة ويحرم عليهم دخول أرض المسلمين . وطالبوه بعدم التجارة مع العراق وايران على اعتبارها بلاد الكفار(٢٤) .

وعارض الاخوان بناء المخافر العراقية على الحدود السعودية وهاجموها وطالبوا الملك عبد العزيز بقطع علاقاته مع بريطانيا .

ورأوا أن استخدام السيارات واللاسلكي والهاتف بدع لأنها من صنع الفرنج . وكانوا يرون ضرورة محاربة الدول المجاورة كالعراق والاردن واحتلالها ونشر الوهابية بين سكانها .

لقد منع الامام عبد العزيز وأتباعه الموسيقى بمختلف أنواعها ، والرقص والتصوير والرسم والنحت والغناء والتمثيل ، وزرع الزهور والورود ، وبناء العمارة الإسلامية المميزة ، وكل ما له صلة بالفنون الجميلة فزادوا في قساوة الصحراء وحرموا النفس البشرية من تعابير الجمال التي تسمو بها إلى العلاء ، وكبتوا ملكة الإبداع والخلق والتعبير وهي سمات التقدم والرقي في كل مجتمع بشري . ولما زار الرياض الفيلسوف اللبناني أمين الريحاني سنة ١٩٢٢ لم يجد في شرفاتها أو ساحاتها أو بيوتها نبتة ورد أو زهر فقد حرّم الامام ذلك كما حرموا ولا يزالون لعب الأطفال البريئة وما زالوا ينظرون شذراً إلى من يضحك علناً وكأن البشاشة وسماحة الخلق عندهم نقيصة ، كما أن تدينهم لم يشمل فضيلة التسامح

والمحبة والرفق والدعوة إلى الدين بالتي هي أحسن ، وقد قال شاعر عبد العزيز ابن العثيمين أبياتاً وصف فيها الاخوان بعدما نكل بهم الامام عبد العزيز جاء فيها :

حبوا الحقد والتعصب ديناً  أي دين يبقى مع البغضاء
يا غلاة الاخوان ضيقتم الدين  ورغتم عن منهج الحنفاء
ما رأيتم منه سوى الكبت  والحقد وإبداء نقمة وازدراء
وانتقاصاً من الشوارب  والثوب وميلاً لغزوة وعداء
قد عرفناكم جنود مليك  فمتى صرتم جنود السماء

سبق ابن العثيمين إلى المعنى ذاته حاكم البحرين الشيخ خليفه بن حمد آل خليفة الذي قال في الوهابيين لما بدأوا يتوسعون في الاحساء في التسعينات من القرن الثامن عشر :

لك الحمد يا مولاي حمداً مؤبدا  على نعم جلى واعظمها الهدى
ويا بدعة ما قد سمعنا بمثلها  تكفر كل الناس حتى الموحدا

## مسؤولية الامام عبد العزيز عن أعمال الأخوان

حفلت علاقة عبد العزيز بالاخوان بالتناقضات منذ بدايتها . أي أن اتفاقه معهم حمل منذ نشوئه بذور الفشل والصراع .

كان عبد العزيز يدرك بوضوح منذ ما كان منفياً في الكويت يلاحظ قوة بريطانيا في الخليج ونفوذها في المحميات ، أن لا أمل له بتحقيق ملك واسع إلا بمساعدة دولة قوية . وحيث أن تركيا كانت متحالفة مع ابن رشيد ، فليس له إلا الدولة البريطانية .

ومع ذلك ، «كان يعطي توجيهاته للعلماء ، وهم بدورهم يلقنونها للبدو في المساجد عن طريق الخطب في الصلاة والإرشادات والدروس الدينية ، بوجوب

طاعة الإمام ودفع الزكاة وتلبية أوامره من أجل الجهاد ضد من لم يعتنق المذهب السلفي»[٢٥] .

ولا نعتقد أن هذا التناقض خفي على إدراك عبد العزيز لكنه استغل الاخوان وحماسهم الديني للتغلب على خصومه الداخلين ، واستطاع أن يبقي علاقته مع الانكليز غير معروفة من العموم إلى أن احتل جميع المناطق التي سمح له الانكليز بها . فلما انتهت حاجته للاخوان واصبحت علاقته بالانكليز علنية وثار الاخوان عليه ضربهم وقضى عليهم بمعونة أصدقائه الانكليز أيضاً كما سيأتي .

ومن التناقضات في مسلك الامام عبد العزيز أيضاً أن الامام عبد الرحمن آل سعود استرحم الخليفة العثماني الحنفي حين إقامته في الكويت ليبسط عليه رعايته ويدفع له معاشه الشهري . وكان يخاطبه بلقب الخليفة وأمير المؤمنين (راجع الفصل الخامس) .

وقد وقع الباحثون في حيرة . فأيهم يمثل العقيدة الوهابية الصحيحة ، أهو الامام عبد الرحمن الذي يعترف بالخليفة العثماني ويستجديه المعاش الشهري ، أم الامام سعود الكبير وحركة الاخوان الجديدة التي يرأسها ابنه عبد العزيز ، وهم قد كفروا كل المسلمين الذين ليسوا على مذهبهم وعلى رأسهم الخليفة العثماني والاشراف في الحجاز ؟

ونرى أيضاً إجماعاً من الذين عايشوا فترة الاخوان وكتبوا عنهم من أصدقاء عبد العزيز والموظفين لديه ، على وصف الاخوان بالتعصب والجهل والتأخر . كما نرى أنهم بذلوا جهداً واضحاً للفصل بين مبادىء الاخوان وأعمالهم وتصرفاتهم التي شجبوها واستنكروها ، وبين إمامهم الذي لقنهم تلك المبادىء والأفكار الناقصة .

ومن الطبيعي أن الزعيم الذي يبث المبادىء والافكار التي ذكرناها في عقول أتباعه الأميين والسذج يجب أن يتوقع منهم التصرفات التي صدرت والمتفقة

مع تلك المبادىء. وليس في كتب التاريخ ما يشير إلى أن الامام عبد العزيز إستنكر فظائع الاخوان ضد القبائل النجدية والعراقية والكويتية ، أو ما فعلوه في الطائف ومكة ، أو أنه نهاهم وزجرهم عنها بل بالعكس فكل شيء يحمل على الإعتقاد بأنه وجههم نحوها وكان راضياً عنها فهو مسؤول عنها مسؤولية كاملة . وكان علينا أن ننتظر كاتباً أجنبياً محايداً ليربط بين مسؤولية عبد العزيز وبين تصرفات الاخوان . هذا الكاتب هو محمد أسد وهو يهودي بولوني حفيد حاخام من مدينة لفوف عمل صحفياً في الشرق الاوسط وصار على علاقة طية بعبد العزيز وبغيره من الرؤوساء . إعتنق الإسلام ونشر كتاباً بالانكليزية بعنوان «الطريق إلى مكة» . وعندما انفصلت الباكستان عن الهند عينته الباكستان ممثلاً لها في الأمم المتحدة(٢٦) .

قال محمد أسد : «ان عبد العزيز إكتفى بتعريف الاخوان على أبسط مبادىء الثقافة الدينية والدنيوية . والحق أنه لم يعرفهم على شيء من ذلك إلا بالمقدار الذي بدا ضرورياً للحفاظ على حماستهم وغيرتهم . وبكلمة أخرى لم يرَ عبد العزيز في حركة الاخوان إلا وسيلة لبلوغه القوة واستتباب الحكم . وفي السنوات التي تلت كان المقدر لهذه السياسة أن ترتد على سياسته هو بالذات ، وهو ما حصل . لكن خيبة أمل الاخوان بعبد العزيز ، وخيبة أمله بهم لم تتضح إلا بعد سنوات طويلة» .

وبالحقيقة فإن الفراق بين الامام والاخوان لم يأتِ من جانبه بل من جانب الاخوان الذين رأوا إمامهم يبتعد عن الطريق الذي دعاهم إليه . فهم الذي ثاروا عليه لتقويم أمره حسب اعتقادهم معتزين بعصبيتهم البدوية وقوة عشائرهم ، وليس هو الذي تخلى عنهم . وكادوا بالفعل أن ينجحوا بالاطاحة به لولا مبادرة الانكليز عسكرياً لنصرته .

وقد تبيّن من الاستعراض التاريخي الذي تقدم أن عقلية الائمة الوهابيين لم تتغير خلال مابة سنة . فالامام الرابع عشر عبد العزيز ابن عبد الرحمن تصرف

مع محيطه بنفس العقلية التي تصرف بها سلفه الامام الثالث سعود ابن عبد العزيز في أواخر القرن الثامن عشر . ولم يطرأ خلال قرن من الزمن أي تطور على العقيدة الوهابية أو ممارساتها الدموية ضد المسلمين من المذاهب الاخرى مما يؤكد الجمود العقلي في منطقة نجد ، وعزلتها عن العالم الخارجي وعن التطورات الإنسانية والإجتماعية والعلمية التي حدثت خلال تلك الفترة الطويلة والتي أشرنا إليها في الفصل الثالث .

## فتوحات الامام عبد العزيز

مع حلول عام ١٩١٧ بلغ عدد الهجر نحو مائتين منتشرة في أنحاء نجد فتشكلت بذلك شبكة عسكرية قوية تضم نحو ١٠ ـ ١٢ الف مقاتل يتضاعف عددهم عند إعلان النفير العام . ولم تخف الغاية العسكرية من حركة الاخوان فوصفهم الملك حسين ابن علي بأنهم «مجتمع سياسي متلبس برداء الدين» .

وخلافاً لما توحيه مؤلفات معظم الكتاب العرب الذين صوروا الاخوان كقوة حربية لا تُقهر في الجزيرة العربية ، فإن الوقائع التاريخية تبين أن «جهاد» الاخوان قبل الحماية البريطانية كان فاشلاً . فما بين نشوء الهجر بعد ١٩١٣ وإلى عام ١٩١٦ خاض الاخوان معركتين قاسيتين فقط إحداهما ضد آل رشيد في جرّاب حيث هزمتهم شمّر هزيمة شنيعة ، والثانية ضد العجمان في الاحساء حيث إنهزم الاخوان أيضاً واستولى العجمان على معظم أرجاء المنطقة . مما دلّ على أنه لم يكن للاخوان قوة ذاتية منبعثة من تنظيمهم الخاص ومن عقيدتهم . ولم يسترجع عبد العزيز الاحساء من العجمان إلا بعدما وافته الاسلحة والذخائر الانكليزية من البحرين وأنجده الشيخ مبارك الصباح بحملة بقيادة إبنه سالم .(٢٧)

ونلاحظ أنه لم يصبح للاخوان شأن عسكري وتبدأ إنتصاراتهم المتلاحقة ضد آل رشيد والهاشميين والا دراسة إلا بعد هزيمة الدولة العثمانية وانقطاع

دعمها المالي والعسكري لحلفائها فضعفوا ، وبعدما بدأ يتدفق على إمام الاخوان المال والسلاح الانكليزي فكانت فتوحات عبد العزيز بالفعل تنفيذاً لمخطط بريطاني يبين له أين يستطيع الامتداد ، وأين يجب أن يتوقف خدمة للمصالح البريطانية .

ولا بأس بذلك . فهذه طبيعة العلاقات الدولية بين الأقوياء والضعفاء . لكن ما يؤخذ على هذه السياسة هو الازدواجية والانتهازية التي مارسها آل سعود خلال المدة من ١٩١٦ الى ١٩٢٩ . فقد كانوا من جهة يستجدون المال البريطاني ويطلبون منه المزيد ، ويخضعون للحدود التي رسمتها لهم بريطانيا مع الدول المجاورة ، وينفذون لها سياستها ، وكانوا من جهة أخرى يحرضون الاخوان على تكفير الانكليز وكل من ليس وهابياً .

ولعل زعماء الاخوان من غير آل سعود شاركوا بهذا الخداع لأنه إذا كان الاخوان الاميون الجهلة يعتبرون العالم كله محصوراً في نجد وعشائرها ، فإن زعماءهم أمثال فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين كانوا متصلين بالجوار في الخليج والعراق وكانوا على بعض المعرفة بالعالم الأوسع ومقدرة الدول العظمى التي لا تقاس بها قوة الاخوان .

أما بالنسبة لغزوات الاخوان في هذه الفترة خارج حدود نجد ضد بدو العراق والاردن والشام ، وهي الغزوات ضد المصالح البريطانية التي ضخمها مؤرخو آل سعود تكبيراً لقيمة عبد العزيز فجعلوها تصل إلى قرب عمان والشام ، فقد كانت غزوات بدوية خاطفة للسلب والنهب لم تستمر أي منها أكثر من يومين أو ثلاثة وانتهت كلها بالهزيمة والتراجع السريع أمام القوات العراقية والاردنية النظامية . وهي غزوات لم تستهدف بأي حال الاحتلال والبقاء أو نشر الدعوة الوهابية لقصر مدتها .

### وقعة الجهرة مع الكويت ١٠ اكتوبر ١٩٢٠

توفي جابر الصباح في فبراير ١٩١٧ وخلفه أخوه سالم بن مبارك وكان عثماني الميول متطرفاً في تدينه . وكان توليه مشيخة الكويت ايذانا بعودة التوتر بين نجد والكويت وتصاعده حتى وصل إلى مرحلة الصدام ، كما فترت علاقاته مع الانكليز لأنه مال ضمناً للاتراك أيام الحرب .

برزت بين الرياض والكويت ثلاث قضايا رئيسية : قضية العجمان ، وقضية الرسوم التي طالب بها عبد العزيز على البضائع المباعة إلى أهل نجد ، وخلافات الحدود .

فقد كان العجمان المقيمون في العراق يهاجمون قبائل نجد مارين بالكويت فطلب عبد العزيز من سالم منعم فلم يستجب له . وتوالت الغزوات بين قبائل البلدين .

أما قضية الرسوم فإن عبد العزيز كان بأشد الحاجة إلى زيادة موارده المالية من أي مصدر . وكانت الكويت ميناء نجدٍ كما ذكرنا تسير منها القوافل محملة بالبضائع إلى أرجاء نجد سالكة مختلف السبل الصحراوية بمجرد مغادرتها لمدينة الكويت فكان يصعب على عبد العزيز تحصيل الرسوم منها . لذلك طلب أن يعين جباة سعوديين في الكويت يجبون الرسوم على البضائع المتجهة إلى نجد ، أو أن تتكفل الكويت بدفع مبلغ مساوي له . ورفضت الكويت ذلك وبقيت القضية تتفاعل(٢٨) .

خلافات الحدود - نتيجة للعلاقة العدائية بين عبد العزيز وسالم ردّ عبد العزيز على موقفه سالم من العجمان بجباية الزكاة من قبيلة العوازم الكويتية .

وتفاقم الخلاف لما قام فخذ من قبيلة نظير يقودهم ابن شقير في ابريل ١٩٢٠ بتأسيس مستوطنة اخوانية في أراضي يدّعي الكويتيون ملكيتها في موقع يُدعى «قرية» .

طلب سالم من ابن شقير ان ينسحب فلم يستجب له فسير عليه حملة كويتية فاستنجد ابن شقير بفيصل الدويش زعيم مطير الذي زحف من الارطاوية واشتبك بالقوة الكويتية في ٢٠ مايو فهزمها وغنم منها أموالاً كثيرة .

خشي أهل الكويت من هجوم الاخوان فبنى سالم سوراً حول المدينة وحصّنها ورفع الفريقان خلافهما للمعتمد البريطاني وادعى عبد العزيز أن هجوم فيصل الدويش جرى خلافاً لرغبته فيما قال الكويتيون أنه هو الذي أمر بالهجوم . وتراسل الفريقان لكنهما فشلا في التفاهم . وسعى الانكليز لاجراء تحكيم يتولّونه لكن الوقت طال لانشغالهم بثورة العراق وداهمتهم معركة الجهرة .

فقد اتجه فيصل الدويش من الارطاوية إلى داخل أراضي الكويت ووصل إلى الصبيحية في ١٨ اكتوبر على رأس أربعة آلاف مقاتل بينهم خمسمائة خيال . وتوجه سالم إلى الجهرة في ضواحي الكويت التي توقع أن يقع الهجوم عليها .

شن الاخوان هجومهم على الجهرة صباح العاشر من اكتوبر في أرض مكشوفة فقتل منهم عدد كبير وانسحب سالم وأتباعه وتحصنوا في حصن قريب من الجهرة فحاصرتهم القوات السعودية وضغطت عليهم. وتفاوض الفريقان فطلب الأخوان من أهل الكويت الدخول في المذهب الوهابي فرفضوا. عندها طلب الشيخ سالم معونة بريطانيا بموجب معاهدة الحماية مع أنه كان معادياً للانكليز أثناء الحرب العالمية ويميل بوضوح إلى الأتراك.

لبى الانكليز استغاثته فوجهوا سفينتين حربيتين رابطتا أمام ساحل الكويت كما ارسلوا طيارتين من العراق لقصف معسكر الاخوان إذا لم ينسحبوا ، ونصبوا مدافع على سطوح بعض بيوت المدينة ، وأصدر الانكليز إنذاراً للقوات الوهابية بالانسحاب كما ابلغوا ذلك لعبد العزيز الذي أجاب أنه سبق وأصدر أمرا للاخوان بالانسحاب وهذا ما جرى . واعتبرت الجهرة هزيمة للقوات الوهابية بفضل التدخل الانكليزي .

عاد الشيخ سالم من الجهرة بحالة صحية سيئة وتوفي في ٢٧ فبراير ١٩٢١ وخلفه عمه احمد الجابر فاعلن عبد العزيز أنه لم تعد هناك حاجة لشروط بين البلدين وأمر بفتح الحدود .

وعادت قضية الرسوم الجمركية تتفاعل . فقد طلب عبد العزيز من احمد الجابر تعيين موظف من قبله ليستوفي الرسوم على البضائع الذاهبة الى نجد فرفض شيخ الكويت ذلك . وقابل عبد العزيز هذا الرفض بمنع رعاياه من التموين من سوق الكويت وحولهم إلى القطيف والاحساء وجبيل . وبقيت المشكلة قائمة زمناً وتضرر منها أهل الكويت وأهل نجد على السواء .(٢٩)

## عبد العزيز «سلطان نجد» ١٩٢١

في صيف ١٩٢١ عقد عبد العزيز مؤتمراً في الرياض دعا إليه رؤساء القبائل والعلماء تقرر فيه أن يحمل لقب «سلطان نجد» ولم يكن هؤلاء ليخالفونه . وحدث ذلك بعدما ارتقى فيصل ابن الحسين عرش العراق . وقد كتب عبد العزيز إلى المفوض السامي البريطاني في العراق يخبره بقرار مؤتمر الرياض «ويرجو أن يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهية»(٣٠) على أثر ذلك اعترفت بريطانيا بتاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٢١ لعبد العزيز ولمن يخلفه من ذريته بلقب «سلطان» .

سنتابع فيما يلي تطور العلاقة غير الطبيعية بين جماعة دينية جامدة ومتعصبة ومعزولة عن العالم تؤمن بدعوة تنقلها من حياتها القاسية التعيسة إلى الجنة وحور العين ، وبين إمامها الذي زيّن لها هذا التعصب ثم إكتشف أن لا قبل له برفض المدنية الغربية ولا بد له من التعاون مع الدولة الكافرة بريطانيا إذا أراد الاحتفاظ بملكه . فكان لا بد من حصول الاصطدام ومن أن يقضي أحد الفريقين على الآخر . والطريف في الامر أن الفريقين لجئا في النهاية الى الانكليز : فيصل الدويش وسلطان ابن بجاد لانقاذ الروح ، والامام عبد العزيز للقضاء على خصميه .

التغلب على آل رشيد

سقوط حائل نوفمبر ١٩٢١

ذكرنا في فصل سابق نسب آل رشيد وتتابع امرائهم على حكم حائل . وقد دام حكمهم ما يقارب التسعين سنة واشتهروا بنشر الأمن في البوادي والصحاري بحيث كان المسافر والقوافل تتجول دون خوف من اعتداء . وكانت بلاد شمر عامرة وقدرت ميزانية الامير بثمانين ألف جنيه سنوياً وهو مبلغ ضخم إذا تذكرنا أن معاهدة القطيف خصصت لعبد العزيز آل سعود ستين ألف جنيه سنوياً من بريطانيا .

وكانت علاقة آل رشيد بالوهابية فاترة في هذا الوقت . فعبد الله بن رشيد الذي ساعد الامام فيصل بن تركي على استعادة الرياض تبع المذهب الوهابي لكنهم لم يتعصبوا له فسمحوا للشيعة وغيرهم بسكنى حائل ، وخففوا كثيراً من اوامر ونواهي المذهب الوهابي ، كما تخلوا عن نشر الدعوة . ودعا طلال ابن رشيد للسلطان العثماني في مساجد شمر . وفي عهد محمد آل رشيد تخلت شمر عن تطبيق الشريعة وعادت تسير بموجب القانون العرفي القبلي لأن روح الوهابية كانت قد ماتت في النفوس وإن بقيت بعض شكلياتها .

كان آل رشيد حلفاء مخلصين للدولة العثمانية يعترفون بسيادتها وتمدهم من ناحيتها بالمال والسلاح فشكلوا بذلك قوة قادرة في صد التوسع الوهابي وايقافه وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين طيلة عشرين سنة .

لكن الحال اختلف بعدما انهزمت تركيا في الحرب العالمية الاولى فضعف موقف آل رشيد وتعزز موقف عبد العزيز حليف بريطانيا المنتصرة فكان لا بد أن يعمد هذا إلى السعي للاستيلاء على جبل شمر والقضاء على القوة الوحيدة الباقية التي تتصدى له في نجد . وساعده على ذلك التقاتل ضمن عائلة آل رشيد فقد قتل عبد الله بن طلال سعود ابن عبد العزيز عام ١٩١٩ وهذا بدوره قتله عبد من عبيد سعود . وتولى بعده عبد الله ابن متعب لكن محمد بن طلال نازعه على

الإمارة فالتجأ عبد الله إلى عبد العزيز بن سعود وأقام في الرياض . لكن المقاومة الشمرية استمرت بقيادة محمد بن طلال .

وكان عبد الله ابن متعب قد حاول أن يتصالح مع عبد العزيز آل سعود فاشترط هذا عليه أن يتولى هو علاقات شمر مع جيرانهم فرفض عبد الله . عندها جهز عبد العزيز قوة كبيرة بقيادة أخيه محمد وابنه سعود فحاصر حائل أكثر من شهرين ثم ارتد عنها . واستمرت الحرب مدة طويلة . وفي خلالها نفد ما لدى قوات عبد العزيز من أطعمة وزاد فضاق به الحال واستنجد بشيخ الكويت احمد جابر الصباح الذي أرسل له ستين الف ريال وألف كيس من الارز .(٣١) ومن المحتمل أن يكون لبريطانيا دور في تحسن العلاقة بين آل الصباح وآل السعود بعدما أصبح الفريقان حلفاءها في المنطقة .

جنّد عبد العزيز آل سعود حملة ثانية على حائل في خريف ١٩٢١ مسلحاً بالمال والعتاد الانكليزي . فدخل الاخوان حائل وقتلوا شيوخها واخذوا نساءها وفتكوا بأهلها ونهبوها وفعلوا بها ما فعله الامام سعود الكبير قبل قرن وربع . وكان ذلك نهاية آل رشيد كقوة سياسية وعسكرية في أواسط الجزيرة . ورحبت بريطانيا بانتصار حليفها .

على أثر هذا الاحتلال هاجرت أعداد كبيرة من شمر إلى العراق خصوصاً من قبيلة (عبده) الشهيرة وانضموا إلى (الجربا) الذين سبقوهم في القرن الثامن عشر بعدما فتك بهم الامام سعود الكبير . وقد رحب العراق بهم وأسكنهم الأراضي الخصبة غرب الموصل حيث لا يزالون إلى الآن . وفي الاعوام التي تلت سقوط حائل شارك الشمريون في الغارات التي شنتها القبائل العراقية على الاراضي النجدية . وقد طالب عبد العزيز مراراً الحكومة العراقية بإعادة شمر إلى نجد ، متوسطاً المندوب السامي البريطاني ، فلم تستجب الحكومة العراقية له .

في هذا الصراع بين آل سعود وآل رشيد يتساءل الباحث من كان أصدق

مع ربه ونفسه وقومه : آل رشيد الذين تحالفوا مع العثمانيين المسلمين واخذوا منهم المال والسلاح ، أم آل سعود الذين تحالفوا مع الانكليز وبنوا مملكتهم على الذهب والسلاح الانكليزيين في الوقت الذي كانوا يعلّمون أتباعهم من الاخوان أن الانكليز كفرة لا يجوز التعامل معهم .

## بريطانيا ترسم حدود التوسع السعودي

باحتلال جبل شمر اتسعت مناطق عبد العزيز نحو خمساية كيلومتر شمالاً وصارت متصلة بحدود العراق والاردن أي أنه وصل الى حدود المناطق المشمولة بانتداب بريطانيا ، وبالتالي بحمايتها ، أي إلى الحدود المسموح له بها .

ادعى عبد العزيز بأن وادي سرحان (وادي الازرق) والجوف وسكاكة هي أراضي سعودية . وكانت غايته من ذلك أن يفصل ما بين العراق والاردن وأن تتصل حدوده مباشرة بسوريا . لكن بريطانيا لم تمكنه من ذلك وضمت هذه المناطق الى الاردن . كذلك رفضت ادعاءه بملكية العقبة وابقتها ميناء للأردن .

بطبيعة الحال لم يكن الاخوان وزعماؤهم مدركين لهذا الوضع السياسي الجديد فاندفعوا يتابعون غزواتهم لفرض دعوتهم ولنهب القبائل والمناطق المجاورة ، وكان توسعهم مضمون النجاح ما داموا لا يصطدمون بالمصالح البريطانية ، وكان فاشلاً في كل مرة خرجوا عن النطاق المعين لهم ضمناً . فكانوا كالاعشى يخبط في الظلام .

ونظراً لمعرفة عبد العزيز بصورة عامة بالحدود المرسومة له ولجهل قادة الاخوان بها فكان لا بد أن يحصل التصادم بينهما عندما يحاول كبح جماحهم .

استطاعت قوات عبد العزيز مثلاً أن تهزم قوات الشريف عبد الله ابن الحسين في تربة يوم ٢٥ مايو (ايار) ١٩١٩ وهي تقع على بعد ماية كيلومتر من مكة لكن الزحف توقف رغم ممانعة «الاخوان» لأن بريطانيا لم تقبل بسقوط

الحجاز في ذلك الوقت إذ كانت لا تزال متعاونة مع الثورة العربية بقيادة الشريف حسين .

ويقول الاستاذ حافظ وهبه في ذلك : «لا ينتقص من قدر عبد العزيز المبالغة في مجاملة الانكليز في مختلف المسائل . فقد سبق أن انذره الانكليز عام ١٩١٩ بعد واقعة تُرَبة . وهم الذين اجبروه على التراجع عنها»(٣٢) .

وعندما اتجه الاخوان لمهاجمة الكويت في شتاء ١٩٢١ بقيادة فيصل الدويش بحجة ان الكويت أزالت مستوطنة وهابية لقبيلة مطير تصدى لهم الانكليز بعنف وردوهم مستعينين بالاسطول البريطاني ومهددين باستخدام الطائرات دفاعاً عن المحمية البريطانية .(٣٣)

وفي مارس ١٩٢٢ اتجهت قوة من الاخوان تقدر بالفي مقاتل بقيادة فيصل الدويش نحو الحدود العراقية للغزو لكن الطائرات البريطانية والقوات العراقية تصدت لها وردتها .

احتلال عسير

في يونيو ١٩٢٢ أرسل عبد العزيز جيشاً بقيادة ابنه فيصل ضد آل عائض في جبال عسير فاستولى على ابها وبيشة وخميس مشيط وولى على المقاطعة ابن عفيصان .(٣٤) فلم تحرك بريطانيا ساكناً لأن عسير خارج مناطق مصالحها وحمايتها .

وفي صيف ١٩٢٢ دخلت قوة من «الاخوان» تقدر بالف وخمساية رجل حدود الاردن ووصلت الى بعد عشرين كيلومتراً من عمان وفتكت بسكان قريتين من بني صخر قبل أن تكتشفها القوات الاردنية وتقتل عدداً كبيراً منها . فكانت آخر غزوة وهابية للأردن .

## معاهدة عقير ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٢٢

شعرت بريطانيا بحرج من الغزوات المتبادلة بين القبائل على حدود الكويت والعراق والاردن إذ أن الجميع يتمتعون بحمايتها وبصداقتها فقررت

وضع نهاية لذلك بتعيين الحدود بين المتنازعين ، وكلفت مندوبها السامي في بغداد السير برسي كوكس بتنفيذ ذلك .

وكان كوكس يشغل سابقاً منصب المقيم البريطاني العام في الخليج وقد تعامل بهذه الصفة مع عبد العزيز مدة طويلة من الزمن وكان له عليه نفوذ شخصي كبير بالاضافة إلى كونه ممثل الدولة التي تدفع المعونة المالية السنوية لعبد العزيز التي تشكل الدعامة الأساسية لحكمه (ستين الف جنيه ذهباً) . وقد وصفت جرترود بل السياسية والمستعربة الانكليزية التي كانت تقيم في بغداد في تلك الفترة هذا التأثير الشخصي عام ١٩٢٢ فقالت «انه لامر مذهل حقاً أن يستطيع امرؤ ما ممارسة نفوذ كنفوذ برسي كوكس (على عبد العزيز) . ولا اعتقد أنه طوال التاريخ استطاع شخص اوروبي ان يحدث انطباعاً عميقاً كهذا على عقل شرقي»[٣٥] .

اشترك بالمفاوضات وفود عن ثلاث دول فقد مثل الامام عبد العزيز نجد . وحضر السير برسي يرافقه وفد العراق برئاسة صبيح بك نشأت . أما الكويت فقد مثلها الوكيل السياسي البريطاني الماجور مور ، فكان أول مؤتمر دولي يعقد على الارض السعودية .

وجاء عبد العزيز من الاحساء ليفاوض وهو في موقف ضعيف إذ كان يلتمس زيادة المعونة الانكليزية المالية المخصصة له لأنه بعد الاستيلاء على جبل شمر وعسير زاد عدد رؤوساء القبائل الذي يحتاج إلى مشترى ولائهم .

ترك كوكس عبد العزيز والمندوب العراقي يتفاوضان لمدة خمسة أيام دون تدخل منه . فلما لم يتوصلا إلى نتيجة استلم زمام المفاوضة «فأخذ عبد العزيز جانباً وأنّبه كما يفعل المدرس مع التلميذ» حسب رواية الكولونيل هـ . ديكسون المقيم البريطاني في الكويت ، وهو شاهد العيان الوحيد لهذه المقابلة ، وقال له أنه إذا لم تسر المفاوضات بشكل مرضي فانه سيتولى هو (كوكس) تخطيط الحدود بنفسه . عندها انهار عبد العزيز وقال انه يعتبر السير برسي كوالده فهو الذي دعمه واوصله إلى مركزه الحالي ، وهو مستعد أن يتنازل عن نصف ملكه إذا امر

السيد برسي بذلك.[36]

وهكذا انتهى المأزق فتناول برسي كوكس قلماً ووضع خطاً على الخارطة يمتد من رأس الخليج إلى شرق الاردن فاعطى عبد العزيز مساحة كبيرة تدعي الكويت ملكيتها وهي الاراضي التي كان فيصل الدويش قد احتلها قبل سنة ، كما اعطى العراق مساحة كبيرة من الاراضي التي تدعي السعودية ملكيتها ، ثم رسم على الخارطة منطقتين سماهما «المناطق المحايدة» بين نجد والعراق وبين نجد والكويت وضعهما تحت سيادة البلدين المشتركة حيث تستطيع القبائل البدوية المختلفة أن تتنقل وترعى مواشيها بحرية .[37]

قبل الفرقاء بهذه الحلول ولا تزال هذه الحدود على حالها إلى الآن وقد وقعت اتفاقية الحدود بين نجد والكويت في ٢ ديسمبر ١٩٢٢ وقعها عن الجانب السعودي الدكتور عبد الله الدملوجي ، وعن الجانب الكويتي الميجور مور . واقترنت الاتفاقية بمصادقة فورية من عبد العزيز الذي وضع عليها ختمه . أما الشيخ احمد الجابر فقد وقعها بامتعاض في ٢٨ ديسمبر ١٩٢٢ .

لاتفاقية عقير اهمية كبرى لأنها ابرزت مدى خضوع عبد العزيز للتوجيهات البريطانية رغم علمه برفض «الاخوان» لها ، ووضعت حداً لمطامع التوسع السعودي ، وفرضت على البدو مفهوم الحدود الوطنية التي لا يمكن تجاوزها ، كما ادخلت البلاد السعودية في مفهوم الدولة بعدما كانت مجموعة قبائل متحركة . إلا أنها خلقت لعبد العزيز بالمقابل مشاكل داخلية مع «الاخوان» .

بنتيجة الاتفاقية وجد عبد العزيز نفسه محاطاً بحدود يتوجب عليه احترامها فهو محاط من الشمال بالملك فيصل في العراق والامير عبد الله في شرق الاردن ، وهو محاط من الشرق بمشيخات «الشاطىء المتصالح» المتمتعة بالحماية البريطانية ، ومن الجنوب بقوس بريطاني يمتد من مسقط الى عدن . ولم يبق له متنفس الا غرباً باتجاه الحجاز .

انصرفت بريطانيا بعد ذلك إلى تنظيم دفاع العراق والاردن ضد احتمال

الغزوات «الاخوانية» فانشأت «قوة الحدود الاردنية» وقوة مماثلة في العراق من بدو الفرات تدعمها مصفحات وطائرات صارت أكثر من كفؤ لرد الاخوان .

إن مغزى هذه الوقائع الثابتة التي أوردناها هام جداً لأنه يلقي ضوءاً جديداً على حقيقة ادوار بريطانيا وعبد العزيز في نشأة المملكة العربية السعودية . فبريطانيا التي نكثت بعهودها للهاشميين حول الدولة العربية الكبرى في الشمال التي تشمل بر الشام وفلسطين والعراق والحجاز ، وانفضح امرها بالكشف عن معاهدة سايكس - بيكو السرية ثم باعلان وعد بلفور الذي اعطى اليهود حقاً في فلسطين ، صارت تسعى للتخلص من الهاشميين ومن الملك حسين على الاخص . ولم تجد منافساً يستطيع ازاحته غير عبد العزيز فموّلته وسلّحته واطلقت يده في كل المناطق المتاخمة لنجد وخاصة في الحجاز معقل الهاشميين ، وقطعت مساعداتها عن حلفائها هؤلاء حتى عجزوا عن دفع معاشات ضباطهم وجنودهم ، لكنها منعت عبد العزيز من أي توسع في أراضي دويلات «الشاطىء المتصالح» الواقعة تحت حمايتها ، او في الاردن والعراق الواقعين تحت انتدابها .

وهكذا نشأت مملكة عبد العزيز بارادة الانكليز وتعينت حدودها حسب مصالحهم .

## احتلال الحجاز ١٩٢٤

خلال هذه الفترة وإلى عام ١٩٢٤ كانت تتنازع الحكومة البريطانية سياستان بالنسبة للجزيرة العربية . فالمكتب البريطاني في القاهرة كان عموماً أكثر تأييداً للشريف حسين ولاولاده فيصل (ملك العراق لاحقاً) وعبد الله (امير شرق الاردن لاحقاً) ، في حين كانت الحكومة البريطانية في الهند التي تشرف على امور الخليج الفارسي أكثر تعاطفاً مع آل سعود .

بعد التغلب على آل رشيد بقي الشريف حسين في مكة العدو الاول الذي يخشاه الامام عبد العزيز ، وبقيت الحجاز المجال الوحيد الذي تركه الانكليز

للتوسع السعودي . «وكان الملك حسين لا ينظر إلى سلطان نجد أو غيره من الحكام الآخرين إلا كما ينظر السيد الى تابعه»(٣٨) .

زاد في حدة النزاع بين الهاشميين وآل سعود أنه عندما أعلنت تركيا الغاء الخلافة عام ١٩٢٤ سارع الشريف حسين إلى إعلان نفسه خليفة على المسلمين دون أن يضمن تأييد أية مجموعة إسلامية ذات شأن . وقد استنكر عبد العزيز والاخوان ذلك . كما أن حسين منع «الاخوان» من الحج بحجة المحافظة على سلامة الحجاج من اعتداءاتهم .

اجتمع على الاثر في الرياض مؤتمر برئاسة عبد الرحمن والد عبد العزيز في شهر يونيو ١٩٢٤ ضم العلماء وشيوخ القبائل والاخوان . وقرر المجتمعون أن منعهم من الحج ، أحد أركان الإسلام الخمسة ، يشكل سبباً كافياً للحرب .

## احتلال الطائف ١٩٢٤

على أثر ذلك هاجم نحو ثلاثة آلاف من الاخوان بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي امير الخرمة مدينة الطائف في ٢٦ سبتمبر وتغلبوا على حاميتها واعادوا فيها ما فعله الوهابيون بها وبسكانها عام ١٨٠٢ من قتل ونهب .

ويروي الاستاذ احمد عبد الغفور العطار في كتابه «صقر الجزيرة» مجزرة الاخوان الجديدة في الطائف فيقول : انتهز الذؤبان الآدميون الغزاة فقدان السلطة من البلدة فراحوا يقضون الليل في السلب والنهب والقتل فلا رادع من دين او ضمير او سلطان . وهاجموا البيوت وحطموا الابواب ودخلوا على الابرياء ومزقوهم بالسيف وأطلقوا عليهم الرصاص واستلبوا كل ما وجدوا من غال ورخيص . ودخل سلطان بن بجاد البلدة وأخلاها من المدنيين وحشرهم كلهم في الحدائق وكانت النساء سافرات لاول مرة في هذه البلاد مع الرجال ونهب سلطان ومن معه كل ما في البلدة المنكوبة .

ويقول الريحاني : «اختلطت الجموع في ظلمات الليل وكانت ساعة الهول

والفجع . راح الاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت اما قيراً وإما بعد أن يؤمنوا أصحابها ثم يعملون فيها ايدي السلب . وكانوا يقتلون في سبيل السلب . وقتلوا النساء اللواتي رفضن الادلال على الكنوز والسلاح . كما قتلوا مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وأبناء الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة»[39]

وقالت الاميرة موضي بنت منصور آل سعود «اصبح الحجاز بعد معركة الطائف مفتوحاً امام عبد العزيز لكنه تباطأ بالزحف على مكة حتى يستكشف نوايا الانكليز الذين كانوا انذروه وطلبوا منه التوقف عن القتال بعد معركة تربة قبل خمس سنوات . وهم الآن مصدر قوته الحربية من حيث المال والسلاح لا يستقيم له أمر إذا قطعوا عنه هذين الموردين»[40] .

لكن سياسة بريطانيا كانت قد تغيرت خلال هذه المدة واصبحوا يريدون التخلص من الملك حسين واولاده في الحجاز حتى يكفّوا عن مطالبتهم بتنفيذ تعهداتهم لعرب الشمال . وكانت وسيلتهم المفضلة أن يضربوا العرب بالعرب . وكان عبد العزيز أداتهم في تلك السياسة .

احتلال مكة ١٦ اكتوبر ١٩٢٤

توقف الزحف في الطائف وأرسل ابن بجاد وابن لؤي الى الامام عبد العزيز ، وهو لا يزال في الرياض ، ينتظران اذنه بالزحف على مكة . فلما جاءهما الاذن دخلوها في ١٦ اكتوبر وكرروا فيها ما فعله اسلافهم بمكة والمدينة عام ١٨٠٣ من مذابح وسلب ونهب مما يدل على أن مرور قرن وربع من الزمن لم يغير شيئاً من طبيعة آل سعود .

يتابع الاستاذ العطار وصف هذه الحقبة التي عايشها فيقول أنه «بعد الذي جرى في الطائف ذهب إلى جدة ثم إلى مكة حيث كان والده فوجدوها كالمقبرة في الصمت الرهيب . وكانت قلقة تطمنها الآلام وتنتظر البلاء والفاجعة من الاحزان

مستسلمة للقضاء والقدر . وكان بعض الاخوان من غطغط (احدى هجر الاخوان) يسألون في اسواق مكة اين بيت «أبي خيشة» . لكن المكيين لا يعرفون احداً بهذه الكنية . وأخيراً عرفوا أن هؤلاء الاجلاف سموا الشريف حسين ابا خيشة . لكنهم أجلاف وكفى» .

ووصف امين الريحاني أفعال الاخوان في مكة فقال «احتل الجيش السعودي مكة ويا لهول ما عمل الاخوان بأهل مكة . عاهدوا «الجداعين» وأمنوهم على حياتهم وأموالهم ثم ذبحوهم عن بكرة أبيهم . وعاهدوا بني جابر وبعض الاشراف وأمنوهم ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم . . . الرجال منهم والنساء والاطفال . وضربوا أهل جاوة بمكة ومنعوهم من الصلاة ومن التدريس في الحرم . والويل لمن يرون سيجارة في يده فإنهم يشبعونه شتماً وضرباً . وهدموا بيت السيدة فاطمة الزهراء ، وضريح السيدة خديجة ، وبيت أبي بكر وكل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في المعلا (من احياء مكة) والقبب والمزارات»[٤١](اهـ) .

وأجبر خالد بن لؤي المسلمين أن يصلوا جميعاً في الحرم خلف الامام الحنبلي الذي ينتمي إليه الوهابيون مما عزز الأتهام الرائج بأن الاخوان والسعوديين يكفرون من لا يتبع المذهب الحنبلي ، والحنابلة هم الاقل عدداً بين المسلمين . فالحنفية هم الاكثر ، يليهم أتباع المذهب الشافعي في مصر بحكم إقامة الامام الشافعي فيها ، بينما اعتنق المغرب كله المذهب المالكي . واعترض المسلمون على هذا التعنت فاضطر عبد العزيز ، رغم معارضة الاخوان أن يسمح للأئمة من المذاهب الاربعة بالصلاة في المسجد الحرام .

ذكر السيد حافظ وهبه تدليلاً على عقلية الاخوان البدائية أنهم عندما احتلوا الطائف ومكة حطموا جميع المرايا في البيوت لأنهم لم يروا مرآة في حياتهم من قبل وظنوا أن إنعاكس صورة وجوههم من عمل الشيطان . وقسموا المنهوبات من أبواب وشبابيك وأثاث وسجاد فيما بينهم فكان أحدهم يحصل على جزء من شباك أو باب أو مقعد أو فراش يعود به إلى كوخه . ويقول بعض من

زاروا هذه الاكواخ في قرية خرمه أنهم وجدوا الشباك مركزاً محل الباب ، ونصف باب بدل باب كامل ، وقطعة من سجادة اقتسموها أثناء النهب[٤٢] .

احتاج العالم الإسلامي لفظائع الاخوان في الحجاز . وانهالت الاحتجاجات على الامام عبد العزيز . وكان سلطان بن بجاد وفيصل الدويش يطمعان أن يصبحا حاكمين على مكة والمدينة باعتبار انهما هما اللذان فتحا الحجاز بينما كان عبد العزيز مقيماً في الرياض . لكن عبد العزيز استجاب للنقمة الإسلامية فاستبعدهما وعين حافظ وهبه حاكماً على مكة . وكان ذلك من أسباب العداوة مع الاخوان .

## تنازل الملك حسين ٥ اكتوبر ١٩٢٤

استعملت بريطانيا جميع وسائل الضغط لتجبر الملك حسين على التنازل عن العرش واهمها قطع المساعدات المالية عنه حتى عجز عن دفع رواتب الضباط والجنود . فانصاع لها وتنازل لابنه علي في ٥ اكتوبر ١٩٢٤ ثم غادر جده الى العقبة بحراً يوم ١٥ اكتوبر وأقام فيها مدة .

لكن الحكومة البريطانية تضايقت من وجوده هناك وبقيت تلاحقه حتى تتخلص من الرمز الذي يذكرها بخيانتها للعرب فأرسلت إليه انذاراً عن طريق المدرعة البريطانية الراسية في العقبة بمغادرة المدينة تلبية لطلب عبد العزيز . وأبلغه قائد المدرعة البريطاني بأن عليه أن يسافر الى قبرص .[٤٣] وقد بقي الملك حسين في قبرص الى حين وفاته عام ١٩٣١ لكنه دفن في المسجد الاقصى في القدس وانتهت بذلك حقبة محزنة من تاريخ العرب .

## أهل الحجاز يطلبون الاستقلال

بعد مغادرة الملك حسين أعلن الحجازيون في جدة قيام «حكومة الحجاز الدستورية الديمقراطية» تحت قيادة الملك علي غايتها تحقيق استقلال الحجاز

ومقاومة الغزو الوهابي والحصول على اعتراف الاجانب بالدولة الجديدة . وكان المحرك الرئيسي لحركة الاستقلال السيد محمد الطويل مدير الجمارك أيام الملك حسين وهو الذي اسس «الحزب الوطني الحجازي» وأيده معظم تجار جدة لأنهم لم يطيقوا التصور بأنهم يستطيعون العيش تحت الحكم الوهابي . وعلى هذا قاومت جدة الحصار السعودي سنة كاملة . وبلغ من شدة رفض الحجازيين للاحتلال السعودي أنه توجه وفد من أعيان جدة بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٢٤ إلى مكتب القنصل البريطاني ريدر بولارد يطلبون حماية بريطانيا . وجاء في أعتابهم وفد يضم علي رضا قائمقام جدة وأحد كبار تجارها ، ومحمد الطويل مدير الجمارك ، وسليمان قابيل رئيس بلدية جدة ، ومدير التعليم ، يطلبون وضع الحجاز تحت الانتداب البريطاني .[٤٤] انقاذاً له من السيطرة الوهابية .

وقد قاوم أهالي جدة بسالة تحت قيادة الملك علي الى أن باعتهم بريطانيا لعبد العزيز . فقد جاء المندوب الانكليزي السيد جلبرت كلايتون إلى جدة في اكتوبر ١٩٢٥ لا ليتباحث مع حاكمها الشرعي الملك علي ، بل ليتفاوض مع عبد العزيز المعسكر في جوارها بشأن ميناء العقبة ومنطقة معان ومساحتها نحو ستة آلاف ميل مربع ارادت بريطانيا ضمها للاردن، وبشأن المشاكل بين القبائل النجدية والعراقية.

وقد أثمرت هذه المناوضات فوقع عبد العزيز وبريطانيا اتفاقية حدّاء[٤٥] بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٢٥ تنازل فيها عبد العزيز عن العقبة ومعان .

ووقع الطرفان عبد العزيز وجيلبرت كلايتون ، يرافقه السيد توفيق السويدي ، اتفاقية بحره[٤٦] بتاريخ ١٩٢٥/١٢/١ لتسوية المشاكل القائمة بين الاخوان والقبائل العراقية .

مقابل ذلك وافقت بريطانيا على الاحتلال الوهابي للحجاز[٤٧] وهكذا تمت مقايضة حرية الشعب الحجازي بمكسب لدولة عظمى وأصبح مصير الملك علي والحركة الحجازية الاستقلالية محتوماً[٤٨] .

تنازل الملك علي وسقوط جدة ٢٣ ديسمبر ١٩٢٥

بدأ حصار الاخوان لجدة في ٣ يناير ١٩٢٥ واستمر الملك علي يقاوم سنة كاملة . خلال ذلك سقطت المدينة المنورة بيد الاخوان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٢٥ ففعلوا بها ما فعلوه بمكة .

وتدخلت بريطانيا لاتمام مؤامرتها . فقطعت عن الملك علي الموارد والعتاد فبقي جيشه يحارب سنة دون أن يحصل على رواتب . وأخيراً اضطر الملك علي للانسحاب بعدما ضاق به العيش وأغلقت في وجهه الابواب .

لم تستسلم جدة إلى عبد العزيز دون شروط ، فلما أبلغها الملك علي نيته بالتنازل في ١٧ ديسمبر ١٩٢٥ ، ذهب وفد من تجار المدينة برئاسة الحاج عبد الله علي رضا إلى معسكر عبد العزيز في الرغامة خارج جده على طريق مكة واتفقوا معه على الشروط التالية :(٥٠)

١ ـ أن يكون أهل الحجاز احراراً بادارة بلادهم تحت حكم عبد العزيز .

٢ اعلان العفو عن جميع من ناصروا الحكومة الشريفية وإطلاق سراح المعتقلين منهم .

٣ ـ إبقاء الموظفين المدنيين في مراكزهم .

٤ ـ دفع مصاريف اعادة الجنود الغرباء الى بلادهم ودفع تعويضات للجنود الذين لم يتقاضوا رواتبهم .

٥ ـ احتفاظ أفراد العائلة الهاشمية بأملاكهم الحجازية الموروثة .

غادر الملك علي جدة بحراً متوجهاً الى العراق يوم ٢٠ ديسمبر فدخل عبد العزيز المدينة يوم٢٣ ديسمبر وأصبح الحجاز كله بقبضته .

وكان الخلاف قد تفاقم خلال ذلك ما بين عبد العزيز وزعماء الاخوان أثناء حصار جدة . فقد أصرّ هؤلاء على اجتياح المدينة وفتحها عنوة طمعاً بنهب أموال التجار فحال عبد العزيز دون ذلك لأنه خشي من تدخل الاسطول الانكليزي

لحماية الاجانب المقيمين في «بلد القناصل» ولا بد ان الانكليز انذروه بذلك، وهكذا دخلها سلماً بعدما اتفق مع أهلها.

## الدعوة لوضع الحجاز تحت إدارة إسلامية

كان لفظائع الاخوان في الطائف ومكة صدى هائل في باقي أرجاء الحجاز وفي العالم الاسلامي خشي الامام عبد العزيز عاقبته إذ تذكر ما حلّ بجده الامام سعود لما ارتكب فظائع مماثلة في المدينتين فكانت النتيجة احتلال نجد وتدمير الدرعية والقضاء على آل سعود.

لذلك لجأ عبد العزيز خلال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ إلى الخديعة والحيلة لتهدئة المعارضة الحجازية واحتوائها من جهة، ولمنع تدخل اسلامي خارجي من جهة أخرى.

وصل عبد العزيز الى مكة بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٢٤ أي بعدما احتلها الاخوان بشهر ونصف وكان قد بدأ يحاول تبديد أثر جرائم الاخوان في الطائف ومكة والمدينة فاعلن قبل وصوله الى مكة «أن مكة للمسلمين كافة فيجب أن يكون أمر إدارتها وتنظيمها وفق رغبة العالم الاسلامي. أننا سنجتمع بوفود العالم الاسلامي هناك ونتبادل معهم الرأي»[٥١].

وطمأن «الحزب الوطني الحجازي» في برقيته بشهر اكتوبر ١٩٢٤ «أننا لا نطمع بامتلاك الحجاز او التسلط عليه ولهذا فهو يُترك للعالم الاسلامي. هذا ما نراه من البداية للبلاد المقدسة»[٥٢].

وبتاريخ ٦ ديسمبر ١٩٢٤ ألقى السيد حافظ وهبه مستشار الامام عبد العزيز كلمة في اجتماع العلماء في مكة بتكليف منه قال فيها «أن عبد العزيز يريد أن يرجع هذه البلاد إلى عهد الشورى ... وهو لا يريد أن يكون هذا البيت ملكاً لاحد بل مشاعاً بين المسلمين، ولكل شعب من الشعوب الإسلامية ولكل فرد من أفراد العالم الإسلامي حق فيه»[٥٣].

تحمس الهنود لفكرة وضع الحجاز تحت ادارة إسلامية عالمية فأبرق شوكت علي باسم «جمعية الخلافة» إلى الحزب الوطني الحجازي «أن مسلمي الهند لا يرضون إلا بتأسيس حكومة ديمقراطية يشترك فيها جميع المسلمين» . وأكد مرة أخرى لابن سعود أن مسلمي الهند «يريدون أن تكون حكومة الحجاز ديمقراطية تخضع لرأي العالم الاسلامي»(٥٤) .

استمر عبد العزيز في السعي لامتصاص نقمة المسلمين فأصدر منشوراً بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٢٤ بعد دخوله مكة جاء في مادته الثانية : «سنجعل الامر في هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين . وقد أبرقنا لكافة مسلمي العالم أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لانفاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهرة»(٥٥) .

ووعد عبد العزيز «بإجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الاسلامي ، وإعلان إستقلال الحجاز الداخلي وحياده ، وتوكيل مندوبي الممالك والشعوب الإسلامية بوضع النظم المالية والإقتصادية والإدارية لحكومة الحجاز» .

بعد سقوط جده بيوم واحد عاد السلطان عبد العزيز يؤكد في منشور أصدره في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥ «أن مستقبل البلاد لا بد لتقريره من مؤتمر يشترك فيه المسلمون جميعاً لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحه» .

ولم يطل الوقت حتى نكل الامام عبد العزيز عن جميع ذلك . فأعلن بعد اسبوعين في ٧ يناير ١٩٢٦ وبعد ما تأكد من الدعم الانكليزي ، عدوله عن فكرة المؤتمر الإسلامي «لأن دعوته لم تجد إستجابة» حسب زعمه . وفي اليوم الثاني ٨ يناير حشد جماعة في مكة بايعته فأصبح لقبه « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها» .

ولم تكن حجة عبد العزيز بعدم استجابة المسلمين لدعوة المؤتمر الاسلامي صحيحة . فقد كان المسلمون يستعدون لارسال مندوبيهم لتشكيل مجلس

الوصاية وكان مستشاره حافظ وهبه في مصر يهيء مع الحكومة المصرية مسألة إرسال الوفد المصري . وقد استدعاه الملك فؤاد في ١٨ يناير وقال له أن القرار المفاجىء بضم الحجاز إلى نجد ومبايعة ابن سعود ملكاً ينقض الخطاب الذي أرسله له عبد العزيز مع الشيخ مصطفى المراغي كما ينقض تكأيدات حافظ وهبه للملك فؤاد . ونتج عن ذلك أزمة بين مصر والسعودية استمرت أحد عشر عاماً .

ولم يكن رد فعل مسلمي الهند أقل غضباً فاحتجوا وقامت في صحافة الهند حملة عداء وتشهير ضد آل سعود استمرت عدة سنوات . وجرى شيء مماثل في ايران .

وبقي المسلمون يطالبون بعقد المؤتمر ويلحون عليه فقبل عبد العزيز بذلك شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز . وعند افتتاح المؤتمر الاسلامي حظر على المندوبين أن يبحثوا في موضوع المشاركة الإسلامية بإدارة الحجاز وتشكيل حكم ديمقراطي فيه واقتصرت أبحاثه على العلاقات بين الشعوب الاسلامية .

وبقي موضوع الديمقراطية والشورى أمراً محظوراً لدى آل سعود الى يومنا هذا .

غربة عبد العزيز عن الحجازيين

يقول السيد حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز : «لم يتعلم عبد العزيز في طفولته فلم يكن في نجد أو الكويت مدارس بالمعنى الصحيح . وكان عبد العزيز يصرح بذلك معتذراً عن أخطائه الكتابية». (٥٦)

وأورد السيد وهبه في كتابه نموذجاً من رسالة وجهها الملك عبد العزيز إليه بخط يده تكاد تكون غير مقروءة لكثرة الاغلاط الاملائية والنحوية .

ويتابع وهبه قائلاً : «كان عبد العزيز في أول عهده في الحجاز يكثر من الالفاظ الدارجة في نجد مما لم يألفها أهل الحجاز ومصر . وكان الحجاج المصريون والسوريون لا يكادون يتفاهمون مع النجديين»[٥٧] وكان عبد العزيز يحتاج إلى ترجمان يفسر أقواله إذا اجتمع مع زائرين عرب من خارج الجزيرة .

## مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز ٨ يناير ١٩٢٦ وشروط البيعة

لم يستسغ الحجازيون أن يحكمهم الوهابيون السعوديون حتى بعدما أجهضت عبد العزيز مشروع المشاركة الإسلامية بإدارة الحجاز فاشترطوا على عبد العزيز كما رأينا أن تكون لهم الحرية بإدارة بلادهم . واستجاب لطلبهم نظراً لأنه كان يخشى العواقب الدولية لاحتلال جدة غصباً . وهكذا تألفت لجنة في جدة من عشرين شخصاً إجتمعت مع لجنة مكية واتفقوا على المطالبة بأن يكون الحجاز للحجازيين ، وأن يقوم أهله بإدارة شؤونه ، وأن تكون مكة عاصمة الحجاز . وقبل عبد العزيز بهذه الشروط ثم دعا إلى اجتماع عقد في مكة بتاريخ ٨ يناير ١٩٢٦ حضره شيوخ القبائل العلماء والتجار والاعيان فبايعوه ملكاً على الحجاز على هذه الشروط[٥٨].

وكانت البلاد التي عُرفت باسم «المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها» ، من الوجهتين الحقوقية والقانونية مؤلفة من مملكتين مستقلتين لكل منهما أوضاعها وحكومتها وطرز إدارتها، تجمع بينهما فقط رابطة العرش المشترك وشخص الجالس على العرش كما كانت الحال في بعض الممالك الاوروبية مثل النمسا والمجر .[٥٩]

## مجلس الشورى

تنفيذاً لما تم عليه الاتفاق أصدر الملك عبد العزيز قراراً سنة ١٩٢٦ بتشكيل «مجلس شورى» مؤلف من علماء الحجاز وتجارها وأعيانها ليشارك في إدارة المنطقة وليكون وسطاً بينه وبين الشعب ، كما وعد بوضع دستور للبلاد .

عقد المجلس أول جلساته في بداية ١٩٢٧ وخطب الملك في افتتاحه فقال : أن أمامكم اليوم أعمالاً كثيرة من موازنة لدوائر الحكومة ، ونظم من أجل مشاريع عامة . ولقد أمرت أن لا يسنّ نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يُعرض على مجلسكم فتناقشونه بمنتهى الحرية . إنكم تعلمون أن أساس نظامنا وأحكامنا هو الشرع الإسلامي ، وأنتم ضمن تلك الدائرة أحرار في سنّ كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط أن يكون متوافقاً مع الشريعة الإسلامية .

«التعليمات الاساسية» للمملكة الحجازية اغسطس ١٩٢٦

أصدر الملك عبد العزيز في ٣١ اغسطس ١٩٢٦ ما عرف باسم «التعليمات الاساسية للمملكة الحجازية» يقوم مقام الدستور باعتبار أن القرآن هو دستور البلاد تولت صياغته جماعة عُرفت باسم «الجمعية العمومية» مؤلفة من ممثلين عن مختلف البلاد الحجازية وقررت أن الدولة الحجازية دولة ملكية ، شورية ، إسلامية ، مستقلة في داخليتها وخارجيتها ، وأن عاصمتها مكة ، وإدارتها موكولة لعبد العزيز بن عبد الرحمن وهو مقيد بالشرع الإسلامي . وله أن يعين نائباً عنه في الحجاز[٦٠] (تعين الامير فيصل بن عبد العزيز نائباً عاماً على الحجاز) . ونصت التعليمات على إقامة المجالس في المملكة وهي مجلس الشورى بمكة ، ومجلس المدينة ، ومجلس جدة ، ومجالس النواحي والقرى والقبائل[٦١] .

تغير اللقب

كانت أول التعديلات على نظام التعليمات تغير لقب عبد العزيز فأصبح سنة ١٩٢٧ «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» . ثم تغير اسم مديرية الشؤون الخارجية إلى وزارة عام ١٩٢٨ وتولاها الامير فيصل إلى حين وفاته سنة ١٩٧٥.

## مجلس وكلاء، عبد العزيز يحكم حكماً شخصياً مطلقاً

في عام ١٩٣١ صدر نظام خاص بتأليف «مجلس وكلاء» وهو أشبه بمجلس وزراء جاء ناسخاً أو معدلاً لاحكام كثيرة من «التعليمات الأساسية». وتوالت التعديلات بعد ذلك وكلّ منها تلغي صراحة أو ضمناً بعض مواد «التعليمات». وما لم يلْغَ منها أصبح مهملاً لا ينفذ[٦٢]. هكذا كان مصير الاتفاق بين عبد العزيز وأهل الحجاز على أن يكونوا مستقلين بإدارة أمور بلادهم.

على كل حال وسواء بقيت «التعليمات» نافذة أو الغيت، «فالحقيقة التي يجب أن تذكر هي أن الملك عبد العزيز كان كل شيء في الدولة الحجازية ليس لأحد من أخوته أو أبنائه أو وزرائه أو امرائه في الاقاليم، أو مجالسه، أن يتصرف أو يبت في شأن داخلي أو خارجي قبل عرضه عليه. فاذا لم يقرّه يذهب مع الريح»[٦٣].

**وشرح فؤاد حمزه وكيل وزارة الخارجية السعودية سلطة الملك عبد العزيز المطلقة فقال: «كان الملك مصدر السلطات جميعها و في يده تصريف شؤونها على النحو الذي يريده، وقوله هو القول الفصل في جميع الامور. ولا يقيّد هذه السلطة المطلقة إلا أحكام الشرع. ولا يوجد إلى جانب الملك هيئة وزارية تعاونه في تصريف الامور وإدارة البلاد بل للملك ديوان فيه موظفون دائمون لانجاز الاعمال وعرضها على الملك وتلقي اوامره. وليس لهذه الاعمال أشخاص مسؤولون عن تصريفها وتحمل نتائج اعمالهم فيها على هيئة وزراء أو مديرين. اما إدارة المقاطعات فتتم على يد أمراء يعينهم الملك لمدة غير محدودة ويستمدون سلطتهم منه».[٦٤]**

## تهامه عسير تحت الحماية السعودية ٢١ اكتوبر ١٩٢٦

قبيل ذلك، وقع أمام عسير حسن بن علي الادريسي معاهدة مع الملك

عبد العزيز بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩٢٦ عرفت «بمعاهدة مكة» اعترف فيها بسيادة آل سعود على عسير وتهامة «على أن تبقى إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من تنصيب وعزل وغير ذلك من حقوم أمام عسير» .(٦٥)

## معاهدة جدة ٢٠ مايو ١٩٢٧

بعد إنتهاء حرب الحجاز وتغير وضع عبد العزيز شعر الانكليز والسعوديون أن معاهدة القطيف ـ دارين المعقودة عام ١٩١٥ لم تعد تصلح لتنظيم العلاقات بين البلدين. وكانت بريطانيا قد ألغت مساعداتها المالية الرسمية للحكومة السعودية بشهر مارس ١٩٢٤ .

جرت مفاوضات تمهيدية بين الفريقين في وادي العقيق قرب المدينة المنورة ثم وصلت إلى جدة بعثة برئاسة الجنرال جيلبرت كلايتون انتهى البحث معها إلى وضع «معاهدة جدة» التي وقعها الامير فيصل بتفويض من والده . كما وقعها الجنرال كلايتون عن الحكومة البريطانية بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٢٧ . وتبودلت قرارات إبرامها في تاريخ توقيعها . وقد حلّت هذه المعاهدة محل معاهدة القطيف ـ دارين ونظمت العلاقة بين البلدين على أساس من الصداقة وحسن التفاهم .(٦٦)

تمدد أمد المعاهدة سنة ١٩٣٦ سبع سنوات أخرى . وفي ٣ اكتوبر ١٩٤٣ اتفق الفريقان على تمديدها سبع سنوات ثانية واتفق أنه «إذا لم يعلن أحد الفريقين الفريق الآخر قبل إنتهاء أي سابع من السنوات المقبلة بستة اشهر رغبته بتعديلها أو إلغائها فإنها تتجدد سبع سنوات أخرى ، وهكذا دواليك .(٦٧)

## قيام «المملكة العربية السعودية» ١٩٣٢ وإلغاء استقلال الحجاز

لم يكن عبد العزيز مخلصاً في عهوده للحجازيين بالاستقلال وإدارة شؤونهم

الداخلية إذ لم يلبث أن الغى «التعليمات الاساسية» لحكومة الحجاز كما رأينا، وجمد أعمال مجلس الشورى فالغى المشاركة الشعبية بالحكم مهما كانت ضيقة. ثم دفع عدداً من المتنفعين فقدموا عريضة بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٣٢ طالبوا فيها بما أفاد إلغاء استقلال الحجاز وضمه إلى نجد تحت اسم «المملكة العربية السعودية»، كما طالبوا «بسن نظام خاص بالحكم ونظام لتوارث العرش».

وتظاهر عبد العزيز بالتجاوب مع هذه المطالب فأصدر مرسوماً بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ بتغيير اسم البلاد «وتكليف مجلس وكلائنا الحالي بالشروع حالاً بوضع نظام أساسي للمملكة (دستور)، ونظام لتوارث العرش، ونظام لتشكيلات الحكومة، وعرضها علينا لاستصدار اوامرنا فيها».

اجتمع مجلس الوكلاء يوم ١١ مايو ١٩٣٣ وبايع الامير سعود ولياً للعهد. أما الدستور ونظام التوارث ونظام التشكيلات فلا يزال ينتظر النور. ولا يزال آل سعود يعدون الناس بالدستور ومجلس الشورى إلى الآن ولا يفون.

مع توحيد نجد والحجاز أصبحت معظم أراضي الجزيرة العربية إقطاعا مملوكاً لعائلة واحدة هي آل سعود تتصرف بثروة البلاد وبمصيرها على هواها وبما يعود على أفرادها بالنفع. كما اعتبرت العائلة، ولا تزال، أن مالية الدولة ملك خاص لها. وقد تصرف عبد العزيز وابنه سعود على هذا الاساس إلى أن جاء الملك فيصل فضبط الوضع نسبياًلكن العبث بالمال العام بقي مستمراً بصور أخرى ثم استفحل في عهد آل فهد.

## الادارة العشائرية في عهد الملك عبد العزيز

أخبرنا السيدان خير الدين الزركلي وفؤاد حمزة عن سلطة الملك عبد العزيز المطلقة في إدارة أمور الحجاز ونجد وعدم إقامته أية هيئة حكومية او ادارية تملك صلاحية البت بأي أمر من أمور الحكم او الادارة. ومع أنه أمام مسلم فإن حكمه المطلق لم يكن يمت بأية صلة لمبادىء الشورى الإسلامية المتوجبة طاعتها

عنه ، كما أن حكمه لم يقتبس شيئاً من مبادىء الديمقراطية الغربية التي كان عبد العزيز بطبيعة الحال لا يفهمها .

يخبرنا السيد محمد المانع الذي كان رئيس المترجمين في ديوان الملك من سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٣٥ عن تنظيم الادارة وعن النمط البدوي العشائري الذي سارت عليه فيقول :

«كان الملك نفسه هو الذي نظم الديوان بالطريقة التي تريحه . وكان شعبتين ، إحداهما تهتم بالشؤون الخارجية ، والثانية تعنى بالامور الداخلية . وكانت شعبة الشؤون الخارجية مؤلفة من رئيس الديوان ، ورئيس المترجمين (وقد شغل محمد المانع هذه الوظيفة) ، ومحرر للرسائل ، وطابع على الآلة الكاتبة . وحين توفي الملك عام ١٩٥٣ كانت الشعبة السياسية على هذا الوضع .

«وكانت هناك وزارة خارجية منفصلة عن الديوان يتولاها الامير فيصل . أما شعبة الامور الداخلية فكان لها رئيس وستة كتاب ، وموظف مسؤول عن استلام العرائض المرسلة للملك وتلخيصها ، بالاضافة إلى عدد من الكتاب الصغار .

«وحين التحقت بخدمة الملك عام ١٩٢٦ لم يكن بين موظفي الديوان من يتسلم راتباً منتظماً . كان جلالته يدفع لنا بنفس الاسلوب الذي يدفع به لجنوده من البادية فكان يمنحنا هدايا دورية من النقود والملابس . وعند نهاية كل سنة كنا نتسلم هدية إضافية من النقود . وكانت عائلات موظفي الديوان تُكسى على نفقة الملك . أما موظفو الحجاز فكانوا يتسلمون رواتب منتظمة كما كانت عليه الحال زمن حكم الاشراف . وبعد مدة طلبنا من الملك أن يعاملنا مثلهم فوافق .

«بالاضافة إلى الديوان وشعبتيه الداخلية والخارجية كانت توجد الشعبة السياسية مؤلفة من رجال بارزين من أقطار عربية مختلفة عددهم نحو ثمانية رجال كان منهم المستشار حافظ وهبه من مصر ، وخالد الحكيم من سوريا ، ويوسف ياسين من سوريا أيضاً ، وفؤاد حمزة من لبنان وهو السكرتير الاول لوزير

الخارجية الأمير فيصل، وعبدالله فيلبي (الانكليزي الاصل)، واخو الملك الأمير عبدالله ابن عبد الرحمن، والشيخ عبدالله السليمان الذي تولى عملياً وزارة المالية إلى ما بعد وفاة الملك عبد العزيز وهو من عنيزة تدرب على التجارة في بومباي في مؤسسة الشيخ عبدالله الفوزان احد وجهاء التجار النجديين.

«قبل الاستيلاء، على الحجاز لم يكن لعبد العزيز قناصل رسميون أو ممثلون دبلوماسيون في الدول الاجنبية. وكان التجار النجديون المستقرون في تلك الدول يعملون بصفتهم وكلاء له. وقد اشتهر منهم الشيخ فوزان السابق في القاهرة، وعبد اللطيف باشا المنديل في بغداد والبصرة، والشيخ عبد الله النفيسي في الكويت، والشيخ عبد الله الفوزان في بومباي، والشيخ ابن ليلى في دمشق، والشيخ عبد الرحمن القصيبي في البحرين.

كان الملك يستقبل في مجلسه العام كل صباح نحو مائة وخمسين شخصاً من البدو فيستمع إلى مطاليبهم أو شكاويهم. وكان من العادة أن يأتي جميع البدو الذين حاربوا مع الملك إلى مجلسه العام مرة كل سنة لتلقي الهدايا لقاء ما قاموا به من خدمات. وكان معدل ما يُعطى لكل بدوي ثلاثة جنيهات ذهبية وثوب بالاضافة إلى كمية من الرز والتمر والسكر والشاي والقهوة. وكانت هذه الهبات تشكل للبدو مصدراً مهماً من مصادر دخلهم السنوي وكانت كذلك عاملاً مهماً في ضمان ولائهم للملك.

«أما الجنود من البدو فكان الملك يمدهم طيلة العام بالاطعمة كالتمر والرز والطحين إضافة إلى ما يعطيهم حين يفدون إليه. أما إذا ذهبوا إلى معركة فكان الجند يمونون انفسهم. ومن هنا كان عبد العزيز يستطيع أن يجمع بسرعة قوة كبيرة دون مصاريف تعبئة وتموين اضافية.

«كانت فترة عمل الملك الصباحية تنتهي عادة بنهاية مجلسه العام. ثم يتناول غداءه ويستريح لدى اهله حتى اذان الظهر. وبعد الصلاة يجتمع بالشعبة

ـسية التي كـانت وظيفتها ابـداء المشورة للملك دون أن تكـون لها ابـة سـلطة تنفيذية كما لم يكن لاعضـائها حتى اقتراح مواضـيع المناقشـة بـل كانـوا يناقشـون ما يـطرحه الملك عنه.

و بعد ذلك يذهب الملك بنزهـة في الـسيارة. ويجلس بعد العشاء جلسـة غير رسـميـة مفتوحـة للوجهاء وكبـار الموظفـين والزوار البـارزين ثم يعود لـلاجتـماع بمستشاريه»(٦٨).

ويكشف لنا محمد المانع ناحية من الـطبيعة البـدوية لادارة الملك فيقـول: «من سـمات الديـوان الفريـدة أن كل افـراده تقريبـاً وعدداً من مـسـتشـاريه كـانوا يرافقون الملك في كل حملاته العسكرية وجولاته السياسـية. وكنا نأخذ معنـا كل السـجلات والأضابير والمراسـلات الموجـودة في الديـوان. وكانت هـذه تشحن في صـناديق كبيرة من الخشـب تحمل على ظهر الابل، عبر الاف الاميال حيثـما يذهب الملك. وكان حتماً أن تزداد كمية الاوراق كـل سـنة حتى لم يعـد يمكن نقلها كلهـا فاصـبحت الأضـابير الاسـاسية فقط هي التي تحمل معنا. وبعد وقت اختفت الابل من قافلة اسـفار الملك وحلت محلها الـسيارات وصـارت القافلة تتكون سـنة ١٩٣٥ مما يزيد عن مائتي وخمـسين سيارة.

«ولم تكن هناك طريق معبدة بين الرياض ومكـة. بل لم تكن هـناك طريق معبـدة في أي مكان من المملكـة فكانت الـسـيارات تـسير في الصـحاري يـرافقتهـا الادلاء.

«وكنـا إذا توقفنـا ليلة في الصـحراء اقيمت خيمـة كبـيرة للملك أمـا بـاقي المرافقين فكانوا ينامون فوق الأرض في العراء على طريقة البدو. وكان كل واحـد منهم يحمل طعامه الخاص.

«ومن الجدير بالذكـر أن الديـوان المتنقل الـذي كان اعضـاؤه لا يتجاوزون ثلاثين رجلاً كان قبل خمـسين سـنة فقط مـسؤولاً عن الادارة المركزية للمملكة العربية الـسعودية بكاملها»(٦٩) (ا هـ).

## ثورة الاخوان

تابعنا فيما سبق تطورات فتح الحجاز إلى حين ما ألغى الملك عبد العزيز ترتيبات استقلاله من طرف واحد خلافاً لرغبة اهل الحجاز وهي الترتيبات التي سبق والتزم بها ليحصل على بيعة السكان، واعلن قيام «المملكة العربية السعودية» عام ١٩٣٢ فضم الحجاز إلى نجد وحكم الاثنين حكماً بدوياً عشائرياً مطلقاً شرحنا شكله البدائي في الصفحات السابقة، ولم يكن فيه شيء من الشورى التي نص عليها الاسلام.

وقد تجاوزنا في سردنا للاحداث التسلسل الزمني لتطور العلاقة بين الملك عبد العزيز والاخوان ونعود إليها الآن.

كان احتلال الحجاز نقطة تحول خطيرة في مصير الوهابية التي خرجت من صحاريها النجدية واصطدمت بالعالم الخارجي سواء في جدة بلاد التناصل والتجارة أو في مكة حيث تتجمع حشود الحجاج من بلاد العالم المختلفة. وكان على «الاخوان» أن يتكيفوا مع متقضيات العالم الخارجي والعالم الاسلامي بصورة خاصة، ولم يكونوا مهيئين لذلك.

بدأت تظهر خلافات واضحة بين الملك عبد العزيز والاخوان على امور شتى يمكن تجزئتها إلى خلافات حجازية ونجدية.

### الخلافات الحجازية

قضية حصار جدة - اصرّ زعماء الاخوان على فتح جدة عنوة طمعاً بنهب اغنى المدن الحجازية فعارضهم الامام عبد العزيز لا كرهاً بالنهب والسلب فقد سكت عن نهب الطائف ومكة، بل خوفاً من تدخل الاسطول الانكليزي المرابط على الساحل لحماية الرعايا الاجانب.

خلال الحصار طالب فيصل الدويش وسلطان بن بجاد بتعيينهما اميرين

على مكة والمدينة . وفي رواية اخرى إنهما طلبا امارة المدينة لفيصل الدويش لأنه هو الذي فتحها ، وأمارة الطائف لابن بجاد لأن رجاله هم الذين فتكوا بأهلها[٧٠] . وقد رفض الامام عبد العزيز ذلك مراعاة لشعور الحجازيين من جهة ، ولأنه حصر تعيين امراء المقاطعات بآل سعود فعين ابن جلوي اميراً على الاحساء وابن عمه ابن مساعد اميراً على حائل .

غضب الزعيمان لحرمانهما ولاستئثار آل سعود فانسحبا مع قواتهما إلى نجد حيث بدءا يعملان ضد الامام عبد العزيز . انضم اليهما ضيدان ابن حثلين شيخ العجمان الناقم على عبد العزيز لأنه منعه من الاشتراك بحرب الحجاز بعدما تقاعس عنها فحرمه بذلك من مغانم الغزو .

قضية المحمل ـ شهد صيف ١٩٢٥ اول موسم حج بعد احتلال مكة فكانت المدينة مليئة بالاخوان الذين جاءوا للحج . وحرص المصريون على اعطاء انطباع جيد عنهم لدى ملك الحجاز الجديد فدخل المحمل تتقدمه فرقة موسيقية يحيط بها حراس المحمل من المصريين .

غضب الاخوان لأنهم كانوا يعتبرون عزف الموسيقى علناً تدنيساً للحرمات فطلبوا من الموسيقيين أن يوقفوا عزفهم فلم يلتفتوا إليهم وتابعوا مسيرتهم كما اعتادوا أن يفعلوا في المواسم السابقة . فهاجمهم الأخوان واطلقوا النار عليهم وقتلوا بعضهم ولم ينفع تدخل الامير فيصل ابن عبد العزيز . وكان من نتيجة ذلك أن المصريين قطعوا علاقتهم مع العهد الجديد ورفضوا أن ينسجوا الكسوة بعد ذلك وتوقف مجيء المحمل المصري . وهكذا اورث الاخوان مشكلة سياسية لامامهم بمجرد احتكاكهم بأقوام اسلامية اخرى .

قضية التبغ ـ شكلت قضية التبغ الموجود في مخازن جدة لحساب التجار محكاً لقدرة الواقع على التغلب على الشعارات . فقد كان الاخوان يحرّمون تدخين التبغ ويكفرون المدخنين . فلما دخل الامام عبد العزيز جدة امر بحرق التبغ الموجود في الجمرك وفي مخازن التجار فجاء هؤلاء إليه يخبرونه بأن في مخازن جدة

تنباك بمائة الف جنيه ثم حذفوه عن ايرادات الحكومة من الرسوم المفروضة على الدخان، وعن الرسوم المستحقة لحكومة الملك علي والتي أصبحت الآن من حق الامام وهي تشكل مورداً رئيسياً من موارد الدولة المالية. واصغى عبد العزيز اليهم بانتباه فقد كان دوماً يفتش عن مال يسد به حاجته خصوصاً بعدما قطعت الحكومة البريطانية المساعدة السنوية عنه في بداية ١٩٢٤. وعلى اثر الاجتماع صدرت فتوى من العلماء تقول «أن الدخان مكروه ولكنه ليس من الكبائر». فارتاح القوم ونفثوا الدخان من صدور ملهوفة ودخلت رسوم الدخان إلى خزينة الامام.

## قضية التلفون والتلغراف والسيارات

اعتبر الأخوان كل الاختراعات الحديثة من تلفون وتلغراف وسيارة ودراجة وساعة من أعمال السحر والشيطان فحرّموها. وبلغ من نفوذهم أنهم منعوا الإمام عبد العزيز من استخدام التلغراف خلال حرب الحجاز. وفي اثناء حصار جده لم يستطع الامام ان يمد التلفون من مكة الى معسكره. واضطر عام ١٩٢٦ الى الغاء تلغراف المدينة. وكان الاخوان يقطعون أسلاك التلفون لأنه مكر يجب ازالته[٧٦]. وكما في حادثة التبغ، تغلب الواقع ومقتضيات المدنية الحديثة على الشعارات فزال الاخوان وما يمثلون وبقيت السيارة والساعة والتلفون والتلغراف.

## الخلافات النجدية

لم تكن الخلافات الحجازية بين الاخوان وعبد العزيز بل كانت بالحقيقة بين الاخوان وما يمثلون من تعصب ورجعية وجهل، وبين بعض مظاهر المدنية الحديثة. وكانت هزيمة الأخوان محتمة.

أما الخلافات النجدية فاتخذت شكلاً اكثر حدة وخطراً لأنها تطورت إلى

ثورة واضحة هدفها خلع الملك عبد العزيز.

## بداية الثورة

زار فيصل الدويش شيخ مطير هجرة غطغط لسلطان ابن بجاد شيخ العتيبة فبدأت المؤامرة على الملك عبد العزيز إذ انفقا على عقد اجتماع سري في الارطاوية قاعدة فيصل الدويش بحضره ثالثهما ضيدان ابن حثلين شيخ العجمان وبعض زعماء القبائل الثلاث.

## مؤتمر الارطاوية ١٩٢٦

عقد المؤتمر واتخذ المجتمعون قرارات انكروا فيها على الامام عبد العزيز تصرفاته التالية:

اولاً: ركونه للانكليز وتعاونه معهم ومجالستهم وعقده المعاهدات وهي امور ينكرها الدين.
ثانياً: تنصيب نفسه ملكاً فالاسلام يحرم الملكية.
ثالثاً: ارسال ولده سعود إلى مصر وهي من بلاد الكفار.
رابعاً: ارسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك.
خامساً: استخدام السيارات والتلغراف والتلفون فهي من اعمال السحر.
سادساً: استعماله للعطور وسكناه في القصور وزواجه بعدد من النساء والجواري في كل بلد يحل فيه. وكذلك لبسه وابناؤه افخر الثياب واكلهم اطيب المأكولات وجعل اموال المسلمين كلها بايديهم دون غيرهم. وانكر الاخوان على عبد العزيز وابنائه قولهم في كل مناسبة أنهم اخذوا البلاد بالسيف وحدهم «بينما كنا نحن ذلك السيف ولولانا لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه».

سابعاً: اخذه للضرائب والمكوس من المسلمين بينما كان ينكر ذلك على آل رشيد

والشريف حسين، وهو يدعي الاسلام ويتقاضى الاموال من الانكليز.

ثامناً: منعه اهل نجد من التجارة مع الكويت أو عن طريقها. فإن كان الكويتيون مسلمين تعاملنا معهم، وإن كانوا مشركين حاربناهم.

تاسعاً: سماحه بدخول المحملين المصري والشامي إلى مكة بالسلاح والموسيقى.

عاشراً: سكوته عن شيعة الاحساء والقطيف وتقاعسه عن فرض الاسلام (الوهابي) عليهم.

حادي عشر: السماح لقبائل العراق وشرق الاردن بالرعي في مراعي المسلمين.

ثاني عشر: معارضته لهدم قبور الصحابة في مكة والمدينة.

لكل ذلك يقرر الاخوان أن لا عهد ولا طاعة لعبد العزيز لأنه خان العهد واخلف الوعد وعمل للمشركين.

### مؤتمر عبد العزيز، يناير ١٩٢٧

عند صدور هذه القرارات كان الملك عبد العزيز في الحجاز فسارع بالرجوع إلى الرياض لمعالجة الأمور. وما أن وصل حتى دعا إلى مؤتمر في أواخر يناير ١٩٢٧ حضره شيوخ القبائل والعلماء وعدد من الاخوان وتغيب عنه سلطان بن بجاد الذي فتح الحجاز وبرر عدم حضوره بقوله أنه لم يعد يثق بعبد العزيز «بعدما اتخذنا قراراً بتجريمه وعزله». (٧٢)

في بداية الاجتماع اعلن عبد العزيز أنه خادم الشريعة يحافظ عليها ولم يتغير كما اتهمه البعض. ثم وبخ الاخوان المخالفين واستنكر اعتداءاتهم على الحدود العراقية والاردنية وغزواتهم على القبائل النجدية، ومهاجمتهم لقوافل التجار.

ورد عليه الاخوان بأنهم لم يفعلوا إلا ما يقتضي واجبهم الديني من مهاجمة الكفار واعادتهم إلى العقيدة الصحيحة حسبما لقنهم عبد العزيز من تعاليم.

وكرروا عليه مطالبهم في مؤتمر الارطاوية، وذكروه بأنه كان يدفعهم إلى الجهاد عندما كان يوسع ملكه ولا يحق له أن يمنعهم عنه الان.

وكان الامام عبد العزيز قد احال مقررات الارطاوية إلى العلماء طالباً فتوى بشأنها. وجاء العلماء فقالوا: لقد ورد علينا من الأمام عبد العزيز سؤال بعض الاخوان عن مسائل يطلب منا الجواب عليها فاجبناه بما نصه:

١ - أما مسألة اقتناء عبد العزيز واولاده ورجال الدين للسيارات والجواري وغيرها فهو امر لا نعلم حقيقته ولا رأينا فيه كلاماً لاحد من اهل العلم فتوقفنا في مسألة الافتاء به.

٢ - أما مسجد حمزة وابي رشيد فافتينا الامام بهدمهما على الفور.

٣ - أما القوانين (السابقة المطبقة بالحجاز) فإن كان موجود فيها شيء فيزال فوراً.

٤ - أما دخول الحج المصري بالسلاح والقوة فافتينا بمنعه من الدخول ومن اظهار الشرك وجميع المنكرات.

٥ - اما المحمل المصري والشامي فافتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ومن تمكين احد أن يتمسح به أو يقبله. وما يفعله اهله من الملاهي والمنكرات (أي الموسيقى المرافقة للمحمل) يمنعون عنه.

٦ - اما الشيعة فافتينا الامام أن يلزمهم بالبيعة على الاسلام (الوهابي) ويمنعهم من اظهار شعائر دينهم الباطل. وعلى الامام أيضاً أن يلزمهم بالمبايعة على دين الله ورسوله وبترك دعاء الصالحين من آل البيت وغيرهم، وترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر دينهم الباطل. ويمنعون من زيارة المشاهد (كربلاء والنجف)، ويلزمون كذلك بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويرتب فيهم ائمة ومؤذنون من أهل السنة (الوهابية) ويلزمون بتعلم الاصول. كذلك تهدم محاكم المبنية لاقامة البدع

في المساجد وغيرها. ومن ابى قبول ما ذكر يُنفى من بلاد المسلمين.

٧ ـ أما الشيعة من أهل قطيف فيلزم الامام الشيخ ابن بشر بأن يسافر اليهم ويلزميهم بما ذكرناه.

٨ ـ أما البوادي والقرى التي دخلت ولاية المسلمين فافتينا الامام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين والزاميهم شرائع المسلمين (الوهابية).

٩ ـ أما رافضة (شيعة) العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين، فافتينا الامام بمنعهم من الدخول في مراتع المسلمين واراضيهم.

١٠ ـ أما المكوس فافتينا أنها من المحرمات الطاهرة. فإن تركها الامام فهو الواجب عليه، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين عليه والخروج من طاعته من اجلها.

١١ ـ أما قضية الجهاد فهي محولة إلى نظر الامام عبد العزيز وهو اعلم بما هو اصلح للاسلام والمسلمين (انتهت الفتوى).

لعل اهم بند في هذه الفتوى هو ذلك المتعلق بحصر حق الدعوة إلى الجهاد بالامام وحده ونزعها من معارضيه الذين كانوا يسمون جهاداً غاراتهم على أراضي الكويت والعراق والاردن وحتى ضد قبائل نجدية لكن الاخوان ورؤساءهم لم يقبلوا بهذه الفتوى وسألوا عبد العزيز كيف كان الجهاد مطلوباً لما كان يوسع رقعة حكم آل سعود ولم يعد الان مقبولاً بعدما صار يتعرض لمصالح الدولة البريطانية وحلفائها.

واستمر الاخوان يهاجمون قبائل الكويت والعراق والاردن.

خلال ذلك كانت الحكومة العراقية تحصن حدودها مع نجد، وكان الاردن ينشىء «قوات الحدود». وأقام العراق سلسلة مخافر على آبار ماء منها مخفر بصّية ووضع فيه عدداً من الجنود والعمال. ورأت الحكومة السعودية أن ذلك يخالف اتفاقية العقير فطالبت بازالة المخفر وبدأت تفاوض حوله.

لكن فيصل الدويش لم ينتظر انتهاء المفاوضات فهاجم المخفر سنة ١٩٢٧ وقتل الجنود والعمال وأعلن عزمه على «الجهاد». وكان من أهدافه اظهار عبد العزيز أمام الأخوان بمظهر المتخاذل بشؤون الدين، واحراج موقفه مع العراق والانكليز.

تعقبت الطائرات الانكليزية المغيرين وقصفتهم ودمرت هجرة ومسجد نقبينة مطير في اللصافة واصيب عدد كبير من سكانها.

استمر الاخوان يواصلون غزواتهم. وكانوا يجتازون حدود العراق والكويت والاردن فيها جمون أية قبيلة يجدونها في طريقهم وينهبون المواشي ويقتلون أي انسان يقاومهم. وقد احتج العراقيون والبريطانيون بشدة لدى ابن سعود على هذه الغزوات واعتبروه مسئولاً عنها لأن معاهدة العقير جعلته مسئولاً عن الأمن في مناطقه. ومع ان عبد العزيز اعلن في مدن المملكة وقراها أن تلك الغزوات مخالفة لاوامره فإن الدول المجاورة بقيت تشكك بنيته وتعتقد أنه يشجعها سراً(٧٣).

ارسلت الحكومة البريطانية السير جيلبرت كلايتون للبحث مع عبد العزيز بهذا الامر فاجتمعا في جدة وعرف منه عبد العزيز اصرار الحكومتين العراقية والانكليزية على متابعة بناء مخافر الحدود فتوقفت المفاوضة(٧٤). لكن هجمات الاخوان لم تتوقف فعاد الامام عبد العزيز إلى الرياض وقد ضاقت به الامور فالاخوان يتحدونه، والانكليز يضغطون عليه ويطالبونه بتنفيذ تعيداته.

تجاوباً مع ذلك وانصياعاً لضغط حليفته، اصدر ابن سعود اوامره «بمنع الاعتداء على الجيران وانه لا يجوز أن ترفع راية الغزو والجهاد بغير امره، وأن من فعل ذلك فقد حلّ دمه وماله»(٧٥).

أجابه الاخوان على ذلك قائلين: «أن البادية باديتنا نحن اهل نجد وتذكر احتجاجنا عليك يوم جعلت لهم حدوداً وحقوقاً في البادية (اتفاقية العقير) فقلت لنا إذ ذاك أننا احرار في مراعينا نذهب حيث نشاء في هذه البادية. وها نحن

اليوم نرى أن الأمر ليس ذلك».

ثم سألوه: كيف كان الجهاد والغزو شأناً مشروعاً لما كنت تدفعنا اليه لتوسيع رقعة حكمك، واصبح الآن ممنوعاً مع أن المشركين حولنا لم يزالوا هم هم، فالعراقيون والاردنيون كفار لذلك فهم صيد حلال.

الجمعية العمومية - ٥ نوفمبر ١٩٢٨

لقد حاول عبد العزيز أن يحصل على السلطة السياسية بمفهوم القرن العشرين ولكن باساليب وعقلية القرن السابع فلحق به التناقض. ولقن الاخوان التعصب وتكفير الاجانب فيما هو غارق ومتورط بالحلف مع الانكليز.

حاول تدارك انفضاح التناقض فدعا إلى مؤتمر عرف باسم «الجمعية العمومية» عقد في الرياض بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٢٨ وضم ثمانماية من رؤساء العشائر والعلماء ووجهاء نجد من الحضر للبحث بوضع البلاد المتأزم. وكان الامام عبد الرحمن والد عبد العزيز قد توفي قبل بضعة اشهر. لكن زعماء الاخوان فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين قاطعوا الاجتماع.

خطب عبد العزيز في المجتمعين مرّ بنا المعارضين ثم فاجأ الحضور بالاعلان أنه مستعد للتنازل عن العرش لأي شخص يختارونه من آل سعود إذا كانت سياسته لا تعجبهم. فذهل المجتمعون بهذه المبادرة وانشغلوا بها عن الاهتمام بشكاوي الاخوان. وجدد الجميع ولاءهم لابن سعود وتعهدوا بمن فيهم الاخوان الحاضرون، أن يقاتلوا إلى جانبه ضد فيصل الدويش ورفاقه.

واعطى العلماء التزكية المطلوبة لامامهم فقالوا أنهم لا يكتمون الحق، وانهم ما نصحوا عبد العزيز يوماً إلا وانتصح، ولو رأوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه.

ولما دارت المناقشة حول جواز استخدام المخترعات الغربية الحديثة كالسيارة والتلفون والتلغراف والساعة قال ابن سعود للثوار من الاخوان:

تطالبونني بعدم استعمال هذه لأنها من صنع الافرنج. وأنا اوافقكم بشرط ان تحرقوا جميع بنادقكم لأنها من صنع الافرنج أيضاً[٧٦].

وأجاب ابن سعود بشأن المخافر أن العراقيين يدعون أنكم أنتم الذين بادأتوهم بالعدوان على مخفر البصية ثم غزوات الدويش التي تبعتها. ويزعمون أن هذه المخافر ما بُنيت إلا مخافة الخطر منكم.

وتصايح الاخوان المجتمعون أننا نبايعك على مقاتلة من ينازلك ومعاداة من عاداك. ثم جدد له المجتمعون البيعة على السمع والطاعة ومحاربة الباغي. واعظم ما اسفر عنه الاجتماع ابطال ما كان يدعيه الغلاة من حق اعلان «الجهاد» بغير اذن الامام واصبح المخالف له حلال الدم والمال[٧٧].

بعد انفضاض المؤتمر عاد زعماء القبائل إلى اوطانهم محملين بالهدايا من سيوف وعطور واموال واطعمة بل وبحلى لنساء بعضهم[٧٨].

أما الذين قاطعوا المؤتمر فتجاهلوا قراراته واذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين واقامة الشريعة التي يهدمها عبد العزيز الذي اصبح طالب مُلك وموالٍ للكفار وشريكاً لهم في جميع الاعمال. واستمروا يشنون الغارات في بادية الكويت والعراق بشكل ابعد عمقاً واشد خطراً. وكانت كل غارة تتبعها حملة تأديبية تؤازرها الطيارات البريطانية فيقصفون الغزاة ويتعقبونهم احياناً إلى نجد ويقصفون خيماتهم وموارد مياههم[٧٩].

حصل الامام عبد العزيز من «الجمعية العمومية» على ما اراد وهو تجديد البيعة والطاعة له، وحصر حق اعلان «الجهاد» بشخصه مما يعني أن غزوات الاخوان التي منعها صارت تُعتبر مخالفة للدين وهكذا بدّل وضع الاخوان من مجاهدين إلى خوارج مهدوري الدم والمال.

معركة السبلة، ٣٠ مارس ١٩٢٩

سار الامام عبد العزيز على رأس قواته لتأديب الاخوان فتوجه من الرياض

إلى بريدة وعنيزة لتجنيد أهل الحضر فرحب به اهل المدن لأنهم رأوا في مقاتلة الاخوان ضماناً لمستقبلهم. وبذل عبد العزيز المال والعطايا للحضر وللبدو على السواء فمنح كل مقاتل انضم إليه ثلاثة جنيهات مع وعد بالمزيد فتجمع حوله عدد عظيم بحيث أنه لما تلاقى مع قوات فيصل الدويش وابن بجاد في اخر مارس في موقع السبلة قرب الارطاوية كانت قواته تفوق خصومه بنسبة ثلاثة إلى واحد. أما زعيم الاخوان الثالث ضيدان ابن حثلين فبقي في الاحساء ولم يشترك في المعركة.

ابتدأت المعركة فجر الثلاثين من مارس وانتهت بأقل من نصف ساعة وكان العامل الحاسم فيها اثنا عشر مدفعاً رشاشاً نجح عبد العزيز باخفائها عن الاخوان إلى حين المعركة فحصدتهم حصداً وولوا الادبار تتبعهم خيالة عبد العزيز التي قتلت منهم عدداً كبيراً. وكان فيصل الدويش بين الجرحى المأسورين لكن عبد العزيز عفى عنه وسمح له بالعودة إلى الارطاوية.

وجاء سلطان ابن بجاد يعرض الاستسلام املاً بأن يُعاد إلى هجرته في غطغط لكن عبد العزيز قبض عليه وارسله سجيناً إلى الرياض ودمر هجرته غطغط. ثم كافأ المحاربين وعوضهم عن خسائرهم وسرحهم، وسار هو إلى مكة للحج معتقداً أنه انهى ثورة الاخوان[٨٠].

اغتيال شيخ العجمان - مايو ١٩٢٩.

بعد وصول اخبار معركة السبلة، ذهب ضيدان ابن حثلين شيخ العجمان في مايو ١٩٢٩ إلى فهد بن جلوي في الاحساء تحت راية السلم ساعياً للصلح لكن فهد بن جلوي غدر به واغتاله ليلاً مع رفاقه الاحد عشر رغم أنه كان يحمل كتب أمان موقعة من الامام عبد العزيز ومن عبدالله جلوي ومن فهد نفسه.

## اشتعال الثورة، ١٩٢٩

انفجرت العجمان غضبا لما وصلها الخبر. وقام أحد رجال فهد من

العجمان بقتله على الفور ثأراً لضيدان. وانضمت المطير وفيصل الدويش، وكان قد نعافى، إلى الثورة الجديدة، وقامت عتيبة تناصرهم فاشتعلت نجد بكاملها وصار الوضع اخطر على عبد العزيز المحصور في الحجاز مما كان قبل معركة السبلة(٨١). وتبين أن خطة الاخوان في ثورتهم الجديدة صارت تهدف إلى اشاعة الفوضى الشاملة في نجد تهديماً لمكانة عبد العزيز وسلطته، وليس فقط مهاجمة الحدود والقبائل المجاورة. وقد وصف محمد اسد حالة نجد في صيف ١٩٢٩ فقال: انفجر الهياج ضد ابن سعود وانقلب إلى ثورة علنية ضمت كثيراً من القبائل الاخرى إلى جانب مطير وعتيبة والعجمان. فاصبحت اواسط الجزيرة العربية وقسمها الشمالي مسرحاً لحرب عصابات واسعة. واضطرب حبل الامن الذي كان يعتز به ابن سعود وحلت محله الفوضى العامة في انحاء نجد واكتسحته عصابات الاخوان الثائرين في جميع الجهات تهاجم القرى والقوافل والعشائر التي بقيت مخلصة للملك. واصبحت الرياض كجزيرة في بحر من الثورة.

من اعمال الفوضى هذه أن بعض الاخوان لم يعودوا يسترون شهوتهم للنهب والسلب ممن كان. فقد هاجموا اهل القصيم، وهم وهابيون، ونهبوهم، واعتدوا على قافلة كبيرة للتاجر النجدي الوهابي ابن شريدة في اواخر ١٩٢٩ وهي متجهة من بريدة إلى الشام فقاومهم مع رجاله لكنهم قُتلوا واخذت قافلتهم(٨٢).

ولم تكن هذه الأعمال غزوة بدوية أو جهاداً بل كانت سرقة وقتلاً.

في هذه المحنة لجأ الامام عبد العزيز إلى اصدقائه الانكليز فلم يخيبوه، وانهالت عليه شحنات الاسلحة، وعادت الاموال والمساعدات تتدفق إذ لم يعد لبريطانيا في الجزيرة غيره. واصبح جيشه مجهزاً بالسيارات المصفحة والمدافع الرشاشة في حين لم يكن عند الثائرين إلا البنادق القديمة.

وقد اتخذت بريطانيا موقفاً متشدداً ضد الثورة وساعدت الملك عبد العزيز في ضرب فرق الاخوان بقنابل طائراتها، كما أنها رتبت تعاوناً مع شيخ الكويت

من اجل أن يستعمل القوة ضد الثوار إذا لجأوا إلى حدوده من نجد ومن البلاد المجاورة مقابل أن تعمل على تسوية خلافاته مع الملك عبد العزيز. كما أن القائد الانكليزي السير جون غلوب (ابو حنيك) قدم خدمات عسكرية ضد الاخوان. وهكذا حاصر الانكليز الثوار من الحدود العراقية والكويتية بالاضافة إلى حصارهم من الأراضي النجدية.

سار عبد العزيز من الحجاز بموكبه المدرع وكانت الاجهزة البريطانية تطلعه يوماً بيوم على تحركات الثوار ومواقعهم. تقدم عبد العزيز بسياراته ومدافعه فتراجع الاخوان امامه إلى أن اصطدموا بالقوس الانكليزي المسلح على حدود العراق والكويت واصبحوا محاصرين.

وكان عبد العزيز قد ارسل ابنه سعوداً إلى الهفوف بعد معركة السبلة لتقوية الدفاع عن الاحساء فكتب له فيصل الدويش رسالة في اواخر عام ١٩٢٩ تبين وضع البدو اليائس جاء فيها أن الغزو هو مورد رزقه الوحيد مع عشيرته فأما أن يغزو المشركين (في العراق والاردن والكويت) ويأكل من الغنيمة، أو يغزو القبائل حوله ويعيش على السلب.«أما وقد منعنا الامام عبد العزيز من غزو القبائل فقد اصبحنا لا مسلمين نحارب الكفار ولا عرباً بدواً يغير بعضنا على بعض ونعيش على ما ينهبه كل منا من الاخر. فمنعنا من ديننا ودنيانا[٨٣]» .

لم يقبل الامام عبد العزيز بهذا المنطق لأنه اصبح مضطراً للتصرف كحاكم دولة شبه مدنية، ومرتبطاً بمعاهدات مع بريطانيا، وصار يسعى للحصول على اعتراف دولي بشرعيته. واول شروط الاعتراف أن يحفظ الامن في بلاده وأن تتوقف الغزوات الداخلية وعلى الجيران.

ولهذه الرسالة مغزى مهم اخر فهي اقرار بأن فكرة «الهجر» لتوطين البدو كانت عقيمة في تصورها وفي تنفيذها. فبعد اربعة عشر عاماً من مشروع الهجر كان سكانها لا يزالون يعيشون على الغزو وعلى عطايا الحكومة لا من الزارعة.

اجتماع الشعراء اكتوبر ١٩٢٩

في الوقت الذي كان الحصار يشد خناقه على الاخوان، دعا الامام عبد العزيز في اكتوبر ١٩٢٩ بعض ذوي الرأي والزعامة إلى اجتماع في قرية الشعراء بين الرياض ومكة تباحثوا فيها باوضاع الثورة واتفقوا على ما يأتي:[٨٤]

١ ـ كل من اشترك بالفتنة وبقي حيا يؤخذ ماله وجميع ما لديه من ابل وخيل وسلاح وتحكم الشريعة في رقبته.

٢ ـ كل من كان متهماً بممالئة اهل الفساد ولم يجاهد مع المسلمين تؤخذ منه شوكة الحرب (الذلول والفرس والبندقية).

٣ ـ كل ما يؤخذ من الاشرار المفسدين يمنح للمجاهدين الصادقين ليتقووا به.

٤ ـ يرسل إلى الهجر التي فيها اناس من اهل الفساد امير معه قوة لينظر في امر المفسدين بما تقضي به الشريعة والمصلحة العامة.

٥ ـ كل هجرة غلب الفساد على اهلها يطردون منها ويفرقون بين القبائل ولا يسمح لفريق منهم بالاجتماع في مكان واحد.

٦ ـ ترسل السرايا (الجنود) لانفاذ هذه المقررات خلال عشرة ايام.

تابع الامام عبد العزيز سيره واقترب من فيصل الدويش وبدأت جموع فيصل تنفض عنه. واستضعفه شيوخ بادية العراق كابن طوالة وابن سويط، وهم موتورون من غزواته السابقة، فاتفقوا مع عبد المحسن الفرم من شيوخ حرب وغزوه فنهبوا ما وجدوه ودخلوا خيمة الدويش نفسه فحملوا ما فيها واحرقوها. ومن جملة ما وجدوه نسخ من رسائل ارسلها فيصل الدويش إلى فيصل ملك العراق وإلى الكابتن غلوب في العراق[٨٥].

في رسالته إلى الملك فيصل التمس منه أن تكف القوات العراقية عن ملاحقته ومحاصراته.

أما رسالته إلى كابتن غلوب فجاء فيها «أن ابن سعود ما وصل إلى مركزه الحالي إلا بفضلنا. ولما رأينا غدره وخيانته بنا وبالناس عامة فارقناه. واليوم نريد أن نصير رعية لكم ومأمير عندكم تحت يديكم وجند لكم لا نعصي لكم امراً»[٨٦]. ثم سار فيصل الدويش باهله ومن بقي معه إلى بادية العراق.

وكان عبد العزيز قد وصل إلى شعيب الباطن على بعد سبعة كيلومترات من حدود العراق. فزاره الكابتن غلوب واخبره أن الحكومة البريطانية لا تأذن بضرب الدويش لأن معه نساءه واطفاله لكنه أخرج من العراق عن طريق الجهرة إلى اراضي الكويت.

استسلام زعماء الاخوان ونهاية حركتهم

التجأ فيصل الدويش حال وصوله إلى الكويت إلى المعتمد البريطاني الكولونيل ديكسون وخلع الدويش عمامته ووضعها على رأس ديكسون علامة على طلب الحماية[٨٧] وقد اعتنت زوجة ديكسون بنساء الدويش اللواتي كن في حالة سيئة من الجوع والبؤس.

كانت المفاوضات جارية في الوقت نفسه بين ابن سعود والانكليز لتسليم الدويش ورفاقه جاسر بن لامي، ونايف ابن حثلين زعيم العجمان الذي خلف والده ضيدان، وقد وافق الانكليز على تسليمهم بشرط أن يبقي ابن سعود على حياتهم.

تم تسليم زعماء الاخوان للملك عبد العزيز بالفعل يوم ١٩ يناير ١٩٣٠ على يد الكولونيل بيكر رئيس قناصل الخليج والماجور ديكسون الوكيل البريطاني في البحرين وعندما تقابل فيصل مع الملك قال له لقد فررنا من وجيك إلى الكفار فحملونا إليك بطيارة. ثم نقلوا إلى سجن الاحساء حيث كان رابعهم سلطان بن بجاد. وقد توفي فيصل الدويش في سجنه عام ١٩٣١ من ورم في حلقه أما الباقون فماتوا سنة ١٩٣٤.

لقد كانت خاتمة مؤلمة لزعماء الاخوان أن تكون نهايتهم طلب حماية الدولة التي كفروها هروباً من أمامهم عبد العزيز. وتلقي هذه الحادثة شكاً على عقيدتهم. إذا لما وضعت عقيدتهم الدينية والنجاة بالروح في الميزان رجحت كفة السلامة الشخصية.

ثم طرد الانكليز بقايا العجمان ومطير من ملاجئهم في العراق والكويت فتجمعوا على حدود نجد بنسائهم واطفالهم وابلهم حيث تلقتهم سرية من جند ابن سعود. وادخل كبارهم على الملك فعفا عنهم ووزعهم على الهجر[88].

لقد كان قضاء عبد العزيز على قوة محاربيه من الاخوان اعترافاً بأن سلطته لن تعتمد في المستقبل على تعصب البدو، بل ستعود للاعتماد على السكان الحضر حيث يجد آل سعود جذورهم. وقد كانت ثورة الاخوان اخر محاولة بدوية استهدفت الحفاظ على مجتمعهم القبلي الذي اعتادوه بوجوهه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والابقاء على السلطة في ايدي رؤساء العشائر الكبيرة. وبعد هزيمتهم انتقلت القوة الفعلية في جميع الميادين إلى السكان الحضر.

بعد ذلك سرح الملك عبد العزيز قوات الاخوان وشتتهم ودمر عدداً من هجرهم من بينها غطغط قاعدة سلطان بن بجاد زعيم عتيبة فانتهوا كقوة محاربة وانحطت منزلتهم واقتصر عملهم في منظمة «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» على التدخل في شئون المواطنين بمراقبة ثياب النساء واغلاق الاسواق وقت الصلاة وسوق الناس إلى المساجد.

ولكي يدرك هذا الجيل فظاعة الاخوان ودرجة تعصبهم وشراستهم يكفي أن يطلع الناس على حادثة استيلاء جهيمان ابن محمد العتيبي ورفاقه من اخوان هذا العصر على المسجد الحرام يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ والاستماتة التي قاوموا بها قوات الامن. وكعادة آل سعود في طمس التاريخ الذي لا يروق لهم فقد اخفوا من المصادر السعودية الرسمية أي ذكر لتلك الحادثة كأن مجرد انكارها يكفي لمحوها من صفحات التاريخ. وهذه العقلية البدائية تدل على مستوى التفكير

الذي يعالج به حكام السعودية الحاليون مختلف الاحداث وسنطلع القارىء على تفاصيل الحادثة في موضع لاحق.

الحملة الدعائية على الاخوان

يلاحظ القارىء مما سبق أن معظم الذين كتبوا عن عهد الامام عبد العزيز ممن عملوا معه وتوظفوا عنده أو زاروه وعايشوا عهده وعاينوا تطور حركة الاخوان، وصفوهم بنعوت قاسية كالتعصب والفظاظة وغلاظة القلب، واتهموهم بالفتك بالرجال والنساء والاطفال المسلمين الذين ليسوا على عقيدتهم الوهابية. ولقبوا زعماءهم فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين بسفاحين قتلة كما استفاضوا بوصف وحشيتهم اثناء احتلال الاحساء وحائل والطائف ومكة. ومن المرجح أن تكون هذه الاوصاف منطبقة على افعال الاخوان. لكننا لا ندري كيف يستطيع الباحث أن يفصل في هذه الامور بين الاخوان الذين مارسوها، وبين أمامهم عبد العزيز وآل سعود الذين لقنوهم تعاليمها ودفعوهم إليها. فغزوات الاخوان «الوحشية» على القبائل النجدية والحجازية والعراقية والاردنية جرت بتخطيط الامام عبد العزيز وموافقته ومشاركته مع آل سعود بكثير منها. ولم نقرأ أن الامام عارض هذه الغزوات أو استنكرها إلا عندما بدأت تصطدم بسياسة حليفته بريطانيا ومصالحها. ويجب أن لا يغرب عن بال القارىء أن المملكة العربية السعودية بُنيت على هذه الغزوات ولولاها لما سيطر آل سعود على كامل نجد والاحساء، وجبل شمر ثم على الحجاز وعسير.

وقد رأينا علماء الوهابية التابعين لعبد العزيز يصدرون فتوى يردون فيها على مطالب الاخوان في مؤتمر الارطاوية ويعتبرون دخول الحج المصري بالمراسم المعتادة «شركاً»، ويقولون أن التمسح بالمحمل وتقبيله «من المنكرات»، وإن دين الشيعة «باطل» ويجب أن يلزموا قسراً باتباع «الدين الصحيح».

لكن هؤلاء العلماء سكتوا عن الرد على البنود التي انتقد فيها الاخوان

«ركون عبد العزيز إلى الانكليز»، وتقاضيه المال منهم، واسلوب البذخ في حياته وحياة اولاده. كما أن هؤلاء العلماء تجنبوا البحث في موضوع الشورى الواجبة شرعاً على الامام بموجب رأي اكثر الفقهاء السلفيين.

ولا ندري حتى الان كيف وفق الامام عبد العزيز بين عقيدته الدينية التي كان يبشر بها وأقام ملكه على أساسها وهي تعتبر الاجانب كفاراً، وبين تصرفه السياسي وعلاقته الحميمة بالانكليز. والارجح أنه سخر دينه لدنياه وتآلف مع الواقع السياسي الذي انشأ له ملكه.

ثم جاء مؤلفون عرب واجانب يهاجمون الاخوان وحدهم في محاولة تبرئة آل سعود من الأعمال الهمجية التي قاموا بها مع أن هؤلاء هم الذين لقنوا البدو «التعاليم الدينية، الناقصة» حسب قول الكتاب انفسهم، وهم الذين دفعوهم إلى السفك والقتل وكانوا المستفدين من انتصارات الاخوان العسكرية. في ذلك يقول عبد الله فيلبي احد مؤرخي آل سعود «أن عبدالعزيز قاد الحركة الوهابية حتى بنى الاخوان له مملكة في حدود معقولة ثم تخلص منهم في الوقت المناسب دون أن يخسر شيئاً من اراضيه. لكنه كان عليه أن يقتل الوحش فرانكشتاين (الاخوان) قبل أن يقتلوه». لكن فيلبي لم يتعرض لذكر المسئول الرئيسي الذي جعل من الاخوان وحشا كفرنكشتاين.

ويتابع فيلبي شرحه فيقول أن الدولة السعودية الاولى التي انتهت بتدمير الدرعية (١٧٤٤ ـ ١٨١٨) قامت على أساس الحماس الديني، تلاها عهد الامامين تركي وفيصل الذي قام على أساس التفاهم السياسي مع المصريين والعثمانيين. أما في بناء الدولة السعودية الثالثة (عهد الامام عبد العزيز) فقد عاد آل سعود إلى استخدام الدافع الديني كما جرى في الدولة السعودية الاولى.

إلا أن آل سعود اصطدموا بحدود لاستغلال الدين يفرضها الواقع المعاصر فاضطر الامام عبد العزيز وخلفاؤه سعود وفيصل وخالد وفهد إلى التخلي عن المفاهيم المتزمتة السابقة في التعامل مع الأقدام الاخرى من مسلمة وغير مسلمة،

وإلى الانسجام مع المجتمع الدولي، والقبول بمفاهيمه في العلاقات بين الامم وهي مفاهيم مناقضة للتعاليم الوهابية.

لعل من أبرز التطورات التي تميز المرحلة اللاحقة دعوة الملك فيصل إلى مبدأ «التضامن الاسلامي» شاملاً مختلف المذاهب السنية والشيعية. وهكذا لم يعد غير الوهابيين من السنة كفرة في عصرنا هذا، ولم يعد الشيعة اصحاب دين «باطل» يجب ردهم بالقوة إلى دين الاسلام، واصبح المسلمون جميعاً متساوين في نظر الخالق.

من تطورات هذه المرحلة أيضاً ازدياد التعاون بين الدولة السعودية والدول الغربية الاجنبية واتخاذه مظهراً علنياً واضحاً، وهو ما كانت تستنكره الدعوة الوهابية وتعتبره كفراً.

وفي هذا قال احد العلماء المسلمين ان الوهابية اصبحت مظهراً ثقافياً ولم تعد دعوة دينية. ولا ندري رأي علماء الوهابية بهذا.

## دور بريطانيا الرئيسي في اقامة المملكة العربية السعودية

إذا كان الاخوان قد شكلوا ركن الامام عبد العزيز الاول في بناء ملكه، فإن بريطانيا كانت ركنه الثاني والاهم. وهنا تبرز المفارقة التي تفاعلت حتى أدت إلى تصفية الاخوان. فالانكليز بنظر الوهابية كفار لا يجوز التعامل معهم أو الاتصال بهم. لكنا وجدنا الامام عبد العزيز يسعى منذ استيلائه على الرياض عام ١٩٠٢ للدخول تحت حماية بريطانيا. وتحقق له ذلك عام ١٩١٥ بمعاهدة القطيف ـ دارين واصبح يسير بتوجيهاتها ويتقاضى منها المساعدة المالية السنوية التي بقيت الركن المالي الاساسي في بناء دولته. وعندما ثار عليه الاخوان ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩ وكادوا يطيحون به هبت بريطانيا لنجدته فامدته بالسلاح والمال، وقصفت الثوار بالطيارات وحاصرتهم حتى استسلموا لها فسلمتهم لعبد العزيز وثبتت له دعائم ملكه.

يقول في ذلك الاستاذ عبد الفتاح ابو عليه مقيماً اهمية المساعدة البريطانية التي انقذت عبد العزيز من وضع شبه يائس:

«والواقع أن ثورة الاخوان كادت تعصف بحكم الملك عبد العزيز لولا مساندة بريطانيا له باستخدامها قواتها الجوية، ووضعها قوة كبيرة على الحدود الكويتية والعراقية وابقائها البلدين على الحياد. وهذا كله اجبر الثوار على الاستسلام. ولولا هذه الأعمال لما تمكن الملك من سحق الثورة ولتعرض البيت السعودي لاخطر النتائج»(٨٩).

وهكذا ساد الأمن شبه الجزيرة واستقر الملك لعبد العزيز بفضل المساعدة البريطانية.

بقي الملك عبد العزيز مخلصاً لحلفائه الانكليز، مقدراً لمعروفهم، حريصاً على مصالحهم، متغاضياً عن وعد بلفور وعن دورهم في انشاء الوطن الصهيوني. ويتضح ذلك من مراسلاته الرسمية معهم خلال الفترة التي عقبت ثورة فلسطين (١٩٣٦) واضرابها الرائع الذي أدى إلى ارسال لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل لمحاولة التوفيق بين تعهدات بريطانيا لليهود وحقوق عرب فلسطين، والتي اقترحت في النهاية تقسيم فلسطين بين حكومة الانتداب والعرب واليهود. وفيما يلي مقتطفات من هذه المراسلات(٩٠).

قال الملك عبد العزيز في مذكرة ارسلها للحكومة البريطانية بتاريخ ٣١ يناير ١٩٣٧ على أثر وصول اللجنة الملكية إلى فلسطين في ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ «. . . لقد عانينا الكثير في الضغط على رعايانا كيلا يظهر منهم أي أمر يزيد في تعقيد للمشكلة. . . وقد منعنا عقد المؤتمر الاسلامي في مكة خشية من أن تثار هذه القضية الخطيرة (فلسطين) التي سيكون لها اسوأ الاثر في نفوس المسلمين والعرب على الاخص. . . ونريد أن نحيط الحكومة البريطانية علماً على أنه ما دفعنا إلى التدخل في قضية فلسطين إلا صداقتنا لها. . .»(٩١).

وقال الملك عبد العزيز في مذكرة ثانية مؤرخة في سبتمبر ١٩٣٧: «ولنا

بحاجة أن نؤكد للحكومة البريطانية الصديقة رغبتنا الشديدة أن نسير في السياسة العامة التي لها علاقة بمصالحنا المشتركة على خطة موحدة متفق عليها فيما بيننا . . .
ولم نشأ أن نزيد في الصعوبات الكثيرة التي تواجهها الحكومة البريطانية (في فلسطين) بالاحتجاج على قرار التقسيم (حسب تقرير لجنة بيل) أو باعلان استهجاننا له وعدم موافقتنا عليه ، وإنما اكتفينا بابداء ملاحظاتنا وبيان رأينا فما رأسا . . .»[92].

وقال الامير فيصل وزير الخارجية في مذكرة ارسلها إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ٥ ابريل ١٩٣٨ :

«لقد كان جلالة الملك ولا يزال، هدفاً لانتقاد العرب والمسلمين بسبب صمته في قضية فلسطين. . . . ولا تزال هناك حركات لاحراج مركزه امام العالم الاسلامي والعربي في هذه القضية»[93].

في ذلك الشهر (٢٨ ابريل) تسلمت المملكة مذكرة سرية من بريطانيا تتهمها بمحاولة ارسال اسلحة وذخيرة من الجوف إلى الثوار الفلسطينيين، وان الثوار يتلقون مساعدات مالية من الحكومة السعودية وأن المملكة تشتري لهم اسلحة وذخيرة من اوروبا[94].

أجاب الملك عبد العزيز على ذلك بمذكرة تاريخ ٢٠ يونيو ١٩٣٨ جاء فيها: «أن الصراحة التي اخبرتنا بها الحكومة البريطانية . . . أعظم واحسن وسيلة لتأييد الصداقة بيننا وبينها، وهي التي درجنا عليها منذ نشأتنا السياسية إلى اليوم[95] . . . إنه لا يوجد ذرة في جسمي لا تدعوني لقتال اليهود . . . لكن القائم في القضية هو الحكومة البريطانية وليس اليهود وحدهم، وبيننا وبينها عهود صداقة مكتوبة وعهود مصالح متبادلة . وفي اعتقادنا اليقيني أن أفضل ما للعرب لمصالحهم الحاضرة والمستقبلة أن يكونوا مع بريطانيا اصدقاء على الدوام . ولو اطاعني اهل فلسطين لاتخذوا المطالبة بالطرق السلمية الوسيلة الوحيدة لمطالبهم مع بريطانيا . ويجب أن تتأكد الحكومة البريطانية ان محاولات وجهوداً كثيرة

بذلت لدينا لنوال مساعدات من اجل الثورة الفلسطينية، لكن لا يمكن أن نعمل عملاً يخل بالتعهدات بيننا وبين بريطانيا[٩٦]...

«لقد فسر كثير من العرب سكوتنا في قضية فلسطين أنه تواطؤ منا مع بريطانيا مقابل مصالح خاصة ضمنتها لنا لقبولنا بالتقسيم... لقد قالوا ذلك حين رأوا ذلك السكوت منا في الوقت الذي يرون فيه الاخرين يعلنون ما يجول ويتردد في النفوس الاسلامية العربية عن قضية فلسطين...[٩٧]

«إن الشعور العام في بلادنا متأثر من قضية فلسطين إلى أبعد مدى، ولولا خوفه من شخصي لاتى باعمال تزيد الموقف حراجة. أما نحن فإننا لا نزال على عهدنا الذي تعاهدنا عليه مع بريطانيا...»[٩٨].

ولا تحتاج هذه الوثائق التي تدل على مدى ارتباط الملك عبد العزيز ببريطانيا في الثلاثينات، إلى تعليق.

اجتماع الملكين

اثناء وجود ابن سعود قريباً من العراق لاستلام زعماء ثورة الاخوان، رتب الانكليز لقاء بينه وبين الملك فيصل ابن الحسين. اجتمع الملكان على ظهر الطراد الانكيزي لوبين يوم ٢٢ مارس ١٩٣٠ وكان اجتماع تصافي ومجاملة إلا أن مغزاه تجاوز المجاملات إلى إعادة وتأكيد واقع ثابت وراسخ بدأ في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢ وجاء اجتماع الملكين يكرسه. فقد كان الاجتماع اقراراً واضحاً على تخلي آل سعود عن مطامعهم في البلاد العربية الشمالية التي يسيطر عليها الهاشميون.

## حرب اليمن ٥ أبريل ١٩٣٤

بعد اجتماعه بالملك فيصل ابن الحسين تفحص الملك عبد العزيز حدود مملكته فادرك أنه وصل في الشمال بحدوده مع الاردن والعراق إلى اقصى امتداد

ممكن . وكذلك كان الحال بالنسبة لحدوده الشرقية مع مشيخات الشاطيء المتصالح ، ومع القوس الجنوبي الممتد من سلطنة مسقط الى عدن . ولم يبق الا تصحيح الحدود مع اليمن .

بدأ النزاع بين السعوديين واليمنيين بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وعسير . ويعود ذلك جزئياً الى النفور الديني بين الوهابيين وبين اليمنيين من المذهب الزيدي الشيعي .[٦٨]

استقل الامام يحيى حميد الدين باليمن بعد ما انسحب منها الاتراك بنهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت تفصل بين البلدين امارتان صغيرتان هما امارة آل عائض وامارة آل ادريس . وكان الامام عبد العزيز قد احتل امارة آل عائض عام ١٩٢٢ ، ووضع الادارسة تحت حمايته عام ١٩٢٦ ثم ضم منطقتهم عام ١٩٣٠ فاستاء الامام يحيى من ذلك وكان يطمع بضمهم الى اليمن .

كانت حدود المنطقتين مع كل من السعودية واليمن غير محددة . فطالب الامام يحيى بنجران . وعقدت اجتماعات غير مثمرة بين وفود الطرفين لتخطيط الحدود وعندها ساند الامام يحيى دعواه بارسال فصائل من قواته الى نجران . فهاجمتها قوة سعودية سنة ١٩٣٢ بقيادة خالد بن لؤي وطردتها وضمت المنطقة رسمياً الى ابن سعود .[٦٩] وتدهورت العلاقات بين البلدين .

ثم تقدم جيش الامام يحيى سنة ١٩٣٣ الى جبال جيزان حيث كانت تقوم في السابق امارة الادارسة وتجاوزها الى نجران على البحر . ووجه الملك عبد العزيز انذارا للامام يحيى للانسحاب فتجاهله .[٧٠]

في هذه الاثناء (١٩٣١) تأسس في مصر «حزب الاحرار الحجازي» وغايته تحرير الحجاز من الحكم الوهابي .[٧١] وذهب مندوب من الحزب الى مصوع ومنها دخل اليمن ، فاتصل بالامير الحسن الادريسي اللاجيء الى صنعاء وزين له القيام على عبد العزيز بالاتفاق مع الشيخ ابن رفادة في شمال الحجاز

على عبد العزيز بالاتفاق مع الشيخ ابن رفادة في شمال الحجاز الذي زحف جنوباً بتحريض من الامير عبد الله ابن الحسين في شرق الاردن.

احتل حسن الادريسي جيزان فاتصل به الطليان ورست مدرعة ايطالية قبالة الساحل في ١٧ نوفمبر ١٩٣٢ ونزل منها مندوب بحث مع الحسن دخوله تحت الحماية الايطالية ووعده بالمساعدة والذخائر. كما وجدت بعد ذلك وثائق مخابرة بين الحسن واليمن من أجل ارسال قوة إلى الادريسي على أن يدخل تحت حماية الامام يحيى(١٠٣).

في هذه الاثناء لم يكن الملك عبد العزيز مطمئناً لسكان الحجاز الذين الحقهم بمملكته بعدما تنكر عن وعوده لهم بالاستقلال بادارة بلادهم(١٠٤) فأنشاوا احزاباً خارج الحجاز، في مصر والاردن سعياً للتحرير. ومع ذلك لم يستطع إلا أن يرسل النجدات السعودية لاستعادة عسير. وقد ثبتت القوات الادريسية من تاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٢ إلى ٢٤ فبراير ١٩٣٣ لكن المعارك انتهت بانتصار القوات السعودية وفرار الادارسة إلى اليمن. وبعد الحرب السعودية - اليمنية كان تسليم الادارسة لعبد العزيز شرطاً من شروط الصلح.

بعد ذلك ارسل الملك عبد العزيز انذاراً للامام يحيى كما رأينا تجاهله فتقدم الجيش السعودي في ٥ ابريل ١٩٣٤ على شعبتين: احداهما بقيادة الامير سعود ولي العهد انطلقت من نجران واستهدفت احتلال الجبال في منطقة القبائل الزيدية، والشعبة الثانية بقيادة الامير فيصل سارت على الشاطىء عبر تهامة واستهدفت ميناء الحديدة في منطقة سكانها من الشوافع.

لم يكن الامير سعود قائداً حربياً بارعاً وكانت المنطقة المكلف باحتلالها من اوعر المناطق وسكانها من اشد المقاتلين يقودهم الامير احمد ابن الامام يحيى الذي جعل مركز قيادته مدينة صعدة. وقد شنت القوات اليمنية هجوماً على السعوديين نكسرتهم ونهبت معسكر الامير سعود وقضت على ذخيرته ومؤنه واحرقت خيامه واجبرتهم على التراجع نحو السهل. نتيجة لهذه الهزيمة ارسل سعود ابني عمه

فيصل وفيد ابناء سعد جنوباً ليهاجما السفوح الشرقية للمنطقة الجبلية. لكن هجومهما فشل. ولا يمكن وصف الحملة كليا على المنطقة الجبلية إلا بأنها فشل ذريع[١٠٥].

أما حملة الامير فيصل على الساحل فحققت نجاحاً باهراً. فقد انطلق من جيزان واكتسح سهل تهامة حتى واجه قوة كبيرة مرابطة في مدينة حرض استطاعت أن توقف تقدمه مدة. لكنه انتصر عليها في النهاية وتكبد اليمنيون خسارة كبيرة. بعد ذلك تقدم السعوديون إلى الحديدة دون مقاومة. وكانت بعض سفن حربية ايطالية راسية أمام المرفأ ووصلت انباء تقول أنهم ينوون انزال جنود لمساعدة الامام يحيى لكن السفن انسحبت دون اشتباك.

وضع احتلال الحديدة نهاية للحرب وسارعت الهيئات العربية والاسلامية للتوسط فتألف وفد للوساطة بين الملكين من الامير شكيب ارسلان، من لبنان، والحاج امين الحسيني مفتي القدس ورئيس الهيئة العربية العليا، وهاشم الاتاسي من زعماء الوطنيين في سوريا، ومحمد علي باشا علوبة من مصر.

ارسل الامام يحيى عبد الله ابن الوزير مفاوضاً وتوقفت الحرب في ٢٧ ابريل ١٩٣٤، وجرت مفاوضات الصلح في الطائف وتم توقيع المعاهدة في جدة بتاريخ ٢١ مايو ١٩٣٤. فكانت مدة الحرب اثنين وعشرين يوماً من ٥ إلى ٢٧ ابريل.

تضمنت المعاهدة الحاق جيزان ونجران ومناطقهما بالمملكة السعودية، وتسليم الامير حسن وعبد العزيز ابن محمد الادريسي إلى السعوديين، ودفع غرامة حربية مقدارها مائة الف جنيه إلى ابن سعود تعويضاً عن نفقات حملته[١٠٦].

كانت حملة اليمن اخر حرب خاضها آل سعود في الجزيرة العربية.

بعد سنة من ذلك حاول يمنيان اغتيال الملك عبد العزيز في الحرم فحجب الأمير سعود الملك عنهما واصيب هو بطعنة خنجر في كتفه ونجا الملك وقُتل اليمنيان.

# مراجع الفصل السابع

## عبد العزيز، والأخوان، وفتح الحجاز


١ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٤٧.
٢ ـ Dickson, H.R.P., Notes on the Akhwan, Foreigh Office, 686, vol. 18, p. 107
٥ ـ ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٨.
٦ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، الاصلاح الاجتماعي في عهد عبد العزيز، ص ١٤٦.
٧ ـ الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد عبد العزيز، ج ١، ص ٢٦١.
٨ ـ المصدر السابق، ص ٢٦١، والريحاني، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣، وفؤاد حمزة، ص ٣٧٩.
٩ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، سبق ذكره، ص ١٤٤.
١٠ ـ المصدر السابق، ص ١٤١.
١١ ـ كشك، محمد جلال، السعوديون والحل الاسلامي، ص ٥٧٥.
١٢ ـ المصدر السابق، ص ٥٧٩.
١٣ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، سبق ذكر، ص ١٦٩ و ١٧٠.
١٤ ـ المصدر السابق، ص ١٥٣ و١٥٥.
١٥ ـ المصدر السابق، ص ١٤٥.
١٦ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦٠.
١٧ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، سبق ذكره، ص ١٤٦.
٨ ـ وهبة، حافظ، الجزيرة العربية في القرن العشرين، ص ٢٩٤.
١٩ ـ العطار، أحمد عبد الغفور، صقر الجزيرة، كما ورد في كتاب محمد جلال كشك، ص ٦١٠ ـ ٦١١.
٢٠ ـ المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ١١١ و١١٢ و١١٥ و١٢٤ و١٢٥.
٢١ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٥٨٦.
٢٢ ـ الريحاني، امين، تاريخ نجد الحديث ـ ص ٢٦٥.
٢٣ ـ وهبة، حافظ، سبق ذكره، ص ٢٩٩

٢٤ ـ ابو عليه، عبد الفتاح، سبق ذكره، ص ١٦٠ .

٢٥ ـ المصدر السابق، ص ١٤٨ .

٢٦ ـ Lacy, Robert, The Kingdom, p. 37 (footnote).

٢٧ ـ السعدون، خالد، العلاقات بين نجد والكويت، ص ١٧٣، نقلاً عن برقية من الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي في الخليج بتاريخ ١٩١٥/٨/٦ .

٢٨ ـ المصدر السابق، ص ١٨٨ ـ ١٩١ .

٢٩ ـ المصدر السابق، ص ٢٥٠ و٢٦٣ و٢٧٥ و٢٧٨ .

٣٠ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٢٧٧ .

٣١ ـ الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص ٢٨١ .

٣٢ ـ وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٥١ .

٣٣ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٢٧٤ .

٣٤ ـ المصدر السابق، ص ٣٠٢، وفؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٦١ .

٣٥ ـ Bell, Gertrude, Letters, edited and selected by Lady Bell, vol. II (Ernest Benn, London, 1927), pp. 660-1.

٣٦ Dickson, H.R.P., Kuwait and Her Neighbours, p. 274.

٣٧ ـ حمزة فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٨ .

٣٨ ـ وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٥١ .

٣٩ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٣٣٣ .

٤٠ ـ موضي بنت منصور آل سعود، عبد العزيز ومؤتمر الكويت، ص ١٥٦ .

٤١ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٣٦٨ .

٤٢ ـ David Holden, Richard Johns, the House of Saud, p. 84.

٤٣ ـ موضي بنت منصور آل سعود، سبق ذكرها، ص ١٥٧ .

٤٤ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٥٢٤ .

٤٥ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٤٤١ .

٤٦ ـ المصدر السابق، ص ٤٣٧، والزركلي ج١، ص ٢٩٤ .

٤٧ ـ Lacy, Robert, op. cit, p. 196.

٤٨ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٥٢٤ (قال أنه بعد اجتماع عبد العزيز وكلايتون قرروا التقاء الملك علي في البحر).

٤٩ ـ Lacy, Robert, op. cit., p. 195

٥٠ ـ Ibid, p. 199.

٥١ ـ العطار، احمد عبد الغفور، صقر الجزيرة.

٥٢ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٥٢٦ .

٥٣ ـ المصدر السابق، ص ٥٢٦ .

٥٤ ـ المصدر السابق، ص ٥٢٧.
٥٥ ـ وهبة، حافظ، سبق ذكره.
٥٦ ـ المصدر السابق، ص ٢٨.
٥٧ ـ المصدر السابق، ص ٢٩.
٥٨ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٤٢٨.
٥٩ ـ حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، ص ٨٥.
٦٠ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره ج ١، ص ٣٥٤.
٦١ ـ حمزة، فؤاد البلاد العربية السعودية، ص ٨٧.
٦٢ ـ المصدر السابق، ص ٨٧ ـ ٩٠.
٦٣ ـ الزركلي، سبق ذكره، ج ١، ص ٣٥٤.
٦٤ ـ حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، ص ٧٣.
٦٥ ـ الريحاني، امين، سبق ذكره، ص ٤٤٧.
٦٦ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٢٩٨.
٦٧ ـ المصدر السابق، ص ٣٠٠.
٦٨ ـ المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٣.
٦٩ ـ المصدر السابق، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨.
٧٠ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٤٧١.
٧١ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٦٢٣.
٧٢ ـ السعيد، ناصر، تاريخ آل سعود، ص ٢٧٧.
٧٣ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ١١٨، ١٢٩ ـ ١٢٣.
٧٤ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٤٧٨.
٧٥ ـ الزامل، عبدالله، اصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص ٣٦٧.
٧٦ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، الاصلاح الاجتماعي، ص ١٦٨.
٧٧ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٤٨٤ و٤٨٥.
٧٨ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ١٢٣.
٧٩ ـ المصدر السابق، ص ١٢٣.
٨٠ ـ Lacy, Robert, op. cit., p.212-214
٨١ ـ Ibid, p. 215-216.
٨٢ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ١٢٦.
٨٣ ـ كشك، محمد جلال، سبق ذكره، ص ٦٥٢ و٦٩٧.
٨٤ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٤٩٥ و٤٩٦.
٨٥ ـ المصدر السابق، ٥٠٢.
٨٦ ـ المصدر السابق، ص ٥٠٣.

٨٧ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ١٧٨ .
٨٨ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٥٠٧ .
٨٩ ـ أبو عليه، عبد الفتاح، الاصلاح الاجتماعي، ص ١٦٤ .
٩٠ ـ العطار، احمد عبد الغفور، ابن سعود وقضية فلسطين، ص ١٦١ ـ و١٦٢ .
٩١ ـ المصدر السابق، ص ١٦٢ .
٩٢ ـ المصدر السابق، ص ١٦٥ .
٩٣ ـ المصدر السابق، ص ١٧٠ .
٩٤ ـ المصدر السابق، ص ١٧١ .
٩٥ ـ المصدر السابق، ص ١٧٢ .
٩٦ ـ المصدر السابق، ص ١٧٣ .
٩٧ ـ المصدر السابق، ص ١٧٤ .
٩٨ ـ المصدر السابق، ص ١٧٥ .
٩٩ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ١٩٧ .
١٠٠ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٢ .
١٠١ ـ الزركلي، خير الدين، سبق ذكره، ص ٦٠٢ .
١٠٢ ـ المصدر السابق، ص ٥٣٧ .
١٠٣ ـ المصدر السابق، ص ٥٣٨ .
١٠٤ ـ المانع، محمد، سبق ذكره، ص ٢٠٥ .
١٠٥ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٧ .
١٠٦ ـ المصدر السابق، ص ٢١٠ .

## الفصل الثامن

# من الفقر إلى الثروة

# استمرار الانقسام وبداية الانحلال

اثبتت الوقائع الواردة في الفصل الثاني أن النزاعات والتقاتل الدموي على منصب الأمامة والحكم هي سمة دائمة لآل سعود. لكن الباحث يُعذر إذا اعتقد أن الدرس القاسي الذي لقنه ابن رشيد لآل سعود حين قضى على حكمهم سنة ١٨٨٧، والذل الذي أصابهم اثناء لجوئهم إلى بني مرة ثم إلى آل الصباح في الكويت، سيحملهم على اللحمة والتضامن ومساعدة عبد العزيز على انتزاع السلطة من آل رشيد. وكان الامر خلاف ذلك رغم تواطؤ المصادر السعودية كعادتها على اخفاء الحقيقة. إذ رغم شخصية عبد العزيز القوية ومكانته كباعث مجد آل سعود بعد الافول، تآمر عليه اولاد عمه حسداً وغيرة وطمعاً بالحكم وناصروا القبائل الثائرة والمعارضة وحاربوا معها طيلة عقدين من الزمن كما ذكرنا.

### الوضع المالي للملك عبد العزيز

يقول محمد المانع أنه حينما استولى ابن سعود على الرياض سنة ١٩٠٢ كانت خزينة الدولة برمتها تحمل في اخراج، على ظهر ابله. ولم تتحسن احواله المالية كثيراً طيلة العشرين سنة التالية. فكان دائماً في حاجة إلى المال وزاد ضيقه

المالي لما قطعت بريطانيا معونتها المالية السنوية في نهاية ١٩٢٣ وكانت تشكل المورد الرئيسي له.

وحين استولى على الحجاز سنة ١٩٢٦ سافر معه عبدالله السليمان ليرتب له الادارة المالية ولم يكن يعرف شيئاً عن مسك الدفاتر أو المحاسبة. وبقي مقر ابن سليمان الدائم في الحجاز لأن مواردها كانت اكبر من موارد نجد بكثير من الجمارك والبريد والرسوم التي يدفعها الحجاج عند دخول البلاد وكلما انتقل الحاج من منطقة إلى اخرى في الحجاز، خاصة بين جدة ومكة والمدينة. ومع ذلك ظل الملك يعاني صعوبات مالية مستمرة.

فإذا قصرت الموارد عن حاجات الملك، وغالباً ما كانت تنقص، كان عبد الله السليمان يغزو السوق التجارية ويحلب التجار. وكان من الخير لاثريائهم أن يكونوا خارج المدينة إذا كان الملك في حاجة مفاجئة للمال (١).

زاد في ضيق عبد العزيز الازمة المالية الحادة التي عمت العالم ما بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣ فتناقص عدد الحجاج وكانت رسومهم تشكل مورداً اساسياً للدولة. وبلغ الضيق حداً أن الدولة السعودية عجزت عام ١٩٣٥ عن دفع مرتبات موظفيها(٢).

وقد رأينا أن عبد العزيز اقترض من التجار المحليين حتى عجزوا عن تلبيته فذهب يلتمس القروض من الخارج. ولم يستطع الحصول على شيء من الدول الغربية بسبب الازمة المالية فلجأ سنة ١٩٣٢ إلى الاتحاد السوفياتي طالباً المساعدة والقروض. ولم يثنه عن ذلك أن هذه الدولة تدعو للالحاد علناً وتسفّه الاديان.

### عبد العزيز والسوفيات

كان السوفيات أول دولة اجنبية اعترفت بعبد العزيز ملكاً على الحجاز سنة ١٩٢٦ وأقامت لها بعثة دبلوماسية في جدة. وارسل عبد العزيز ابنه فيصل حاكم الحجاز ووزير الخارجية في جولة على الدول الاوروبية سنة ١٩٣٢ للحصول على

قروض فلم يُوفَّق. وتابع فيصل سفره إلى موسكو بدعوة من حكومتها حيث قابل زعماء الشيوعية كالينين ومولوتوف ثم زار القوقاس واشاد أمام سكانها المسلمين بصداقة بلاده، حامية الأماكن الاسلامية المقدسة، لحكومة الاتحاد السوفياتي الملحدة.

بنهاية الزيارة ارسلت موسكو شحنة من البترول إلى جدة بقيمة ثلاثين الف جنيه وتحدثت عن قرض بمبلغ مليون جنيه لقاء اتفاقية تجارية طويلة الامد واتفاقية صداقة وتعاون. وطالت المفاوضات وتعثرت ولم يحصل عبد العزيز على القرض المرتجى.

## امتياز البترول

عاد الحظ فابتسم لعبد العزيز. فقد تنافست شركات بريطانية واميركية على التنقيب عن البترول في الاحساء وعرض الامير كان شروطاً افضل فحصلت شركة سوكال الاميركية على امتياز يشمل مساحة واسعة من المنطقة الشرقية في ٩ مايو (ايار) ١٩٣٣ لقاء دفع ٣٥ الف جنيه فوراً، و٢٠ الف جنيه بعد ثمانية عشر شهراً، وخمسة الاف جنيه كايجار سنوي، وخمسين الف جنيه عند ظهور البترول، وخمسين الف جنيه بعد اكتشافه بسنة على أن تحسب كل هذه المبالغ كدفعات مسبقة على حساب العائدات السعودية المقبلة.

لم يكن عبد العزيز يعتقد بوجود البترول فاعتبر ما دفعته الشركة كسباً وغنيمة سهلة. وليس لهذه المبالغ قيمة بالنسبة لايراد السعودية من البترول في الوقت الحاضر. لكنها كانت مورداً مهماً بالنظر لوضع عبد العزيز المالي في تلك الأيام.

حفرت الشركة ستة ابار ما بين ١٩٣٣ و١٩٣٨ دون أن تعثر على كميات تجارية إلى أن ظهر البترول في البئر السابع بتاريخ ٤ مارس (اذار) ١٩٣٨ وكان ذلك بداية العهد الجديد في السعودية.

لكن ذلك لم يفرج ضائقة عبد العزيز فورا لأن الحرب العالمية الثانية اعلنت في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٣٩ وتعطلت المواصلات البحرية فتقلص انتاج البترول إلى ثلاثين الف برميل يومياً واستمر ذلك إلى نهاية الحرب. وترافق ذلك مع تناقص عدد الحجاج بسبب الحرب أيضاً.

## انتقال السعودية من النفوذ البريطاني إلى النفوذ الاميركي

لكن الحرب التي قلصت موارد البترول درت على عبد العزيز اموالاً اخرى. فقد عادت بريطانيا تدفع مساعدة سنوية بلغت ثلاثة ملايين جنيه سنوياً. أما الولايات المتحدة التي لم تعترف بالحكومة السعودية إلا في مايو (ايار) ١٩٣١ أي بعد خمس سنوات من اعتراف بريطانيا والسوفيات ولم تفتح سفارة في جدة إلا سنة ١٩٤٢، فقد شعرت بحاجتها إلى البترول السعودي عندما تعرضت إلى «نقص ستراتيجي» في احتياطها الذي كانت الحرب تستنزفه بسرعة فأعلنت حكومتها «أن استثمار موارد البترول السعودي يجب أن ينظر إليه في ضوء المصلحة الوطنية الاميركية». وهكذا دخلت السعودية في نطاق الاهتمام الامني الاميركي وما تزال حتى الان.

في ١٨ فبراير (شباط) ١٩٤٣ اصدر الرئيس روزفلت قراراً يعتبر المملكة السعودية عنصراً حيوياً للدفاع عن الولايات المتحدة وأنها بهذه الصفة تدخل في عداد الدول التي يحق لها الاستفادة من برنامج «الاعارة والتأجير» فحصل عبد العزيز بمدة ستتين على ٣٣ مليون دولار من المال والبضائع. وقبل اجتماع عبد العزيز بروزفلت في البحيرات المالحة في مصر يوم ١٤ فبراير ١٩٤٥ منحته الولايات المتحدة مساعدات بقيمة ٥٧ مليون دولار وسجل اجتماع الرجلين انتقال السعودية من النفوذ البريطاني إلى النفوذ الاميركي بصورة نهائية.

في الوقت ذاته وبسبب انتهاء الحرب ارتفعت ايرادات البترول من ١٠ ملايين دولار سنة ١٩٤٦ إلى ٥٦ مليوناً سنة ١٩٥٠ ثم إلى ١١٠ ملايين سنة ١٩٥١ وإلى ٣٣٥ مليوناً سنة ١٩٥٤ واستمرت بالارتفاع على هذه الوتيرة.

لكن هذه المبالغ التي لم يحلم بها آل سعود في عهودهم الماضية قصرت عن نهمهم الذي كان يسبق ازدياد العائدات ويفوقها.

فقد اعتبر عبد العزيز واولاده ولا يزالون، ايرادات الدولة ملكاً خاصاً لهم، أي لعائلة آل سعود. ولم يكن عندهم ادنى شعور بحاجات المواطنين أو ادراك لمفهوم الدولة وواجباتها. وكانت وظيفة وزير المالية عبد الله السليمان أن يلبي مطالب الملك والامراء بأية وسيلة. وبطبيعة الحال لم يكن للدولة في هذا المجتمع البدائي ميزانية أو حسابات بالمعنى العصري تبين موارد الدخل وبنود المصروفات. فكان الملك يأمر شفهيا ووزير المالية ينفذ. وقد مانع اولاد عبد العزيز بشدة كل مسعى لضبط حسابات الدولة. وعمت الفوضى المالية لدرجة أن دفع معاشات الجنود والشرطة تأخر اربعة أشهر في صيف ١٩٤٩ وبقي متأخراً فترة طويلة من الزمن.

وللدلالة على العقلية التي تصرف بها آل سعود فإن ما سمي ميزانية ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ اوضحت دون خجل أن مصروفات الدولة تبلغ ٤٩٠ مليون ريال (نحو ١٢٥ مليون دولار) منها ٣١٣ مليون ريال، أي ثلثاها، تخصص للقصور الملكية ولمصاريف الملك والامراء، والثلث الباقي للموظفين والتعليم والصحة والعمران والدفاع.

لم يكتف آل سعود بهذا التبذير إذ ركبوا على الدولة ديوناً بلغت مايتي مليون دولار في نهاية ١٩٥٢.

وفي مدة ثمان سنوات من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى وفاة الملك عبد العزيز دخل عليه ستماية مليون دولار منها اربعماية مليوناً واردات الدولة ومائتا مليوناً من الديون. لقاء هذه المبالغ الضخمة في ذلك الزمن لم ينشىء عبد العزيز من المرافق العامة سوى سكة حديد الرياض ـ الظهران، ورصيف بحري في ميناء جدة، وابار متفرقة في الصحراء، وبعض الطرق المرصوفة. أما القسم

الأعظم من الأموال فقد انفقه الملك واولاده على انفسهم.

خلال هذه المدة تغيرت وضعية الشركتين صاحبتي امتياز البترول سوكال وتكساكو اللتين عملتا تحت اسم كالتكس. فقد اتفقتا سنة ١٩٤٧ مع شركتي ستاندرد اويل اوف نيوجيرسي التي عُرفت بعدئذ باسم (اكسون)، وشركة سوكوني التي اصبحت (موبيل اويل)، على الاشتراك باستثمار البترول السعودي بنسبة ثلاثين بالماية لأكسون وعشرة بالماية لموبيل وثلاثين بالماية لكل من سوكال وتكساكو وصارت الشركة الجديدة تعرف باسم (اراب اميركان كومباني) أو ارامكو اختصاراً.

## نهاية عهد

بدأت تظهر على عبد العزيز منذ سنة ١٩٤٧ اعراض الشيخوخة والانحلال. وازداد الالم في ركبتيه فلم يعد يقوى على المشي ولجأ إلى كرسي متحرك يتنقل به. وضعف بصره بحلول عام ١٩٤٩ حتى لم يعد يميز الاشياء رغم النظارات السميكة. وصار عاجزاً عن تركيز ذهنه فعم جوّ من السيان والانحلال لأن جميع مصالح الناس والحكم كانت مركزة في شخصه ولم يكن للحكومة البدائية عمل الابارادته ومن خلاله.

استفاد الامراء من ضعف رقابة والدهم ففغروا افواههم على اموال الدولة وغرفوا منها ما استطاعوا فكانت موارد البترول المتزايدة تتبخر بسرعة الريح ما بين الملك وابنائه ومستشاريه المقربين والتجار المتعاملين مع القصور وشيوخ القبائل فلا يتسرب منها شيء لعامة الناس أو للمشاريع العامة. فعبد العزيز لم يشعر يوماً بمسؤوليته تجاه الشعب ولم يفهم ضرورة التنمية الاقتصادية بمعناها الحديث ولم تنفذ في عهده مشاريع عمرانية أو اجتماعية أو صحية أو تعليمية.

واستعان عبد العزيز خلال عهده بوزراء ومستشارين مسؤولين تجاهه شخصياً لكنه لم يشكل مجلس وزراء له شيء من الصلاحيات إلا قبيل وفاته سنة

١٩٥٣. وكان قد عهد إلى ابنه سعود بكثير من امور الدولة نظراً لاعتلال صحته.

### قضية الوراثة

كان عبد العزيز واعياً لمرض الانقسام المستشري في عائلته منذ نشوئها فحاول أن يحتاط لذلك ما أمكن. فاستن قاعدة غريبة في عرف العائلات المالكة ظن أنها كفيلة بلجم مطامع اولاده وهم كثر. فقضى أن ينتقل الملك تسلسلا من الاخ الاكبر إلى من يليه سناً. وجرت العادة أن تتم البيعة في وقت واحد للملك وللاخ الذي يليه كولي للعهد.

فلما توفي عبد العزيز في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ عن سبعة وسبعين عاماً نودي بسعود ملكاً وبفيصل ولياً للعهد. وبعد عزل سعود جرت البيعة لفيصل ملكاً ولخالد ولياً للعهد، ثم لخالد وفهد، والآن لفهد ولعبد الله.

لم يكن هذا التسلسل في الوراثة دقيقاً فقد تجاوز محمداً الابن الثالث لعبد العزيز كما تجاوز ناصراً الابن الخامس الذي يلي خالد بسبب سكره، وسعدا الابن السادس الذي يسبق فهدا، مما يفسح المجال في المستقبل لخرق هذه القاعدة.

### تقييم عهد عبد العزيز

يقول هاري سانت جون (عبد الله) فيلبي أن الملك عاش حتى رأى الذهب الوفير والنفط يجتاح كل الحواجز من الدين والاخلاق. وأنه لأمر محزن أن يشهد المرء انتشار التفسخ في دولة كان لها طابعها الخاص لما كانت فقيرة ثم فقدت اخلاقها لما اغتنت.

وجاء التقييم الصارم للعهد في كتاب المستشار حافظ وهبة «خمسون عاماً في جزيرة العرب» حيث قال أن التعليم في عهده كان أقل بكثير مما ترقبه الناس. وانتقد موقفه من المال العام فقال «أن عبد العزيز كان يعطي الذين لا يخشى خيانتهم أقل من غير المضمون ولاؤهم».

وتطرق إلى الفساد الذي بدأ في عهد عبد العزيز وتفاقم بعده فقال: «أن عبدا العزيز حاكم بعض الموظفين المختلسين وادينوا لكنه عفا عنهم وترك لهم الأموال المختلسة. وهذا خطأ عظيم، يقول وهبة، لأنه إن جاز العفو عن العقوبة فإنه لا يجوز بحال أن يترك لهم ما بأيديهم من مال اختلسوه كما لا يجوز اعادتهم الى مناصبهم. لقد كان هذا العفو تشجيعاً مباشراً للّصوص والمختلسين والمرتشين. فإذا كان هذا جائزاً في حكومة لا تدين بالشريعة الاسلامية فإنه كثير على دولة دينية تستمد نظامها واحكامها من الشريعة.

وأشار وهبة أيضاً إلى «سكوت الملك عن اختلاس ذهب المعونة البريطانية والاميركية وبيعه جهاراً في اسواق القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية. وقال أن الملك الذي تقطع شرطته اصابع من جسّ شوال ارز او بن ملقى في الطريق، كيف اقنى باحتفاظ المختلس بما اختلس بل واعادته إلى منصبه»[٣].

ولا شك أن الاستخبارات الانكليزية والاميركية تابعت كيفية تصرف الملك بمساعداتها وكونت رأيها عن نوعية حكمه ونزاهته.

ولم تكن ملاحظات محمد اسد الذي عايش ابن سعود والف كتابه «الطريق إلى مكة» أقل صرامة فقال «أن عبد العزيز لم يحقق آمال العرب والمسلمين فحينما زادت قوته وتوطدت اتضح أنه لم يكن أكثر من ملك يهدف إلى ما هو ليس اسمى وارفع من أهداف الحكام المطلقي السلطة الذين حكموا قبله في الشرق. صحيح أنه انشأ حالة من الأمن. لكن ابن رشيد فعل ذلك قبله. وهو حقق الامن عن طريق قوانين صارمة وتدابير تأديبية قاسية وليس عن طريق بث الشعور بالمسؤولية المدنية في شعبه. لقد اوفد قبضة من الشباب إلى الخارج (مصر) ليدرسوا الطب واللاسلكي لكنه لم يفعل شيئاً يرسخ في نفوس شعبه الرغبة في التعليم. كان يتكلم دائماً عن عظمة طريقة الحياة الاسلامية، لكنه لم يفعل شيئاً لبناء مجتمع تقدمي عادل تستطيع فيه تلك الطريقة في الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً ثقافياً. وعندما سئل مرة لماذا لا يحاول أن يقيم دولته على أساس أقل شخصية ليتمكن

اولاده من أن يرثوا بناءً حكومياً منظماً، أجاب: لقد اسست مملكتي بحد سيفي وجهودي فليبذل ابنائي جهودهم الخاصة من بعدي»(٤).

المستوى الفكري والثقافي في عهد عبد العزيز

يحسن بنا قبل ختام هذا الفصل أن نتبين المستوى الفكري والثقافي في البلاد في أواخر العقد الثاني من هذا القرن. ونقتبس ذلك مما قاله الاستاذ عبد الرزاق البعيد عن الكويت في مقدمة كتاب «تاريخ الكويت» للسيد عبد العزيز الرشيد علماً بأن المجتمع الكويتي ارقى مستوى وأكثر انفتاحاً على العالم من المجتمع النجدي. قال السيد البصير: لقد افضت في ترجمة المؤلف وأنا اقصد من ذلك أن أصدر المستوى الفكري والثقافي الذي كانت عليه بيئتنا في الكويت في ذلك الحين، فتصور أن الناس كانوا يتساءلون في ما بينهم عن جواز تعلم اللغات الاجنبية ومطالعة الصحف والمجلات العربية. ويبدو لي أن هذا التساؤل كان قوياً لدرجة أن المؤلف شغل ذهنه هذا الموضوع فالف رسالة يوضح فيها أن مطالعة الصحف والمجلات وتعلم اللغات الأجنبية لا تخالف الدين والشريعة.

هذا كان المستوى الفكري في الكويت. أما في نجد فكانت الحالة ادهى. ويكفي أن نعلم أن عبد العزيز كان بالكاد يستطيع أن يكتب اللغة الدارجة كما اخبرنا مستشاره السيد حافظ وهبة. أما الاولاد الكثر ابتداء من الملك فهد وباقي الامراء الذين يتولون شئون الحكم في عصر الالكترون والكهرباء، فليس بينهم من دخل مدرسة ابتدائية، أو يتقن اللغة العربية، أو درس العلوم المدنية الحديثة، أو يعرف لغة اجنبية تمكنه من الاطلاع بشكل مباشر على شئون العالم دون حاجة إلى مترجم.

وبالتعس بلد يقوده جهال في عصر العلم.

## مراجع الفصل الثامن

## من الفقر الى الثروة

(١) المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٢٥٨، ٢٥٩ .
(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢ .
(٣) وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٣٨ و٥٠ .
(٤) اسد، محمد، الطريق إلى مكة .

# الفصل التاسع

## آل سعود أعداء للثورة العربية

في الوقت الذي كان فيه آل سعود «والاخوان» يعودون بسكان نجد إلى القرن السابع باساليب البطش والتنكيل ، كانت تيارات قومية تقدمية عصرية مناقضة تعصف بأفئدة عرب الشمال وحكام الحجاز من الهاشميين ، فقد انبعثت الروح الوطنية والشعوربالانتماءالعربي في مراكز الحضارة العربية في دمشق وبيروت والقدس وبغداد والقاهرة ، ونما التذمر من سوء معاملة رجال الاتحاد والترقي المتعصبين لقوميتهم التركية ، فنشأت بين عرب الشمال تنظيمات سياسية مختلفة تطالب بالاصلاح واللامركزية كمؤتمر باريس ١٩١٣ «وحركة الاصلاح» . وتشكلت أيضاً منظمات سياسية وعسكرية سرية كالعربية الفتاة والجمعيةالقحطانية ومنظمة «العهد» التي ضمت الكثيرين من الضباط العراقيين والسوريين والفلسطينيين في الجيش التركي تطالب بوحدة البلاد العربية واستقلالها .

وعلى النقيض من عبد العزيز ودعوته الوهابية كانت الحركة العربية علمانية تجمع ما بين جميع عناصر البلاد الشمالية . وتجلى ذلك لما اعدم قائد الجيش التركي الرابع جمال باشا عدداً كبيراً من احرار العرب القوميين في ساحات دمشق وبيروت بتاريخ ٦ مايو (ايار) ١٩١٦ لمطالبتهم بالاستقلال وكانت بينهم نسبة كبيرة من الزعماء المسيحيين .

اتجه العرب إلى آل هاشم يتوسمون فيهم الزعامة ، فهم أسياد العرب من

اجيال ولهم مكانة دينية لا تنازع كما أن لهم قاعدة حكم في الحجاز . وبالاضافة إلى كل ذلك فقد كانت اتجاهاتهم عصرية لأنهم أمضوا زمناً طويلاً في اسطمبول التي كانت وثيقة الاتصال بالتطورات الفكرية والسياسية في العالم الاجنبي .

كان زعيم آل هاشم الشريف حسين ابن علي مقيماً في اسطمبول بضيافة السلطان الاجبارية على عادة سلاطين بني عثمان مع الزعماء الذين لا يضمنون ولاءهم . وكان يرافقه في اسطمبول أولاده عبدالله وفيصل وعلي الذين درسوا في مدارسها وتشبعوا من جوها وتوسعت مداركهم في أفقها الرحب وتعرفوا فيها على انماط السياسة الاوروبية إذ كانت الامبراطورية العثمانية إحدى أكبر الدول أثراً في سياسة اوروبا رغم وهنها .

في سنة ١٩٠٨ عيّن السلطان الشريف حسين حاكماً على الحجاز وكان في الستين من عمره . وصادف ذلك إنتهاء العمل بمشروع سكة حديد الحجاز ووصول القطار إلى المدينة المنورة. ورافقه في عودته اولاده عبد الله وفيصل وعلي .

يقول الاستاذ احمد عبد الغفور العطار عن الملك حسين بن علي في كتابه «صقر الجزيرة» :

«استفتح الشريف حسين عهده باخلاق السلف الصالح . وكان هو عالماً جليلاً ذا خلق عظيم وذكاء خارق ، ورغبة صادقة في الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ، بل كان يحكم بهما . وكان شديد التواضع ليّن الجانب بعيداً عن التكبر والترف يعيش في بيته عيشة أهل التقوى والصلاح . وكانت مائدته متواضعة كنفسه» .

ولد عبد الله ابن الحسين في مكة سنة ١٨٨٢ ودرس في اسطمبول وصار ممثلاً لمكة في مجلس المبعوثان (البرلمان) التركي .

أما فيصل فقد ولد في الطائف في ٢٠ مايو (ايار) ١٨٨٥ وانتقل مع والده واخوانه إلى اسطمبول سنة ١٨٩١ حيث درس السياسة وأطلع على احوال الدول

العمرية ثم عاد مع والده إلى الحجاز إلى أن انتخب نائباً في مجلس المبعوثان كنائب عن مكة سنة ١٩١٣ وهكذا تعرف عبد الله وفيصل مباشرة على إدارة الدول العصرية ومارسا اساليب النظام التمثيلي الديمقراطي .

في اسطمبول اتصل أحرار العرب بالاخوين عبد الله وفيصل اللذين تعرفا عن ما يجيش في صدور الشعب من آمال وطنية تهدف إلى إعادة مجد العرب وبناء دولة عربية موحدة وعصرية . وشاركا بهذه الآمال والطموحات ولعبا دوراً بارزاً في نشر مبادىء الثورة ضد تركيا والتحضير لها .

من هذا العرض الموجز تتبين الفرق الشاسع بين عقلية عبد العزيز وآل سعود الصحراوية البدائية ، وعقلية عبد الله وفيصل . فعبد العزيز لم يدخل في حياته مدرسة وبقي مقوقعاً جغرافياً في صحاري نجد ومقوقعاً فكرياً بالمذهب الوهابي المنغلق على نفسه والذي يكره مجرد التعرف على أنماط فكرية وسلوكية مختلفة . ولم يتاح له أن يعيش في مجتمع عربي متحضر خارج الجزيرة كما أنه لم يلامس فكرياً واجتماعياً مجتمعاً أجنبياً فهو لم يغادر بلاده الا ثلاث مرات طيلة عيده إحداها إلى البصرة سنة ١٩١٦ ، والثانية إلى الكويت والبحرين في طريق عودته من المقابلة مع ملك العراق على البارجة البريطانية في الخليج ، سنة ١٩٣٠ ، والثالثة إلى مصر لمقابلة الرئيس روزفلت سنة ١٩٤٥ . وكانت كلها زيارات قصيرة خاطفة ويلاحظ فيها التباعد الزمني بين زيارة واخرى .

وقد بقي عبد العزيز إلى وفاته ابن الصحراء لا يعرف عن العالم الخارجي إلا النذر اليسير .

أما عبد الله وفيصل اللذان لا يقلان عنه تمسكاً بالدين فقد عاشا في عاصمة الخلافة الإسلامية المنفتحة على العالم أجمع وعلى تياراته الفكرية والسياسية ، ومارسا نظام الحكم المدني والتمثيلي ، وتفهما الحركة القومية العربية واستجابا لها ثم تزعماها وسارا بها إلى النصر لولا تآمر بريطانيا وفرنسا عليها وهما أعظم دولتين في ذلك العصر .

## الشريف حسين وبريطانيا

في بداية الحرب العالمية الأولى أرسلت بريطانيا حملة بحرية إلى شبه جزيرة غاليبولي التي تتحكم بمداخل بحر مرمرة لتأمين الاتصال البحري وطرق التموين لحليفتها روسيا القيصرية . وكانت القوة التركية المدافعة مؤلفة بمعظمها من جنود عرب .

في الوقت نفسه احتلت بريطانيا مدينة البصرة لكنها لم تستطع الوصول إلى بغداد إلا في ١١ مارس (آذار) ١٩١٧ . وكان الجيش التركي في العراق وسوريا وفلسطين مؤلفاً بكامله تقريباً من العرب .

ووجدت بريطانيا من مصلحتها أن تؤيد الطموحات القومية العربية في الحرية والاستقلال لتضعف الآلة الحربية التركية والالمانية في المشرق . ولم يكن لبريطانيا مجال واسع للاختيار ففي الجزيرة مركزان وحيدان للقوة هما الشريف حسين في الحجاز وآل سعود في نجد . أما آل رشيد فهم حلفاء تركيا التقليديون .

لم يغفل عن بال الادارة الانكليزية أن آل سعود مكروهين خارج حدود نجد بسبب دعوتهم الوهابية التي رفضتها الشعوب العربية الإسلامية المجاورة فلم تنتشر إلا حيث رافقها الفرض بحد السيف . كما أن عقلية آل سعود البدوية لا تؤهلهم لقيادة حركة عربية تعتمد في الأساس على الشعوب الشمالية التي بلغت حداً من التطور الفكري والسياسي يتجاوز مفاهيم آل سعود . لذلك اتصلت بريطانيا بالشريف حسين وتبادلت معه رسائل ما بين يوليو (تموز) ١٩١٥ ويناير (كانون الثاني) ١٩١٦ تعرف باسم رسائل «حسين ـ مكماهون» تعهدت فيها بريطانيا بمد الثورة العربية بالسلاح والمال ، وبتأييد استقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الامبراطورية العثمانية والممتدة من جبال طوروس شمالاً التي تؤلف الحدود الشمالية لسوريا الطبيعية ، إلى العريش جنوباً ، ومن حدود ايران شرقاً ، إلى البحر المتوسط غرباً ، باستثناء المناطق الغربية (لبنان) مراعاة لمطامع

حيفنيها فرنسا .

لقاء ذلك تعهد الشريف حسين بقيادة ثورة عربية شاملة ضد الاتراك . وكان صلة الوصل بين الملك حسين والادارة الانكليزية الكابتن توماس ادوارد لورنس الذي لعب دوراً بارزاً في الثورة العربية وألف كتاباً شهيراً عنها بعنوان «أعمدة الحكمة السبعة» .

في يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، أي بعد شهر من استشهاد عدد كبير من رجالات العرب على يد السفاح جمال باشا ، أعلن الشريف حسين الثورة ووجه نداء إلى جميع العرب للاشتراك بتحرير بلادهم وتحقيق الاستقلال . واستولت القوات العربية على مدينة العقبة بعملية جريئة في صيف ١٩١٧ فقطعت سكة حديد الحجاز وعزلت الحامية التركية في المدينة المنورة فتحرر الحجاز بكامله وفتحت الطريق أمام جيش الامير فيصل الذي دخل دمشق دخول المنتصرين في أول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ واستقبل بحفاوة وحماس لا مثيل لهما مستعيداً للعرب مجداً فقدوه من أربعمائة عام ومعيداً لدمشق مكانتها التاريخية .

تتويج الملك فيصل ابن الحسين في دمشق

اجتمع ممثلون عن سوريا والعراق والاردن وفلسطين ولبنان في مؤتمر قومي في دمشق يوم ٨ مارس (اذار) ١٩٢٠ ، وكانت أياماً مشهودة ، واعلنوا الامير فيصل ملكاً . وكان في أذهان المجتمعين أنهم يؤسسون مُلكاً عربياً شاملاً للشمال العربي لا مملكة سورية .

تحلّى الملك فيصل بصفات ملكية نادرة من حكمة وطول أناة في معالجة المشاكل . وإطلاع على السياسة الدولية ، ورحابة صدر في الاتصال بالناس ، تجلّت أثناء حكمه القصير في دمشق ثم في تركيز أسس الدولة العراقية بين ١٩٢١ و ١٩٣٣ على إختلاف عناصرها ما بين شيعة وسنة ، وعرب وأكراد .

من ناحيته هاجم الامير عبد الله شرق الاردن بجرأة سنة ١٩٢٠ واستولى

عليها ، وأسس فيها إمارة مستقلة عن فلسطين وانتزع من الدولة المنتدبة بريطانيا إقراراً بأن شرق الاردن غير مشمول بوعد بلفور فخلصه من الامتداد الصهيوني ، واعترفت به بريطانيا أميراً على البلاد في مارس (اذار) ١٩٢١

تمثلت في الامير عبد الله أفضل الصفات العربية كالتقوى والشجاعة والفروسية . وكان محباً للشعر متعمقاً في الاداب العربية ، حصيفاً في السياسة ، فانتقل بالاردن هو وحفيده الملك حسين ، من بلد فقير قاحل ليس فيه موارد أو ثروة طبيعية إلى بلد مزدهر متحضر ديمقراطي قوي بمؤسساته الدستورية والعسكرية ، يلعب دوراً مميزاً في سياسة الشرق الاوسط .

**تآمر بريطانيا على الثورة العربية :**

**اتفاقية سايكس بيكو ، ووعد بلفور**

لم يطل الوقت حتى بدأت تتضح خيانة بريطانيا للعرب ونكوثها عن عهودها . إذ لما استولى الشيوعيون على الحكم في روسيا نشروا وثائق تاريخية بينها إتفاقية سرية عقدتها بريطانية وفرنسا في فبراير (شباط) ١٩١٦ عرفت باسم اتفاقية «سايكس ـ بيكو» اقتسمتا فيها السيطرة على سوريا ولبنان وفلسطين والعراق . جرى ذلك في الوقت الذي كانت بريطانيا تتبادل الرسائل مع الملك حسين وتتعهد له بتأييد قيام دولة عربية موحدة كبرى في الأقطار العربية المنسلخة عن تركيا .

تلا ذلك خيانة اخرى عندما اعلنت بريطانيا بلسان وزير خارجيتها اللورد بالفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ تعهدها بإقامة وطن لليهود في فلسطين .

بعد ذلك انتهت الحرب العالمية الاولى واستسلمت الدولة العثمانية في اكتوبر ١٩١٨ وتبعتها المانيا واعلنت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ .

انعقد مؤتمر فرساي للصلح في يناير ١٩١٩ وحضره الامير فيصل ممثلاً لوالده الملك حسين . وتضمنت معاهدة فرساي نظام الانتداب المفروض على

سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق فرفض فيصل توقيع المعاهدة إحتجاجاً على الاستعمار الجديد . لكن الدول الكبرى لم تهتم بهذا الرفض فانعقد مؤتمر سان ريمو في شهر ابريل ١٩٢٠ ووزع الانتدابات في الشرق الادنى ما بين بريطانيا وفرنسا ، وصادق على إقامة الوطن اليهودي .

مضت فرنسا تطبق بنود اتفاقية سايكس ـ بيكو وسان ريمو فاحتلت لبنان ووجهت انذاراً للملك فيصل في دمشق بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٢٠ طالبة منه الاعتراف بالانتداب الفرنسي فرفض . وبعد معركة قصيرة في ميسلون دخلت قواتها المدينة في يوليو ١٩٢٠ منهية بذلك الملك الذي حلم به العرب أربعة قرون ودام أقل من سنتين .

أدركت بريطانيا فداحة اساءتها للوطنيين العرب وخيبة أملهم فيها وما يمكن أن يعكسه ذلك على مصالحها فسهلت تولية فيصل ملكاً على العراق . فاجتمع مجلس الدولة العراقي في ١١ يوليو ١٩٢١ وانتخب بالاجماع فيصلاً ابن الحسين ملكاً على أن وتكون حكومته دستورية ، تمثيلية ، ديموقراطية ، تتقيد بالقانون». وتمت مراسيم التتويج في اغسطس من السنة نفسها .

كذلك اعترفت بريطانيا بالامير عبد الله اميراً على شرق الاردن في ٢٠ مارس ١٩٢١ وبقي والدهما ملكاً على الحجاز .

### آل سعود يعادون الثورة العربية

عارض آل سعود الثورة العربية والطموحات القومية والوطنية للسوريين والعراقيين والفلسطينيين واللبنانيين منذ البداية لاغراض أنانية شخصية . فقد أدركوا أن قيام الدولة العربية الكبرى القادرة في الشمال العربي المتحضر يعني خسوف مكانتهم وزوالها . ولا تزال هذه الفكرة ركيزة السياسة السعودية في التعامل مع البلاد العربية إلى هذا التاريخ فهم يعارضون كل تكتل أو إتحاد يمكن أن يتحقق في شمالهم . لذلك عارضوا الوحدة المصرية ـ السورية ودفع الملك

سعود ملايين الدولارات لفرطها كما سنرى . وعارضوا الاتحاد العراقي - الاردني الذي قام كرد فعل على الوحدة المصرية - السورية .

لم يكتف آل سعود بالسلبية تجاه الآمال القومية العربية بل عملوا جهدهم لاضعاف النهضة العربية عسكرياً . فقد هاجم «الاخوان» كما رأينا ، قوات عبد الله ابن الحسين في تربة سنة ١٩١٩ واحتلوا أقساماً من عسير سنة ١٩٢٠ وكان الاولى بهم توجيه جهودهم الحربية وحماسهم الديني ضد أعداء العرب والمسلمين في الشمال .

وخلال الأشهر الحرجة التي تبينت فيها خديعة بريطانيا للعرب لم يبدر من آل سعود أي تحرك لمقاومة وعد بلفور وانقاذ فلسطين ومساعدة الثائرين الذين يقاومون الاستعمارين الانكليزي والفرنسي ، بل بالعكس أرسلوا «الاخوان» يغزون العراق والاردن ويشغلون حكومتي البلدين عن التصدي للمستعمرين . وفي الوقت الذي كان الفرنسيون يحتلون سوريا كان الانكليز يكافئون عبد العزيز بالاعتراف به «سلطاناً على نجد وملحقاتها» .

وكانت خيانة بريطانيا لعهودها واستعمارها للاقطار الشمالية مصدر فرج لآل سعود غير آبهين لما أصاب سكان الشمال من ذلّ وضيم . ولما ضاق الانكليز ذرعاً بتذمر الملك حسين وتذكيره لهم بعهودهم استداروا إلى عبد العزيز وشجعوه على مهاجمة الحجاز وهم سادرون في صميم مؤامرتهم على الحركة العربية ، وعززوا قدرته العسكرية ما بين ١٩١٩ و١٩٢٠ فزادوا مساعدتهم المالية السنوية له بمبلغ عشرين ألف جنيه ذهباً بالاضافة إلى الستين ألف التي كان يقبضها منذ ١٩١٦ ، وبفضلها نجحت حملته على الحجاز . واستمر الانكليز بالمناورة حتى دفعوا الملك حسين للاستقالة في ٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٤ ونقلوه منفياً إلى قبرص ، واتبعوا ذلك بتدبير تنازل الملك علي عن عرش الحجاز في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٥ لصالح عبد العزيز آل سعود فاكملوا بذلك سلسلة تآمرهم على الحركة القومية العربية التي امتدت من ١٩١٦ الى ١٩٢٥ وكان آل سعود أداتهم الاول في الجزيرة العربية .

## عزالة آل سعود عن الأماني العربية

نلاحظ أنه في الوقت الذي كان فيه الامام عبد العزيز والاخوان مشغولين بالتوافه ما بين ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠ فالاخوان يكفرون عبد العزيز واتباعه في مؤتمر الارطاوية لأنهم يطولون ثيابهم وشواربهم ، ويستعملون السيارات والتلغراف والتلفون ، ولأن الامير سعود زار مصر والامير فيصل زار لندن (وهما من بلاد الكفار)، ولأن عبد العزيز أعلن نفسه ملكاً (والاسلام يحرم الملكية) ، فيرد عليهم الامام عبد العزيز وعلماؤه بتكفيرهم وهدر دمهم ومالهم ، كان الشمال العربي يتفاعل بالثورات الاستقلالية ضد الاجنبي المحتل .

فقد اشتعلت الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) ضد الانتداب الفرنسي في جبل الدروز وحوران ودمشق والغوطة وجبل القلمون ، طلباً للاستقلال وانهاء الانتداب.

وكانت فلسطين بركاناً يثور ضد الصهيونية والانكليز انفجر بثورات متلاحقة في ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ و ١٩٣٦ .

وكانت مصر تغلي بالمظاهرات طلباً للاستقلال وانهاء الاحتلال البريطاني .

كل هذه الاحداث الوطنية لم تلق أي اهتمام من جانب الامام عبد العزيز وأولاده ، بل أن الامام عبد العزيز لم يجد حرجاً في التحالف مع الانكليز في الوقت الذي كانوا ينكلون بالفلسطينين والمصريين . فآل سعود وخصومهم كانوا مشغولين بتكفير بعضهم البعض ، متقوقعين في صحاريهم ، وعازلين انفسهم عن التيارات القومية والسياسية التي تتفاعل في شمالهم العربي .

وقد حصد آل سعود ثمار تعاونهم مع بريطانيا ضد عرب الشمال إذ رضيت بريطانيا بعبد العزيز ملكاً على الحجاز في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ . وبضم الحجاز نهائياً إلى نجد ملغياً استقلاله الداخلي ومعلناً وحدة نجد والحجاز تحت اسم المملكة العربية السعودية في ١٨ سبتمبر (ابلول) ١٩٣٢ ، ولم يكن

ليتسنى له ذلك لولا تواطؤه مع بريطانيا التي كانت في ذلك الزمن الدولة الوحيدة النافذة في الجزيرة العربية .

وسنرى كيف تصرف آل سعود بهذه البلاد التي ملكوها .

# الفصل العاشر

## عهد الملك سعود وصراع الاخوين
## ١٩٥٣ - ١٩٦٤

هناك حدود لضبط النفس لكن لا
حدود لاشباع الغرائز

يُعتبر عهد الملك سعود بداية انتقال البلاد السعودية من حالة البداوة المطلقة إلى مجابهة قاسية مع واقع المدنية الحديثة لا تزال مستمرة دون حل إلى يومنا هذا .

ويسجل هذا العهد الملامح التالية التي سنبحثها :

أولاً ـ برهن هذا العهد أن روح التآمر المتأصلة في نفوس آل سعود ضد بعضهم البعض والتي ذكرناها في الفصلين الرابع والسابع لا تزال حيّة ومتعشة تنتظر الفرص المناسبة للانفجار . وأعطى عزل الملك سعود في ٢ نوفمبر ١٩٦٤ والخلافات العائلية التي أدت إليه دليلاً جديداً على عدم الاستقرار المزمن والمستمر ضمن هذه العائلة . وفي هذه الخصومة بين الاخوين انحاز العرائف إلى سعود في خصومته مع أخوته .

ترافقت روح النزاع التقليدية مع عنصر جديد هو ظهور تيارات إصلاحية برز فيها بعض الأمراء ومواطنون دعوا إلى وضع دستور للبلاد يضبط تصرفات الحكام الشاذة ، ويقربها من الديمقراطية العصرية وينقلها من البداوة إلى الحضارة ويضع حداً لنهب موارد الدولة .

ثانياً ـ ظهر آل سعود في هذه الفترة كعنصر متدخل على غير هدى في سياسة المنطقة بأساليب انتهازية تأرجحت ما بين اليسار واليمين عن غرض وهوى شخصي دون التفات الى مصالح العرب القومية .

ثالثاً ـ سجل العهد من ناحية أخرى تفشي الرشوة والفساد في إدارات الدولة بشكل علني ، وغياب الضوابط الاخلاقية في تصرفات آل سعود مما جعل البلاد هزءاً لدى العرب والاجانب . وتطورت أساليب الاختلاس مجاراة للعصر فصارت تتخذ صفة السمسرة يتقاضاها الامراء والمقربون عن كل صفقة أو مشروع إنمائي أو دفاعي تنفذه الدولة ، وبذلك تغيرت أساليب سرقة المال العام من السطو على خزينة الدولة مباشرة كما كانت أيام عبد العزيز ، إلى الغرف بصورة أوسع عن طريق السمسرات والعمولات . فلنستعرض هذه الملامح في الحقبة المضطربة التي يعالجها هذا الفصل .

## شخصية الملك سعود

ولد سعود سنة ١٩٠٢ وتولى الملك في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٣ وعزل في ٢ نوفمبر ١٩٦٤ وتوفي منفياً في اليونان في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٩ .

كان والده مصمماً على تثبيت مركزه كولي للعهد غير منازع فعينه حاكماً على نجد سنة ١٩٢٦ وأعلنه ولياً للعهد سنة ١٩٣٣ ، وكلفه بتنظيم الادارة الحكومية في الحجاز سنة ١٩٥٣ ، وجعله قائداً عاماً للجيش في اغسطس (آب) ١٩٥٣ ، وكلفه بتحديد صلاحيات ومسئولية مجلس الوزراء الذي تشكل في ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٣ وبتنظيم الوزارات القائمة في ذلك التاريخ .

وكان المقرر أن يجتمع مجلس الوزراء مرة في الشهر ويتخذ قراراته بالاكثرية إلا أنه لم يبدأ عمله إلا في ربيع ١٩٥٤ بعد وفاة الملك عبد العزيز وبقيت قراراته شكلية لأن الملك سعود احتفظ لنفسه بجميع الصلاحيات بحيث أصبح مجلس الوزراء ملحقاً للديوان الملكي .

كان سعود كأبيه شيخاً بدوياً يكاد لا يعرف شيئاً عن العالم الخارجي ، يرتاح إلى الصحراء وعشرة القبائل حيث كان يمضي قسماً كبيراً من وقته بينها . ولم يكن مؤهلاً من حيث معلوماته ونشأته وتجاربه لقيادة دولة عصرية بل أن فكرة الدولة بحد ذاتها كانت غريبة عليه فتصرف بالمال العام وبايرادات البترول كما له الخاص كما فعل والده قبله .

كان بشوشاً وكريماً ، قريباً من شعبه ، متساهلاً مع من حوله خصوصاً مع أولاده وبطانته التي تسرب إليها المنافقون والمتفعون ، سخياً بالانفاق حتى الاسراف . ورث عن والده ديناً على الدولة بلغ مايتي مليون دولار فزاد فيه حتى بلغ ٤٨٠ مليون دولار سنة ١٩٥٨ ذهب معظمها على مصاريفه الخاصة وعلى الامراء حتى شارفت الدولة على الافلاس . فقد بنى لنفسه في الرياض مدينة الناصرية الواسعة التي ضمت مجموعة من القصور له ولنسائه ولمحظياته ولاولاده ، ومنازل للبطانة والخدم ، وثكنات للحرس بلغت تكاليفها وتكاليف أثاثها مئات الملايين من الدولارات وهي الآن شبه مهجورة . كما بنى لنفسه تسعة قصور ملكية أخرى في مكة والمدينة وجدة وخميس مشيط في عسير ، وعلى ساحل البحر الاحمر . وكان نمط معيشته مشيناً ، وعلى الأخص أثناء سفره في الخارج ، فجعل بلده مضغة في أفواه العرب والأجانب.

وازداد نفوذ اولاده وبطانته عليه مع تقدمه بالسن واعتلال صحته وبرز بينهم عيد ابن سالم الذي كان مدير القصر يتولى تزويد سعود بالنساء والخمور واصبح مع الزمن يتدخل بشؤون الدولة وسياستها ويمارس نفوذاً يفوق نفوذ الوزراء لأن هاجس المتعة الجنسية والقدرة على الاستمرار بممارستها لعب دوراً كبيراً في حياة سعود الذي جعلها محكاً لرجوليته ولاهليته على ممارسة الحكم الصالح . ولا يعرف عدد زوجات سعود ومحظياته لكنه أنجب نحو ٥٣ ولداً و٥٤ بنتاً .

ويروي المؤلفان دافيد هولدن وريتشارد جونس في كتابهما «البيت السعودي»[1] «The house of Saud» كمثل على هذا الهاجس أن سعوداً بعدما

أصيب بنزيف شديد في معدته ليل ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ بسبب تعاطي المسكرات بكميات كبيرة مما اقتضى نقله إلى مستشفى الارامكو في الضهران ثم لبوسطن للمعالجة ، أراد أن يثبت لشعبه قبل سفره قدرته على الحكم فأمر باحضار زوجته المقربة أم منصور وجامعها بمساعدة أربع محظيات وتولى عبد سالم إذاعة النبأ المفرح في الرياض والمملكة . وصعب على البعض أن يفهم علاقة القدرة الجنسية بالاهلية للحكم .

لكن سعود كان من ناحية أخرى يحب الاصلاح والاعمار فأنشأ الابنية الحكومية ، ومئات المدارس ، وجامعتين في الرياض والمدينة ، ومستشفيات ومستوصفات ، وباشر بانشاء شبكة كبيرة من الطرقات ، ودشن مشاريع مياه وكهرباء في المدن ، ومنح الطلاب المتفوقين مساعدات مالية لمتابعة تحصيلهم في الخارج ، وألغى رسوم الحج ورسوم الكمرك على استيراد المنتوجات الغذائية وأدوات البناء والآلات الصناعية تنشيطاً للاقتصاد ، كما ألغى الضرائب البلدية على العقارات ، وأنشأ مدرسة للبنات ضمن أسوار الناصرية ، وخصص يوماً كل اسبوع للنساء يستمع فيه إلى مطالبهن ومظالمهن .

واستجاب سعود في بادىء الامر لدعوات الاصلاح الدستوري ثم انقلب عليها انسياقاً مع طبيعة آل سعود المستأثرة التي ترفض مشاركة أحد بالسلطة لئلا يضع حدوداً لابتزاز أموال الدولة الذي تمارسه .

الخلاف الداخلي

حاول سعود عند استلامه الحكم سنة ١٩٥٣ أن ينظم أوضاع العائلة فعين راتباً لكل فرد منهم حدده بمائتين وثلاثين ألف دولاراً سنوياً مع (المصاريف) . وكانت الخزينة تتوسع بتفسير معنى (المصاريف) بما يرضي الامراء .

وكان عبد العزيز قد منع الامراء من تعاطي الاعمال التجارية وأوصاهم بأن شيئين لا يتفقان هما : ادارة الدولة ، وكسب المال . وقال لهم : لا تنافسوا التجار حتى لا ينافسونكم على الحكم .

لكن سعود ومن خلفه لم يتبعوا هذه القاعدة الحكيمة فاطلقوا العنان للامراء يزاحمون التجار واصحاب الاعمال فاستولوا على وكالات الشركات العالمية الهامة يتقاضون منها السمسرة والعمولات ويدبرون لها الصفقات فانتشرت النقمة المكتومة على آل سعود في أوساط الطبقات الوسطى في البلاد وزادت في الاعوام الخيرة من حكمه.

من ناحية الحكم ، أبقى سعود على الوزراء الذين عينهم والده واضاف إليهم الأمير طلال وزيراً للمواصلات والدكتور رشاد فرعون وزيراً للصحة، ومحمد علي رضا وزيراً للتجارة. لكن ما أثار ظنون أخوته وحفيظتهم تعيينه لاولاده في مراكز رئيسية في الدولة. ففي عام ١٩٥٧ تولى ابنه فهد وزارة الدفاع وعين ابنه مساعد قائداً للحرس الملكي، وخالد قائداً للحرس الوطني الذي تنظم حديثاً، وسعد قائداً للحرس الخاص.

لم يرض أخوة سعود عن هذه التعيينات التي سلمت مراكز مهمة لاحداث وتجاوزت الاخوة الأكثر خبرة كما أنها خالفت المبدأ المتفق عليه حول تقديم الاخوة على الابناء . وبدأت الشكوك تساورهم بأن سعود يخطط لنقل الوراثة من اخوته لاولاده .

بالاضافة إلى ذلك ساءت احوال الدولة المالية بسبب مصاريف آل سعود من جهة وما كلفته أبنية الوزرارات الجديدة في الرياض ونقل الوزارات من جدة إليها . بسبب كل ذلك سقط سعر الريال مقابل الدولار من ٣٫٧٥ إلى ٦٫٤ وبلغ دين الملك الخاص لبنك مانهاتان وغيره من البنوك الاميركية ٩٢ مليون دولار . وتأخر دفع الرواتب عدة أشهر للموظفين ولافراد القوات المسلحة .

اختلت احوال البلاد ايضاً لأن أموال البترول المتدفقة أفسدت الاخلاق فانتشرت الرشوة في جميع مراتب الدولة وادارتها وكان آل سعود في مقدمة المفسدين . وامتدت الرشوة إلى المجال الدولي حيث حاولت السعودية رشوة أعضاء في لجنة التحكيم المنعقدة في جنيف سنة ١٩٥٥ للبت بمستقبل واحة

البريمي فانفضحت القضية وصارت السعودية اضحوكة العالم .

وسعى الأمراء السعوديون إلى الملذات خارج البلاد دون ضوابط أخلاقية تردعهم فامتلأت بهم ملاهي بيروت والقاهرة ، وانتشروا منها إلى باريس ولندن وباقي مدن اوروبا فراجت على حسابهم أندية القمار وصار لهم عملاء تخصصوا بتلبية رغباتهم وأثرى بعض هؤلاء ثراء كبيراً من جراء تقديم هذه الخدمات .

بدأت تظهر على سعود عوارض صحية سيئة منذ سنة ١٩٥٥ بسبب إدمانه على المسكرات . وكان مولعاً على الخصوص بمشروب (كوانترو)[٢] . فأورثه ذلك خليطاً من أمراض المعدة ، وإرتفاع الضغط ، وارتخاء الركبتين بسبب ضعف الدورة الدموية حتى عجزتا عن حمله ، بالاضافة إلى ضعف بصره .

## الامراء الدستوريون

فعلت الدعاية الناصرية فعلها الكبير في نفوس السعوديين من مختلف الطبقات ومنهم بعض الامراء الذين لقبوا «بالامراء الاحرار» او «الامراء الدستوريون» وكان أنشطهم الامير طلال الذي استجاب لدعوة الاصلاح الدستوري والاسراع بالتغير الاجتماعي . ولعل ذلك ناتج عما قيل أن أمه أرمنية الاصل ومتعلمة . كما أنه تزوج ابنة الزعيم اللبناني رياض الصلح فصار أكثر تفهماً للتيارات الحديثة والتقدمية .

وظهرت عناصر ناقمة في الجيش التي القبض عليها في الطائف في ابريل (نيسان) ١٩٥٥ وبرزت شكوك حول علاقة طلال بها فاستقال من وزارة المواصلات وأبعد سفيراً إلى باريس ومدريد وكان هذا أول إنشقاق علني في العائلة في عهد الملك سعود .

وتحركت سوريا ضد النظام السعودي فاعلن في دمشق بتاريخ ١٠/٨/١٩٥٥ إنشاء «جبهة الاصلاح السعودية» .

وعاد طلال إلى الرياض سنة ١٩٥٧ يحمل أفكاراً تبدو متطرفة بنظر

التقليديين وشاركه بهذه الافكار اخوته نواف وبدر وفواز وعبد المحسن وماجد. ووجد هؤلاء مؤيدين في صفوف المثقفين وأصحاب المهن الحرة ورجال الاعمال والاداريين والتجار خصوصاً في الحجاز. ولا شك أن هذه الأفكار التقدمية وجدت صدى حسناً في أوساط ضباط الجيش. ومن الطبيعي أن تجد حركتهم تأييداً عند الطبقات الوسطى الناشئة التي كانت ترى فرص الوصول إلى مراكز القوة مغلقة في وجهها بفعل آل سعود. وكان ابرز من يمثل هذه الفئات عبدالله الطريقي وكيل مديرية البترول والمعادن في ذلك الوقت. وانضم إلى هذه الفئات «العرايف» الذين أقصاهم التقليديون عن منافع الحكم.

سيطر الخوف على التقليديين من اولاد عبد العزيز إذ وجدوا أنفسهم مهددين من نواحي ثلاث: ١ ـ ثورة عسكرية ناصرية تطيح بآل سعود كما أطاحت بالملك فاروق، ٢ ـ الأمراء الدستوريون الذين يسعون إلى تغيير نظام الحكم بشكل يضعهم في المقدمة ويضبط الفَلَتان المالي فيحرم التقليديين من الحكم المطلق ومن المنافع التي لا حد لها، ٣ ـ فساد حكم سعود وأبنائه وحاشيته الذي يسير بالجميع إلى التهلكة.

تلافيا لذلك اجتمع في أحد أمسيات شهر مارس (آذار) ١٩٥٨ التقدميون والتقليديون من أولاد عبد العزيز على رأسهم محمد، وخالد، وعبدالله، وفهد، وعبد المحسن، ومشعال، ومتعب، وطلال، وبدر، وفواز، ونواف في منزل طلال في الرياض وتباحثوا بمصير آل سعود على ضوء الأزمات الداخلية والخارجية المحيطة بهم. وكانوا قد استمعوا إلى عبد الناصر في الراديو يشتم آل سعود ويتباهى بكشف مؤامرتهم في سوريا ويتوعدهم بسوء المصير.

تقدم طلال باقتراحات إصلاحية محددة سبق أن اتفق عليها مع أخوانه الدستوريين تتضمن وضع دستور للبلاد، وإسناد صلاحيات جديدة لمجلس الشورى القديم تجعل منه مجلساً إستشارياً فاعلاً، وإعادة تنظيم الحكم المحلي في المقاطعات، ووضع نظام للتشاور المستمر ضمن العائلة، وزيادة عدد الوزراء من أولاد عبد العزيز في وزارة يؤلفها فيصل. فوافق الجميع عليها. كما وافق عليها

كبير العائلة عبدالله إبن عبد الرحمن.

عرضت هذه المقترحات على سعود فأقرها بكاملها لأن انفجار عنف الدعاية الناصرية ضده وضد السعودية أخافه كما أخاف باقي العائلة.

في ذلك المساء قطع راديو مكة برنامجه ليذيع أن الملك سعود سلم السلطة الحكومية إلى فيصل لإدارة شؤون المملكة. وتفاءل الدستوريون بولاية فيصل فأعلن الطريقي «إننا في السعودية سرنا الخطوة الأولى نحو الدستور وستطور البلاد لتصبح ملكية دستورية».

**ولاية فيصل الأولى**

**٢٤ مارس ١٩٥٨ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٦٠**

كان هذا التفاؤل سابقاً لأوانه ففيصل لم يشارك الدستوريين آراءهم التقدمية وانصرف إلى معالجة الوضع الإقتصادي المتدهور.

وجد فيصل في خزينة الدولة ٣٤٧ ريالا فقط حسب الرواية الشائعة كما اكتشف أن غطاء العملة تدنى إلى ١٢٪ فسارع إلى تعديل قانون مجلس الوزراء الذي صدر عام ١٩٥٣ والذي جعل من المجلس ملحقاً للديوان الملكي، وأصبح من الواجب قانوناً أن تدخل جميع واردات الدولة إلى وزارة المالية والإقتصاد ولا يتم صرفها إلا بقرار من مجلس الوزراء.

عمل فيصل على إصلاح الوضع المالي فخفض اعتمادات المشاريع وأوقف بعضها، واستعان بخبرة صندوق البنك الدولي لتنظيم الإدارة المالية، ووضع قيوداً على الاستيراد، وسن قانوناً للتقاعد للتخلص من الموظفين المسنين، ووضع ميزانية متعادلة لسنة ١٩٥٩ بلغت ٣٥٧ مليون دولار، وحدد الميزانية الخاصة للملك بمبلغ ٦٩ مليون دولار منها ٥٥ مليوناً للقبائل.

في سنة ١٩٦٠ ألغى القيود على الإستيراد وأصدر العملة الورقية وألغى الرقابة على الصحف. وأدت سياسته المالية والإقتصادية إلى زوال الدين العام

وعودة التغطية للنقد بمعدل ماية بالماية في ظرف ستين.

لكن سياسة التقشف التي اتبعها فيصل لإنقاذ وضع البلاد الإقتصادي والمالي لم ترضى. القبائل والتجار الذين تقلصت عطاآتهم وأرباحهم.

من ناحية أخرى، استمر الأمراء الدستوريون بالدعوة للإصلاح والتغيير. تخلى الأمير نواف عن بعض إيراده وأملاكه للمحتاجين. وتبرع الأمير طلال بمستشفى وبعيادة متنقلة لمدينة الرياض فأشادت الصحف بها. وبعدما ألغى فيصل الرقابة على الصحف سنة ١٩٦٠ صارت تظهر فيها مقالات تدعو للإصلاح الدستوري. وتكلم نواف في القاهرة في مايو (ايار) ١٩٦٠ عن «اتجاه لإنشاء مجلس شورى لتحضير أول دستور للبلاد».

وعادت الأمال تراود الملك سعود لاستعادة سلطته كاملة. وشعر بشعبية الأمراء الأحرار المتحالفين مع لفيف من الإصلاحيين خارج آل سعود يعرفون باسم «نجد الفتاة» وكانوا غاضبين على فيصل لأنه لم ينفّذ الإصلاحات الدستورية التي دعوا إليها فتقرب سعود منهم. وصدرت منه تلميحات في صيف ١٩٦٠ بأنه يفكر جدياً بإنشاء مجالس محلية نصفها منتخب ونصفها معين تنتخب بدورها مجلساً نيابياً يساعد الحكومة ويصدق على الميزانية.

وظن الدستوريون من جهتهم أنه من الأفضل لهم التعاون مع ملك ضعيف على التعاون مع شخصية قوية ذات اتجاهات تقليدية كالأمير فيصل.

وشعر سعود في نهاية ١٩٦٠ بقدرته على استعادة السلطة فرفض الميزانية التي قدمها له فيصل في ١٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٠. فاعتكف فيصل وعاد سعود إلى ممارسة كامل صلاحياته كملك.

شكل سعود وزارة جديدة أشرك فيها عددا من العامة المطالبين بالإصلاح وتولي فيها طلال وزارة المالية خلفاً لفيصل. كما تعين بدر وزيراً للمواصلات، وعبد المحسن وزيراً للداخلية، وترفع عبدالله الطريقي إلى رتبة وزير البترول فتعززت بذلك سلطة الأمراء الدستوريين ومكانتهم. وتولى محمد إبن الملك

سعود وزارة الدفاع. وفي الليلة نفسها عبّر طلال لجريدة «الحياة» البيروتية «عن آماله بأن المستقبل سيبرهن أن هذه الوزارة ستحقق الإصلاحات الموعودة».

هيأ الدستوريون أنفسهم مقدماً فتقدموا دستورهم إلى الملك سعود ونصت أهم بنوده على ما يلي:

١ - تأليف مجلس وطني من ٩٠ - ١٢٠ عضواً ثلثاهم بالإنتخاب وثلثهم تعينهم لجنة مؤلفة من الأمراء والوزراء.
٢ - يسن المجلس مشاريع القوانين العادية والمالية.
٣ - يحق للملك نقض القوانين وحل المجلس على أن تجرى انتخابات جديدة خلال ثلاثة أشهر.

وأعلن راديو مكة يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٠ أن الملك أحال مشروع الدستور إلى مجلس الوزراء للدراسة. لكن مدير الإذاعة والإعلام عاد بعد ثلاثة أيام فأنكر أن تكون الإذاعة نشرت خبراً كهذا مع أن الخبر سُمع وسُجل خارج السعودية. وفي الإجتماع التالي لمجلس الوزراء تكلم سعود لكنه لم يشر بشيء إلى مشروع الدستور فأدرك الأمراء الدستوريون أن آمالهم بسعود خابت.

توترت العلاقات بين سعود وطلال الذي عاد في فبراير (شباط) ١٩٦١ يطالب الملك بتنفيذ ما اتفق عليه. فأحاله هذا إلى العلماء الذين رفضوا بحث الموضوع قائلين بأن القرآن هو دستور البلاد. ولم يوجد من يناقش العلماء أن القرآن نص أيضاً على الشورى وجعلها ملزمة للحكام حسب اجتهاد أكثر الفقهاء وخاصة السلفيين منهم. نتيجة لذلك استقال الأمير طلال من وزارة المالية احتجاجاً. وهكذا فشلت تجربة الملك سعود التحررية وعاد بعد خمسة عشر شهراً (١٩٦١) إلى العزلة القاتلة التي كان فيها سنة ١٩٥٨ فلا هو بخير مع الأمراء التقليديين ولا مع الأمراء الدستوريين.

مؤدى هذه التطورات أن سعوداً والأمراء الدستوريين استخدموا بعضهم البعض لغايات متناقضة ففشلوا جميعاً. أراد سعود أن يستعين بهم لاستعادة

حكمه من فيصل ولم تكن عنده رغبة بإصلاحات دستورية تقيد سلطته المطلقة. ورأى فيه الأمراء الدستوريون ملكاً ضعيفاً يحتاج إلى تأييدهم ضد فيصل وإخوانه وظنوا أنهم يستطيعون تنفيذ مطالبهم من خلاله. ولما كان تعاون الفريقين قائماً على نية استغلال أحدهما للآخر فقد فشل وانهار.

### ولاية فيصل الثانية
### ١٨ اغسطس ١٩٦١ - ٧ مارس ١٩٦٢

ضغطت العزلة على سعود فزار فيصل في الطائف في ٨ اغسطس (آب) ١٩٦١ طالباً عودة التعاون بينهما. فوضع فيصل شروطاً لم يقبل بها سعود. لكن الظروف الخارجية حتمت عليهما الإتفاق صيانة لمصير العائلة. ففي اوائل ١٩٦١ أبلغ سعود الولايات المتحدة أنه لن يجدد إيجار قاعدة الطيران في الضهران. وفي يوليو (تموز) أرسل قوة رمزية إلى الكويت لما انتهت إتفاقية الحماية مع بريطانيا وعندما هدد عبد الكريم قاسم بابتلاعها. ويشمل الإدعاء العراقي بملكية الكويت ضمناً معظم مقاطعة الاحساء وآبار بترولها.

يوم ١٨ سبتمبر (ايلول) جرى انفصال عسكري في دمشق فرط الوحدة مع مصر واستعادت سوريا استقلالها وحريتها فأحدث ذلك دوياً في المنطقة العربية وأوقع سعوداً في الحيرة والإرتباك ولم يدر كيف يتصرف. لكنه بعد اجتماع مع فيصل يوم ١٠ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦١ اعترفت السعودية بالنظام السوري الجديد. وسلم سعود السلطة مرة ثانية لفيصل بعد مقاومة شديدة على أن لا يجري تغييراً وزارياً بغيابه.

غادر سعود البلاد إلى مستشفى الأرامكو في الضهران ثم إلى بوسطن للإستشفاء من آلام شديدة في المعدة واختلاطات أخرى سببها الأول كثرة تعاطي المسكرات كما اسلفنا.

وانطلقت أجهزة الإعلام الناصرية تشن الحملات على «قصور الفساد في ...

الرياض، وأعلن عبد الناصر أن تحرير القدس من اليهود يجب أن يسبقه تحرير الرياض من حكامها الفاسدين.

وفي وقت لاحق روى محمد حسنين هيكل في الأهرام أن سعوداً اعترف لعبد الناصر سنة ١٩٦٧ بعد خلعه أنه صرف ما لا يقل عن ١٢ مليون جنيه استرليني ليقوّض الوحدة المصرية ـ السورية.

## ولاية فيصل الثالثة

## ٧ مارس ١٩٦٢ ـ ٣ نوفمبر ١٩٦٤

عاد سعود إلى البلاد في ٧ مارس (آذار) ١٩٦٢ مصمماً على استعادة صلاحياته من فيصل. لكن الأمراء التقليديين عارضوه ومرت فترة من التجاذب الداخلي حسمتها أحداث خارجية. فيوم ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ قام الضابط عبدالله السلال بانقلاب عسكري في اليمن ضد الإمام البدر آل حميد الدين واستولى على السلطة بتدبير من القاهرة. وبعد أيام قليلة وصلت قوات مصرية كبيرة إلى الحديدة. وهرب فوراً ثلاثة طيارين سعوديين مع طياراتهم إلى القاهرة حيث كان يقيم الأمير طلال وأخوانه. وكانت القاهرة قد أعلنت بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٦٢ إنشاء «جبهة تحرير شبه الجزيرة العربية».

أدرك آل سعود أن الخطر الثوري انتقل إلى جوارهم المباشر وهو يستهدفهم بالدرجة الأولى. وتطلعوا حولهم فلم يجدوا لهم حليفاً إلا الأردن. كما كانوا يدركون أن سعوداً ليس أهلاً لمعالجة هذا الظرف. فضغطوا عليه حتى وافق على إطلاق يد فيصل بتأليف حكومة جديدة.

## عودة الحلف التقليدي

شكل فيصل وزارته في ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٢ واخرج منها اولاد الملك سعود والوزراء الذين عرفوا بميولهم الناصرية وعلى رأسهم عبد الله

الطريقي الذي كان ينتقد آل سعود علناً ويهاجم تصرفاتهم بصراحة متبنياً أفكار «نجد الفتاة» والثورة المصرية.

ادخل فيصل في الوزارة اخوته خالد نائباً لرئيس الوزراء، وفهد وزيراً للداخلية، وسلطان وزيراً للدفاع، وبقي عمه مساعد ابن عبد الرحمن وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني، واحمد زكي يماني وزيراً للبترول والثروة المعدنية كما عين اخاه عبد الله قائداً للحرس الوطني.

وهكذا تشكل الحلف العائلي من التقليديين المعارضين لكل اصلاح دستوري. ولا يزال هذا الحلف يحكم البلاد إلى الان، ولا تزال السعودية بعد اثنين وعشرين عاماً تعيش دون دستور مدني، ودون ضمان للحريات الشخصية والعامة، ودون أية مشاركة شعبية في تقرير شئون الدولة.

غادر سعود البلاد في ٦ مارس (اذار) ١٩٦٣ إلى سويسرا للمعالجة ثم ذهب إلى نيس وباريس وفيينا حيث بقي إلى الخريف مصطحباً معه المئات من اولاده وزوجاته ومحظياته وبطانته وخدمه فكانت قصصه وطريقة صرفه للاموال مجال تندر واستنكار في الصحافة والمجتمعات الغربية طيلة شهور طويلة واعطت اسوأ صورة عن المجتمع والبلاد السعودية.

نهاية الحركة التحررية بين الامراء

كان طلال في جنيف حين حلول الذكرى العاشرة للثورة المصرية التي انتهزها عبد الناصر لاطلاق أول صاروخ عربي سماه «القاهر» واحاطه بدعاية كبيرة مدعياً أنه السلاح الذي سيضمن الانتصار على اسرائيل.

فأرسل له طلال برقية تهنئة اذاعها فوراً راديو القاهرة واستغلها دعائياً لتأكيد الانقسام ضمن العائلة السعودية.

وكان فيصل والتقليديون يشعرون بمرارة للدور الذي لعبه طلال واخوانه في اسقاط حكومة فيصل في ديسمبر ١٩٦٠. واعتبروا أن برقية المديح العلني

لعبد الناصر تشكل نوعاً من الخيانة للعائلة فأرسلوا الشرطة تفتش قصور طلال في الرياض وجدة بحثاً عن مواد تحريضية.

وعندما وصل طلال إلى بيروت في ١٥ اغسطس (آب) ١٩٦٢ ابلغه القنصل السعودي أن جواز سفره الغي واستعاده منه. وعلى الأثر عقد طلال مؤتمراً صحفياً في فندق سان جورج قال فيه: إذا كان شخص مثلي يعامل بمثل هذا التعسف فكيف يعامل الشخص العادي في بلادي.

ودعا طلال إلى انشاء ديمقراطية دستورية ضمن أطار ملكي. وقال أن القرآن يمنع دخول البيوت واحتلالها بغياب اصحابها. ثم سافر إلى القاهرة حيث استقبله عبد الناصر بالعناق. وفي مصر صدرت عن طلال تصريحات أشد ميلاً إلى اليسار إذ دعا إلى قيام الدولة بتأسيس المعامل، وتوزيع الأراضي على الفقراء، وانشاء مزارع جماعية، وتخلى عن لقبه الملكي. وفي ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) أعلن طلال من راديو القاهرة خططاً لانشاء حكومة وطنية ديمقراطية تسمح للناس باختيار نظام الحكم الذي يريدون. وقال أن النظام السعودي الحالي غارق في الرجعية والتخلف والاستبداد. وتنبأ بانحلال المملكة إلى اجزائها الاربع الرئيسية وهي الحجاز ونجد والاحساء وعسير. واعرب عن ثقته بأن انصاره سيقومون بثورة لتحقيق الاصلاح. وشارك مراقبون أجانب بالاعتقاد بأن الدولة يمكن أن تكون سائرة إلى الانحلال.

كان يمكن للتقليديين من آل سعود أن لا يقيموا وزناً لموقف طلال وأن يعتبروه شخصاً منفرداً شاذاً لولا أن اخوته بدر وفواز، وابن عمه سعد ابن فهد لحقوا به إلى القاهرة واعلن اخوه عبد المحسن في الرياض تأييده لهم فاصبح الشرخ العائلي واسعاً وواضحاً لا يمكن تجاهله.

استغل عبد الناصر وجود الامراء في مصر دعائياً إلى أقصى حد مبشراً بسقوط الدولة السعودية خصوصاً بعدما قلب عبد الله السلال الحكم الملكي في اليمن ووقف العالم كله يتفرج على انقسام آل سعود ويتوقع سقوطهم.

اضطر هؤلاء إلى تلافي الوضع فأرسلوا يستميلون الامراء المنشقين. من ناحية ثانية اختلف طلال مع عبد الناصر لما بدأت الطيارات المصرية تقصف المدن السعودية من اليمن. ولعل الغشاوة زالت أيضاً عن عينيه فاكتشف مساوىء النظام المصري القائم على الكبت ومصادرة الحريات واموال الأفراد.

وهكذا عاد اولاد عبد العزيز المنشقين تباعاً إلى الرياض وكان اخرهم طلال الذي عاد في شهر فبراير (شباط) ١٩٦٤ معلناً خطأ موقفه السابق وواضعاً نهاية لحركة الاصلاح في اوساط آل سعود ومسجلاً انتصار التقليديين. وتولى الامراء الذين انشقوا مراكز مبهمة في الدولة حالياً، فقد تعين فواز اميراً على مكة إلى عام ١٩٧٩، وعبد المحسن اميراً على المدينة، وبدر نائباً لقائد الحرس الوطني، ونواف مستشاراً لشئون الخليج فترة من الزمن. لكن فيصل لم يرض عن طلال الذي انصرف للتجارة وجنى ارباحاً كبيرة خسر كثيراً منها بالقمار. وشغل منذ ١٩٧٩ منصباً فخرياً كمندوب خاص لمنظمة اليونيسيف الدولية (استقال منها مؤخراً).

لقد كان الاصلاح الدستوري لدى فئة من آل سعود هَوَساً طارئاً. لكن نمو الطبقة الوسطى المتسارع، وازدياد عدد المتعلمين والمثقفين ورجال الأعمال والاداريين والتجار، وكثرة الاتصال بالعالم الخارجي، ونشوء طبقة واسعة من ضباط الجيش، كلها عوامل تحمل هذه الفئات الكبيرة على الشعور بأنها مبعدة عن المشاركة بصنع القرار الوطني، وأن لا أمل لها بالحصول على هذا الحق في ظل النظام الحالي فتولد في نفسها العداوة ضد المستأثرين بالسلطة والنفوذ، ويتأجج الكره لاساليب الاستغلال التي يمارسها آل سعود، وترقب الفرصة المناسبة التي يهيئها لها حادث اقليمي أو دولي لتغيير الوضع.

### البرنامج الاصلاحي لفيصل ٦ نوفمبر ١٩٦٢

كان فيصل يحضر اجتماعات الامم المتحدة لما حصل انقلاب اليمن. واعتبرت سياسة جون كيندي الليبرالية المؤيدة للتغيير في بلاد العالم أن ثورة عبد

الناصر واتجاهاته هي موجة المستقبل فايدتها سياسياً وساندتها مالياً بمبالغ كبيرة.

اجتمع فيصل بكنيدي على اثر انقلاب اليمن وسعى إلى استمالة مضيفه الداعي إلى التحرر والديمقراطية فأعلن أنه ينوي تنفيذ اصلاحات دستورية في بلاده. وكان هذا مطلب الامراء الدستوريين. ولما عاد إلى الرياض نشر برنامجاً من عشر نقاط للاصلاح وعد فيه بوضع قانون أساسي (وهو تعبير عن الدستور)، وتوسيع صلاحيات مجلس الشورى، وزيادة مشاركة المواطنين بتقرير سياسة الدولة، ووضع نظام لادارة المناطق، والغاء الرق. لكن هذا البرنامج الاصلاحي بقي حبراً على ورق واملاً يرتجى في الامد البعيد إذ لم ينفذ منه شيء عدا الغاء الرق.

وصدر مرسوم ملكي لتنظيم الادارة المحلية في المقاطعات في ٣ اكتوبر ١٩٦٣ نشر في الجريدة الرسمية يبين صلاحية حكام المناطق وطريقة انتخاب المجالس المحلية. والقصد منه اعطاء الاهالي على المستوى المحلي حق الاشتراك بادارة امورهم. لكن الامير فيصل عمل على عكس المقصود، اوقف تنفيذ المرسوم وشدد قبضة وزارة الداخلية على المناطق التي سبق لآل سعود أن محو اسماءها التاريخية أي الحجاز ونجد وعسير والاحساء كما مرّ معنا في محاولة لطمس الواقع التاريخي.

وجرت للمؤلف نادرة بهذا الشأن تعطي دليلاً على عقلية الحكم السعودي القائم. فأثناء وضع الكتاب السنوي عن المملكة لعام ١٩٨١ - ١٩٨٢ حصل المؤلف على نص القانون المتعلق بادارة المقاطعات من وزارة المالية التي تبيع القوانين الصادرة. ونشره في كتابه في القسم المتعلق بتنظيم وزارة الداخلية. وحمل من الكتاب نسخاً عرضها على رقابة المطبوعات في الرياض التي تراقب كل كتاب أو مجلة أو صحيفة قبل أن تسمح بتوزيعها. وفوجىء الكاتب بالمراقب يعترض على إيراد قانون المقاطعات قائلاً أن المرسوم صدر فعلاً ونشر في الجريدة الرسمية ولم يلغ لكن تنفيذه معلق لذلك لا يمكن نشره في كتاب وإن كان الحصول عليه من وزارة المالية مباح لكل راغب. وعبثاً حاول الكاتب التفاهم مع وزارة الاعلام على هذا الموضوع.

## عزل سعود وتولية فيصل

خشي آل سعود من تجدد الخلاف بين سعود وفيصل عند عودة الاول إلى الرياض فذهبَ وفد منهم إلى فيينا في شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ يطلبون منه عدم التدخل بشئون الحكم والالتزام بالميزانية في مصاريفه الخاصة واخذوا منه بياناً موقعاً.

لكن سعوداً ما كاد يستقر في الرياض حتى رفض توقيع الميزانية التي قدمها إليه فيصل ثم بدأ بشهر نوفمبر جولة على القبائل في مختلف المناطق وزع فيها اموالاً كثيرة بأمل أن يحصل على تأييد شعبي يتغلب بواسطته على المعارضين من اخوته فيستعيد سلطته المطلقة.

واعتبر هؤلاء الحريصون على ظهور العائلة بمظهر التضامن والرافضون أن يُفرض عليهم اتجاه شعبي، إن تصرف سعود بشكل خروجاً على تقاليد العائلة فاوعزوا إلى السلطات في جدة ومكة والمدينة بالاقلال من مظاهر الحفاوة حين استقبال الملك. وكان سعود في الطائف فعاد غاضباً إلى الرياض واعتصم في قصره في الناصرية محاطاً بالحرس الملكي. وبالمقابل، وضع فيصل الجيش والحرس الوطني بحالة تأهب.

دام التوتر طوال شهر ديسمبر وخشي الناس من حرب اهلية. ثم جرت تسوية ذهب بموجبها سعود لتمثيل البلاد في مؤتمر القمة العربي الاول الذي عقد في القاهرة في يناير ١٩٦٤ مظهراً للعالم الخارجي تضامن آل سعود.

لكنه ما كاد يعود حتى ارسل إلى فيصل رسالة بتاريخ ١٣ مارس (اذار) ١٩٦٤ يطلب فيها رسمياً استعادة جميع صلاحياته الملكية. ولم يستجب فيصل هذه المرة للطلب وبقي يمارس عمله كرئيس للوزراء.

وتوتر الوضع. وبعد محاولات عديدة غير ناجحة للتوفيق قرر آل سعود يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٤ عزل الملك سعود وتولية فيصل مكانه. ووافق العلماء على

القرار وبلغوه لسعود الذي غادر البلاد يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٤ إلى اثينا.

جرت البيعة لفيصل ملكاً ولخالد ولياً للعهد. وقد تجاوز خالد اخاه محمداً الأكبر منه سناً، خلافاً للقاعدة التي وضعها والدهم، لأن محمداً كان عرضة لنوبات غضب حادة تخرجه عن طوره. وكان أيضاً يسرف في تعاطي المسكرات في مناسبات دون أن يكون مدمناً. وكثيراً ما توافقت نوبات الغضب مع حالة الشرب. فقررت العائلة تجاوزه لمصلحة خالد.

ومرة اخرى بطمس آل سعود التاريخ الذي لا يتفق مع عقليتهم فقد محوا اسم سعود من الشوارع واللافتات ، وغيروا اسم جامعته وسموها جامعة الرياض (اعادوا اسمها القديم عام ١٩٨٢)، والغوا تدريس عهده في المدارس كأنه لم يوجد، وصار مجرد ذكر اسمه موضع استنكار.

بقي سعود ناقماً فجرت اتصالات بينه وبين عبد الناصر خلال اقامته في اثينا لحاجة الاثنين إلى بعضهما البعض. فقد كان سعود يأمل أن يساعده عبد الناصر على استعادة ملكه ويعيد اليه املاكه المصادرة في مصر التي تزيد قيمتها على عشرة ملايين جنيه. في حين كان الرئيس المصري قد يأس من الانتصار في اليمن رغم الخمسة والستين الف جندي هناك، وظن أن عودة سعود إلى الملك تسهل وضعه.

وهكذا انتقل سعود وحاشيته من اثينا إلى القاهرة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦ . وصرح سعود بعد اجتماع مع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وانور السادات أنه لم يتنازل عن العرش، وأن العلماء تصرفوا بطريقة غير شرعية، واعلن في راديو «صوت العرب» استنكاره لوجود قوات اميركية في بلاده بعدما كان اخرج الاميركان من قاعدة الظهران. وقال أنه كان لوكالة المخابرات الاميركية (CIA) اليد الطولى في عزله، وأن الطائرات الاميركية منعت قبائل الاحساء من نجدته خلال ازمة ١٩٦٤.

وتبرع سعود لعائلات اليمنيين الذين اعدموا في السعودية واقرض مصر عشرة ملايين دولار من ماله الخاص.

وفي مايو قام سعود بعمل مخزي يذكر باعمال اسلافه الذين تعاونوا مع العدو الخارجي ضد اهلهم إذ ارسله عبد الناصر إلى صنعاء وهو يكاد لا يبصر ولا يرى. وهناك في ظل آلات التلفزيون ايد الانقلاب الجمهوري واعترف بالسلال رئيساً على اليمن فبادله هذا بالاعتراف به ملكاً شرعياً على السعودية. ونعت اخاه فيصل بالامبريالية، ودعا إلى قيام ثورة في الجزيرة العربية، واعلن أن عبد الناصر اعز اصدقائه واخلصهم.

لم يتسع الوقت لسعود للاستمرار بتهديم عائلته فقد داهمت حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ العرب وقضت على اوهام كثيرة. واضطر عبد الناصر بعدها لاسترضاء فيصل حتى يتمكن من الانسحاب من اليمن بطريقة تحفظ ماء الوجه. فطلب من سعود مغادرة مصر.

وعاد سعود إلى الترحال ثم استقر بنهاية ١٩٦٧ في اثينا إلى أن توفي في فبراير (شباط) ١٩٦٩.

لم يعمر عبد الناصر طويلاً بعده إذ توفي يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ فانتهت بالنسبة للعالم العربي حقبة زمنية مليئة بالتطورات وبدأت حقبة جديدة برجال جدد.

ويمكن اختصار عهد سعود بهذه الجملة لاحد الكتاب الأجانب: «ما من رجل في التاريخ استطاع أن يبذر هذه الأموال في مثل هذا الوقت القصير وبهذه النتائج الضئيلة كسعود».

لم يكن النزاع بين سعود وفيصل مستغرباً فهو امتداد طبيعي للانشقاقات التي لازمت هذه العائلة طيلة مائة وخمسين عاماً وتكررت مع كل أمام تقريباً كما فصلنا في الفصول السابقة.

لكن نزاع سعود وفيصل اختلف عما سبقه بامرين: اولاً، لم يحصل فيه سفك دماء أو حروب، وثانياً، دخل عليه عنصر جديد يدعو للاصلاح الدستوري وتقييد سلطة آل سعود ومشاركة الشعب بالحكم. وقد قاوم آل سعود هذه المطالب الشعبية إلى الآن وهي مقاومة تجري ضد مجرى التاريخ ومسيرة العصر وتتسم بالرجعية والتخلف. ومع أن مطالب الاصلاح الدستوري لم تثمر بعد فإنها مقيمة في ضمير الشعب ترقب الفرصة السانحة لتفرض نفسها وتغير تركيبة الحكم الحالية.

إن تشبث آل سعود بالحكم الشخصي المطلق ومعارضتهم لأي اصلاح دستوري يبدو شاذاً ناشزاً حتى بالنسبة لتطور الحكم في بلدان خليجية مجاورة.

فقد أعلن استقلال الكويت بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٦١ والغيت اتفاقية الحماية الانكليزية التي عقدت عام ١٨٩٩. ويقول السيد عبد العزيز الرشيد[٣]:

«آمن آل الصباح منذ اول عهدهم بنظام الشورى اتباعاً لتعاليم الاسلام. فاتخذ الشيخ عبدالله السالم الخطوات التالية لقيام الحياة الدستورية:

١ - تألفت أول وزارة سنة ١٩٦١.

٢ - اجريت في ٣٠ ديسمبر ١٩٦١ انتخابات عامة لاختيار عشرين عضواً لتكوين المجلس التأسيسي ليقوم بمهمة وضع دستور للبلاد. وتمت الانتخابات وعقد المجلس أول جلساته في ٢٠ يناير.

٣ - صدر الدستور الكويتي بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٦٢ يحدد شكل الدولة ونظام الحكم ويبين اختصاص السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٤ - جرت الانتخابات النيابية في يناير ١٩٦٣ واستمر النظام النيابي قائماً إلى عام ١٩٧٦».

وبعد وقت حذت البحرين حذو الكويت في سن دستور واجراء انتخابات نيابية.

# السياسة العربية والخارجية في عهد سعود

**من يزرع الريح يحصد العاصفة**

من سوء حظ الملك سعود أن عهده تزامن مع عهد الرئيس عبد الناصر (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) والمد القومي الذي مثله والاضطراب الاقليمي والدولي الذي اثاره. ولم يكن عود ولا البلاد السعودية مهيئة فكرياً وسياسياً واجتماعياً للتعامل مع هذا البركان الذي قذف حممه من مصر والذي امتدت ناره فشملت المنطقة العربية بكاملها.

لم يكن في السعودية تقليد تتبعه في السياسة الخارجية. فالملك عبد العزيز انهمك بتوحيد البلاد وتثبيت سلطته داخلياً وحرص على التعامل بأقل قدر ممكن مع الخارج إذ أنه كان قد تنازل عن ادارة سياسته الخارجية للانكليز في معاهدتي القطيف وعقير.

وكان على سعود أن يضع أسس سياسة خارجية تصون مصالح عائلته اولاً، ومصالح الاقطاع الذي يملكه والذي سماه عبد العزيز المملكة العربية السعودية. ولقد كان مجرد اختيار هذا الاسم دليلاً على شعور آل سعود بملكيتهم لهذه البلاد التي سموها باسمهم كما يملك الانسان بيته أو مزرعته أو حقله.

ولم يكن سعود كفؤاً للقيام بهذا العمل فانتهج سياسات متضاربة تقلبت ما بين الانحياز للاشتراكية الناصرية ونقيضها المتمثل باعتناق «مبدأ ايزنهاور».

مرّ سعود ما بين ١٩٥٣ إلى حين عزله سنة ١٩٦٤ بمرحلتين: مرحلة التعاون مع الرئيس عبد الناصر والدول الثورية، ثم مرحلة الانضمام إلى مبدأ ايزنهاور والخصومة مع عبد الناصر.

لسنا في وارد تأريخ هذه الحقبة المضطربة الممتدة من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٧.

وسنكتفي بايراد عناوين الاحداث الخطيرة التي توالت لتذكير القارىء بها وايضاح مواقف السعودية المتأرجحة منها. لكن ما يمكن قوله بوصف هذه الفترة أن السياسة السعودية انصرفت خلالها بصورة شبه كاملة إلى محاولة معالجة الموجة الناصرية واتقاء هجماتها الدعائية، ثم إلى درء اخطار وجودها العسكري في اليمن بالتحالف معها أولاً، ثم بالالتجاء إلى الولايات المتحدة.

## المرحلة الاولى

## التقارب مع الثوريين

زار الرئيس عبد الناصر مكة في ربيع ١٩٥٤ للحج وللحصول على مشاركة سعودية لمشاريعه الهادفة ظاهرياً إلى توحيد البلاد العربية ضد الاستعمار المتمثل في ذلك الوقت ببريطانيا وفرنسا، وعملياً إلى تصدير مبادىء الثورة الاشتراكية بحيث تقوم في البلاد العربية حكومات موالية خاضعة للنفوذ المصري فتتوطد زعامته على البلاد المشرقية.

لم يكن عبد الناصر جاهلاً الوزن الخفيف لآل سعود في حسابات المنطقة لكنهم كانوا يملكون المال والمال ذو شأن كبير في الصراعات السياسية.

فرح سعود لأن عبد الناصر اتجه اليه وليس إلى خصومه الهاشميين وغفل عن أن الثورة الاشتراكية المصرية، بمبادئها المعلنة، عدو مميت لآل سعود ولما يمثلون. وهكذا عُقد حلف غريب، على اساس مبدأ عدم الانحياز، بين مملكة اقطاعية رجعية، وبين نظام ثوري انقلابي توسعي، فحصل عبد الناصر على المال الكثير، وحصل آل سعود على شهادة حسن سلوك من زعيم القومية العربية.

تدليلاً على اخلاصه لمبادىء عدم الانحياز طرد سعود بعثة «النقطة الرابعة» الاميركية. وارسل عبد الناصر عوضاً عنها في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٥ بعثة عسكرية مصرية من مايتي ضابط لتدريب الجيش السعودي ولنشر مبادىء الثورة بين افراده. واتبع ذلك بارسال المئات من المعلمين للمدارس الجديدة التي انشأها

سعود فعملوا بين الطلاب ما كانت البعثة العسكرية تعمله بين الضباط. وجاءت بعثة مصرية اخرى لتنظيم الادارة فعقدتها بشكل لم تتخلص منه البلاد إلى الان.

اثمر عمل هذه البعثات فاكتشفت مؤامرة بين ضباط الجيش في الطائف في صيف ١٩٥٥ اتهم بتدبيرها الملحق العسكري المصري في جدة خططت لاغتيال الأفراد البارزين من آل سعود واقامة جمهورية. وعلى اثر ذلك عزز سعود حرسه الخاص، والحرس الملكي، وانشأ «الجيش الابيض» من بقايا الاخوان ويدعى حالياً «الحرس الوطني».

رغم ذلك استمرت الاموال السعودية تمول الدعاية المصرية واعمال التهديم في البلاد العربية فقامت مظاهرات واضرابات في عدن والاردن والعراق ولبنان.

وحفلت سنة ١٩٥٥ باحداث هامة اخرى. فقد فشلت المفاوضات بين السعودية وبريطانيا حول واحة البريمي فمول سعود ثورة الامام غالب واخيه طالب ضد سلطان عُمان لازعاج الانكليز. وفشلت الثورة وقضي عليها عام ١٩٥٩.

وقاوم عبد الناصر وسعود حلف بغداد الذي أقامته بريطانيا بالتعاون مع تركيا والعراق لصدّ توسع سوفياتي محتمل.

واشترى عبد الناصر سلاحاً سوفياتياً من تشكسلوفاكيا احاطه بدعاية كبيرة سنة ١٩٥٥ موله سعود جزئياً من مدفوعات شركة الارامكو الاميركية فكانت المفارقة طريفة: شركة اميركية تمول مشترى اسلحة سوفياتية لمصلحة بلد معادي لسياسة الولايات المتحدة. وبدأ سعود نفسه يتقرب من موسكو فارسل اميرين إلى براغ في ديسمبر ١٩٥٥ للتفاوض حول صفقة سلاح للسعودية مماثلة للصفقة المصرية. واستقبل وفداً صينياً شيوعياً في الرياض.

في السنة ذاتها (١٩٥٥) ارسل عبد الناصر فدائيين إلى غزة يهاجمون

المستوطنات الاسرائيلية القريبة وضخمت الدعاية اعمالهم فاوحى إلى العرب أن القضاء على اسرائيل بات قريباً .

وعقد مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز في ربيع ١٩٥٥ فشارك فيه عبد الناصر ندّا لتيتو ونهرو وسوكارنو وشو آن لاي فتعززت مكانته الدولية .

وفي صيف ١٩٥٥ انضمت سوريا بزعامة شكري القوتلي إلى المحور المصري السعودي فصار حلفاً ثلاثياً وزادت الاعباء المالية على السعودية كممول للمشاريع الناصرية .

وفي السنة التالية (١٩٥٦) دخل عبد الناصر وسعود والامام احمد في حلف دفاعي يستهدف الانكليز في عدن . وبواسطة هذه العلاقة الجديدة مع اليمن استمال عبد الناصر ولي العهد الامام بدر الذي تشرب المبادىء الناصرية وسافر تحت هذا التأثير إلى روسيا والصين سنة ١٩٥٨ واشترى أسلحة بمبلغ ثلاثة ملايين دولار مولتها السعودية .

وبما أن السلاح الجديد يحتاج إلى مدربين فقد أرسل عبد الناصر بعثة عسكرية إلى اليمن وفتح أبواب الكلية العسكرية المصرية للضباط اليمنيين حيث تلقوا التدريب العسكري إلى جانب مبادىء الإشتراكية الثورية واصبحوا مهيئين للقيام بالانقلاب .

في ربيع ١٩٥٦ أضرب عمال الارامكو بدوافع سياسية وتظاهروا ضد النظام السعودي بقيادة ناصر السعيد الذي غادر البلاد بعدئذ وأسس «الاتحاد الشعبي للجزيرة العربية» . ونكلت الحكومة بالمضربين فاعتقلت مائتين ومات ثلاثة تحت الضرب المبرح . وأصدر سعود قراراً منع فيه الاضراب وأخضع المضربين للعقوبة . وجاء هذا الاضراب فوق المؤامرة المكتشفة في الطائف يثير هواجس العائلة المالكة خصوصاً وأن الدعاية الناصرية كانت تهاجم من وقت لآخر تصرفاتها الشخصية المشينة وتؤكد أن البترول ملكٌ للعرب وليس ملكاً خاصاً لآل سعود .

زار سعود القاهرة في ربيع ١٩٥٦واستمع إلى مشروع أعده عبد الناصر لاقامة اتحاد بين مصر وسوريا والسعودية يصبح القوة المسيطرة في المشرق العربي . ورأى سعود أن تأييد الاتحاد المقترح ، دون الانضمام إليه ، أفضل لمصالح آل سعود فوافق عليه وعلى تمويله .

بعد بضعة أشهر من الزيارة أعلن عبد الناصر تأميم قنال السويس في يوليو ١٩٥٦ دون أن يستشير حليفه سعود او يطلعه على ذلك مسبقاً رغم أن هذا العمل يمسّ بالمصالح السعودية في الصميم لأن أربعين بالماية من شحنات البترول وخمسة وسبعين بالماية من البضائع المستوردة إلى السعودية تمر بالقنال . ومن شأن التأميم أن يزيد من احتمالات الحرب مع الغرب ويهدد باغلاق القنال ، لأنه موجه مباشرة ضد مصالح بريطانيا وفرنسا . وبالفعل هاجمت الدولتان مصر في اكتوبر لاستعادة السيطرة على القنال . وشاركت اسرائيل بالهجوم فاحتلت جزءاً كبيراً من سيناء وشرم الشيخ المشرف على مضيق تيران . لكن هجوم بريطانيا وفرنسا فشل بسبب الضغط الاميركي والتهديد السوفياتي فانسحب الانكليز والفرنسيون في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ وانسحب الاسرائيليون في مارس تحت ضغط شديد من الرئيس ايزنهاور . واهتز العالم العربي فرحاً واعتزازاً بالتأميم ووصلت شعبية الرئيس عبد الناصر إلى الاوج . لكن قنال السويس بقي معطلاً لمدة طويلة .

## زيارة عبد الناصر

في هذا الجو الحماسي زار الرئيس عبد الناصر الدمام ثم الرياض بشهر سبتمبر ١٩٥٦ لاقناع سعود بأن الوقت حان لاستعمال البترول كسلاح ضد الغرب كما طلب مساعدات مالية أكبر لتعزيز الجيش المصري ومشترى أسلحة سوفياتية . وفي الوقت نفسه تابعت الدعاية الناصرية حملتها على فساد آل سعود .

خرجت الجماهير السعودية تستقبل عبد الناصر بحماس لم تشهد له البلاد مثيلاً زلزل أركان الدولة وانذر آل سعود بمصير قاتم . فقد اعتقد آل سعود قبل

الزيارة انهم يشترون عبد الناصر بمالهم كما يشترون ولاء القبائل . واكتشفوا بعد الزيارة أنه أصبحت لعبد الناصر قوة ذاتية شعبية لا تعتمد على المال . وأدركوا أن الصحف والراديو ووسائل الاعلام الناصرية الاخرى التي مولوها أصبحت أشد أثراً في تشكيل رأي عام عربي وفي إثارة حماس الجماهير من أي عامل آخر ، وأنها استعملت ضدهم .

ودلت المظاهرات الشعبية على معاني أشد خطورة . فعبد الناصر يقود تياراً عربياً قومياً اشتراكياً ثورياً يعادي الانظمة الملكية ويعمل على تقويضها . ولم تخف الدعاية الناصرية أنها تعتبر نظام آل سعود قمة التأخر الاجتماعي والسياسي . كما أنها اعتبرت البترول ثروة قومية يجب أن تصرف لمصلحة الأمة العربية كيفما يرتأي الزعيم أو النظام الأكثر تمثيلاً للمصلحة القومية .

والاكثر دلالة من ذلك أن الدعوة الناصرية كادت تكون علمانية لا دينية وقد اضطهد عبد الناصر حركة الاخوان المسلمين وسجن زعماءها وأعدم رئيسها الشيخ حسن البنا . والاخوان المسلمون سلفيون قريبون من الوهابية من حيث الدعوة للرجوع إلى أصول الدين .

لكن جميع هذه الاعتبارات المناقضة للنظام السعودي وللمذهب الوهابي لم تمنع المواطنين من إظهار عواطفهم التي امتزج فيها حب عبد الناصر مع الكراهية لآل سعود . وتبين في هذه الظروف ، كما جرى في مناسبات سابقة كالحملة المصرية أيام محمد علي باشا وثورات القبائل ضد عبد العزيز ، أن الوهابية ليست الاطلاء خارجياً وشعاراً يفرضه آل سعود لتثبيت سيطرتهم ويتشوق المواطنون للتحرر من قسره ، وليست بالعقيدة الصالحة لدعم الحكم .

شمل الحماس لعبد الناصر سكان الاردن فاضطر الملك حسين إلى الاستغناء عن خدمات غلوب باشا قائد الجيش الاردني في مارس (اذار) ١٩٥٦ ، وعين سليمان النابلسي وهو فلسطيني ناصري رئيساً للوزراء . وفي صيف ١٩٥٧ ألغى الاتفاقية البريطانية - الاردنية التي كانت تشكل نوعاً من

حديدية لنظامه تحت ضغط مصر وسوريا والشعب الاردني لقاء تعهد بالتعويض عن منحة السنوية الانكليزية فأصبح سعود يمول أعداءه الهاشميين .

خلال تلك السنة جاء خالد العظم رئيساً للوزراء في دمشق وكان يسمى «المليونير الاحمر» بسبب ميله إلى السوفيات وهاجم الملكين سعوداً وحسين لأنه اعتبرهما عملاء للاميركان فسحبت السعودية سفيرها من دمشق بشهر مايو (ايار) ١٩٥٦ . وفي اغسطس (آب) وقع خالد العظم إتفاقاً إقتصادياً وفيناً مع السوفيات بمباركة عبد الناصر فأصبح عضوان في الحلف الثلاثي هي مصر وسوريا يدوران في الفلك السوفياتي بينما لا يدري الحليف الثالث السعودي في أي فلك يدور.

قطع السوريون خط أنابيب البترول العائد لشركة بترول العراق الانكليزية والممتد من كركوك إلى طرابلس انتقاماً من بريطانيا لغزوها السويس وإضراراً بالعراق الهاشمي . ونسف ناصريون معامل الاسلحة الفرنسية في الخرج (السعودي) انتقاماً من فرنسا . وقطع سعود العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا واوقف شحن البترول السعودي إليها فنقص ايراده من البترول أربعين بالمائة في الوقت الذي كان يرزح تحت ديون ثقيلة . ووافق على تزويد مصر بالبترول بالعملة المصرية أي بثلث قيمته الحقيقية .

بعد الهزيمة الانكليزية ـ الفرنسية في السويس التي نسب فيها الفضل إلى موسكو ، إتفق عبد الناصر والسوفيات سنة ١٩٥٧ على بناء سد اسوان وزيادة التعاون العسكري فتدفق الخبراء والاسلحة السوفياتية على مصر وسوريا . وبشّر البلدان العالم العربي باستعادة فلسطين والقضاء على اسرائيل .

في فبراير ١٩٥٨ حقق عبد الناصر حلمه ووعده للعرب فقامت الوحدة المصرية ـ السورية ودعا الدول العربية للانضمام إليها فلم يستجب إلا الامام احمد حميد الدين فكانت نكسة للقوميين العرب .

وفي السنة نفسها قام الاتحاد العراقي ـ الاردني مقابل الوحدة المصرية

ـ السورية لمقاومة المد الاشتراكي الثوري فلم يفلح وانهار العرش العراقي في ١٤ يوليو ١٩٥٨ على يد الانقلابيين الثوريين . وشكل ذلك انذارا لآل سعود عما ينتظرهم فالتزمت السعودية الصمت تجاه ما جرى .

وحققت الوحدة المصرية ـ السورية نصراً آخراً في لبنان في تلك السنة عندما أثارت معارضة مسلحة لرئيس الجمهورية كميل شمعون موجهة ضد قبوله بمبدأ ايزنهاور اتخذت طابع المطالبة بحقوق سياسية للمسلمين . وانتهت بتنصيب مرشح عبد الناصر رئيساً للجمهورية وهو الجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش . وتم ذلك بمباركة الولايات المتحدة التي أرسلت المارينز إلى بيروت بطلب الرئيس شمعون .

لكن الوحدة المصرية ـ السورية انهارت بدورها بعد ثلاث سنوات في ١٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ بانقلاب عسكري سببه سوء تصرف الحكام تجاه السوريين . واعترفت الرياض بالانقلاب الدمشقي فثارت عليها القاهرة .

لا شك أن الناصرية وما تمثله عاشت أبهى أيامها ما بين تأميم قنال السويس سنة ١٩٥٦ وانهيار الوحدة مع سوريا . فقد تغلغلت في نفوس الشباب والكهول عدا قلة منهم . وحققت جزئياً الأمل القومي بالوحدة . ولم يشذ السعوديون عن ذلك بمن فيهم الامراء الدستوريون وغيرهم . ويروي روبرت لاسي(٤) مؤلف كتاب «المملكة» الذي استضافته الحكومة السعودية مع عائلته أربع سنوات ليحضر كتابه وارتبط بصداقات كثيرة مع امراء آل سعود ، أن الملك فيصل القى خطاباً في رؤساء وفود الحج عام ١٩٦٦ نقله التلفزيون بدأ يشرح فيه دعوته للوحدة الاسلامية لمقاومة المد الثوري وإذا بالتلفزيون يتوقف عن الارسال ويتعطل بث الخطاب . وفي اليوم التالي اسرّ فيصل لاحد اولاده بأن خمسة وثلاثين موظفاً على الاقل في وزارة الاعلام ناصريون وهم الذين عطلوا الخطاب . فاستغرب ابنه وقال إذا كانوا ناصريين وتعرفهم فلماذا لا تعتقلهم . فاجاب فيصل أني لا استطيع اعتقال كل الناس . وعلى كل حال يجب أن تتذكر

أننا نحن كنا نرى لبضع سنوات خلت أن عبد الناصر مخلصنا وزعيمنا حتى اكتشفنا حقيقته . وسيأتي يوم يكتشف هؤلاء أيضاً حقيقته .

إن هذه الرواية تدل على مبلغ سيطرة الناصرية على عقول آل سعود رغم أنها بطبيعتها معادية لكل ما يمثلون من عقيدة ونظام حتى أن أحكمهم وأكثرهم إطلاعاً ، وهو الامير فيصل ، أخذ بها وأيدها فما بالك بالجهلة من آل سعود وهم الكثرة الساحقة ، وبباقي الشعب السعودي .

## المرحلة الثانية
## الخصومة مع عبد الناصر - مبدأ ايزنهاور

فجأة ودون مقدمات ، انقلب سعود من مؤيد وممول للاشتراكية الثورية إلى عدو لها فتخلى عن «الحياد الايجابي» والتحق بالسياسة الاميركية . وساعد على ذلك أن الرئيس دوايت ايزنهاور الجمهوري اجبر اسرائيل في شتاء ١٩٥٦ - ١٩٥٧ على الانسحاب من غزة وشرم الشيخ فارتفعت مكانة الولايات المتحدة عند العرب .

في ٣٠ يناير ١٩٥٧ زار سعود واشنطن واستقبله ايزنهاور بحفاوة وإن كان عمدة نيويورك رفض استقباله وهاجمه لأنه يمنع المسيحيين في السعودية من إقامة الصلاة حتى في بيوتهم ، ولأنه يمنع بعثة التدريب العسكري الاميركية من استخدام اليهود الاميركان . وكان العمدة يتقرب بذلك إلى الناخبين اليهود .

وكان الرئيس ايزنهاور قد أعلن مبدأه الشهير يوم ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٧ في رسالة بعث بها إلى الكونغرس تتضمن «تعهداً اميركياً رسمياً بتقديم دعم عسكري ومالي لاية دولة في الشرق الاوسط تطلب هذا العون ضد اعتداء مكشوف من أية دولة أخرى تخضع للسيطرة الشيوعية» .

وكتب ايزنهاور في مذكراته[٥] «في سبيل (ايقاف امتداد النفوذ الناصري) أردنا استكشاف احتمالات تعزيز مقام الملك سعود كوزن مقابل لعبد الناصر .

وكان اختيارنا للملك لهذا الدور عملاً منطقياً فقد كان على الاقل يحلى أنه ... الشيوعية ويتمتع على الصعيد الديني بمقام رفيع في سائر الدول العربية» .

جاء هذا القول الاحمق الاميركي في الوقت الذي كانت سمعة آل سعود في البلاد العربية مشرقاً ومغرباً في الحضيض . ولا تزال الحماقة الاميركية هي نفسها لم تتبدل على توالي العهود فكأن الاميركيين يعيشون في عالم مختلف لا صلة له بشرقنا العربي .

في اجتماع سعود بايزنهاور تعهدت اميركا بتقوية الجيش السعودي وبيعه السلاح الذي يستطيع استيعابه وتوسيع مرفأ الدمام . وحصل سعود على زيادة في المعونة الاميركية الإقتصادية والعسكرية بلغت ١٨٠ مليون دولار . بالمقابل تعهد سعود بايقاف المساعدات لعبد الناصر والسير بوحي السياسة الاميركية بموجب مبدأ ايزنهاور وجدد ايجار مطار الضهران لخمس سنوات اخرى .

في واشنطن اجتمع سعود بالامير عبد الاله (العراق) وبشارل مالك وزير خارجية لبنان في عهد الرئيس كميل شمعون ووضعوا أسس التعاون بينهم . وفي ربيع ١٩٥٧ زار سعود بغداد فكانت أول زيارة رسمية قام بها عاهل سعودي للهاشميين . وألف العراق والاردن والسعودية ولبنان جبهة مقابلة لمصر وسوريا .

لكن البلدين الثوريين لم يستكينا أمام الهجوم الدبلوماسي الاميركي فاثارا اضطرابات ومظاهرات في الضهران والرياض في ابريل (نيسان) ١٩٥٧ اخمدتها السلطات وطردت بسببها اعداداً كبيرة من المصريين والفلسطينيين .

في الاردن عزل الملك حسين حكومة سليمان النابلسي بتأييد اميركي وسعودي في ربيع ١٩٥٧ . وتحولت الاموال السعودية من تمويل الجبهة الناصرية إلى تمويل الحركات المعادية لها . وكان أبرزها الرشوة التي قدمها سعود الى رئيس الاستخبارات السورية عبد الحميد السراج ومقدارها ١,٩ مليون جنيه لاغتيال عبد الناصر وفضحها السراج يوم ٥ مارس (اذار) ١٩٥٨ وشهر بسعود في

انتعزيون فثارت عليه عائلته وقامت ضده موجة عارمة من الاحتجاج . وكتب الرئيس ايزنهاور عن ذلك «ان الرجل الذي أمّلنا أن ينافس عبد الناصر كزعيم عربي أصبح في ورطة شديدة» وجاء هذا الكلام بعد سنة من الكلام السابق عن زعامة سعود الاسلامية ليؤكد على أعلى مستوى تفاهة السياسة الاميركية وجهلها بالاوضاع العربية .

سقط مبدأ ايزنهاور غير مأسوف عليه بالثورة على حكم الرئيس شمعون في لبنان وباغتيال العائلة المالكة العراقية فأصبح آل سعود معزولين عربياً ومهددين داخلياً من قواتهم العسكرية المشكوك بولائها .

والغريب أنه بعد ثمانية عشر عاماً ، وفي سنة ١٩٨٥ ، تعيد السياسة الاميركية الخطأ الذي ارتكبه الرئيس ايزنهاور سنة ١٩٥٧ دون أن تتعلم منه فنسمع من إدارة الرئيس ريغان أن السعودية هي الحليف الرئيسي للولايات المتحدة في المنطقة مع أنها عادت بعد وفاة الملك فيصل إلى درجة من التدهور الاخلاقي وضعف الزعامة اللذين كانا طابعها في عهد الملك سعود .

وما بقي آل سعود متقوقعين في ذهنيتهم ، ومتحجرين في عقليتهم ، ومسترسلين في ملذاتهم ، ومنصرفين إلى الكسب الحرام ، ومستقتلين لمنع حدوث أي تطور دستوري في بلادهم ، فمن العبث انتظار قيامهم بأي دور بناء أو مبادرة مفيدة في المشرق العربي .

## حرب اليمن

انتقلت المبادرة بعد فشل مبدأ ايزنهاور إلى عبد الناصر فقام بإجراء عملياته لمد نفوذه والسيطرة على الثروة البترولية عن طريق اليمن . ونجحت سياسة النفس الطويل التي أتبعها منذ اتفاق ١٩٥٦ ودرب بموجبه اعداداً كبيرة من الضباط اليمنيين في مصر .

يوم ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ قام أحد هؤلاء الضباط عبد الله السلال

بانقلاب ضد الامام البدر فاستولى على السلطة واعلن حكماً جمهورياً في البلاد . وبعد أربعة أيام وصلت قوات مصرية محمولة جواً لتعزيز الانقلاب يرافقها سياسيون يمنيون يعيشون في القاهرة موالون للنظام المصري منهم عبد الرحمن البيضاني ومحمد محمود الزبيري ومحسن العيني . وفي ١٦ اكتوبر وصلت قوات مصرية كبيرة منقولة بحراً . واستمر إرسال القوات الجوية والبرية المصرية حتى بلغ عددها ستين ألف جندي سنة ١٩٦٦ .

في تلك الفترة (١٩٦٢) انتخب جون كندي رئيساً للولايات المتحدة . وجاء بنظرية تحررية سطحية على عادة السياسة الاميركية التي تريد تبديل العالم على صورتها . وبموجب هذه النظرية سعت الادارة الاميركية إلى الابتعاد عن الانظمة «التقليدية» وإلى إنشاء أفضل العلاقات مع الانظمة التحررية الموالية لموسكو كمصر وسوريا متغاضية عن الارهاب الذي يمارسه النظام الناصري ضد مواطنيه ، والاضطراب الذي ينشره في العالم العربي . وأصبح النظام الناصري في عهد كندي أكبر منتفع من المساعدات المالية الاميركية بين جميع دول العالم العربي .

سارع الرئيس كندي للاعتراف بنظام السلال رغم معارضة فيصل الذي اجتمع به في واشنطن يوم ١٦ اكتوبر ، بينما رفضت بريطانيا ذلك، وكانت أكثر فهماً للخطر الذي يمثله الوجود المصري في اليمن على استراتيجية الغرب في البحر الاحمر والبحر الهندي وفي الجزيرة العربية .

دعت سياسة كندي السعودية إلى الاعتراف بالنظام الجمهوري وايقاف المساعدة للملكيين مقابل انسحاب القوات المصرية من اليمن . وقد دامت هذه السياسة عدة سنوات وفشلت كبقية السياسات الاميركية الطائشة .

لم يكن للسعودية قدرة عسكرية لمواجهة التهديد المصري . وكان الجيش السعودي يشكل تهديداً لآل سعود أكثر مما يشكل حماية لهم . فقد هرب ثلاثة طيارين سعوديين إلى القاهرة ولحق بهم اثنان آخران فجمدت السلطات استعمال

الطيران . وأرسل الملك حسين سرباً من الطائرات إلى الطائف لتعزيز الوضع السعودي ففر على الفور قائد الطيران الاردني واثنان من الطيارين إلى مصر فاستدعى حسين باقي السرب .

تحاشى فيصل إثارة عبد الناصر طيلة حرب اليمن والتزم موقفاً لم يحد عنه يتمثل بتأييد حق اليمنيين باختيار نظام الحكم الذي يريدون دون تدخل أجنبي .

لكن ذلك لم يحل دون مد القبائل المقاومة للغزو المصري بالاموال والاسلحة بقد يسمح لها بالقتال دون تحقيق انتصار . وتولى الامر اليمني مباشرة الامير سلطان وزير الدفاع وكمال أدهم المسؤول عن المخابرات . ويقدر العارفون أن نصف المساعدات المخصصة لليمن كانت من نصيبهما ونصيب بعض اليمنيين المتعاملين معهما .

عندما تولى فيصل الملك في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٤ كان الوضع إجمالاً مؤاتياً . فقد أمكن احتواء القوات المصرية ومنعها من تحقيق انتصار عسكري في اليمن واغتيل الرئيس جون كندي فتبدلت سياسة استرضاء عبد الناصر الذي أصبح يسعى للتخلص من المأزق الذي وقع فيه .

زار عبد الناصر جدة في ٢٤ اغسطس (آب) ١٩٦٥ لايجاد صيغة يتخلص بها من مغامرة اليمن وتحفظ له ماء الوجه ، في حين كان فيصل يخشى من هجوم مصري على الأراضي السعودية يطوّق معاقل اليمنيين الجبلية ويقطع الامدادات عنهم ، ولم يلق عبد الناصر في زيارته هذه الحفاوة التي لقيها في زيارته الاولى عام ١٩٥٤ .

وتوصل الفريقان إلى اتفاقية جدة التي تعهد فيها عبد الناصر بسحب قواته بمدة اقصاها ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦ ، وتعهد فيصل بايقاف المساعدة للملكيين .

## اليمن الجنوبية

بعد اتفاقية جدة بستة أشهر أي في فبراير (شباط) ١٩٦٦ أعلنت الحكومة العمالية البريطانية أنها ستنسحب من قاعدة عدن قبل عام ١٩٦٨ . ووجد عبد الناصر في ذلك فرصة لمد نفوذه على نقطة ستراتيجية ذات أهمية عالمية تتحكم بمنفذ البحر الاحمر وبالبحر الهندي فأعلن أنه سيبقى في اليمن ، خلافاً لاي اتفاق سابق ، لمساعدة الثوار في عدن فسقطت بذلك اتفاقية جدة .

وقام صراع في عدن بين الاحزاب الماركسية وبين الحكومة الاتحادية المؤلفة من زعماء المقاطعات الذين كانوا ينتظرون من السعودية دعماً سياسياً واضحاً ومساعدات مالية سخية لم يحصلوا عليها . وكان طابع السياسة السعودية التردد والسلبية .

أنهت حكومة العمال الانسحاب من عدن بتاريخ ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ وسلمت البلاد للحزب اليساري الاكثر تطرفاً . ولم يُفهم هل فعلت ذلك تنفيذاً لمبادئها الاشتراكية وقد كان حزب العمال في الحكم ، أم لخلق مشاكل مقبلة للسعودية وللولايات المتحدة رداً على ما فعلته هذه بها أثناء حرب السويس .

## نهاية المد الثوري العربي

جاءت نهاية مشاكل آل سعود مع الإشتراكية الثورية ومع القوات المصرية في اليمن على يد اسرائيل.

فبعد أن أغلق عبد الناصر مضيق تيران بوجه الملاحة الإسرائيلية، وطرد القوات الدولية التي كانت تفصل بينه وبين اسرائيل في سيناء، واستعرض جيشه الذاهب إلى الجبهة في شوارع القاهرة، اعتبرت اسرائيل هذه الأعمال العدائية سبباً كافياً للحرب فشنت هجومها صباح ٦ اكتوبر ١٩٦٧ وحققت انتصاراً كاملاً بظرف ستة أيام. فخسرت مصر سيناء وغزة، وخسر الأردن القدس الشرقية

والضفة الغربية، وخسرت سوريا الجولان وخسر عبد الناصر وهجه وزعامته العربية.

إنعقد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم في أواخر أغسطس (آب) ١٩٦٧ لبحث الهزيمة فأصدر الرؤساء العرب اللاءات الثلاث الشهيرة: لا إعتراف، لا مفاوضة، لا صلح مع اسرائيل، وظنوا أن الرفض يمحي واقع الهزيمة. وقرروا مساعدة مصر وسوريا والأردن لاستعادة قوتهم العسكرية وخصصوا للدول الثلاث ١٤٠ مليون جنيه سنوياً.

إجتمع فيصل وعبد الناصر على هامش المؤتمر فتعهد عبد الناصر، دون استشارة حليفه السلال، بسحب جيوشه من اليمن قبل نهاية السنة، وتعهد فيصل بإنهاء المساعدة للملكيين. وعاد فيصل منتصراً بعد خمس سنين من المقاومة الهادئة الصامتة وكانت العوامل الفاصلة في انتصاره تهور عبد الناصر وحرب الأيام الستة.

وسجل مؤتمر الخرطوم إنكفاء المد الثوري العربي ونهاية الحقبة الناصرية في تاريخ المنطقة.

## مراجع الفصل العاشر
## عهد الملك سعود وصراع الأخوين


١ - David Holden and Richard Johns, the House of Saud. P. 218.

٢ - Ibid, P. 199.

٣ - الرشيد عبد العزيز، تاريخ الكويت، ص٣١٠.

٤ - Lacy, Robert, the Kingdom, p. 379-380

٥ - Eisenhower, Dwight , The White House Years vol. II, Waging Peace, pp. 115, 116

# الفصل الحادي عشر

# عهد الملك فيصل

## ١٩٦٤ - ١٩٧٥

تولى فيصل الملك ولم يكن دخيلاً على الحكم فقد مارس المسؤولية العليا في ثلاث فترات ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٤ كما مر معنا. كما أن وزارة الخارجية كانت بعهدته منذ سنة ١٩٣٠.

تحلى فيصل بالجد والدأب على العمل والإبتعاد على المآخذ المحرمة التي انغمس فيها معظم اخوانه ولا يزالون. ففرض هيبته على من حوله وحدّ من استهتارهم العلني ومن مجونهم، وأعاد لآل سعود بعض الإحترام في الأوساط العربية والدولية.

لكنه لم يحرم الأمراء من التوسط في الصفقات وجني العمولات الطائلة كسباً لتأييدهم فتوسعت أعمال السمسرة، وهي في حقيقتها سرقة للمال العام، مع ازدياد المشاريع الإنمائية وبرامج التسلح تبعاً لتصاعد إنتاج البترول وارتفاع أسعاره خصوصاً بعد حرب ١٩٧٣.

وفيصل هو الوحيد بين أخوانه الإثنين والثلاثين الذي يمكن وصفه أنه عرف العالم الغربي في بعض وجوهه الحضارية التي لا تتمثل بأندية القمار ومرابع اللهو التي ينصرف إليها معظم آل سعود في زياراتهم المتكررة للعواصم الغربية. فقد كان فيصل ممثلاً لوالده في مؤتمرات دولية كثيرة. وكان في أغلب السنين يرأس وفد بلاده إلى اجتماعات الأمم المتحدة في نيويورك حيث يتصل بزعماء العالم

ويطّلع على مواقفهم ويتباحث معهم. وقد اخبرني ممثل سوريا في مجلس الأمن العلامة فارس الخوري أن فيصل كان يترأس اجتماعات الوفود العربية في نيويورك لا لكونه أميراً بل لحنكته وحكمته.

ويعود إلى فيصل الفضل بدفع المملكة نحو الحياة العصرية فقد نشر اللاسلكي والراديو والتلفزيون متغلباً باللين والإقناع على معارضة العلماء. لكنه لم يتردد بإعطاء الأمر بإطلاق النار على من هاجموا مقر التلفزيون في الرياض عام ١٩٦٥ وعلى رأسهم إبن أخيه خالد إبن مساعد لاعتبارهم أن التلفزيون بدعة مستنكرة فقتل خالد في الإشتباك.

ونشر فيصل مدارس البنات في وجه مقاومة شديدة، وسار بخطوات ثابتة وبطيئة باتجاه الإصلاح الإجتماعي فأصدر عام ١٩٦٩ قانون عمل متطور يحفظ حقوق العمال وإن كان لا يعترف لهم بحق الإضراب، وأنشأ ما بين ١٩٧٠ إلى حين وفاته الهيئة العامة للضمان الإجتماعي، ومركز الدراسات والإنماء الصناعي، ومؤسسة الحبوب والمطاحن، ووضع أول خطة إنمائية خمسية (١٩٧٠ - ٧٥)، ووسع مشاريع الطرقات، وأنشأ محطات تحلية المياه وتوليد الكهرباء، وأقام عدة مؤسسات مالية لتنشيط القطاع الخاص في مجالات الصناعة والبناء والتعهدات والتجارة، وثبّت أسعار المواد الغذائية الأساسية وتحملت الدولة فروق الأسعار.

في السياسة الخارجية استعان فيصل بالدين لدعم قضيته في حين استدعى عبد الناصر القوى الثورية لإسقاط آل سعود.

يسجل لفيصل احتواءه للخطر الثوري الإشتراكي وتغلبه عليه. ومساندته للرئيس أنور السادات في التحضير سراً لحرب تشرين ١٩٧٣ ثم استعماله للبترول كسلاح يضغط به على الدول الغربية لمساندة القضايا العربية.

وفيصل هو الداعية الأول للتضامن الإسلامي والداعم لمؤسساته ليس فقط كوسيلة سياسية لاحتواء المد القومي العربي ومقاومته بعقيدة أخرى، بل لأنه كان

مسلماً متديناً يؤمن بما يدعو إليه. وقد كرست دعوته إنتقال الوهابية من تكفير كل مسلم لا يقبل تعاليمها إلى مرحلة جديدة من تطورها وهو السعي إلى التعاون مع كل المسلمين من سنة وشيعة على اختلاف مذاهبهم فأحدث بذلك ثورة أساسية في العقيدة الوهابية ونقلة نوعية هائلة.

وكان إحراق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ المناسبة لعقد أول قمة إسلامية في الرباط لبحث مستقبل القدس. وقاطعت سوريا والعراق الإجتماع. وتبع ذلك إجتماع وزراء الخارجية المسلمين في جدة بشهر مارس (آذار) ١٩٧٠ حيث قرروا تأسيس سكرتيرية عامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مقرها جدة. وتعين تنكو عبد الرحمن أول سكرتير للمنظمة خلال إجتماع كراتشي في ديسمبر من السنة نفسها. وبعد سنتين إنعقد مؤتمر وزراء الخارجية الثالث في جدة وتمثلت فيه تسع وعشرون دولة وافقت على مشروع الميثاق الإسلامي وقررت تأسيس وكالة أنباء إسلامية. وعقدت قمة إسلامية في لاهور سنة ١٩٧٤ ضمت أربعاً وثلاثين دولة قررت إنشاء بنك إسلامي للتنمية. وتلا ذلك إجتماع وزراء خارجية ثمان وثلاثين دولة في كوالا لامبور.

بالإضافة إلى المؤتمرات زار فيصل دولاً إسلامية عديدة في آسيا وأفريقيا سبقتها مساعدات مالية سخية حملت هذه الدول على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل.

إلى جانب هذه المنجزات، كان فيصل مثال الحاكم الذي يتولى السلطة والمسؤولية الكاملة في وضع سياسة الدولة الداخلية والخارجية وتنفيذها لا يشارك بسلطته احدا. وفي عهده لم يكن هناك أدنى شك لدى جميع الفرقاء من مواطنين ودول عربية وأجنبية في من يتولى قيادة البلاد وفي أي اتجاه تسير. وهذا أكثر مما يمكن أن يقال في خليفته.

وأعاد فيصل إلى الإمامة هيبتها وحرمتها بتصرفه الشخصي ومسلكه العام بعدما نزلت بها تصرفات اخوانه إلى الحضيض. وقد قال في مناسبة لمؤلف هذا

نكتب أنه يعتبر نفسه إماماً قبل أن يكون ملكاً. وقد أعطى الإمامة حقها من التقوى و الهيبة.

رافقت عهد فيصل احداث داخلية وخارجية هددت الاستقرار. منها قيام الامير خالد بن مساعد بن عبد العزيز بلم شعث «الاخوان» الذين شتتهم الملك عبد العزيز، واستطاع أن يلف حوله مجموعة منهم قامت باعمال ازعجت السلطة كان اخرها محاولة الاستيلاء على تلفزيون الرياض عام ١٩٦٥ باعتباره من أعمال الشيطان فصادمته الشرطة وقتل الامير خالد خلال الصدام.

ومن تلك الاحداث انفجار قنبلة سنة ١٩٦٦ في منزل الامير فهد، وفي قصر الناصرية، وفندق الزهراء في الرياض، وتحت جسر يمر الملك عليه، كما انفجرت قنبلة في الدمام فقبض على عدد من اليمنيين. وحكم على سبعة عشر منهم بالاعدام ونفذ الحكم بهم في ١٧ مارس ١٩٦٧. وفي نهاية ١٩٦٦ اعتقل عدة مئات من الشيعة في الاحساء بشبهة انهم بعثيون. وكان ابرز المعتقلين صالح ابا عميد كلية البترول والمعادن في الضهران الذين اتهم بميول يسارية.

واكتشف مؤامرة اخطر سنة ١٩٦٩ اشترك بها عسكريون ومدنيون ترمي إلى قلب نظام الحكم. وشملت المؤامرة ضباط الطيران في قواعد جدة والرياض والضهران. وبين المتآمرين القائد الخاص لطيارة الملك وقائد قاعدة الضهران الجوية داود الرحي. وبرز بين المتآمرين المدنيين يوسف الطويل من أهالي جدة. وكانت الخطة تقضي باغتيال فيصل في اول رحلة يقوم بها بالطائرة.

في ليل ٥ ـ ٦ يونيو (حزيران) انقضت قوات الامن فاعتقلت الكثيرين من ضباط الطيران والجيش والشرطة وعدداً من المدنيين. وكعادتها في الكتمان الاحمق لم تنشر الحكومة بياناً حول الموضوع فتداول الناس الاشاعات المضخمة وساد شعور بأن الثورة قريبة الوقوع.

وزادت شكوك آل سعود بولاء الجيش فابقوه بعيداً عن المدن وعمدوا إلى تقوية الحرس الوطني لحماية النظام.

من الأحداث الخارجية التي دقت ناقوس الخطر سقوط الملك ادريس السنوسي وتولي العقيد معمر القذافي الحكم في ليبيا في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ واتجاهه سياسة متطرفة معادية للنظام السعودي. فلم يبق للسعودية صدقاء في البلاد العربية إلا المغرب وتونس والاردن.

انتهزت اليمن الجنوبية فرصة الارتباك الداخلي في السعودية بسبب المؤامرات المكتشفة فهاجمت مركز الحدود السعودي في الوديعة واحتلته في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ وغايتها زيادة اقلاق الحكم وزعزعته لكن القوات السعودية استعادت المركز بعد فترة قصيرة بمساعدة الطيران الذي قاده طيارون باكستانيون.

وقرر مؤتمر القمة العربية في الرباط (٢٣ ديسمبر ١٩٦٩) قبول منظمة التحرير الفلسطينية كعضو كامل في المؤتمرات العربية فأصبحت عنصراً سياسياً رئيسياً في المنطقة. وتحرشت سوريا البعثية بالسعودية فقطعت خط التابلاين الذي ينقل البترول من رأس تنورة إلى الزهراني على شاطىء لبنان في مايو (ايار) ١٩٧٠ ورفضت تصليحه فأضرّت السعودية بمايتي الف دولار يومياً. لكن البترول عاد إلى التدفق سنة ١٩٧١ بعدما استولى الفريق حافظ الاسد على السلطة في دمشق وسمح باصلاح الانابيب.

وتمادت بعض المنظمات الفلسطينية باعمال الارهاب إذ استولت على اربع طيارات مدنية احضرتها إلى مطار نائي في الاردن ثم نسفتها يوم ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ فحمل ذلك الملك حسين على تصفية الوجود الفلسطيني المسلح في الاردن بعد معارك شديدة بين الجانبين. وارتاحت السعودية لهذه التصفية وإن لم تعلن ذلك. واجتمع مؤتمر قمة عربي لبحث وضع الفلسطينيين في ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ سادته خلافات حادة ومناقشات عقيمة خصوصاً مع العقيد القذافي حملت الملك فيصل على القول في اجتماع مغلق لرؤساء الوفود: بما أننا جميعاً نبدو مجانين فقد يكون من المناسب استدعاء طبيب نفساني.

توفي الرئيس عبد الناصر يوم اختتام المؤتمر ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ فانقضت بذلك حقبة هامة من التاريخ العربي المعاصر طبعها بطابعه.

لعل هذه المصاعب الداخلية والخارجية ازالت من نفس فيصل اية رغبة بتوسيع قاعدة الحكم ومشاركة المواطنين به علماً بأنه لم يكن أساساً ميالاً لذلك.

من سوء حظ الحركة الدستورية التي قام بها بعض الأمراء والوطنيين السعوديين أنها جاءت في فترة كان الملك فيصل يوطد فيها دعائم حكمه بعد خلافه مع اخيه الملك سعود، كما كان يتصدى للغزو الناصري لليمن الذي كان يستهدف السعودية. وفي ازمات مصيرية كهذه يصعب اجراء اصلاحات سياسية اساسية.

من ناحية اخرى، فإن المطالبين بالاصلاح الدستوري سواء كانوا من الامراء أو من الشعب، لم يخفوا ميولهم لسياسة الرئيس عبد الناصر الاقتصادية والمالية والخارجية واعتزامهم تطبيقها في بلادهم، واغمضوا اعينهم عن مساوىء الضغط والارهاب الذي مارسته دولة المخابرات، وعن تدهور مصر الاقتصادي.

وكانت فلسفة الملك فيصل الاجتماعية والسياسية على طرف نقيض مع النظرية الناصرية فكان من الطبيعي أن لا يثق الملك فيصل بالسعوديين الذين يريدون تطبيق تلك النظرية في بلادهم.

لكن الأمر اختلف بعد هزيمة الناصرية في حرب ١٩٦٧ واضطرار الرئيس عبد الناصر إلى الانسحاب من اليمين، وازدياد حاجته الى المعونة المالية السعودية. فقد استقرت الامور للملك فيصل داخلياً وعربياً وأصبح يستطيع اجراء الاصلاحات الدستورية اللازمة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٥. لكنه لم يفعل وهذا ما يؤاخذ عليه لأنه ترك البلاد لاهواء آل سعود الذين خلفوه دون أن ينشىء مؤسسات دستورية تضبط تصرفاتهم ونزواتهم.

من مآثر فيصل أنه كان مقدراً لامكانات بلده عارفاً بمواطن الضعف

ـ نمة فيها من قلة السكان وتخلفهم، واتساع المساحة والضعف العسكري وصعوبة الدفاع عن البلاد، والعزلة الجغرافية، وشح الموارد والثروات الطبيعية عدا البترول، والمال النفطي السهل الكثير الذي يغري الطامعين.

لذلك لم يتنطح فيصل لزعامة عربية لا تملك بلاده مؤهلاتها فمارس دوراً معتدلاً مهدئاً وترك المغامرة والتبجج لمن بعده.

كان صادقاً مع نفسه ومع غيره. ومن سوء حظ السعودية أنه اغتيل وأمامه الكثير مما يجب انجازه داخلياً للتخلص من حالة التخلف. ففي صباح ٢٥ مارس (اذار) ١٩٧٥ دخل عليه في غرفة الاستقبال ابن اخيه فيصل ابن مساعد مندساً مع وفد كويتي. ولما اقترب للسلام على عمه اطلق عليه ثلاث رصاصات اصابته احداها في حلقه وكانت القاضية. وفيصل بن مساعد هو اخو خالد الذي قتلته الشرطة يوم هاجم مبنى التلفزيون سنة ١٩٦٥ . وجرى تحقيق طويل مع القاتل بقيت نتائجه مكتومة ثم اعدم. وبموت فيصل ابن عبد العزيز انتهت حقبة هامة من التاريخ السعودي تميزت بالانضباط الاخلاقي ووضوح الهدف.

ويأتي اغتيال الملك فيصل على يد ابن اخيه ليؤكد مرة اخرى ما ذكرناه من أن النزاعات والتقاتل الدموي بين افراد آل سعود هو الحالة الطبيعية المزمنة. واستوقف الانظار بصورة خاصة أن العشيرة السعودية كتمت كعادتها نتائج التحقيق مع القاتل فلم يُعرف لماذا جرى الاغتيال ومن يقف وراءه.

# القسم الثاني

# مستقبل آل سعود

# عهد آل فهد

# القسم الثاني
# مستقبل آل سعود

## عهد آل فهد

استعرضنا في القسم الأول تاريخ آل سعود منذ نشأتهم، مسلسلين الأحداث التي جرت في عهد كل إمام وملك الى وفاة الملك فيصل يوم ٢٥ مارس (آذار) ١٩٧٥ . وبيّنا العلاقة الوثيقة بين حكم آل سعود والدعوة الوهابية التي فرضوها على مواطنيهم دون أن يتقيد بها بعضهم في سلوكهم الشخصي، ثم استخلصنا بعض العِبَر المستمدة من هذا التاريخ التي تدمغ آل سعود بطابع خاص مستمر مع الزمن.

اختتمنا القسم الأول بعهد الملك فيصل الذي ادام أحد عشر عاماً وهو برأينا اكثر العهود جدارة بالتقدير والإعجاب. وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بعهد الملك عبد العزيز بتشجيع من أولاده، وأبرزوا أعماله في توحيد البلاد، فيجب أن لا يغرب عن بالنا أنه أقام دولة بدوية عشائرية خالصة تصرف فيها كما يتصرف شيخ القبيلة بعشيرته دون أن يضع لها نظاماً مالياً أو إدارياً، ودون أن ينشيء مؤسسات سياسية تضبط الأمور وتستمر بعد زواله بل إنه عندما اضطره الحجازيون الى الإقرار بحقهم بإدارة بلادهم، وإقامة مجلس شورى، وتعيين «مجلس وكلاء» وإصدار «التعليمات الأساسية» التي تنظم أحوال الحجاز، عمل جاهداً طيلة ست سنوات حتى ألغى استقلال هذا القطر وأبطل عمليات المؤسسات والتنظيمات التي فرضها الحجازيون وعاد بالبلاد القهقرى يحكمه حكماً بدوياً خالصاً.

كان على البلاد السعودية أن تنتظر مجيء الملك فيصل ليعمل بإخلاص وجدّ على نقلها من الحكم البدوي البدائي الى الحكم المدني. فقد ضبط مالية الدولة وفصلها عن خزينة الملك، ووضع للبلاد أسس النظام الإداري والإنعاش الإقتصادي، وتصدى للموجة الثورية التي عمت عدداً من البلاد العربية، وساعدته الظروف فتغلب عليها وأبعدها عن بلاده، واحتل زعامة الدول المحافظة دون أن يسعى إليها.

دعا فيصل المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم الى «التضامن الإسلامي» وأنشأ له مؤسسات دائمة فكان ذلك نقلة هائلة بالنسبة للدعوة الوهابية التي كانت تعتبر كل من ليس وهابياً كافراً فإذا بإمامها يعتبر جميع المسلمين أخوة.

وعزز فيصل هيبة الحكم وحرمته فوضع حدّاً للمجون والسفه الذي ولغ فيه العديد من أمراء آل سعود في عهد الملك سعود حتى اصبحوا مضغة في أفواه العرب والأجانب. وسيطرت هيبة فيصل على مختلف فروع الدولة فاستقامت الأمور بعض الشيء.

ومع أن فيصل كان زعيم الحكام العرب المحافظين فإنه لم يغفل أهمية التطور الإجتماعي في بلاده: ففتح المدارس لتعليم البنات، وإن سلم إدارتها لفئة العلماء، ونشر الراديو والتلفزيون، وأصدر قانون العمل، وأنشأ مؤسسات حكومية كثيرة لتنشيط الإقتصاد وتأهيل الطبقات الفقيرة.

ركز فيصل ايضاً أسس السياسة الخارجية على خط واضح فلم يتقلّب بين موالاة الأنظمة الثورية ثم معاداتها كما فعل سلفه. واقتنع أن هذه الأنظمة لا تجلب الخير للبلاد فقاومها بصمت وعناد وردها عن بلاده حتى اتضح هزالها بحرب ١٩٦٧ . ولم يقبل فيصل بالهزيمة العربية فعمل مع الرئيسين انور السادات وحافظ الأسد على التهيئة لحرب ١٩٧٣، وامدّ البلدين بما احتاجاه من أموال فكانت حرب ١٩٧٣ أقرب ما وصل إليه العرب من إمكانية الإنتصار على اسرائيل.

وكان لهذه الحرب نتيجة اقتصادية غير متوقعة. فقد ارتفع سعر البترول أضعافاً بسبب المقاطعة العربية لبعض الدول الغربية وتهافت الدول الصناعية عليه فدخلت السعودية في عصر رخاء ووفرة أموال لا مثيل لها استمرت الى عام ١٩٨٢ مما مكنها من التوسع بمشاريع الإعمار والإنماء في الخطة الإقتصادية الثانية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) والخطة الثالثة (١٩٨٠ - ١٩٨٥) حتى عام ١٩٨٢ حين بدأت إيرادات البترول بالتناقص.

في هذه الظروف الإقتصادية المواتية تعززت مكانة المملكة السعودية الدولية فتهافت زعماء العالم على زيارتها لتأمين حاجتهم من البترول وسعياً وراء حصول بلادهم على حصة من مشاريع الإعمار والإنماء القائمة على قدم وساق في مختلف أرجاء المملكة وفي جميع الميادين، فصار رأي الحكومة السعودية يحظى بالإهتمام لأول مرة في المحافل الدولية.

وخلاصة القول أن الملك فيصل، ببعد نظره واتساع أفقه، نقل الدولة السعودية من حالة بداوة بدائية الى بداية دولة مدنية. لكنه لم ينشيء لهذه الدولة مؤسسات سياسية ذات ديمومة تضبط تصرفات من يليه من أخوته وهو عارف بأخلاقهم واتجاهاتهم. ولعل الموت فاجئه قبل أن يتم عمله.

خلف الملك خالد أخاه الملك فيصل وحكم من ٢٥ مارس ١٩٧٥ الى حين وفاته بنوبة قلبية يوم ١٣ يونيو ١٩٨٢ وتولى بعده الحكم ولي العهد الأمير فهد.

لم نفرد للملك خالد فصلاً خاصاً لأنه اختار أن يترك أكثر أمور الحكم خلال ولايته، لولي عهده الأمير فهد بحيث اندمجت ولاية الملك خالد عملياً مع ولاية الملك فهد.

وقد اطلقنا على العهد الممتد من وفاة الملك فيصل الى يومنا هذا اسم «عهد آل فهد» لأن الملك فهد وأشقاءه الستة من أم واحدة هي حصة بنت احمد السديري تمكنوا من استبعاد فروع عائلة آل سعود الأخرى عن الحكم الفعلي وأصبحوا هم

المسيطرون على مقدرات المملكة والمتصرفون الفعليون بشئونها، وإن ارضوا اخوتهم وأقاربهم بمناصب غير ذات شأن وبمنافع مالية وفّرتها لهم الى وقت قريب إيرادات البترول الغزيرة. هؤلاء الأخوة الستة هم بالإضافة الى الملك فهد: الأمراء سلطان وزير الدفاع والطيران، وعبد الرحمن الذي تعين حديثاً نائباً لوزير الدفاع، وتركي الذي عمل نائباً لوزير الدفاع الى عام ١٩٧٨ ثم استُبعد، ونايف وزير الداخلية والمسئول عن المخابرات وعن حرس الحدود، وسلمان أمير منطقة الرياض، واحمد نائب وزير الداخلية. وفي ربيع ١٩٨٥ انتزع الملك فهد إمارة المنطقة الشرقية من أقاربه آل جلوي الذين كانوا يتوارثونها منذ عهد الملك عبد العزيز وعين إبنه محمد حاكماً عليها بدلاً من الأمير عبد المحسن بن جلوي فأساء الى آل جلوي واستبعد آخر فرع في العائلة كان يتمتع بمشاركة حقيقية في الحكم.

نظراً لهذا الإحتكار الذي يمارسه آل فهد في الحكم فإنه من الحق أن تنسب إليهم جميع مآثره وهناته. ولن نكون متجنّين إذا ذكرنا لهم هذه وتلك.

# الفصل الثاني عشر
# المجتمع السعودي ونظام الحكم

يجدر بنا قبل ان ندخل في تفاصيل أسلوب الحكم في عهد آل فهد ان نطّلع على طبيعة المجتمع السعودي في المرحلة التي وصلها بعد تطور دام نحو ثلاثين عاماً منذ وفاة الملك عبد العزيز سار فيها هذا المجتمع بتطور بطيء من حالة البداوة والقبلية الى حالة شبه مدنية. مؤكدين واقعاً ثابتاً هو ان البترول وحده لا يجعل من العشيرة دولة.

## الأرض والسكان

تمتد المملكة السعودية على مساحات شاسعة تبلغ مليونين وثلاثماية الف كيلومتر مربع أي ما يزيد على مساحة مجموع دول اوروبا الغربية، أو أربعة أضعاف مساحة فرنسا، لكن سكانها لا يزيدون عن أربعة ملايين ونصف في حين يزيد عدد سكان أوروبا الغربية عن ثلاثماية مليون. والسعودية بلاد قاحلة يقل معدل سقوط الأمطار فيها عن ماية ميلمتر سنوياً عدا منطقة عسير وهذه الأمطار لا تكفي لنمو المزروعات. وتغطي مساحات كبيرة من البلاد صحاري شاسعة منها الربع الخالي الذي عجز البدو عن اجتيازه ولا يزال في مجمله مجهولاً، وصحراء النفود المتصلة ببادية الشام، وصحراء الدهناء.

شكّلت هذه الصحاري مع الأراضي القاحلة حواجز جغرافية ونفسية بين السكان. فالمسافة بين الرياض وجدة تزيد عن الف كيلومتر من الأراضي الخالية. وهي أقل قليلاً ما بين الرياض والخليج، وأكثر من ذلك بين الرياض والأردن.

انقسمت البلاد بسبب ذلك الى مناطق طبيعية لأهلها خصائص مختلفة أهمها الإحساء المجاورة للخليج، ونجد، والحجاز، وعسير، وتهامة على البحر الأحمر. وقد ضم آل سعود هذه المناطق الى حكمهم السياسي وطمسوا اسماءها التاريخية ظناً منهم أن ذلك يزيل الفوارق التي تكونت بين السكان على مدى الأجيال. ولم ينجحوا بذلك.

وفي السعودية ظاهرة طبيعية غريبة. فهي تنفرد بين بلاد العالم ذات المساحة الكبيرة بأن ليس فيها نهر جاري على مدار السنة عدا بعض جداول صغيرة في عسير.

## عدد السكان

من سمات آل سعود تسترهم على الحقائق حتى الصغيرة منها فهم مثلاً لا يعلنون عدد سكان البلاد، أو عدد الغرباء الذين يعملون فيها ولا يستطيع أي باحث أن يحصل من أي مصدر حكومي على رقم حقيقي. لذلك نضطر للتقدير والتخمين.

سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ كلفت الحكومة مؤسسة بريطانية بإجراء دراسة للسكان فظهر أن العدد يقارب ثلاثة ملايين وثلاثماية الف. فكتمت الحكومة الأمر.

وقامت الحكومة بإحصاء في أواخر ١٩٧٤ لم تذع دائرة الإحصاء نتائجه إلا في مارس (آذار) ١٩٨٠. وخلاصته أن عدد الذكور يبلغ ثلاثة ملايين ومايتين وإثنين وسبعين الفاً (٣,٢٧٢,٤٥٨)، وعدد الإناث مليونين وثمانماية وثمان واربعين الفاً (٢,٨٤٨,٦٧٨)، والمجموع ستة ملايين ومماية وواحد وعشرون الفاً (٦,٢١,١٣٦).

لكن الإحصاء، إذا صدقت ارقامه ولم يضخموها عمداً، لم يوضح إذا كان العدد يشمل غير السعوديين الذين يعملون في البلاد (وهو الأرجح). كما أن ما من

دائرة رسمية تعطي السائل ارقاماً عن عدد الأجانب المقيمين في البلاد وجنسياتهم. فذلك من أسرار الدولة!

والأرجح أن عدد السعوديين يقارب الأربعة ملايين ونصف. منهم نحو مليون ذكر سعودي يبلغ سن الرشد. وهذا الرقم يقارب دراسة لليد العاملة قامت بها وزارة التخطيط فوجدت أن العمالة الأجنبية بلغت مليوناً وثلاثماية الف في نهاية سنة ١٩٧٨ في حين بلغت العمالة السعودية مليوناً واحداً. لكن الخطة الخمسية الثالثة (١٩٨٠ ـ ١٩٨٥) قلبت هذه الأرقام فجاء فيها أن مجموع العمال السعوديين بلغ سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ مليوناً وأربعماية الفاً في حين بلغ عدد العمال غير السعوديين مليوناً وستين الف. وتتوقع الخطة الإنمائية الثالثة ارتفاع العدد سنة ١٩٨٥ الى مليون ونصف مليون سعودي والى مليون وتسعة وستين الف غير سعودي وهذا يعزز الإرتياب بالإحصاءات السعودية.

جاءت هذه التوقعات قبل هبوط الطلب على البترول وانخفاض اسعاره منذ ١٩٨١ مما أدى الى تباطؤ مشاريع الإنماء وخفض الطلب على العمالة الأجنبية.

تتبع الحكومة السعودية في موضوع العمالة سياسة متناقضة. فمن جهة تريد الإستغناء عن العمال الأجانب، ومن ناحية اخرى تمنع نصف السكان (النساء) عن العمل. ولو كانت نية الحكومة السعودية صادقة لأمكن الإستغناء عن نسبة كبيرة من العمالة الأجنبية باستخدام النساء السعوديات.

لكن آل سعود يقولون أن الدين يحرّم عمل النساء الى جانب الرجال. وقد أصدر الملك فهد أمراً صارماً يوم ٨ مارس (آذار) ١٩٨٣ الى دوائر الحكومة والمؤسسات الخاصة لمنع النساء السعوديات وغير السعوديات من العمل الى جانب الرجال «لأن الشريعة تمنع ذلك» حسب قوله. وجاء المنع رداً على اقتراح بعض الدوائر الحكومية التي رغبت باستخدام النساء في الأعمال المكتبية.

فإذا كان رأي آل سعود صحيحاً فإن المسلمات في العراق وسوريا والأردن

ولبنان ومصر وبلاد شمال افريقيا اللواتي يعملن في المكاتب الحكومية والخاصة وفي المزارع والحقول الى جانب الرجال هن فاسقات بنظر امام الوهابية. وبذلك يحتكر الوهابيون الدين الصحيح ويكفّرون باقي العرب ويعزلون أنفسهم عن جميع الشعوب العربية الأكثر تقدماً.

## شرائح المجتمع السعودي

يقسم سكان السعودية الى ثلاثة أقسام هم السكان الحضر في المدن والأرياف، والبدو الرحّل الذين يشكلون ٢٥ ـ ٣٠ بالماية من السكان، والغرباء من عرب وأجانب. وتبلغ الأمية بين السعوديين نساء ورجالاً نحو ثمانين بالماية. وهي أكثر من ذلك بين النساء.

وقد حصلت هجرة واسعة للسكان من الريف والبادية الى المدن طلباً للعمل وانتفاعاً من المنح والتسهيلات الحكومية ما بين ١٩٧٤ ويومنا هذا.

لكن التقسيم بين بدو وحضر لا يعطي صورة صحيحة عن الواقع لأن سكان المدن والواحات يشتركون مع البدو بقيمهم الإجتماعية والأخلاقية وبعاداتهم وبنظرتهم الى الحياة. وكثيرون منهم يعودون بنسبهم الى قبائل بدوية ويفتخرون بذلك ومنهم آل سعود. وحسب بعض المعلومات فإن نحو خمسة وسبعين بالماية من السعوديين سواء الذين يسكنون المدن او القرى يدينون بالولاء للقبيلة التي ينتسبون إليها، ويتقيدون بالعادات القبلية. ويشعر البدوي رغم فقره وتأخره، بالإعتزاز والتفوق. أما الحضري فيرى البدوي إنساناً جاهلاً تنقصه طلاوة المدنية.

ضمن هذا التقسيم يميز آل سعود النجديين وقبائل الشمال على سكان المدن الكبيرة في الحجاز ومدن عسير الصغيرة ومناطق الشيعة في الشرق. وهذا الواقع يدفع الى التساؤل حول حقيقة وجود «مجتمع سعودي» متماسك ومنسجم تنصهر فيه عناصر الحجاز التجارية وقبائل نجد ومزارعو عسير وشيعة الإحساء.

في البلاد إجمالاً خلفية من التأخر والجهل الحقيقي المتأصل والإرادي تغذيه الحكومة يومياً في الإذاعات والصحافة والتلفزيون تحت ستار الدعوة الى الدين والأخلاق والتقاليد.

يحتقر السعوديون إجمالاً المهن التي تتطلب عملاً يدوياً ويعتبرونها محطة بكرامتهم وتمس كبرياءهم. فالسعودي لا يشتغل نجاراً أو حداداً أو ميكانيكياً أو ضارباً على الآلة الكاتبة أو عاملاً في مصنع أو في ورشة بناء، ولا يرضى بالقيام بأعمال الصيانة على اختلافها. لكنه قد يشتغل مزارعاً على مضض. فإذا جاء الى المدينة فإنه يفتش عن وظيفة في مكتب خاص أو حكومي شرط أن لا تستدعي منه عملاً يدوياً. (١)

## العنصر البشري ونوعية التعليم

تعترف الحكومة السعودية أن الثروة الاولى في البلاد هي الطاقة البشرية لأن استثمار أية ثروة طبيعية أخرى كالبترول والمعادن والزراعة والتجارة والصناعة يعتمد أساساً على العنصر البشري . وتبذل الحكومة جهوداً كبيرة في مجالات التعليم والتدريب . لكن جهودها تبقى ناقصة لثلاثة أسباب : الاول استبعاد الاناث كلياً عن المشاركة بالعمل إلا في مجال التدريس والتمريض ، والثاني الفشل في التغلب على العادات الاجتماعية التي تمنع السعودي عن تعاطي العمل اليدوي حتى في أوساط الذين يتخرجون من معاهد التدريب المهنية ، والثالث نوعية التعليم المحكوم بعقلية متخلفة .

في البرامج المدرسية من الابتدائي إلى نهاية الثانوي ، يغلب تعليم الدين الاسلامي وشرائعه وتاريخه على تدريس العلوم الوضعية كالحساب والجبر والهندسة والتاريخ والكغرافيا والفيزياء والكيمياء .

وتعترض جهود التربية عقم التعليم التقليدي ، والتفريط بالطاقة النسائية ،

وابتعاد السعوديين عن التعليم المهني . ويبدو التناقض جلياً في الفرق بين مستوى جامعة الظيران للبترول والمعادن التي تتبع نظاماً اكاديمياً غربياً ، وبين كليات الجامعات السعودية الاخرى الغارقة في التقليد والتي تتبع مناهج بعيدة عن احتياجات العصر الحالي .

بانتظار التخلص من هذه الاساليب التربوية يبقى المجتمع السعودي راكداً لا يجني الفائدة المتوخاة من النظام التربوي رغم مليارات الدولارات التي تنفق عليه .

لقد نقل نظام التعليم السعودي ـ الابتدائي والاعدادي والثانوي والجامعي ـ بحذافيره تقريباً من التجربة المصرية وهو ليس متوافقاً مع حاجة البلاد السعودية .

ولنستمع إلى أحد أركان النظام السعودي يتكلم عن النظام التعليمي في البلاد .

يقول الدكتور غازي القصيبي(٢) : ان نظامنا التعليمي الحالي لا يعد الطالب إلا لاحد أمرين : تولي وظيفة كتابية صغيرة ، أو إكمال دراسته الجامعية . أي إننا لا نستطيع الاعتماد على نظامنا التعليمي في انتاج الكهربائيين والميكانيكيين والصباغين والماحين وبقية العمال المهرة . والحاجة الى هؤلاء في عملية التنمية اكثر بكثير من الحاجة إلى شاغلي الوظائف الكتابية الصغيرة وإلى بعض خريجي الجامعة .

قد يقال أن هناك مدارس فنية ومهنية . الواقع أنه يوجد منها حالياً (١٩٨١) خمس مدارس مهنية من المستوى الثانوي بالاضافة إلى أربع مدارس فنية ـ صناعية . وقد بلغ عدد المنتسبين اليها عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ٨٢٥ طالباً في المدارس المهنية الثانوية ، و ٩١٨ طالباً في المدارس الفنية الصناعية و٩٤ طالباً في المؤسسة الفنية العليا في الرياض . وبلغ مجموع المتخرجين من المدارس الفنية والمهنية حتى آخر شهر يونيو ١٩٨٠ تسعة آلاف وأربعماية وأربعين طالباً .(٣)

تتضح ضآلة هذه الاعداد بالمقارنة مع فروع التعليم الاخرى .

في عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ بلغ عدد طلاب المدارس الابتدائية ٩٣٠ الف تحتويهم ٥٧٤٤ مدرسة .

وبلغ عدد طلاب ما بعد الابتدائي (الاعدادي والمتوسط والثانوي) ٣٧٧,٦٨١ طالباً تحتويهم ٢١٨١ مدرسة .

وبلغ عدد طلاب الكليات والجامعات في نفس السنة (١٩٨٠ ـ ١٩٨١) ٥٤,٣٩٧ تحتويهم ٥٦ كلية وجامعة ومؤسسة[٤] .

في ظل النظام الحالي ينتقل الطالب من مرحلة إلى المرحلة التعليمية التي تليها بطريقة شبه تلقائية حتى يصل إلى الجامعة . وبما أن الدولة تتكفل بجميع النفقات وتدفع للطالب معاشاً حتى ولو رسب ، فلا توجد معوقات تثني الطالب عن متابعة الدراسة الجامعية حتى وإن كان لا يصلح لها . وينتج عن ذلك إزدحام الكليات والجامعات بالطلاب ، وتدني مستوى التحصيل ، واتجاه أكثرية الطلاب إلى كليات العلوم النظرية لأنها أسهل ، والابتعاد عن مواضيع كليات العلوم الرياضية والطبيعية التي تحتاجها البلاد أكثر .

ماذا يعني كل هذا ، يتساءل الدكتور غازي القصيبي ؟ يعني أن التعليم في فترة ما قبل الجامعة لا يدرب سوى نسبة ضئيلة من الطلاب تدريباً مهنياً وفنياً ، وأن نظام التعليم الجامعي يخرّج الطلاب بنسبة تتزايد مع سهولة التخصص وتقل مع صعوبته بصرف النظر عن احتياجات البلاد الفعلية الى نوع التخصص فالبلاد بامسّ الحاجة إلى السباكين والمياكنيكيين والماسحين وإلى جهود من يسفلتون الشوارع ويقيمون الابنية ويمدون الانابيب ، قبل أن تحتاج جيوش الادباء والاقتصاديين والمؤرخين والاداريين[٥] .

ثم أنه لا جدوى من تخريج أطباء بلا ممرضين ، ومهندسين بلا مشرفين على البناء ، وكيماويين بدون مساعدين فنيين يعدّون المعامل . فالخبرات العلمية بدون

خبرات فنية ترفُ فكري واحصائيات نتباهى بها دون أن يكون لها دور كبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية . لذلك يجب إعادة النظر في فلسفة التعليم الجامعي بحيث يكون التركيز على النوعية لا على الكمية : عشرة خريجين يفيدون البلاد خير من مائة يكونون عبئاً عليها . وجامعة واحدة متكاملة خير من عدة جامعات تعاني مختلف نواحي النقص[٦] .

ثم طرح الدكتور القصيبي سؤالين رئيسيين عن التعليم الجامعي فقال :[٧] لمن نفتح ابواب الجامعة ، وما هو الهدف من التعليم الجامعي ؟

وأجاب : يردد الناس بلا فهم كافي أن البلاد تحتاج الى الكفاءات . وهذا صحيح بصورة عامة . لكن الموضوع موضوع أولويات . إننا في هذه المرحلة من نموّنا نحتاج إلى عمال مهرة وفنيين أكثر من حاجتنا إلى خبراء الاقتصاد والنحو والسياسة . والكفاءات التي نتعطش إليها هي الكفاءات العلمية والفنية لا النظرية والادبية . ومن هنا نرى أن القول بفتح أبواب الجامعة بحجة الحصول على كفاءات قول مرفوض رغم وجاهته الظاهرية .

أما القول بأن التعليم حق للجميع فصحيح إذا توفرت لطالب العلم القدرة الذهنية . فالتعليم الجامعي يحتاج إلى مقدرة ذهنية لا تتوفر عند جميع خريجي الثانويات لذلك فإن الاصرار على الحاق جميع طلاب الثانويات بالجامعة يؤدي إلى أحد أمرين : أما رسوب غير المؤهلين ذهنياً بعد مرورهم بتجربة مريرة ، أو الهبوط بمستوى التعليم الجامعي حتى يستطيع الجميع التخرج . وهذا ما يحدث الآن .

لقد كنا ذات يوم ننتظر المعجزات على يد الخريجين ، وجاء الخريجون فلم يكونوا أفضل من سابقيهم من غير حملة الشهادات العليا . ومع ذلك بقيت عقدة الشهادة الجامعية وتضخمت حتى اصبحت الشهادة هدفاً بدلاً من أن تكون وسيلة . وأصبح حامل الشهادة يتوقع أن يقضي حياته كلها يجني ثمار هذه الشهادة . وقد آن الاوان لنزيل عن الشهادات الجامعية بريقها (ا هـ) .

لم يلق هذا الكلام المنطقي المنزه عن الغرض ارتياحاً لدى الحكام لأن ما يهمهم هو الدعاية . يريدون أن ينشروا بنهاية كل عام احصاءاً يبين ازدياد عدد المدارس والجامعات ، وازدياد عدد الطلاب والمتخرجين ، بصرف النظر عن أهليتهم وكفائتهم ومستواهم . وما دام البترول ينبع دون جهد فمن السهل دفع المعاشات لجيوش المتخرجين وحشرهم في وظائف لا لزوم لها وغير منتجة ثم التباهي بما فعله الحكم في مجال نشر العلم وهم يعرفون أنه في أغلبه علم ناقص غير مجدي .

مثال على ذلك إحصاء نشرته مؤسسة بترومين الحكومية يوم ٢٣ فبراير ١٩٨٥ تبجحت فيه أن عدد السعوديين العاملين في مصفاة بترومين - موبيل في ينبع بلغ هذه السنة ٢٣ , ٤٠ بالماية من مجموع العمال واعتبرت ذلك انجازاً بارزاً . وما لم تذكره مؤسسة بترومين هو نسبة السعوديين في أعمال الادارة ، وفي الاعمال الفنية ، وكم منهم عمال عاديون غير مدربين .

ويجب أن لا يغترّ القارىء بالبيانات التي تصدرها أجهزة الدولة عن ازدياد نسبة الفنيين السعوديين في الوزارات والادارات والتي توحي أن الدولة استغنت عن الغرباء واستبدلتهم بالسعوديين . وحقيقة ما يجري أن آل سعود يحاولون امتصاص نقمة الشباب المتخرّج من الثانويات والجامعات فيحشرونه في وظائف حكومية بصرف النظر عن كفائته ، سواء كان مؤهلاً لهذه الوظيفة أم لا . والمهم أن يتقاضى راتباً ويسكت عن النظام سواء أنتج في عمله أم لم ينتج .

ولهذا نرى الجهاز الاداري يتضخم سنوياً بنسبة غير معقولة ليستوعب جيوش الخريجين ، في حين يبقى الغرباء في وظائفهم لأنهم ، يقومون بالعمل الحقيقي .

تأكيداً لهذا الواقع عن مستوى التعليم المتدني نلاحظ أن القطاع الخاص نادراً ما يستخدم موظفين درسوا في المعاهد السعودية ويكاد يعتمد اعتماداً كلياً على الغرباء استفادة من كفائتهم .

وإذا كان عدد الموظفين الغرباء قد نقص في السنوات القليلة الماضية في القطاع الخاص فذلك عائد إلى الركود الاقتصادي الذي عم البلاد منذ ١٩٨٢ وليس لأن الموظفين السعوديين حلوا محل الغرباء .

تحدثت جريدة (اراب نيوز) السعودية الصادرة باللغة الانكليزية في جدة بتاريخ ١٨ أغسطس (آب) ١٩٨٥ عن الموضوع فنقلت تقريراً وضعته مؤسسة اميركية في نيويورك اسمها .

Organization Resources Counselors Inc.

قالت عنها الجريدة أن لها شهرة عالمية في دراسة المواضيع المتعلقة بالادارة ، والعلاقات الانسانية ، واستخدام الطاقة البشرية .

وقد أجرت هذه المؤسسة دراسة على عشرين شركة سعودية ترغب باحلال موظفين سعوديين محل الغرباء الذين تستخدمهم فجاءت نتيجة الدراسة تؤكد ملاحظات الدكتور غازي القصيبي قبل ثمان سنوات عن عدم تجاوب النظام التعليمي مع حاجة البلاد .

قالت الدراسة أنه رغم رغبة الحكومة المعلنة بالاعتماد على السعوديين فقد دُهشت لما وجدت أن توجيهات الحكومة وخططها لنشر العمالة السعودية تختلف في مداها وتوجهاتها من وزارة لاخرى وحتى ضمن الوزارة الواحدة . وهذا يعني أن جهود الحكومة غير منسقة ولا تعالج الموضوع بخطة موحدة ومتكاملة ولهذا لا تنتج المؤسسات التعليمية من جامعات وثانويات ومعاهد مهنية ، نوعية الطالب الذي يحتاجه الاقتصاد السعودي . وتابعت الدراسة قائلة أنه يلاحظ استنكاف واضح لدى السعوديين عن تعاطي الاعمال التي تتطلب مهارة يدوية .

تجاه هذا النقص في اليد العاملة السعودية المدربة تضطر الشركة التي ترغب باستخدام سعوديين أن تدربهم بعد توظيفهم . وهذا يعني دفع معاش للموظف السعودي ، ومعاش للذي يدربه ، ومعاش ثالث للموظف الغريب الذي يُشغل

الوظيفة حتى ينتهي تدريب الموظف السعودي . واختتمت الدراسة قائلة أنه لما كانت الشركات تنشد الربح فمن الاسهل عليها أن تبقي الموظف الغريب رغم أجوره المرتفعة على أن تدرب موظفاً سعودياً .

## وضع المرأة السعودية

المرأة عنصر أساسي في المجتمع لأنها تشكل نصف عدده على الاقل . ولا يمكن وصف وضع المرأة السعودية إلا بانه وضع مهين لكرامتها لأنها كيفما اتجهت تصطدم بتقاليد متخلفة مدعومة بالتيار الوهابي المسيطر الذي يرفض ما هو مقبول في البلاد الاسلامية الأخرى.

لكن شرعية آل سعود تقوم على هذا التيار المتزمت لذلك لا يبدو أن تحرر المرأة السعودية سيكون وشيكاً . فالحجاب مفروض عليها من سن التاسعة ، وهي لا رأي لها في إدارة البلاد أو حتى باختيار زوجها ، ولا تستطيع السفر دون أن يرافقها قريب .

وإذا دخلت الفتاة الجامعة فإنها تحضر الدروس في قاعات منفصلة وتتابع المحاضرات عبر تلفزيونات داخلية حتى لا يراها الاستاذ أو تراه . ولا تجد مهنة تتعاطاها بعد التخرج عدا التدريس في مدارس البنات والتمريض في مستشفيات النساء .

وقالت جريدة عكاظ السعودية يوم ٢٠ اغسطس ١٩٨٣ أن ولي العهد الامير عبد الله أصدر أمراً نيابة عن الملك فهد منع فيه الفتيات السعوديات من الدراسة في الكليات والجامعات الاجنبية لأنه حسب إدعائه ، أصبحت فرص التعليم متاحة للفتيات في الجامعات السعودية (على النمط المتخلف الذي ذكرناه) .

وتهتم الحكومة السعودية بإرسال الوفود إلى المؤتمرات الدولية التي تعالج شؤون المرأة لتدافع عن واقع النساء السعوديات بالاستناد إلى آيات قرآنية . لكن

الآيات لم تكن يوماً موضع نقاش . وما تناقشه المؤتمرات هو الوضع الراهن للمرأة في كل بلد . فما علاقة الدين مثلاً بمنع المرأة من قيادة السيارات ، وهل هناك نص يمنع المرأة من الجلوس إلى جانب زوجها في السيارة ويضطرها الى الجلوس في المقعد الخلفي ، والدين لا يمنع المرأة من السفر ، أو من العمل ، أو من الدراسة والتحصيل . وأمثال هذه الموانع السخيفة كثيرة ينسبونها الى الدين وهي ليست إلا عادات إجتماعية متخلفة يتمسك بها الحكام ويفرضونها على المواطنين .

وهكذا فيما يلحّ آل سعود ظاهرياً على تنمية الموارد البشرية ، يبعدون عمداً نصف السكان عن المشاركة بإنماء البلاد .

## الإعتماد الكلي على العمالة الأجنبية

إن المدنية الصناعية المعاصرة التي يحاول آل سعود اللحاق بها تقوم كلياً على عمال وفنيين يشتغلون بعقولهم وبأيديهم لتخطيط المعامل وبنائها وتركيب الماكنات وتشغيلها وصيانتها. لكن التقاليد الإجتماعية تحول دون قبول السعودي بهذه الاعمال. وليس من المعقول نقل مجتمع من البداوة الى المدنية الصناعية والإلكترونية في جيل أو جيلين. ولا يتم هذا الإنتقال الصعب بمنح شهادات بالكفاءة من معاهد التدريب أو من الجامعات بل هي عقلية وقيم مجتمع بكامله تحتاج الى التطور البطيء على مدى أجيال. ومعنى ذلك استمرار اعتماد البلاد بصورة شبه تامة على العمالة الأجنبية. وكمثال على ذلك فإن نسبة الغرباء في مدينة جدة، المركز التجاري للبلاد، تبلغ ستين بالماية من مجموع السكان. وقد قال موظف مصري يعمل في احدى شركات التأمين السعودية للمؤلف أن يشعر وكأنه في بلده لأنه لا يصادف إلا مصريين حيثما توجه.

بالإضافة الى المصريين توجد اعداد أكبر من اليمنيين. ويأتي بعد ذلك سودانيون وسوريون ولبنانيون وفلسطينيون وأردنيون وباكستانيون وهنود وكوريون وفيليبيون يقارب مجموعهم مليوناً ونصف الى مليونين.

وتبقى القضية المركزية في العمالة السعودية: كيف تستطيع الحكومة ان تستميل الى المهن اليدوية شباباً تغذيهم برامجها التعليمية في المراحل الإبتدائية والمتوسطة بقيم وعادات إجتماعية مناهضة للعمل اليدوي، تضاف الى نفور هؤلاء الشباب من تلك الأعمال بتأثير محيطهم المشبع بقيم الصحراء. وتتضخم المشكلة حين يشعر الشاب انه يستطيع الحصول على دخل أوفر من أعمال أخرى تريحه من ممارسة أعمال مهنية ومن الخضوع لنظام عمل صارم.

## التجنس

كان باستطاعة آل سعود ان يقللوا من اعتمادهم على الأجانب لو فتحوا باب التجنس للأكفاء من العرب. فالبلاد بالنظر الى مساحتها وثروتها البترولية بحاجة الى زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة كما فعلت الولايات المتحدة وكندا والبرازيل واستراليا وغيرها. لكن آل سعود يدركون أن الهجرة العربية ان سمحوا بها تعني بداية النهاية لهم لأن ما من عربي متحضر يقبل بنظامهم العشائري وبطراز حكمهم. لذلك فضلوا أن يبقوا معتمدين على العمالة الأجنبية على أن يحصلوا على كفاءات تصبح سعودية بالتجنس. وبلغ بهم الأمر أن وزارة الداخلية أصدرت قراراً سنة ١٩٧٩ تمنع زواج السعوديين، رجالاً ونساءً، من عرب وأجانب قبل الحصول على رخصة من وزارة الداخلية. كما منعت تسجيل عقود الزواج إذا حصلت خارج البلاد، وهكذا يقود آل سعود البلاد نحو الإنغلاق على العالم لا نحو الإنفتاح.

للتدليل على اعتماد الوضع السعودي الحالي الكلي على الخبراء والتقنيين والعمال الأجانب يكفي ان نتصور أن هؤلاء غادروا البلاد فجأة وبأعداد كبيرة لاختلال الأمن الداخلي نتيجة إنقلاب، أو بسبب عدوان خارجي. والأمران محتملا الوقوع. عندها يظهر الوضع التالي:

تغلق الجامعات والمدارس الثانوية ومعاهد التدريب المهني أبوابها لأن معظم أساتذتها ومدرسيها غير سعوديين.

تتعرقل أعمال وزارات الدولة الإدارية لأن الضاربين على الآلات الكاتبة والتلكس وأغلب المحاسبين غير سعوديين.

تتعطل أعمال المكاتب التجارية والشركات لنفس السبب.

تتوقف المواصلات الهاتفية واللاسلكية الداخلية والدولية للمدنيين وللقوات العسكرية لأن الفنيين فيها والذين يقومون بصيانتها غير سعوديين.

تتوقف الطائرات ووسائل النقل البري بعد فترة وجيزة لعدم الصيانة.

تتعطل المعامل والمصانع لأن الفنيين الذين يشغلونها ويقومون بأعمال الصيانة غير سعوديين وفي مقدمتها معامل البتروكيماويات وتحويل الغاز ومصافي البترول التي تشكل العامود الفقري للصناعة السعودية.

تتوقف الآلة الحربية بكاملها لأن تشغيل وصيانة الأسلحة الحديثة المعقدة التي اشترتها الدولة تحتاج الى درجة عالية من الكفاءة لم يبلغها السعوديون بعد بأعداد كافية. فإذا حدثت حالة حرب حقيقية تضطر العشيرة الى الإستسلام او الى تسليم اسلحتها للآخرين ليدافعوا عنها.

وعلى هذا، فإن العنصر الأول في الثروة الوطنية وهو الطاقة البشرية مفقود وسيبقى ناقصاً الى أجيال قادمة.

## ثروة البترول الزائلة

ذكرنا ان الثروة الأولى في البلاد هي العنصر البشري.

اما العنصر الثاني فهو البترول. والبترول صدفة جيولوجية ليس لآل سعود فضل فيها فقد اكتشفه الأجانب واستخرجوه وسوقوه وجنى آل سعود مداخليه.

والبترول ثروة زائلة تتناقص باستمرار ومع ذلك يسهل صرفها وتبذيرها لأنها ليست

. نحة من تعب المواطنين وكدّهم. ومنذ سنة ١٩٨٢ بدأت هذه الثروة تفقد أهميتها تعنية فانخفض انتاج البترول السعودي من عشرة ملايين برميل الى نحو مليونين وربع مليون برميل يومياً في منتصف ١٩٨٥، كما انخفض سعر البرميل من ٣٤ دولاراً الى ٢٦ دولاراً. والمتوقع أن يهبط الى نحو عشرين دولاراً أو أقل.

ترى لو تكوّنت ميزانية الدولة من ضرائب تُجبى من المواطنين على أرباحهم وأعمالهم كما يجري في دول العالم الأخرى، هل كان يسكت المواطن السعودي عن تبذير ماله في تسلح غير مجدي، وعلى خوّات يدفعها آل سعود لبعض الدول العربية لتسكت عن النظام الفاسد، وعلى مشاريع اقتصادية خيالية الغرض الأول منها قبض العمولات، وعلى مساعدات مالية لدول العالم الثالث لرفع مكانة آل سعود، وعلى دفع معاشات فاحشة لنحو اربعة آلاف أمير وأميرة لا يقومون بأي عمل؟ حقاً إن المال الذي يأتي سهلاً دون تعب يذهب هدراً.

إن الإقتصاد السعودي رغم وفرة أموال البترول في السابق يبقى اقتصاداً مزعزعاً لأنه يستند على مورد واحد. فإذا أصاب هذا المورد الوحيد خلل يتأثر الوضع برمته. وهذا ما حصل في السنوات الماضية. فارتفاع أسعار البترول بسبب الحرب العربية - الإسرائيلية سنة ١٩٧٣ ثم بعد سقوط شاه إيران سنة ١٩٧٩ حمل الدول الصناعية في اليابان وأوروبا واميركا الشمالية على تحسين ماكناتها الصناعية والنقلية بحيث قلّ استهلاكها للبترول. وفي البرازيل استخرجوا الكحول من قصب السكر ومزجوه بنسبة ثمانين بالماية مع البترول. وتحولت صناعات أخرى الى استعمال الفحم. وتجرى دراسات عن استعمال أشعة الشمس والهواء وموج البحر لاستخراج الطاقة بالإضافة الى الطاقة النووية. كما تكثف البحث عن البترول في العالم فاكتشفت حقول غنية في المكسيك وكندا ويجرى الآن البحث عن حقول في الصين تكفي حاجة تلك البلاد واليابان وهي من اكبر مستوردي البترول السعودي.

أثرت هذه التطورات على وضع دول الأوبيك فانخفض الإنتاج والسعر منذ

١٩٨٢ ولا يزال كما ذكرنا. وانعكس ذلك على أحوال السعودية فجاءت ميزانيتا ١٩٨٣ - ٨٤ و١٩٨٤ - ٨٥ انقص من ميزانية ١٩٨٢ - ٨٣. وبدأت الحكومة تغرف من مال الإحتياط لتسديد عجز الموازنة كما أجلت وألغت كثيراً من المشاريع. وستضطر الى إلغاء مشاريع إضافية وتخفيض النفقات الحكومية. وبما أن حيّزاً كبيراً من الإقتصاد الوطني مرتبط بالمشاريع الحكومية فإن الكساد يعم الآن مختلف القطاعات فإذا اضطرت الحكومة الى فرض ضرائب جديدة على المواطنين يصبح مصير آل سعود على كف عفريت لأن المواطن لن يقبل بأموال الضرائب تخرج من جيبه لتذهب معاشات لأربعة آلاف من الأمراء والأميرات لا ينتجون شيئاً ويعيشون حياة بذخ على حساب الشعب، كما سيصير أكثر تدقيقاً وأقل تسامحاً في المشاريع والعمولات والرشوات التي ترافقها، وفي طريقة حياة آل سعود الخاصة والعامة.

بعد تدني واردات البترول وتقلّص المشاريع الحكومية، صارت الدعاية الرسمية توجه الشعب الى ضرورة الإتكال على القطاع الخاص، وتبرز أهمية مشاريع البتروكيماويات الضخمة التي بدأت بالإنتاج، وتدعو السعوديين الى استثمار أموالهم في البلاد.

لم تلقَ هذه الدعوة استجابة من المواطنين لأنهم اعتادوا أن تكون الدولة هي الممول وأن تضمن لهم أرباحهم في معظم الأحوال. أما عندما يتعلق الأمر باستثمار أموالهم الخاصة، فإن على أصحاب الرساميل أن يوازنوا بين فرص الإستثمار المتاحة لهم في البلاد المتقدمة، وكلها ترحب برأس المال الأجنبي، وبين الفرص في بلادهم ذات السوق الضيق والمناخ السيء والعمالة الماهرة المفقودة، والحكم الفاسد والرشوة المستشرية.

وقد صُدم السعوديون لما وجدوا إن إنتاج البتروكيماويات الذي علقوا عليه آمالهم باعتباره ركن نهضتهم الصناعية قد صادف المصاعب في الأسواق العالمية التي تغصّ بهذه الأصناف مما حمل دول السوق الأوروبية المشتركة في ربيع ١٩٨٥ على

فرض رسم جمركي نسبته ١٣,٤ في المئة على منتوجات البتانول والبولي أتلين السعودية حماية للصناعة الأوروبية.

وبما أن البترول أصبح موفوراً في الأسواق العالمية فإنه لم يعد سلاحاً مجدياً تستعمله السعودية لانتزاع مكاسب تجارية من الدول الغربية. ومن المرجح أن تحبط هذه التجربة القاسية همة المستثمرين عن المغامرة بمشاريع صناعية مماثلة.

## نظام الحكم في عهد آل فهد

### صفة الحكم السعودي

من المعتاد في الدول الغربية إطلاق تسميات على أنظمة الحكم تساعد على إيضاح طبيعتها إذ إن لكل تسمية معنى محدداً في العلم السياسي.

وليس نظام الحكم السعودي مما يسهل وصفه لأنه لا يشابه أي نظام معروف في العالم المتمدن. ولعلنا نستطيع تحديد صفته إذ نفينا التسميات التي لا تنطبق عليه.

ليست السعودية من الدول الثورية ذات نظام الحزب الواحد.

وليس النظام ديمقراطياً لأنه في الأنظمة الديمقراطية يختار الشعب حكامه بالإنتخاب وليس في السعودية انتخابات من أي نوع كان.

وقد حاول بعض الكتاب، وكنا منهم، ان يجدوا في الحكم السعودي بعض ملامح الديمقراطية أيام الملك فيصل وإن اختلفت عن معالم الديمقراطية الغربية. وكانت هذه الملامح تتمثل بسهولة الوصول الى الملك وتقديم العرائض والطلبات له. هذا نوع من الديمقراطية يتممه أن الملك كان يقرأ العرائض والطلبات ويعطي قراره بشأن كل منها يوماً بيوم لا يهمل منها واحدة فيشعر المواطن أن أمره كان موضع عناية.

ومن الملامح أيام الملك فيصل أن أبواب الوزراء والموظفين كانت مفتوحة للمواطنين يستمعون الى حاجاتهم وينجزون معاملاتهم فالموظفون على دين مليكهم.

تغير الوضع بعد وفاة الملك فيصل واستلام الأمير فهد الحكم الفعلي أيام الملك خالد ثم بعدما اصبح ملكاً. إذ المعروف عن الملك فهد أن ليس له صبر على العمل ولا مثابرة ولا يواظب عليه. فهو مترهل الجسم يحب الحياة الطيبة ويستمتع بها. وتمضي أحياناً أيام لا يزور مكتبه ولا يرى معاملة. فانقطعت الصلة المباشرة بينه وبين أفراد شعبه.

من ناحية أخرى توسعت إدارات الدولة وكثر الوكلاء والمديرون في كل وزارة وصار كل مسئول يرى الجاه بإحاطة نفسه بالسكرتارية والموظفين يحجبون بينه وبين المراجعين. وعم الروتين الحكومي وضاعت مسئولية القرار مع ازدياد عدد الموظفين. وصارت الإدارة شبيهة بإدارات الدول المتخلفة الأخرى.

وهكذا ضاعت الديمقراطية البدوية بعدما زال التجاوب المباشر بين الملك ورعيته وبين المواطن والموظف المسئول.

في السعودية حكم ثيوقراطي واضح أي حكم ديني. فالملك امام يحكم بإسم الدين للدفاع عن الإسلام ونشر رسالته كما يدعي، ويعتبر نفسه قيّماً على الدعوة الوهابية وملتزماً بتعاليمها ومنفذاً لإرشاداتها. يساعده في عمله هذا طبقة من العلماء تؤيده وتراقبه وتفرض مفاهيمها الدينية على سلوك المواطنين وتصرفاتهم وحياتهم الإجتماعية بواسطة سلطة الدولة القسرية.

والحكم في السعودية الآن اوليغاركية واضحة حيث تنحصر السلطة العليا في أيدي قليلة مؤلفة من كبار العشيرة السعودية بعدما كان في عهد الملكين عبد العزيز وفيصل مركزاً في شخص الملك.

الخلاصة أن السعودية يحكمها نظام عشائري اقطاعي هو أدنى مرتبات

التنظيم الإجتماعي والسياسي في تطور الإنسان، يتلبس صبغة دينية رجعية، وتمارس سلطانه فئة صغيرة جاهلة من العشيرة السعودية على رأسها امام - ملك. لذلك وصف أحد الكتاب الأجانب النظام السعودي بأنه اكثر الأنظمة العشائرية والإقطاعية الإستبدادية فساداً وتأخراً. «فالملك إمام أقل مما ينبغي، وملك أكثر مما يلزم».

## اسم البلاد

أول ما يستوقفنا في استعراض هذا النظام ويدل على العقلية الإقطاعية للعشيرة المتحكمة هو قرار الملك عبد العزيز سنة ١٩٣٢ بتغيير اسم البلاد من «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» الى اسم «المملكة العربية السعودية». أي أنه ألغى إنتساب السكان الى أرض ووطن ونسبهم الى عشيرته وكأن البلاد وثرواتها وسكانها ملك له ولآل سعود الى الأبد. وليس لهذا مثيل في العالم، وبالفعل تصرف هو بها على هذا الشكل وكذلك يفعل أولاده الى اليوم.

تظهر بداية العقلية المتأثرة التي أطلقت هذا الإسم لما نقارنها بالبلاد العربية المجاورة. فالمواطن هناك يعتزّ لما ينتسب الى بلده فيقول أنا سوري أو أردني أو لبنان أو عراقي أو مصري أو يمني أو جزائري نسبة الى أرض ووطن. أما ساكن المملكة فيقول أنا سعودي، منتسباً الى عائلة ليست عائلته دون أن يكون له وطن. وفي أكثر الأحيان لا يشعر بفخر لانتسابه الى هذه العائلة. وهكذا حرموه من وطن يعتز به وأبقوه أسيراً ضمن النظام العشائري المتخلف.

## النزاع داخل العائلة المالكة

رأينا في الفصل الرابع أن التنازع على الحكم وعلى الإمامة بين أفراد الأسرة السعودية كان أهم أسباب زوال دولتهم الأولى والثانية (١٧٤٤ - ١٨٨٧). وقد

تجدد هذا النزاع في زمننا وأدى الى عزل الملك سعود وتولى الملك فيصل عام ١٩٦٤. ولم يكن في ذلك غرابة لأن التحفز للإنقضاض على الحكم هو من صميم ما اعتادته العائلة. ولا يزال هذا التقليد كامناً ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض وقد أجّجه استئثار آل فهد بالحكم والمنافع وتكتل أبناء عبد العزيز الآخرين لمناوءتهم.

في الوقت الحاضر يتجمع أولاد الملك عبد العزيز في تكتلات تشكل غالباً على أساس الإنتساب إلى أم واحدة. ولما كانت الأمهات تنتمين غالباً الى عشائر قوية فإن اولادهن يستفيدون من دعم أخوالهم وقبيلة أمهم.

### كتلة آل فهد

تتألف هذه الكتلة من الأشقاء السبعة الذين ذكرناهم. وقد حاولت هذه الكتلة في عهد الملك خالد استبعاد الأمير عبدالله ابن عبد العزيز، رئيس الحرس الوطني، عن ولاية العهد والمناداة بالأمير سلطان وزير الدفاع بدلاً عنه ليضمنوا استمرار المُلك في فرعهم العائلي الى أمد طويل.

لكن الأمير عبدالله حظي بتأييد الأمير محمد أكبر أبناء عبد العزيز الأحياء الذي سارع على أثر وفاة الملك خالد الى الإعلان على الزعماء المجتمعين للتعزية بأن المُلك لفهد وولاية العهد لعبدالله فقطع الطريق على المناورات. وكان الأمير عبدالله قد وضع الحرس الوطني في حالة تأهب وأحاط بالقصور الملكية ومحطات الإذاعة والتلفزيون مدعياً أن ذلك إجراء عادي في وضع دقيق. وهكذا ثبتت ولاية العهد للأمير عبدالله.

بعد ذلك سارع الأمير عبدالله إلى إرسال تعميم سري لجميع دوائر الحكومة. بوجوب إطلاعه على سير الأمور في الدوائر المختلفة بصفته ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس الوزراء.

لم يتوقف آل فهد عن السعي لإحكام قبضتهم. فالملك هو أيضاً رئيس مجلس الوزراء، وولي العهد هو النائب الأول لمجلس الوزراء. وقد سارع الملك فيد لتعيين شقيقه سلطان نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء.

وعمل آل فهد على زعزعة مركز الأمير عبدالله محاولين إقناعه بالتخلي عن رئاسة الحرس الوطني والتفرغ لولاية العهد وضم الحرس الوطني لوزارة الدفاع لتصبح القوات المسلحة بكاملها تحت سيطرة آل فهد. فرفض عبدالله ذلك.

وما زال آل فهد يعملون على توطيد سلطتهم. فقد عيّن الملك فهد ابنه محمد أميراً على المنطقة الشرقية بدلاً من الأمير عبد المحسن بن جلوي وألغى بذلك تقليداً سارت عليه المملكة من أيام الملك عبد العزيز. ولا بد أن يكون لآل جلوي شأن في الرد على هذا التدبير. كما عين أحد مقربيه الجنرال علي الشاعر وزيراً للإعلام.

### كتلة الأمير عبدالله

ليس للأمير عبدالله أشقاء لكنه يلقى تأييد قبائل شمر وهم أخواله. وقد تجمع حوله في الصراع على ولاية العهد الأمير محمد بن عبد العزيز كبير العائلة والأمراء مشعل ومتعب وعبد المحسن وطلال وبدر ونواف والعرايف ليس حباً به بل لإقامة توازن مع آل فهد.

ويسعى الأمير عبدالله لتوطيد مركزه باستمالة اولاد الملك سعود وأولاد الملك فيصل. وقد أعاد للملك سعود بعض مكانته لما أطلق على جامعة الرياض اسمها السابق وهو «جامعة الملك سعود».

لم يعرف عن أولاد الأمير عبدالله الإنغماس في الرشوات والعمولات كأولاد آل فهد. فإثنان منهم يعملان في الحرس الوطني: الأمير خالد بن عبدالله معاوناً لرئيس الحرس الوطني في المنطقة الغربية، والأمير متعب بن عبدالله مديراً للكلية الحربية للحرس الوطني.

وقد استطاع ولي العهد حتى الآن إقامة توازن مع آل فهد بتأييد الأمراء الذين يعارضون احتكار السلطة. ويشكل الأمير عبدالله وأنصاره حالياً مركز القوة الرئيسي في وجه آل فهد.

كتلة ثـالثـة

هناك كتلة ثالثة من أولاد الملك عبد العزيز لا تنمي إلى الكتلتين السابقتين، وتضم «الامراء الاحرار» الذين طالبوا بالاصلاح الدستوري في عهد الملك سعود وبداية عهد الملك فيصل (راجع الفصل العاشر). وتضم هذه الكتلة الامراء طلال وبدر ونواف ومتعب ومشعل وعبد المحسن ومقرن وعبد الاله وهذلول.

وقد رغبت هذه الكتلة أن تعين أحد أعضائها نائباً ثانياً لرئيس الوزراء ليكتمل تمثيل جميع كتل أولاد عبد العزيز في مراكز النفوذ وليصبحوا في مركز أقوى لمراقبة تصرفات آل فهد لكن الملك فهد لم يصغ اليهم وأصرّ على تعيين شقيقه سلطان فكان له ما أراد.

تحاول هذه الكتلة أن تقيم توازن بين آل فهد والامير عبد الله ولي العهد لكن يبدو أنها فقدت زخمها الاصلاحي الذي اتصفت به في الستينات.

وتتألف كتلة أخرى من ستة وأربعين أبناً للملك سعود. وفي الجيل الثالث (احفاد الملك عبد العزيز) يبرز من أبناء الملك فيصل محمد(١٩٣٧) وسعود وزير الخارجية (١٩٤١) وخالد امير منطقة ابها (١٩٤١ من ام اخرى) وهي كتلة خامسة.

وتوجد مجموعة أخرى من أم سديرية تتألف من سعد ومساعد وعبد المحسن. وقد أقصي سعد ومساعد عن الملك وتجاوزهما فهد مع أنه أصغر منهما سناً خلافة لوصية والدهم الملك عبد العزيز، هذا بالاضافة الى كتلة «العرائف» التي تنتظر دورها في الاجنحة.

من ناحية أخرى ، بدأ عدد من امراء آل سعود الشباب المتعلمين ينتقدون علناً أوضاع البلاد وتصرفات الحكام . ومع انهم لا يشكلون بعد كتلة ذات أثر في سياسة المملكة فإنهم يمثلون الموجة الصاعدة وينتظرون ظهور زعيم يقودهم في حركة لاصلاح البلاد .

إن النزاع بين هذه الكتل أكثر جدية مما يبدو على السطح ، تؤججه وتغذيه عوامل خارجية عربية وأجنبية تسعى لاقامة وضع جديد يناسبها . ونظراً للسرية التي يحيط آل سعود أنفسهم بها كثرت التخمينات عن الخلافات الحادة ضمن العائلة المالكة . فقد نقلت مجلة «أخبار الاسبوع» الصادرة في عمان عن صحيفة الاوبزرفر البريطانية تاريخ ١٤/١٠/١٩٨٤ أن أحد الامراء السعوديين كلف أحد محترفي الاجرام الاميركيين باغتيال أخيه الإمير تركي ابن عبد العزيز ووالد زوجته الشيخ شمس الدين الفاسي . واعترف هذا المحترف أمام محكمة اميركية أنه لاحق الامير تركي والشيخ الفاسي في بريطانيا لكنه لم يتمكن من تنفيذ مهمته . وقال ايضاً للمحكمة أن عربياً يدعى ابراهيم الرواف هو الذي كلفه بالاغتيال نيابة عن الامير السعودي .

ويتفاقم خطر الصراع بين الكتل باستمرار إذا لم يسارع آل سعود ، من غير آل فهد ، إلى الانفتاح على شعبهم وعلى العالم والتجاوب مع مقتضيات العصر ، والدعوة علناً للاصلاح الدستوري والتمثيل الشعبي .

## المعارضة الشعبية

تجاه الضغط وكبت الحريات واستغلال الدين الذي يمارسه آل فهد ورفضهم لاي إصلاح دستوري يضمن مشاركة شعبية حقيقية ، اتخذت المعارضة السعودية ثلاثة اتجاهات :

أحدها وجد في الدين وفي الحركات السلفية العنيفة القناة الوحيدة المتاحة

للتعبير عن الرفض . ولا شك أن ثورة الامام الخميني شجعت هذاالاتجاه الذي تجلى في احتلال جهيمان العتيبي للمسجد الحرام كما سيأتي . ولا يزال لهذا التيار مناصرون واتباع رغم تغلب الحكومة على حركة جهيمان .

والثاني ، تيار يحاول التحلل من الضغط الرجعي الاجتماعي والجمود السياسي باعتناق المذاهب الثورية اليسارية .

والثالث ، تيار ليبرالي يحاول إجراء اصلاحات دستورية باساليب سلمية تطورية .

ويبدو أن التيارين الاسلامي واليساري تحالفا ووسعا دائرة نشاطهما ليشمل معارضة النظام السعودي ونفوذ الولايات المتحدة على السواء .

وقد أشرنا في معرض حديثنا عن الامراء الدستوريين إلى تعاونهم مع اتجاه إصلاحي شعبي مثلته منظمة عرفت باسم «نجد الفتاة» دعت إلى الاصلاح الدستوري والرقابة على أموال الدولة والحد من الفساد في عهد الملك سعود وقيل أنه كان من أعضائها عبد الله الطريقي وعبد الله ابن معمر وفيصل حجيلان وناصر المنقور وناصر السعيد ، ومع الزمن استمالت الدولة بعضهم ووظفتهم ، في حين سجنت البعض ، وهرب الآخرون من البلاد .

حصلت حادثة مفجعة عندما وجدت جثة الاستاذ عبد العزيز بن ابرهيم بن معمر ملقاة على الرصيف خارج منزله في الدمام يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٨٤ ولم يعلن التحقيق سبب وفاته .

والاستاذ عبد العزيز كان من أوائل السعوديين الذين تخرجوا من الجامعة الاميركية في بيروت في الاربعينات . وتعين بعدها مترجماً لدى الملك عبد العزيز ، ثم رئيساً لمستشاري الملك سعود . ورئيساً لشئون العمل والعمال .

ولم ترضى السلطات عن نشاطاته فعينته سفيراً في سويسرا ثم عاد الى البلاد فاتهم بالكفر والزندقة وأنه على مذهب الكاتب الحر الشيخ عبد الله القصيمي .

وأحصت بعض الجهات المدة التي قضاها في السجون السعودية فبلغت ثلاثة وعشرين عاماً إلى أن وجد ميتاً في هذه الظروف المشبوهة .

ويبدو أن هؤلاء المصلحين لاقوا الكثير من الاضطهاد فنقلوا نشاطهم إلى الخارج خصوصاً بين الطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الذين يصدرون مجلة «صوت الطليعة» وينظمون اجتماعات للاحتجاج على القيود الصارمة المفروضة في بلادهم على الحرية الشخصية ، ولاستنكار فساد الحكومة وتبذير الاموال . وقد أصدروا في صيف ١٩٨٠ نشرة وزعوها على الصحف في الولايات المتحدة وبريطانيا تسرد بتفصيل الممارسات الفاسدة والعمولات التي يتقاضاها أفراد آل فهد من الجيل الأول والثاني .

وتوجد منظمة شيوعية ناشطة بين الطلاب السعوديين في الخارج .

وذكرت مجلة الشرق الجديدة الصادرة في لندن بتاريخ أول نوفمبر ١٩٨٣ أن «نجد الفتاة الجديدة» إنضمت إلى منظمات أخرى هي «الثوريون الاسلاميون» فرع الكويت (مؤيدة لحركة جهيمان العتيبي) ، وجبهة المعارضة البحرانية ، ومنظمة تحرير ساحل عمان ، وحزب البعث العربي الاشتراكي (فرع السعودية) ، وحزب البعث (اليمن الشمالية) ، وعقد الجميع إجتماعاً بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٣ في أحد فنادق لندن وانتخبوا مجلساً تنفيذياً موقتاً من أربعة وعشرين عضواً لادارة شئون المجموعة التي أطلقوا عليها اسم «التجمع الثوري لابناء الجزيرة والخليج» .

وهناك منظمة ثانية تدعى «منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية» . ولهذه المنظمة نشاط واسع في مجال الاعلام إذ تنشر الرسائل والكتب ضد آل سعود وتبين ارتباطهم بالحكومة الاميركية .

وفي البلاد سخط من تجمع الثروة في أيدي قليلة مؤلفة من آل فهد وبعض آل سعود وأتباعهم ، وكبار التجار المتعاونين معهم . فالعقود المهمة والصفقات

الكبيرة يحولها كبار المسئولين إلى شركات يساهم بها آل فهد مما يشكل منافسة غير مشروعة .

ويجب أن لا نغفل شعور المثالين من السعوديين المتعلمين الذين يأنفون أخلاقياً من الفساد المستشري في مراكز الدولة العليا ويريدون تطهير الجهاز السياسي والاداري بكامله .

أما الحجازيون فيشعرون بالغبن لاقصائهم عن مراكز الحكم المهمة التي توفر لشاغليها فرصاً أكبر للنفوذ والكسب .

والشيعة في الاحساء الذين يشكلون أربعين بالمائة من عمال البترول يشعرون بالاضطهاد لأن آل جلوي حكام المنطقة الشرقية يعاملونهم باحتقار وازدراء ويمنعونهم من الاحتفال بأعيادهم الدينية وخصوصاً ذكرى مقتل الحسين بحجة أن ذلك يمس شعور الوهابيين . وفي الاحساء وجود قوي لحزب البعث العربي الاشتراكي وللماركسيين الذين يتسترون أحياناً بحركة القوميين العرب .

## من يحكم وكيف يحكمون

من الاسرار الكثيفة في الدولة السعودية معرفة من يحكم وكيف يحكمون . فكل بلد في العالم سواء كان نظامه ديمقراطياً أو شيوعياً أو عسكرياً دكتاتورياً أو يطبق نظام الحزب الواحد، فإنه ينشيء مؤسسات سياسية ودستورية تبين تسلسل السلطة وكيفية ممارستها وأسماء الذين يتولونها .

وحدها السعودية بين جميع دول العالم تشذ عن هذه القاعدة فلا أحد يعرف بالتأكيد من يحكم ، ومن يتخذ القرارات الاساسية ، وبموجب أي حق وكيف تتخذ هذه القرارات .

فإذا سُئل آل سعود عن الفراغ الدستوري تهربوا وقالوا أن دستورنا القرآن .

لكن القرآن لا يمنع أو يعارض صدور الدساتير التي تبين سلطة الحاكمين وتحددها كما تضمن حقوق المواطنين بل أنه يأمر بالشورى وينص عليها . ولم يجد خليفة المسلمين تناقضاً بين القرآن والدستور فأصدر السلطان عبد الحميد دستور السلطنة العثمانية سنة ١٩٠٨ كما أصدرت جميع الدول العربية دساتيرها . ولا نخال آل سعود أكثر حفاظاً على الاسلام من أمير المؤمنين .

## المافيا السعودية وصناعة القرار

المافيا منظمة سرية نشأت منذ بضع مئة سنة في جزيرة صقلية ثم امتدت فروعها إلى باقي مدن ايطاليا والولايات المتحدة واشتهر أفرادها بالانضباط والطاعة والمحافظة على الكتمان والتقيد بالسرية المطلقة في ممارسة أعمالها .

ويستعمل الغربيون هذا الاصطلاح اليوم للتعبير عن كل جماعة قليلة العدد تمارس أعمالها في الظلام خفية عن الناس محيطة نفسها بالسرية والكتمان وغرضها كسب المال والسيطرة ، دون اللجوء بالضرورة إلى الاجرام . وينطبق هذا الاصطلاح على العشيرة السعودية .

تتركز السلطة حالياً في أيدي قلة من أولاد عبد العزيز كما رأينا وبعض العائلات المتحالفة وأشهرها آل الشيخ أحفاد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مؤسس الدعوة الوهابية ، وآل السديري الذين ناصروا عبد العزيز عند قدومه إلى الرياض وهم اخوال الملك فهد .

ولا توجد قواعد تنظم إنتقال السلطة من ملك إلى خلفه بل يتم الامر بتسوية داخل العشيرة السعودية . فكل ذكر من أبناء عبد العزيز يحتمل أن يكون مرشحاً لمنصب الملك رغم قاعدة الوراثة التي وضعها والدهم . فقد تنازل محمد (رابع الابناء) لخالد (الخامس) الذي عين فهداً (الثامن) ولياً للعهد متجاوزاً ناصراً (السادس) وسعداً (السابع) .

كذلك ليس من المستبعد أن يحاول أحد الملوك الخروج عن هذه القاعدة ونقل الوراثة الى أحد أبنائه بدل أشقائه . وقد حاول الملك سعود ذلك .

من أولاد الملك عبد العزيز الاخرين الذين يشاركون في صنع القرار ولي العهد الامير عبد الله رئيس الحرس الوطني والنائب الاول لرئيس مجلس الوزراء (الملك فهد)، ومحمد بن عبد العزيز الأخ الأكبر في العائلة الذي تجاوزوه في التسلسل الوراثي، وربما الأمير مساعد بن عبد الرحمن عم الملك فهد الذي تولى وزارة المالية فترة طويلة .

هؤلاء يشكلون نواة المافيا السعودية على ما يقال ، يجتمعون ويقررون في المسائل الخطيرة ويكون قرارهم نافذاً يصادق عليه مجلس الوزراء ويتقيد به باقي أفراد العشيرة السعودية ويبصمه العلماء عند الاقتضاء .

وليس لهذه المجموعة نظام معروف لعقد الاجتماعات واتخاذ القرارات . وليس لاجتماعاتها محاضر مدونة بل يجري كل ذلك بالتشاور الشفهي بين أفرادها مما حمل الاستاذ غسان سلامة على التساؤل في كتابه «السياسة الخارجية السعودية» : «من يستطيع مثلاً أن يحدد المعايير التي تتشكل على أساسها الاطراف والاتجاهات المتضاربة ضمن العائلة المالكة ؟ ومن يستطيع أن يحدد وزن المعارضة أو توجهاتها أو فعاليتها ، أو دور الاميركيين العاملين في المملكة ، أو الارقام الحقيقية لسكان البلاد وللاغراب فيها ، أو احتياطيها النقدي أو قيمة مدخراتها النقدية ، أو مقدار استثماراتها في الدول الاجنبية ، أو قيمة المساعدات التي تقدمها للدول الأخرى ، أو حقيقة علاقتها مع شركة الارامكو ، أو من كان وراء اغتيال الملك فيصل وما أسباب اغتياله»[٨] .

وقد تستعين المافيا السعودية في ممارستها للحكم بالخبراء والوزراء والمستشارين وبعض أفراد آل سعود لكن الرأي النهائي يبقى لها ، كما أنها تعتمد

كثيراً في حماية نفسها على شعبة المخابرات العامة التي أنشئت عام ١٩٦٣ على مثال الشعبة الاميركية (سي أي إي CIA) التي سيأتي وصفها .

يجثم الملك فهد على قمة هذه الجماعة المتسلطة . فهو يتمتع بسلطات واسعة جداً بحكم منصبه كملك يضيف اليها سلطانه كرئيس لمجلس الوزراء . ثم أنه يترأس سلسلة من المجالس العليا لمؤسسات حكومية لا يحتاج الى عرض أمورها على مجلس الوزراء وبهذا تتعزز قبضته على الدولة .

من هذه المجالس : المجلس الاعلى للامن القومي ، والمجلس الاعلى للتربية ، والمجلس الاعلى للجامعات ، والمجلس الاعلى لشؤون النفط ، والمجلس الاعلى للشباب ، والمجلس الاعلى للحج ، والمجلس الاعلى للتصنيع ، والمجلس الاعلى للخدمة المدنية .

## شخصية الملك فهد

لم نعثر على مؤلف عربي شرح شخصية الملك فهد . لذلك نستند في وصفه على ما كتبه مؤلفون أجانب تتفق اقوالهم مع ما عرفناه أثناء زياراتنا المتعددة للمملكة .

يمثل الملك فهد في مظهره ومسلكه نقيضاً لما كان عليه الملك فيصل . فهو زائد السمنة عن المعدل ، ويشكو من مرض السكري ومن ألم في فقرات الظهر . ومع ذلك فهو أكول يدخن كثيراً ومغرم بعشرة الحسناوات وبممارسة العاب القمار(٩). وكانت مرابع الريفيرا الفرنسية والعاصمة البريطانية ميداناً لجولاته التي أبرزتها الصحف الاجنبية ومنها خسارته ستة ملايين دولار في جلسة قمار واحدة في الريفيرا عام ١٩٧٤ مما حمل الملك فيصل على تأنيبه(١٠) فأصبح أكثر حرصاً على التستر وان لم ينقطع عن المقامرة .

كان الملك فهد ، ولا يزال ، كثير التردد على البلاد الاوروبية برفقة أصدقاء وأتباع ينشدون لذة العيش[١١] في النواحي التي لا تتيسر لهم في بلادهم وليس للاطلاع على الحضارة الغربية ونقل المفيد منها وتحسين مستواهم الثقافي .

تنتاب الملك فهد نوبات متكررة من الكسل والتراخي عن العمل ويمارس حياة بالغة الفوضى والاضطراب[١٢] . وبما أن سلطات الدولة تتمركز في شخصه فإن الاضبارات والملفات تنقل إلى مكتبه يومياً من مختلف الوزارات والادارات حيث تُلقى في ركن من مكتبه وتبقى أياماً مهملة لا يلتفت إليها أحد حتى يستعيد الملك نشاطه فيعمد الى مراجعة بعضها فترة لا يلبث أن تعاوده نوبات الكسل فيختفي في أحد قصوره حيث لا يستطيع أن يتصل به أحد[١٣] . وهكذا تتعطل مصالح الدولة والمواطنين .

ويغلب على الظن أن الملك فهد في احتجابه المتكرر وخلواته ينصرف إلى ممارسة هواياته المفضلة مع الغواني والقمار .

ويؤخذ على الملك فهد أيضاً أنه بالغ التسامح مع اولاده على حساب الدولة . حيث يُظن أن إبنه الأكبر سعود ما كان يستطيع الحصول على رئاسة مؤسسة رعاية الشباب (مع ميزانيتها التي بلغت البلايين) لولا مساندة والده. كما أن عقود الصفقات الضخمة التي يحصل عليها ابناه محمد وسعود أصبحت تشكل شكوى رئيسية في أوساط رجال الأعمال السعوديين.[١٤]

إن عجز الملك فهد عن العمل اليومي الجاد، واحتجابه المتكرر في قصوره، وسفراته الى أوروبا كلها سنحت له الظروف أدت الى انتشار شعور عام بفقدان القيادة وضياع الإتجاه[١٥]. كما برزت شكوك خطيرة حول قدرته على الإمساك بزمام قيادة حازمة تشرف على شئون الدولة [١٦].

ومما يجدر ذكره عن اتجاهات الملك فهد الدستورية أنه كان معارضاً للتجربة الديمقراطية التي باشرها الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين لما سمح

بانتخاب مجلس نيابي. وقد اصرّ الأمير فهد شخصياً على إلغاء المجلس واستجاب الشيخ عيسى للإصرار السعودي فصدر قرار بحل المجلس بتاريخ ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٧٧. [١٧]

وهذا لا يبشر بمستقبل هادىء للتطور السياسي في السعودية في عهد آل فهد.

نعود الى صانعي القرار الى جانب الملك فهد فنرى أن السمة البارزة لأولاد الملك عبد العزيز هي أنهم، باستثناء إثنين أو ثلاثة، لم يحصّل احد منهم علوماً إبتدائية أو ثانوية ولم يهتموا بتثقيف أنفسهم في كبرهم فليس بينهم من تعلم لغة أجنبية أو يكتب اللغة العربية الصحيحة. وقد اقتصرت دراستهم على الكتاتيب التي تدرس حفظ القرآن، هذا إن حفظوه، ثم التقاط ما يدور في مجالسهم. وما عدا ذلك ففراغ ذهني وانسياق وراء الغرائز. ومع ذلك فإنهم يديرون مقدرات البلاد ويتصرفون بآلاف ملايين الدولارات.

ولما كانت كفاءة الحاكم تنعكس على شئون الدولة فإن جهل هؤلاء الحكام يفسر سوء مسيرة البلاد في المجالات السياسية والإدارية والإقتصادية.

## الوزارة

يساعد المافيا على إحكام قبضتها وزراء وحكام مناطق من العشيرة السعودية والعائلات المتحالفة معها.

في الوزارة الحالية (١٩٨٥) خمسة من آل سعود أبناء الملك عبد العزيز والملك فيصل هم: الأمراء عبدالله وسلطان ونايف ومتعب وسعود الفيصل.

وفيها ثلاثة من آل الشيخ هم عبد الرحمن وابراهيم وحسن عبدالله وزراء الزراعة والعدل والتعليم العالي بالتتابع.

أما باقي الوزراء فهم على الغالب وزراء فنيون يختصون بأعمال وزاراتهم

وليست لهم كلمة في سياسة المملكة. ويُلاحظ أنه حتى عام ١٩٨١ لم يصل الى مرتبة الوزراء إلا شيعي واحد.(١٨)

وفيما يلي قائمة بأسماء الوزراء في عام ١٩٨٥:

الأمير عبدالله ابن عبد العزيز ولي العهد والنائب الأول لرئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

الأمير سلطان ابن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والنائب الثاني لرئيس الوزراء.

الأمير نايف ابن عبد العزيز وزير الداخلية.

الأمير متعب ابن عبد العزيز وزير الأشغال العامة والإسكان.

الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية.

الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ وزير الزراعة والموارد المائية.

الشيخ ابراهيم آل الشيخ وزير العدلية.

الشيخ حسن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي.

السيد سليمان عبد العزيز السليم وزير التجارة.

السيد حسين المنصوري وزير المواصلات.

السيد عبد العزيز الخويطر وزير التعليم.

السيد ابراهيم العنقري وزير الشؤون البلدية والقروية.

السيد محمد ابا الخيل وزير المالية والإقتصاد.

الدكتور غازي القصيبي وزير الصحة (الى حين إقالته في ١٨ ابريل ١٩٨٣). فخلفه في الوزارة السيد فيصل حجيلان.

السيد علي الشاعر وزير الإعلام.

السيد محمد علي الفايز وزير العمل والشؤون الإجتماعية.

السيد عبد العزيز الزامل وزير الصناعة والكهرباء.

السيد احمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية.

الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف.
السيد علي درويش الكيال وزير البرق والبريد والهاتف.
السيد هشام ناظر وزير التخطيط.
الأمير ماجد إبن عبد العزيز وزير الشئون البلدية والقروية وقد نقل منها الى إمارة الحجاز.
السادة محمد ابراهيم مسعود وعبدالله العمران ومحمد الملحم وزراء دولة.

وقد حاولت الفئات المختلفة من آل سعود إقامة توازن بعد موت الملك فيصل. فقد اصبح عبدالله ولياً للعهد ورئيساً للحرس الوطني وأخواله من قبيلة شمر القوية ويرأس كتلة من الأمراء ويتبع سياسة عربية مستقلة. فهو عديل السيد رفعت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد والعلاقة بينهما قوية. ويتقرب عبدالله ايضاً من الدول الراديكالية (سوريا، العراق، الجزائر، اليمن الجنوبية).

ودخل الوزارة بعد وفاة فيصل الأميران متعب وماجد، وكانا خارج دائرة النفوذ، بمحاولة من الملك خالد والأمير عبدالله لموازنة الأشقاء السديريين. (إنتقل الأمير ماجد الى إمارة المنطقة الغربية بعد حادثة المسجد الحرام).
وهكذا اصبح آل فهد يقابلون تحالفاً مؤلفاً من عبدالله + أبناء الملك فيصل + العرائف + اولاد الملك سعود (ربما).

وكان آل جلوي يتصرفون بمنطقة الإحساء تصرف الأسياد مطلقي الصلاحية، ويعتبرون مكانتهم وراثية لا يمكن أن تعطى إلا لأعقابهم، وأنه يجب على الرياض أن تأخذ موافقتهم مسبقاً على تعيين الموظفين، وحصة الموازنة والبرنامج الإداري في منطقتهم. ودام الحال على هذا المنوال الى أن عين الملك فهد إبنه محمداً حاكماً على المنطقة الشرقية في اوائل عام ١٩٨٥ بدلاً من الأمير عبد المحسن بن جلوي فأقصى هؤلاء عن الحكم وأساء إليهم.

لم يستطع فهد ضبط أمور الدولة كما فعل فيصل قبله بسبب عدم قدرته على

العمل فتكرست استقلالية بعض المراكز القوية بأمورها كالحرس الوطني تحت رئاسة عبدالله، وشئون المقاطعات تحت قيادة نايف، ووزارة الخارجية تحت سعود الفيصل وإن كانت هذه أضعفها. إذ إنه من المفارقات أن بعض الأمراء (سلطان، نايف، عبدالله، سلمان) يستقبلون السفراء المعتمدين والزوار الأجانب، ويقومون برحلات سياسية الى الخارج، ويدلون بتصريحات سياسية دون الرجوع الى القصر أو الى وزارة الخارجية. وأدى ذلك الى تباين واضطراب في سياسة المملكة.

فعلاقات عبدالله العربية خصوصاً لا تتطابق دائماً مع اتجاهات الدولة. ويحدث أن يساعد قوى سياسية في المنطقة (كسوريا) تعتبرها فروع العائلة السعودية الأخرى قوى معادية.

أما الأمراء الثلاثة المكلفون بالأمن أي عبدالله وسلطان ونايف فإنهم يعقدون صفقات الأسلحة الهائلة وينفقون الأموال المرصودة لهم باستقلالية كاملة ويتقاضون على ذلك عمولات ضخمة لا يشاركون أخوانهم بها.

## الإدارة

تشكل الإدارة، بعد الوزارة والقوات المسلحة، الجهاز الثالث الذي تسيطر العشيرة السعودية بواسطته على البلاد التي قسمتها الى أربع مناطق جغرافية، تنكرت للأسماء التاريخية، هي:

أولاً - المنطقة الوسطى (نجد) عاصمتها الرياض وتضم المقاطعات التالية:

١ - مقاطعة الرياض ويتبعها وادي الدواسر، والأفلاج، والحريق، والخرج، والعريض، والوشم، وسدير.

٢ - مقاطعة القصيم عاصمتها بريدة وتضم:
عنيزة، وبريدة، والرس، والمذنب، وقرى أخرى.

٣ - مقاطعة حايل عاصمتها حايل وتضم قبائل شمر، وعنزة، والظفير ومطير.

٤ - مقاطعة الحدود الشمالية عاصمتها طريف.

٥ - مقاطعة الجوف عاصمتها الجوف.

ثانياً - المنطقة الغربية (الحجاز) عاصمتها مكة وتضم:

١ - مقاطعة المدينة، عاصمتها المدينة.

٢ - المقاطعة الشمالية، عاصمتها تبوك.

٣ - القريات

٤ - مقاطعة مكة التي تضم مدن جدة والطايف.

ثالثاً - منطقة عسير عاصمتها أبها وتضم الباحة وجيزان ونجران.

رابعاً - المنطقة الشرقية، عاصمتها الدمام وتضم الهفوف والضيران وجبيل والقطيف والخبر ومناطق آبار البترول.

وقد أصدر مجلس الوزراء قراراً بتاريخ ٣ اكتوبر ١٩٦٣ نظم إدارة المناطق والمقاطعات فوضع على رأس كل منطقة حاكماً يعيّنه مجلس الوزراء بناءاً على اقتراح وزير الداخلية ووضع على رأس المقاطعات موظفاً إدارياً يعينه وزير الداخلية لكنه مسئول امام حاكم المنطقة وأقام القرار الى جانب الحاكم مجلساً محلياً من ثلاثين عضواً يعينهم وزير الداخلية لمساعدة الحاكم والإهتمام بشئون المنطقة.

إلا أن آل سعود تراجعوا عن هذا القرار وجمدوه، رغم أنه نشر في الجريدة الرسمية، لأنهم ندموا على إنشاء مجالس محلية لئلا تتسع المطالبة بمجلس منتخب لكامل البلاد. وبقيت البلاد محكومة إدارياً بواسطة حكام تعينهم السلطة المركزية دون أن يشاركهم أي تمثيل شعبي للسكان.

بين حكام المناطق نجد حالياً ثلاثة عشر من آل سعود هم سلمان حاكم

منطقة الرياض، وسطام نائب حاكم الرياض، وعبد الاله حاكم منطقة القصيم، وعبد المجيد حاكم تبوك، ومقرن حاكم حايل، وماجد حاكم المنطقة الغربية، وسعود ابن عبد المحسن نائب حاكم المنطقة الغربية، وعبد المحسن حاكم المدينة (توفي يوم ١٠ مايو ١٩٨٥)، وخالد الفيصل حاكم منطقة عسير، وفيصل ابن بندر نائب حاكم عسير، ومحمد ابن الملك فهد حاكم المنطقة الشرقية، ومحمد ابن فهد ابن جلوي حاكم الاحساء، وعبدالله ابن عبد العزيز ابن مساعد حاكم منطقة الحدود الشمالية.

ومن آل السديري تسعة حكام للمناطق هم عبد الرحمن احمد السديري حاكم منطقة الجوف، وسليمان ابن تركي السديري نائب حاكم منطقة تبوك، وسلطان ابن عبد العزيز السديري حاكم منطقة القريات، وناصر ابن عبدالله السديري حاكم منطقة الوجه، وسعد ابن ناصر السديري نائب حاكم المدينة المنورة، ونايف ابن مساعد السديري حاكم منطقة ينبع، واحمد عبد المحسن السديري حاكم منطقة العلا، وفهد ابن خالد السديري حاكم منطقة نجران، ومحمد ابن تركي السديري حاكم منطقة جيزان.

ويتولى آل سعود وآل السديري مناصب هامة أخرى في الإدارة وفي القوات المسلحة. منهم الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع والطيران، والأمير احمد ابن عبد العزيز نائب وزير الداخلية برتبة وزير، والشيخ تركي ابن خالد السديري رئيس ديوان الخدمة المدنية برتبة وزير، والجنرال عبدالله آل الشيخ نائب وزير للأمن العام في وزارة الداخلية، والأمير بدر ابن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني،والأمير عبدالله الفيصل وكيل في وزارة المعارف وغيرهم كثيرون منبثون في مختلف إدارات الدولة. وفي القوات المسلحة وسلاح الطيران عدد كبير من الضباط من الجيل الثاني من أفراد هذه العائلات المتحالفة.

وقد زاد التنظيم الإداري الجديد من سيطرة آل سعود على المراكز المدنية

لتقبيلة التي لم تؤيدهم قط كجدة ومكة والمدينة وجيزان ونجران والاحساء والقطيف. وكان الولاء للعشيرة لا الكفاءة هو المقياس في التعيينات.

وقد استغل الملك فهد وأخوانه توسع الجهاز الإداري الذي فاق حدود التصور منذ ١٩٧٥ بعد وفاة الملك فيصل لتعيين أنصارهم وتنفيعهم. وفي هذا الجهاز عشرات الألوف ينالون أجراً دون مقابل لأنهم غير مؤهلين للقيام بالوظائف التي انتدبوا إليها. وهذا يشمل الإدارات المدنية والعسكرية الأمنية على السواء كوزارة الدفاع والحرس الوطني والأمن الداخلي.

وصف الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي عندما كان وزيراً للصناعة يعمل في صلب النظام السعودي، تضخم عدد الموظفين والمستشارين واللجان ورتابة عملهم، وتعاليهم على المواطنين، وأسلوبهم العقيم، في مقال تهكمي شرح فيه بكثير من الصدق والدقة واقع الإدارة ونفسية الموظفين، وضياع مسئولية القرار. وفيما يلي تلخيص للمقال.[١٩]

أراد موظف صغير في جهاز ما أن يتمتع بإجازته السنوية فاتفق مع زميل له في العمل على ان يقوم بواجباته اثناء غيابه. وقدم طلباً الى رئيسه المباشر. وهذا رفع الطلب بدوره الى رئيسه حتى وصلت المعاملة الى المسئول عن الجهاز ولنسمه «البيروقراطي الكبير».

البيروقراطي الكبير قرأ المعاملة خمس مرات واستوعبها. ورأى أن لا بد من إحالة القضية الى أحد المختصين فأحالها الى مستشار قانوني لإبداء الرأي وكتب «عاجل» على المعاملة.

درس المستشار المعاملة وشرح عليها بالموافقة وأعادها الى البيروقراطي الكبير الذي رأى من الحصانة الإدارية أن لا يكتفي باستشارة خبير قانوني واحد فأحال المعاملة الى مستشار قانوني ثاني وكتب على المعاملة «عاجل جداً».

درس المستشار الثاني المعاملة وأعادها برأي يخالف بعض الشيء لزميله

المستشار الأول فحوّل البيروقراطي الكبير المعاملة لمستشار ثالث ثم الى الرئيس المباشر للموظف طالب الإجازة الذي شرح على المعاملة بالموافقة على منح الإجازة.

درس البيروقراطي الكبير المعاملة ثم تذكر نصيحة إدارية تعلمها في مؤتمر إداري في ستوكهلم قضى فيه ستة شهور في السنة الماضية. تقول النصيحة «يحسن بالمسئول أن يفاجيء صغار الموظفين بين الحين والحين بالتبسط والمقابلة الشخصية».

أعاد صاحبنا المعاملة بعد أن كتب عليها انه يريد مقابلة الموظفين شخصياً.

في الموعد المحدد وصل الموظفان الى مكتب البيروقراطي الكبير فاستقبلهما مدير المكتب لشئون قفل الأبواب وأحالهما الى مدير المكتب للشئون الدعائية الذي أحالهما الى مدير المكتب للشئون الإدارية الذي أحالهما الى مدير المكتب لما تبقى من الشئون، الذي أحالهما الى السكرتير الخاص الذي يتمتع وحده بحق الإتصال التلفوني المباشر مع البيروقراطي الكبير وأخبره بوجود الموظفين الصغيرين. فأمر صاحبنا بإدخالهما ولما كان السكرتير الخاص بدوره حاد الذكاء فقد فهم المعنى الإصطلاحي لكلمة «حالاً» وأدخلهما بعد ثلاث ساعات من الإنتظار قضياها في صحبة مساعد مدير المكتب لشئون العبوس في أوجه المنتظرين.

دخل الموظفان الصغيران الى مكتب صاحبنا. وفي الوقت ذاته فتح باب ثاني دخل منه مدير المكتب للشئون الدعائية ومعه وكيل المصور الرسمي للمكتب. التقط المصور عشر لقطات للبيروقراطي الكبير مع الموظفين الصغيرين ثم خرج. (في الصباح التالي ظهرت الصور في الجرائد وتحتها تعليق يقول البيروقراطي الكبير يبحث مشاكل صغار الموظفين على الطبيعة).

ولما كانت هذه هي الغاية من استقبال الموظفين الصغيرين فقد صرفهما البيروقراطي الكبير بمجرد خروج المصور.

في تلك الليلة آوى البيروقراطي الكبير الى فراشه. وما ان استغرق بالنوم حتى حلم أنه دخل مكتبه فلم يرَ أحداً من الموظفين لأنهم كانوا كلهم في إجازة.

صحا صاحبنا مرتعباً يلهث، ماذا يحدث إذا غاب جميع الموظفين؟ من سيتولى قبل أبوابي؟ من سيشترك في اللجان التي سيشكلها؟ من سيوزع صوري وأخباري على الجرائد.

في الصباح الباكر وصل البيروقراطي الكبير الى مكتبه ودبج خطاباً الى وكيل الإدارة يطلب تشكيل لجنة برئاسة الوكيل لتنظيم موضوع اخذ الموظفين إجازتهم السنوية ووضع الضوابط الإدارية والقانونية والسيكولوجية المتعلقة بشتى جوانب الموضوع.

شكل الوكيل لجنة من عشرة خبراء برئاسته. واجتمعت اللجنة ٩٩ اجتماعاً دام كل اجتماع حوالي ست ساعات وانتهت الى وضع مشروع لتنظيم الموضوع في مائتين وخمسين مادة.

استلم البيروقراطي الكبير التقرير الضخم مع باقي المعاملة ورأى أنه لا يستطيع البت به وحده فطلب خمس نسخ من التقرير أحال النسخة الأولى الى شعبة الدراسات والإحصائيات والمعلومات والبيانات، وأحال النسخة الثانية الى شعبة البيانات والإحصاءات والدراسات، وأحال النسخة الثالثة الى شعبة الخبراء المحليين وأحال النسخة الرابعة الى شعبة الخبراء الأجانب. اما النسخة الخامسة فأحالها الى مدير المكتب للشئون الدعائية لاختيار مقتطفات من التنظيم ونشرها بعناوين بارزة في الصحف مع صورته.

درست الشعب التنظيم المقترح وأوصت بالموافقة عليه ما عدا شعبة الخبراء الأجانب التي أثارت موضوعاً مهماً هو «ماذا يحدث إذا طلب موظف إجازة سنوية في الوقت الذي يتغيب فيه رئيسه المباشر في إجازة مرضية، ويتغيب وكيل رئيسه المباشر في إجازة استثنائية»؟

رأى البيروقراطي الكبير أن هذه النقطة بالغة الاهمية فشكل لجنة برئاسته مكونة من خمسة وعشرين خبيراً لدراسة الموضوع. ناقشت اللجنة في اجتماعها

الاول موضوع «هل يكتب الموظف طلب الاجازة على ورق ابيض أو مسطر» . وناقشت في اجتماعها الثاني «هل يجوز حرمان الموظف من الاجازة لانه كتب الطلب بقلم الرصاص» . وناقشت في اجتماعها الثالث «هل يجوز للموظف أن يمرض خلال الشهر الذي يسبق اجازته السنوية» . وناقشت اللجنة في الاجتماع الرابع موضوع تبسيط اجراءات منح الاجازة واعتمدت اثنين وثلاثين نموذجاً يملأها الموظف للحصول على استمارة طلب الاجازة .

قبل أن تستكمل اللجنة اجتماعاتها حزم البيروقراطي الكبير حقائبه وطار الى مؤتمر إداري في هونولولو استغرق عشرين يوماً . ثم انتقل الى تاهيتي لحضور ندوة دراسية مدتها ثلاثة شهور .

في أثناء غياب صاحبنا قدم الموظف الصغير طلباً ثانياً الى وكيل البيروقراطي الكبير يطلب الموافقة على منحه الاجازة . فاشر هذا على المعاملة «تؤجل حتى عودة البيروقراطي الكبير أو موت مقدم الطلب ، أيهما أقرب»(ا هـ) .

إن هذه القصة ليست خيالية كما سماها كاتبها بل هي واقعية جداً تمثل وضع الادارة السعودية في الوقت الحاضر . وقد استعان الكاتب ببعض المبالغات ليضفي على القصة جواً طريفاً مسلياً لكن ذلك لا ينتقص من كونها وصفاً صادقاً للاحوال السائدة في إدارة المملكة .

ومع أن آل سعود يعرفون وضع الادارة السائب فإن الاجراء الوحيد الذي اتخذوه كان عزل وزير الاعلام السيد محمد عبده يماني ووكيل الوزارة السيد عبد العزيز الخوجه بموجب امر ملكي مؤرخ في ٢٤ ابريل ١٩٨٣ .

## الرشوات في الادارة

سنتكلم في موضع لاحق عن عمولات الامراء ورشواتهم بحوادث موثقة ومعروفة . وكان من الطبيعي أن تمتد هذه الرشوات من الكبار الى الاصغر

فالاصغر فالناس على دين ملوكهم ، أو حسب المثل الشعبي «السمكة تفسد من رأسها» . وهكذا أصبح الجهاز الحكومي والاداري بكامله فاسداً ، ما عدا استثناءات قليلة . ومن الشائع أنه لا تجري صفقة أو مناقصة أو عقد في أية دائرة من دوائر الحكومة إلا إذا رافقتها دفع للذين يتخذون القرار في الدائرة المعنية . فإذا كان العقد كبيراً بالملايين كان من حصة كبار المسئولين ، وإذا كان متوسطاً تُرك للوكلاء كلّ على حسب قيمته الوظيفية وقربه من الامراء . أما المحرومون من المنفعة فهم صغار الموظفين والكتاب الذين لا يؤثرون في المنح أو المنع .

من أمثلة الرشوة البارزة ما يتداوله الناس عن أعمال مؤسسة رعاية الشباب التي يرأسها الامير فيصل ابن الملك فهد . فقد صرف الامير فيصل على إنشاء النوادي والملاعب في مختلف انحاء البلاد ما يقدره المطلعون بمبلغ عشرين ألف مليون دولار خلال السنوات القليلة الماضية لا تقل العمولة عليها عن خمسة وعشرين إلى ثلاثين بالماية . يضاف اليها العمولة على اتفاقية صيانة النوادي والملاعب وتبلغ خمسة وعشرين بالماية سنوياً من قيمة الانشاءات بحيث شكلت العملة ايراداً سنوياً لا ينتهي .

ويتابع المطلعون قائلين أن الدخل اليومي للدولة السعودية بعد عام ١٩٧٣ بلغ ٣٢٠ مليون دولار . ومع أن المشاريع المختلفة في السعودية تعطى بضعفي ما تكلفه في البلاد المجاورة، فإن مجموع كلفة هذه المشاريع الاقتصادية والعمرانية لا تزيد عن أربعة بالماية من ايرادات البلاد في السنوات العشر الماضية. فأين ذهبت باقي الاموال ؟

وقد كتب الدكتور غازي القصيبي عن الفساد في الادارة واخترع له اسماً جديداً هو «الرشوقراطية» مأخوذاً من الرشوة والبيروقراطية فقال :(٢٠)

توجد داخل الطبقة البيروقراطية طبقة أخرى هي طبقة الرشوقراطية التي تضم الموظفين الذين طوروا أخذ الرشوة إلى فن معقد رفيع .

الرشوقراطي في العادة ، نتيجة لما يمارسه من فساد ، ثري ينعم بمستوى عال من المعيشة . ومن الرشوقراطين من تتجاوز فواتير الكهرباء في منزله راتبه الرسمي بأكمله ، بالاضافة الى ما يملكه من الاراضي والبيوت وحسابات البنوك . ومنهم من يملك ما لا يستطيع أن يحصيه .

والرشوقراطي في العادة شديد الذكاء . وذكاؤه هو الذي يمكنه لا من البقاء في مركزه ، وإنما في التدرج الى وظائف أعلى فأعلى . وذكاؤه هو الذي يمكنه من أن يظل فوق الشبهة ، أو على الاقل بعيداً عن طائلة الانظمة .

والرشوقراطي في العادة شديد النشاط ، بل أن منهم من ينجح في بناء سمعة طيبة كاداري ممتاز لا يمكن الاستغناء عنه . ونشاط الرشوقراطي يجذب إليه صلاحيات أكبر فأكبر فتتسع بذلك دائرة الرشوة المفتوحة له .

والرشوقراطي عادة كثير الحديث عن المبادىء والاخلاق . ويتبع سياسة «الهجوم افضل دفاع» فلا يضمه مجلس الا وتحدث عن الفساد وضرورة التطهير ، وعدد الكثيرين من معدومي الضمائر .

والرشوقراطي في العادة يتمتع باحترام الناس . وهل من المستغرب أن يحظى شخص ثري ذكي نشيط دائم الحديث عن الاصلاح بالاحترام والتقدير ؟

ومن الرشوقراطين من يقنع نفسه بأنه يحسن أوضاعه دون أضرار بالمصلحة العامة على اعتبار أن ما يتقاضاه مأخوذ من أرباح المقاولين لا من ميزانية الدولة . ومنهم من يعمى عن المشكلة الاخلاقية تماماً ويتصرف كما لو كان قبول الرشوة أمراً طبيعياً كشرب الماء والاكل والتنفس (١ هـ) .

## الاستخبارات العامة

بالاضافة إلى الجهاز الاداري العادي يستعين الحكم باجهزة استخبارية مختلفة وظيفتها الاولى حماية آل فهد من أية معارضة داخلية . من هذه الاجهزة

«الاستخبارات العامة» التي تأسست عام ١٩٦٣ وتعمل بالتعاون مع جهاز الاستخبارات الاميركي (سي أي إي CIA) .

تولى إدارة هذا الجهاز منذ تأسيسه الى عام ١٩٧٧ السيد كمال أدهم شقيق الملكة عفت زوجة الملك فيصل إلى أن استبدل عام ١٩٧٧ بالامير تركي بن عبد العزيز الذي كان يشغل أيضاً منصب نائب وزير الدفاع . إلا أنه اكتشفت عمليات تهريب سلاح اشترك بها امراء تبعتها استقالة الامير تركي بن عبد العزيز وخلفه الامير تركي ابن الملك فيصل .

يتكون هذا الجهاز من ثلاثة أقسام رئيسية :

١ ـ قسم الشئون السياسية .

يهتم برصد المعلومات من الدول الاجنبية وبالاخص من الدول العربية .

٢ ـ قسم الشئون السرية .

وهو مسئول عن الامن الداخلي وله ٢٧ فرعاً موزعة على المناطق ولديه منذ عام ١٩٧٩ مركزان رئيسيان للكمبيوتر في جدة والرياض ترتبط بهما الفروع الاخرى . وتراقب المخابرات حالياً نحو مائتي الف سعودي .

يرصد هذا الفرع بأقسامه المختلفة القادمين إلى البلاد ، ويراقب الطلبة والموظفين والمدرسين ووكالات الانباء والقوى السياسية .

ويعد هذا القسم «القوائم السوداء» بأسماء المواطنين المشكوك بولائهم المطلق لآل فهد ، ويراقب السفارات الاجنبية والمتصلين بها كما يراقب الرسائل البريدية والمخابرات التلفونية واتصالات التلكس ، ويداهم البيوت ويعتقل المشكوك بهم .

ويتولى هذا القسم أيضاً القيام بالعمليات ضد المنظمات والافراد المعادين للنظام السعودي .

## السياسة العربية

### التوثب نحو الزعامة العربية والابتعاد عن نهج فيصل .

إن الزرازير لما قام قائمها

توهمت أنها صارت شواهينا

حرص الملك خالد والامير فهد كثيراً في بداية عهدهما على التأكيد أنهما ملتزمان بنهج الملك فيصل وسيتابعان سياسته دون تغيير .

لكن الحقيقة التي ظهرت من التصرفات اللاحقة أن الامير فهد كان مصمماً على إجراء تبديل جذري وسريع في اسلوب الحكم وفي السياستين الداخلية والخارجية . وتجلى ذلك بعدة دلائل . منها التخلي عن الرجال الذين تعاونوا مع الملك فيصل في جميع المجالات واقصاؤهم . وكان منهم سعوديون وعرب يعدون بالمئات . وإذا كان المجال لا يتسع لتعدادهم فإننا نذكر اثنين من السعوديين هما السيد كمال ادهم اخو الملكة عفت زوجة الملك فيصل الذي كان مسئولاً عن المخابرات في المملكة وعن العلاقات مع مصر واليمن . وقد أحيل إلى التقاعد بتاريخ ٢١ يناير ١٩٧٩ .

اما الشخصية الكبيرة الثانية فهو مستشار الملك فيصل الدكتور رشاد فرعون الذي رافقه منذ خلافه مع الملك سعود في بداية الستينات الى حين وفاته فأصبح من أكثر رجال الدولة اطلاعاً على سياستها وملماً بدقائقها وهو بحق رجل دولة من طراز رفيع ليس بني آل سعود من يماثله بالخبرة والحنكة السياسية . وقد تعرض الدكتور فرعون لحادث صحي وأراد الراحة من العمل لكن الملك خالد أصرّ عليه واستبقاه الى جانبه حتى وفاته . وبعدها صار الدكتور فرعون يمضي اكثر أوقاته خارج المملكة فكان ذلك اشارة واضحة الى انفصال الملك فهد كلياً عن سياسة الملك فيصل .

تابع الملك فهد ابعاد الاعوان المخلصين للملك الراحل فأقال وزير الصحة الدكتور غازي القصيبي في شهر مارس ١٩٨٤ كما سنشرح في الفصل الرابع عشر . ثم أصدر أمراً في بداية شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥ باقالة السيد احمد عبد الوهاب رئيس التشريفات الملكية الذي عينه الملك فيصل وشغل هذا المنصب بتفاني واخلاص .

وهكذا تستمر عملية التخلص من الاكفاء في الوزارة والادارة الذين يرفضون التستر على عمليات الرشوة والعمولات .

ومما يستوقف النظر أن الملك فهد يعمد الى إقالة الذين يعترضون على مسيرته فيضيف الاهانة الشخصية الى الاساءة .

مع زوال الهيبة التي مارسها الملك فيصل على أخوته وسائر آل سعود (فلت الملق) حسب التعبير الشامي أي ضاعت المسئولية بعد وفاته وانطلق العديد من آل سعود على سجيتهم وعاد المجون والاسراف كما كان على عهد الملك سعود ، وعاد العالم المتمدن يتحدث عنهم بالاستهجان والازدراء .

من مظاهر ذلك ممارسة القمار والجنس التي أشرنا إلى بعض حوادثها في البلاد الاجنبية ، وبناء القصور الباذخة وما يرافق كل ذلك من اسراف وتبذير .

أضف إلى ذلك عنصر الغرور . فقد ارتفعت اسعار البترول بعد سقوط شاه ايران من ١٣ دولار للبرميل في يناير ١٩٧٩ الى ٢٨ دولاراً في أبريل ١٩٨٠ فتضاعفت ايرادات الدولة السعودية وتراكضت الدول الاوروبية واليابان تتزاحم للحصول على حاجتها وعلى عقود المشاريع الضخمة . وفجأة وجد آل فهد ملوك العالم ورؤساءه يتزلفون اليهم فامتلأوا غروراً وظنوا أنهم صاروا في مصاف الدول الكبرى . ويذكر المؤلف أنه كان في الرياض أثناء زيارة ملكة بريطانيا وزوجها للظهران عام ١٩٧٩ وسمع في مجلس احد الامراء تبجحاً من الحاضرين بأن الملكة اضطرت الى لبس فستان بأكمام طويلة مراعاة للتقاليد السعودية واعتبر الحاضرون هذه اللياقة الملكية بمثابة انتصار على بريطانيا !

من أهم الدلالات على ابتعاد آل فهد عن نهج الملك فيصل توثبهم نحو الزعامة العربية .

لقد كان الملك فيصل حكيماً وواقعياً «عرف حدّه فوقف عنده» بالنسبة للسياسة الخارجية . لكن التهافت الغربي على البترول وعلى عقود الانشاءات الضخمة ملأ رؤوس الحاكمين في عهد آل فهد بالغرور فتوهموا أن القوة المتأتية عن حاجة العالم للبترول وعن المال الكثير الذي أصبح بحوزتهم يكفي لتغطية الضعف الكياني الاساسي والدائم الملازم لوضعهم . وظنوا أن هذه الحاجة العالمية ستستمر وتعزز نفوذهم الى الابد .

وهكذا بدأ الملك فهد يحلم بزعامة عربية خصوصاً بعدما خاصم العرب مصر ، وتورط العراق بالحرب مع ايران ، وانشغلت سوريا بعدائها لاسرائيل وبالمشكلة اللبنانية .

يقول روبرت لاسي(٢١) أن ولي العهد الامير فهد تسلط فعلياً على السياسة الخارجية بعد اغتيال الملك فيصل وكان متشوقاً ليزيد في المجد الذي حققه سلفه في المجال العربي والاسلامي .

## شروط الزعامة

للزعامة العربية شروط ضرورية لا تقوم بغيابها ، وتستلزم وجود معطيات معينة في أوضاع البلاد وفي شخصية الحاكم .

يميز الاستاذ حسنين هيكل بين رئاسة الدولة والزعامة فيقول «أن رئاسة الدولة سلطة ، وأما الزعامة فهي دور . وإذا توقف إداء الدور فإن دعوى القيادة التي تترتب عليه تفقد حقها في أن تقود» .

من أول شروط الزعامة أن تكون الدولة التي تطمح إليها ذات تاريخ ثقافي

رفيع ، وأن تكون ، في حقبة تاريخية معينة ، قد شكلت مركزاً حضارياً يفخر العرب بانجازاته ، وأن تكون مارست زعامة تاريخية واضحة .

وليس للسعودية شيء من هذا منذ انتقال الخلافة الى دمشق في منتصف القرن السابع ميلادي .

الشرط الثاني للزعامة العربية هو ارتكازها على شعب متحضر عامل ونشيط . ولا يمكن وصف سكان السعودية بهذه الصفات فهم في بداية انتقالهم من عصر البداوة .

والشرط الثالث كثافة سكانية تنمي الاقتصاد وتعزز الجيش وتشكل وزناً في المعادلات الاقليمية . وليس هذا متوفرا في البلاد السعودية .

والشرط الرابع تمتع السكان بمستوى علمي متفوق بالنسبة لمحيطها يشكل امتداداً لتاريخها الحضاري السابق ، تتطلع اليه الشعوب العربية باعجاب وتنهل من منابعه . لكن السعودية لا تزال في طور الخروج من الامية .

والشرط الخامس وجود اقتصاد قوي يعزز اهداف الدولة السياسية . ومع أن السعودية تمتعت منذ ١٩٧٣ بايرادات مالية ضخمة ، فيجب أن لا يغرب عن بالنا أن اقتصادها يعتمد على مورد واحد هو البترول ، وأن هذا المورد معرض للهزات كما حدث فعلاً منذ عام ١٩٨١ ، وأنه منحة طبيعية لا يعتمد على كدّ المواطنين وقدرتهم على الانتاج لذلك فهو يشكل قوة موقتة قد تنهار فجأة إذا نقص الطلب العالمي للبترول لسبب من الاسباب ، وإذا أوجد العلماء بديلاً عنه ، وهم جادون بذلك .

الشرط السادس وجود جيش قوي يهابه الجوار . وسنرى في فصل لاحق أن الجيش السعودي ليس بهذا المستوى ولا ينتظر أن يبلغه نظراً للغايات المتنافسة التي تحيط بتركيبته رغم الاموال الهائلة التي تصرف عليه .

الشرط السابع للزعامة العربية قيام حكم عصري متحضر . ولا يمكن القول

أن حكم آل فهد يتمتع بهذه الصفات .

الشرط الثامن للزعامة التفاف شعبي ومساندة عامة لمواقف الزعيم وسياسته ، وتفهم لاهدافه الوطنية وما يسعى اليه . وهذا يقتضي تجاوب مستمر بين الزعيم وشعبه ، بل بين الطامح الى الزعامة العربية وبين الشعوب العربية ولا يمكن القول أن هذا التجاوب قائم بين الملك فهد ومحيطه العربي .

الشرط التاسع والاخير للزعامة العربية يتعلق بشخصية الحاكم لا بأوضاع البلد . إذ مهما كانت أوضاع البلد مؤاتية فإن الزعامة لا تنقاد إلى طالبها بسهولة لأنها تحتاج الى عزم وتصميم ، وإلى إرادة وطنية واضحة ، وشخصية تفرض احترامها على الآخرين وتحدد أهدافها وتعرف ما تريد وتسعى الى أغراضها بمثابرة ، وتكون قادرة على الانفاق لتحقيق سياستها .

وليس لآل فهد الحاكمين شيء من هذا إلا القدرة على الانفاق . فالارادة الوطنية والشعبية اللازمة لدعم مسيرة الحكم مكبوتة ، وشخصية الملك فهد لا تحظى باحترام الشعوب العربية نظراً لما يتردد عن حياته الخاصة ، وهو يفتقر إلى العزم والتصميم والجدية في العمل ، ويتحاشى توضيح أهدافه وإلى أين يريد أن يقود العرب هذا إذا كان لديه تصور معين للمستقبل العربي .

تبقى القدرة على الانفاق العنصر الوحيد الذي يعتمده آل فهد للتوصل الى الزعامة . ويقول روبرت لاسي في كتابه «المملكة» أن الملك فهد من المؤمنين بسياسة «دفتر الشكات» ، وقدرة الدولارات على اكتساب الاصدقاء، وعزل الاعداء ، وفض النزاعات (٢٢) . ويعتقد آل فهد أن كل صعوبة تُذلل بدفع المال ، وأن لكل موقف ثمن ويتصورون أنه بهذا يستطيعون أن يشتروا زعامة العرب كما اشترى والدهم ولاء القبائل .

لكن هذه السياسة فشلت وانقلبت عليهم . وبدلاً من أن يكون مالهم أداة يعملون بها الحكام الآخرين على تنفيذ أهدافهم ، إذ كان لسياستهم أهداف

عربية ، انقلب الوضع فصاروا يدفعون الاموال الضخمة خوّة للزعماء المتندرين في العراق وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها دون أن يكون لهم أي تأثير في السياسات العربية والدولية لهؤلاء الزعماء .

## مواقف سعودية

لسنا في صدد بحث السياسة السعودية العربية فذلك يستحق كتاباً خاصاً قد نصدره عما قريب. ونكتفي الآن بعرض بعض محاولات الدولة السعودية للتزعم بعد وفاة الملك فيصل.

## السعودية ولبنان

تدخلت السعودية في الحرب القائمة في لبنان فدعت الى مؤتمر عقد في الرياض سنة ١٩٧٦ تقرر بنتيجته إرسال قوات عربية مشتركة لحفظ الأمن وإعادة الإستقرار. واعتُبر المؤتمر نجاحاً للسياسة السعودية.

ساهمت المملكة السعودية بهذه القوات. لكنها بعد فترة قصيرة سحبت قواتها تحت ضغط إحدى الدول التي تقبض من السعودية أموالاً سنوية كثيرة واستمرت الحرب اللبنانية الى الآن مسجلة فشل المبادرة السعودية.

## اتفاقية كامب دافيد والتحول الرئيسي في القضية الفلسطينية

انقسمت الدول العربية بسبب اتفاقية كامب دافيد التي وقعها الرئيس السادات مع اسرائيل برعاية الولايات المتحدة واستعاد بموجبها جميع الأراضي المصرية التي احتلتها اسرائيل بحرب ١٩٦٧ لقاء اعتراف مصر بالدولة الإسرائيلية ونبذ الحرب بينهما وإقامة سلام وعلاقات دولية سياسية وتجارية اعتيادية بين البلدين. ويعني هذا تخلي مصر رسمياً عن الخيار العسكري في قضية فلسطين.

تكمن أهمية كامب دافيد بالدرجة الأولى في ان الدولة العربية الكبرى طرحت على العرب لأول مرة، وخصوصاً على العرب المجاورين جغرافياً لإسرائيل والمعنيين مباشرة بالعلاقة معها، الأسئلة التالية:

اولاً - ما هي الأولوية في سلم القضايا الوطنية لكل بلد، هل هي سلامة الشعب والوطن واستعادة الأراضي والثروات المفقودة وتوجيه الجهود للبناء والإعمار ورفع مستوى الشعب في ظل السلام، ام الأولوية هي للقضية الفلسطينية التي يجب رفعها الى مستوى أعلى من كل قضية وطنية أخرى ويجب أن تكرس لها الجهود والموارد والأرواح.

يتبع ذلك سؤال آخر. ما هي مسؤولية الحاكم العربي الأولى، هل هي تجاه شعبه وبلده اولاً، أم هي تجاه فلسطين والفلسطينيين وقد تتعارض المسؤوليتان في كثير من الأحيان؟

ثانياً - في حال وضع القضية الفلسطينية فوق المصلحة الوطنية لكل بلد يبرز السؤال المتعلق بالأسلوب: هل الحرب هي الأسلوب الوحيد لاستعادة ما يمكن من الحقوق الفلسطينية كما قضت اللاءات الثلاث الشهيرة لمؤتمر الخرطوم الذي عقد بعد حرب ١٩٦٧، أم هل يعتبر العرب أن أربع حروب غير ناجحة (١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ و١٩٧٣) تكفي لحملهم على التفكير بأسلوب آخر للتعامل مع اسرائيل؟

ثالثاً - من يقرر السلام أو الحرب للدول العربية، هل هي مؤتمرات القمة، أم دول المواجهة، أم منظمة التحرير التي تعلن «استقلالية قرارها» وتدافع عنه.

وماذا تعني «استقلالية القرار»؟ هل تعني أن منظمة التحرير هي وحدها التي تختار أسلوب الحرب أو السلم وإن على باقي الدول العربية أن تتبع قرارها أو تنجّر الى الحرب وراءها إذا اختارت المنظمة الحرب؟ وهل المنظمة هي التي توقّت للدول العربية متى يجب أن تحارب وأين وكيف؟

رابعاً - هل تتساوى في مسؤولية القرار بشأن فلسطين الدول المجاورة لإسرائيل التي تتحمل أعباء القتال إذا نشب، مع الدول العربية البعيدة جغرافياً والتي تقتصر جهودها في أحسن الأحوال على دفع المساعدات وإسداء النصح والمشاركة الرمزية بالحروب؟

لقد صدرت مئات الكتب وآلاف الصفحات عن القضية الفلسطينية في الخمسين سنة الماضية وعقدت مئات المؤتمرات الحكومية والشعبية فلم يبحث أحدها العلاقة والمسئولية بين العرب حكاماً وشعوباً وبين الفلسطينيين، ولم يحدد أحدها إلى أية درجة تريد أو تستطيع الدول العربية مساعدة الفلسطينيين، وما هي المساعدة، حجماً ونوعاً، التي يستطيع الفلسطينيون انتظارها ليتصرفوا بموجبها. وأهم من كل ذلك بنظرنا، لم يتعرض أحد منها للمواضيع الأساسية التي أثرناها.

ويبدو أنه ساد تفاهم ضمني بين السياسيين العرب والفلسطينيين على إحاطة الموضوع بالضباب والغموض لأن احتلال الصهيونية لفلسطين يثير في الشعوب العربية مشاعر وطنية ودينية يستغلها السياسيون لأغراض داخلية كلها بالغلو بالتطرف. ولا يضير الفلسطينيين هذا التسابق العربي الكلامي على نصرة قضيتهم لأنه يلزم الحكام العرب ببعض ما صرحوا ووعدوا به.

لقد استمر هذا الغموض، حتى لا نقول التكاذب، من ايام الملكين فاروق وعبدالله والرئيس شكري القوتلي والحاج امين الحسيني قبل حرب ١٩٤٨ الى الآن. واعتادت الشعوب العربية عليه واعتبرته الوضع الطبيعي حتى جاءت اتفاقية كامب دافيد تكشف الغموض وتحرج المتواطئين عليه وتجبر المعنيين على تحديد مواقفهم.

مهما كان الراي في اتفاقية كامب دافيد فإنها كشفت المواقف. ولم تكتف بطرح الأسئلة التي اوردناها بل أثارتها وأعطت الأجوبة عليها وحلّتها بعملية واحدة

مفاجئة على غير ما اعتاده الرأي العام العربي من التغطية والستر والكلام السياسي المزدوج.

ما هي المبادىء التي تضمنتها اتفاقية كامب دافيد؟

أولاً ـ المبدأ الأول هو أن مصلحة الشعب المصري وسلامة الوطن والأرض المصرية تتقدم على القضية الفلسطينية وعلى مصلحة الفلسطينيين فإذا تعارضتا يُضحى بالمصلحة الفلسطينية.

ثانياً ـ المبدأ الثاني أن مصر وحدها هي صاحبة القرار فيما يتعلق بمصيرها لا مؤتمرات القمة العربية ولا منظمة التحرير الفلسطينية، ولا اسطورة التضامن العربي والمصير العربي المشترك، وإن الشعب المصري يرفض تسخير اقتصاده لشترى اسلحة للحرب مع اسرائيل، ويرفض ايضاً التضحية بأبنائه في حروب لا نهاية لها، واصبح ينشد السلام مع جيرانه ليتفرغ لبناء بلاده. لذلك تخلت مصر نهائياً عن الحل العسكري ولجأت الى السلام.

لقد صدمت اتفاقية كامب دافيد والصلح مع اسرائيل شعور الشعوب والحكومات العربية وجزء من الشعب المصري وأدّت الى اغتيال الرئيس انور السادات. لكن المبادىء التي تضمنتها بقيت تتفاعل في ضمير الناس وفي مصير القضية الفلسطينية.

## ماذا كان موقف السعودية من الإتفاقية

أوضح الأمير فهد ولي العهد موقف بلاده في تصريح بشهر اكتوبر ١٩٧٨ قال فيه «إن الحكومة السعودية لا تناقش حق كل دولة باستعادة أراضيها المحتلة بأية طريقة تختارها سواء عن طريق السلم أو الحرب. لكنها تعارض أية دولة عربية تعمل وحدها لحل مشكلة مشتركة كالقضية الفلسطينية».

لكن بعض الدول العربية ومنظمة التحرير لم تقبل بهذا الرأي فدعت الى

عقد قمة عربية لمناقشة الموضوع بهدف إصدار قرار بمعاقبة مصر لأنها رضيت بحل سلمي مع اسرائيل.

خلال هذا الحوار، أصدر الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية بياناً يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٧٨ يوضح موقف بلاده فقال: «إن الغرض من مؤتمر القمة ليس عزل مصر بل إعادة الثقة بين الدول العربية لخدمة القضية العربية». وأضاف: «إن عزل مصر لا يمكن أن يتم لأنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن الشعب المصري ينتمي الى الأمة العربية، ولأن مصر تشكل جزءاً لا يتجزأ من هذه الأمة. لذلك، وبصرف النظر عن مساعي مصر المنفردة بقضية الشرق الأوسط، فإن الرغبة بعزلها لا تخدم القضية العربية بل بالعكس فإنها تضعفها. إن هدفنا من اجتماع القمة هو تجميع القوى العربية في خدمة قضيتنا الأساسية بدلاً من تشتيتها».

اجتمع مؤتمر القمة العربي في بغداد من ٣ - ٥ نوفمبر ١٩٧٨ فتقرر رفض اتفاقية كامب دافيد ودعا مصر الى عدم توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل. لكن الرئيس انور السادات لم يستجب لهذا النداء ووقع الإتفاقية يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ فاستعاد بموجبها جميع الأراضي التي احتلتها اسرائيل بحرب ١٩٦٧ وضمنها آبار البترول في السويس وسيناء، وأعاد فتح قناة السويس التي تدرّ على البلاد عوائد وفيرة. لكنه في الوقت نفسه أخرج مصر من الصراع العربي - الإسرائيلي داعياً العرب الى حل القضية الفلسطينية بالتفاوض مع اسرائيل لعدم جدوى الخيار العسكري برأيه.

لم تقبل أكثر الدول العربية بهذا الرأي في ذلك الوقت فدعت الحكومة العراقية وزراء الخارجية لمؤتمر عقد في بغداد يوم ٣١ مارس تقرر فيه مقاطعة مصر سياسياً وإقتصادياً، وقطع المساعدات المالية العربية عنها، ونقل الجامعة العربية منها. ورفضت سلطنة عمان والسودان هذه القرارات لكن الحكومة السعودية لم تجرؤ على اتخاذ موقف مماثل بل انساقت مع التيار مع أنه يتناقض مع سياستها السابقة المعلنة، متخلية عن حليفتها الأولى ضمن المجموعة العربية التي كانت

تعتمد عليها لحمايتها من جوارها. وليس هذا التقلب من صفات الزعامة.

وقد تردد أن الموقف السعودي الجديد نتج عن انقسام حاد في العائلة المالكة بين من أرادوا الإحتفاظ بعلاقات ودية مع مصر ومثّل هؤلاء الأمير فهد، وبين من رأوا السلامة بالانضمام الى «المتطرفين» وكانوا بقيادة الأمير عبدالله رئيس الحرس الوطني. وقد فرض هذا الفريق رأيه.

## مشروع الأمير فهد

كان استغلال القضية الفلسطينية وما تثيره من عواطف شعبية المجال المفضل للحكام العرب للبروز الى واجهة الأحداث فلمّ لا تستغل السعودية هذا الموضوع أسوة بغيرها فتكسب شعبية وتتحدث عنها المنتديات الدولية؟

وهكذا برز عام ١٩٨٢ المشروع السعودي الذي عُرف بإسم «مشروع الأمير فهد لحل القضية الفلسطينية». وحرصت السعودية على التشاور حوله مسبقاً مع أكثر الدول العربية وخاصة مع سوريا والسيد ياسر عرفات الذي وعدها بتأييده. كذلك ظنت أنها حصلت على موافقة سوريا وليبيا والجزائر.

ثم اجتمع وزراء خارجية الدول العربية للتحضير لمؤتمر القمة. وعرض عليهم «مشروع الأمير فهد» فإذا بسوريا وغيرها تعارضه، وانحاز السيد ياسر عرفات الى المعارضين رغم موافقته السابقة فتراجعت السعودية تراجع القهقري وتنصل الأمير فهد معلناً أن المشروع ليس مشروعه، وأنه عرضه بإسم العرب ليناقشوه وهو لا يتمسك به.

بعدها أجرى عليه الوزراء تعديلات ترضي الجميع فأقره مؤتمر قمة فاس بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٨٢ بعد أسبوع من إعلان مشروع الرئيس ريغان، وعرف بعدئذٍ بإسم «مشروع فاس» وخسر الأمير فهد الشهرة والمكانة التي كان ينشدها من مشروع حمل إسمه ثم تخلى عنه فانتزعوه منه وحرموه من بريقه.

ويدعي بعض المعارضين أن الملك فهد اجتمع في اسبانيا بشهر يونيو ١٩٨٢ قبل مؤتمر فاس بوزير الدفاع الإسرائيلي أرييل شارون، وأنه في ذلك الوقت قبضت السلطات الإسبانية على السيد جورج كوركولد وهو موظف سابق في (أي. سي. أي) ICA أرسله العقيد معمر القذافي لاغتيال الملك فهد. ولا يمكن التوثق من هذه الأخبار نفياً أو ثبوتاً.

## حرب الخليج

بعد فترة قصيرة من انعقاد مؤتمر بغداد وسقوط شاه إيران، هاجم العراق إيران وبدأت حرب الخليج التي لا تزال مستمرة. وانقسمت الدول العربية تجاه هذه الحرب فأكثرها يناصر العراق أما سوريا وليبيا فتناصران إيران. وقد قطعت سوريا أنابيب بترول العراق فأصابته بضرر بليغ.

من مهازل السياسة السعودية أن آل فهد لا يجرأون على التصريح في أي جانب تقع المصلحة العربية، ومع أي فريق يقفون فهم يمولون العراق وسوريا على السواء والبلدان يتبعان سياستين متعاديتين. وليس هذا المسلك من صفات الزعامة.

ومع ذلك فقد حشرت السعودية نفسها بالوساطة بين العراق وإيران عن طريق المؤتمر الإسلامي والمجموعة الخليجية فلم تكن وساطتها مقبولة عند الإيرانيين.

## الوساطة بين المغرب والجزائر

في مجال آخر تنطحت السعودية للتوسط بين المغرب والجزائر حول قضية الصحراء المغربية والبوليساريو وتولى الوساطة ولي العهد الأمير عبدالله ابن عبد

العزيز الذي سافر مرات عديدة الى البلدين خلال السنوات الثلاث الماضية فلم يحصل على نتيجة.

## محاولة الهيمنة على دول الخليج

تغطية لهذا الفشل المتلاحق وجه آل فهد جهودهم لدول التعاون الخليجي آملين أن يبسطوا نفوذهم على المنطقة بشكل واضح. لكن مساعيهم خابت لما قاومت الكويت محاولات الهيمنة ورفضت توحيد أجهزة الإستخبارات تحت الإشراف السعودي، وتبعت سياسة خارجية مستقلة في علاقاتها مع الدول الشيوعية، كما تمسكت سلطنة عمان باتفاقاتها الدفاعية مع الولايات المتحدة، وتعثر توحيد القوات المسلحة الخليجية تحت قيادة سعودية بعدما رفض السلطان قابوس عقد معاهدة دفاع بين دول الخليج أو إنشاء «قوات تدخل سريع خليجية» (رويتر ١٤ مايو ١٩٨٥).

## السعودية وقوات التدخل السريع

إن الأميركيين أكثر الناس إطلاعاً على تكوين القوات المسلحة السعودية وعلى كفاءتها الحقيقية لأنهم هم الذين ينظمونها ويدربونها ويزودونها بأكثر اسلحتها وقطع الغيار. وقد تصرفوا بشكل يدل على عدم ثقتهم بقدرتها على الإضطلاع بمهمات عسكرية.

حدث ذلك عندما بدأت الحكومة الأميركية تسعى سنة ١٩٨٢ للتعاون مع قوة محلية للدفاع عن منطقة الخليج ضد أخطار الإضطراب في إيران والإمتداد الشيوعي السوفياتي في افغانستان.

وكان من الطبيعي والمنتظر أن تتجه الولايات المتحدة الى الدولة الكبرى في المنطقة صديقتها المملكة العربية السعودية.

لكننا رأيناها خلافاً لذلك، تتجه نحو الأردن البعيد نسبياً عن الخليج فتتفق مع الملك حسين على تدريب قوة أردنية خاصة للتدخل في تلك المنطقة تتولى الولايات المتحدة نفقات تجهيزها ونقلها عندما تستدعي الظروف. (عاد الملك حسين سنة ١٩٨٤ فرفض الإشتراك بهذه القوة احتجاجاً على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط لكنه استمر بإجراء مناورات سنوية مشتركة مع الأميركيين كان آخرها بتاريخ اول يوليو (تموز) ١٩٨٥).

ويتساءل العرب: كيف استطاعت المملكة الأردنية الهاشمية وهي من أفقر الدول العربية، أن تنشيء جيشاً قوامه نحو ثمانين الف ضابط وجندي بميزانية تبلغ نحو اربعماية مليون دولار سنوياً أصبح من أفضل الجيوش العربية تدريباً وفعالية، في حين لم تستطع المملكة العربية السعودية أن تدرب تدريباً حسناً جيشاً من خمسة وثمانين الفاً بميزانية زادت عن ثلاثة وعشرين الف مليون دولار.

وتتجلى المفارقة اكثر لما نرى الضباط الأردنيين يدربون جيش سلطنة عمان ضد الثوار الماركسيين في ظفار ويتصرون عليهم، ويدربون جيش الإمارات العربية المتحدة. وكان الأولى بجيش السعودية أن يحارب الماركسيين ويدرب جيوش الجوار. فلماذا استطاع الملك حسين أن ينجح فيها فشل به آل سعود مع أن عناصر الجيشين من اصل مشترك. إنها اسئلة محيّرة لم نجد لدى آل فهد تفسيرا لها.

إن انسحاب الأردن من مشروع «قوات التدخل السريع» لم يعطله لأنه مشروع دفاعي شمل منطقة واسعة ضمت مصر والسودان والصومال وكينيا وسلطنة عمان. وتجري مناورات مشتركة بين قوات هذه الدول وقوات أميركية في فترات منتظمة كان آخرها في شهر اغسطس ١٩٨٥ شملت جميع البلاد التي ذكرناها عدا السودان الذي اعتذر بعدم استعداد جيشه بعد الإنقلاب على الرئيس النميري يوم ١٦ ابريل ١٩٨٥.

ليس بين هذه البلدان بلد خاضع للسيطرة العسكرية الأميركية ولتغلغل

الأميركيين في صميم اجهزتها القتالية كالدولة السعودية حتى ان الصحف الأجنبية أفادت أن الأمير سلطان وزير الدفاع وافق على تخزين الف دبابة اميركية بين عامي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ لتكون تحت تصرف قوات التدخل السريع الأميركية*

ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ ٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥ عن مسؤول اميركي رفض ان يذكر اسمه ان السعودية ابلغت الولايات المتحدة استعدادها للسماح للجيش الأميركي باستعمال القواعد السعودية في حال حصول عمل عسكري سوفياتي في الخليج.

وسئل الناطق بإسم وزارة الخارجية الأميركية السيد برنارد كالب عن هذا الأمر فأوضح أن عرض الرياض الذي يشمل تمكين الأميركيين من استعمال القواعد السعودية في حال نشوب أزمة خطيرة في الخليج لا يستطيع السعوديون أن يراجعوها، أُبلغ أخيراً الى الكونغرس الأميركي عن طريق السيد وليم شنيدر مساعد وزير الخارجية الاميركية لشئون المساعدات الأمنية الذي أعد تقريراً سرياً عن العلاقات بين البلدين.

ومع ذلك فالسعودية تدعي مقاومة مشروع «قوات التدخل السريع» المعدة أساساً للدفاع عن الخليج وعن منطقة البحر الأحمر وعن السعودية نفسها من اعتداءات خارجية. وحكام السعودية في هذا الرفض يمارسون سياسة باطنية لأنهم بعدما استجدوا الحماية الأميركية لنظامهم ولأسرتهم وحصلوا عليها ظنوا أنهم صاروا يستطيعون التظاهر بالإبتعاد عن السياسة الأميركية إرضاء للناقمين عليها.

ثم بدأوا يحاولون التقرب من الإتحاد السوفياتي فأرسلوا الأمير فيصل ابن الملك فهد، رئيس مؤسسة رعاية الشباب واللجنة السعودية الأولمبية، الى موسكو يوم ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٥ ليشهد فيها مباراة لفريق كرة القدم السعودي فاستقبله عدد من المسؤولين السوفيات. ثم اجرى اتصالات وحوار بصدد العلاقات

* مجلة الشرق الجديد، ابريل ١٩٨٣ نقلاً عن مجلة انترناشينال ريفيو اللندنية.

بين البلدين مع السيد فلاديمير بولياكوف مدير دائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية ومع السيد جورجي كورنيتكو النائب الأول لوزير الخارجية، قال عنها الأمير فيصل أنها كانت «جيدة الى أقصى حد».

ولا تخفى هذه الإزدواجية الواضحة على الشعوب العربية.

## سلطنة عمان بدل السعودية

يتبع آل فهد سياسة عربية وخارجية تقوم على الخوف والخوف يدفعهم إلى محاولة استرضاء جميع الاطراف سواء كانوا أصدقاء أو خصوماً. ووسيلتهم الفضلى هي «دفتر الشيكات». لذلك فهم لا يعادون ولا يصادقون، ويقولون أنهم يسيرون وراء الاكثرية العربية أينما اتجهت. إنها سياسة «اللاموقف» المائعة.

وصف السيد ناصر السعيد هذه السياسة بقوله: «قل ما لا تفعل، وافعل ما لا تقول... واضحك على الجماعة تكتفي شر الاذاعة (العربية)... وإذا هبت العاصفة فلا تقف بل سر معها ليتطاير منك التمل ولا يدفنك الرمل. ولكي تصبح بريء الذمة وافق على كل مقررات القمة... وإن أردت أن تصبح قائد العرب المتنفذ، فقل ولا تنفذ»(*).

إن بلداً هذه سياسته لا يمكن أن يكون موثوقاً من حلفائه. وقد اعتقدت الولايات المتحدة فترة من الزمن بعد اغتيال الملك فيصل أن السعودية ستكون حليفتها الكبرى في المنطقة إلى أن اكتشفت أنه لا يمكن الركون الى حكامها الذين يزوغون كالزئبق في كل اتجاه فتحولت عنهم عملياً لا ظاهرياً إلى سلطنة عمان حيث وجدت حاكماً يعرف ما يريد، ويُقدم إذا اقتضت مصلحة بلده دون أن يلقي بالاً إلى قول الاخرين.

استولى السلطان قابوس بن سعيد على الحكم من والده عام ١٩٧٠ بعد انهاء دراسته في كليات بريطانيا. وبدأ يعمل على النهوض ببلده فتصدت له حركة

* السعيد، ناصر، تاريخ آل سعود، ص ٦٣٨.

ماركسية في منطقة ظفار تزيدها اليمن الجنوبية وأشغلته بثورة دامت خمس سنوات حتى تغلب عليها بمساعدة عسكرية من انكلترا وشاه ايران والاردن . ولا يزال نحو ألف بريطاني عسكري يخدمون في سلطنة عمان ، كما لا تزال الشركات البريطانية صاحبة الحظ الاوفر في الحصول على عقود التنمية الاقتصادية . وقد رأينا في الفصل الثالث تأصل العلاقة العمانية ـ الانكليزية منذ القرن الثامن عشر .

ازدادت أهمية عمان الستراتيجية بالنسبة للغرب بعد ثورة الامام الخميني واحتلال السوفيات لافغانستان . كما ازداد إدراك العمانيين للخطر الذي اقترب منهم بعدما أعلن الامام الخميني نيته بتصدير ثورته إلى البلاد المجاورة .

وكان السلطان قابوس قد أظهر استقلاله بالرأي ، وقدرته على مقاومة التيار ، عندما وقف وحده بين جميع حكام الجزيرة العربية يؤيد حتى الرئيس أنور السادات بعقد معاهدة كامب دافيد وانهاء الاحتلال الاسرائيلي لسيناء باعتبار أن مصلحة الوطن المصري بالنسبة للمصريين تتقدم على مصلحة وطن الاخرين . واستمرت العلاقات بين البلدين على طبيعتها . ويشعر العمانيون بجدية الخطر السوفياتي على بلادهم وعلى المنطقة . فحملتهم الاهداف المشتركة على توقيع اتفاق مع الولايات المتحدة في شهر يونيو ١٩٨٠ أعطاها تسهيلات في أربع قواعد عسكرية في جزيرة مصيرة ، وشبه جزيرة مسندام ، وفي منطقة سيب وثمريت ، لقاء تعهد اميركي بالحفاظ على استقلال السلطنة والدفاع عنها ، وصرف مبلغ ٢٦٠ مليون دولار لتحديث القواعد العسكرية الاربع . وسينتهي العمل في هذه القواعد بخريف عام ١٩٨٦ .

تأكيداً للاهمية الستراتيجية المتزايدة لسلطنة عمان بنظر الادارة الاميركية أدلى الجنرال واتس الاميركي بشهادة أمام لجنة فرعية في الكونغرس الاميركي بتاريخ ٢١ مارس ١٩٨٥ قال فيها :(*) إن العمل في القواعد العسكرية اللازمة لقوات التدخل السريع قد شارفت على الانتهاء في كينيا والصومال وسلطنة عمان ، وأن

---

* New York Times, March 25, 1985, p. 1.8.

عمان أصبحت القاعدة الرئيسية للدفاع عن منطقة الخليج . وشدد على أهمية عمان التي تسيطر على مضيق هرمز حيث تمر السفن المحملة بالبترول . وقال أن بلاده حازت على حق تخزين المعدات العسكرية وقطع التبديل والبترول في القواعد العسكرية العمانية لاستعمال «قوات التدخل السريع» عند الحاجة . كما يستخدم الاسطول الاميركي في البحر الهندي واسطول الشرق الاوسط جزيرة مصيرة للتزود بما يلزمه . وتستعمل الطائرات الاستكشافية المطارات العمانية لمراقبة الغواصات في مياه الخليج ، وتجري مناورات مشتركة بين قوات البلدين .

خلال ذلك ، وبعدما قضت الحكومة العمانية على ثورة عمان في اواسط السبعينات ، بلغت نسبة النمو الاقتصادي السنوي عشرين بالمائة لنحو مليونين من السكان ، وهو تقدم كبير باعتبار أن البلاد لا تنتج كميات مهمة من البترول كجوارها . (بلغ انتاجها نحو نصف مليون برميل يومياً في أواخر ١٩٨٥) .

إن الوضوح في مواقف السلطان قابوس في مقابل «اللاموقف» عند آل فهد خفض قيمتهم الستراتيجية وفائدتهم العسكرية كحليف موثوق للولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط .

من ناحية اخرى تجد الولايات المتحدة أنه في حين تستجدي السعودية منها الحماية للنظام وللاسرة ، فإن آل فهد ينتهزون كل فرصة ممكنة للتزلف إلى الراديكاليين العرب عن طريق تحدي السياسة الاميركية في المنطقة ومعارضتها . فقد انساقوا في معارضة السلام بين مصر واسرائيل الذي رعته اميركا في اتفاقات كامب دافيد حتى أصبحوا أشد المقاومين لاعادة التفاهم مع مصر ، وأكثر المصرين على استمرار مقاطعتها .

وتعرضت السياسة الاميركية لنكسات خطيرة في لبنان فلم تلق من حليفها السعودي اي تأييد وعندما قدم الرئيس رونالد ريغان مشروعه في أول سبتمبر ١٩٨٢ لحل القضية الفلسطينية ، لم يلق أية مساندة من السعودية بل سارع (الامير)

فهد بعد ثمانية أيام إلى تقدم مشروع معاكس لمؤتمر القمة في فاس .

إن حكومة الولايات المتحدة لا تزال تعلن عن صداقتها للحكام السعوديين وتعتبرهم من العناصر المعتدلة المهدئة في الشرق الاوسط . لكن بعض الدوائر السياسية الاميركية بدأت تتساءل عن فائدة هذا الصديق والحليف الذي جعل من معارضة الخطط الاميركية في المنطقة أساساً لسياسته .

من ناحية اخرى ، فإن سياسة «اللاموقف» قد أبعدت السعودية عن حلفائها العرب الطبيعيين اي الاردن ومصر والعراق والمغرب وقسم من منظمة التحرير الذين بدأوا يؤلفون جبهة عربية ، دون أن تكسب السعودية مقابل ذلك عطف الجبهة العربية المناوئة .

وهكذا نجد أن سياسة آل فهد أدت إلى عزلة السعودية عن حلفائها العرب الطبيعيين ، وإلى تباعدها عن حليفها الاجنبي الرئيسي . وهذا يفسح المجال لمعارضي آل فهد للعمل على تغيير الحكم بإتباع سياسة داخلية إصلاحية ، وسياسة خارجية تخدم مصلحة البلاد لا مصلحة الاسرة الحاكمة .

## الدولة غير الفاعلة

وصف بعض الكتاب الاجانب السعودية بأنها «الدولة غير الفاعلة»
«Saudi Arabia: The Ineffectual»
لأنها تنتظر غيرها ليحددوا مواقفهم من القضايا المهمة ثم تتبنى موقف الدول التي تخشاها. فهي دائمة تابعة لا متبرعة. وهذا نقيض لملك الزعيم».

وقد سمينا سياستها «سياسة اللاموقف» لاننا في متابعتنا للاحداث العربية بعد اغتيال الملك فيصل لا نرى ظرفاً واحداً اتخذ فيه آل فهد موقفاً مبدئياً صلباً دافعوا عنه وتمسكوا به بل هم دائماً «جالسون على السياج» حسب الاصطلاح

الانكليزي ، مستعدون للقفز الى الناحية الاقوى ، أو هم كالشجر اللين يميلون مع الريح كيفما هبت

إن سياسة الضعف والاستكانة والخوف والتبعية التي ينتهجها آل فهد يمكن أن ترد عنهم بعض الاعاصير العربية لكنها حتماً لا تقربهم بشكل من الاشكال الى الزعامة العربية التي ينشدون . تُرى ماذا كان مصير آل سعود لو تبع الملك فيصل هذا النهج المتخاذل في حرب اليمن ؟

# مراجع الفصل الثاني عشر
# طبيعة المجتمع السعودي ونظام الحكم


١ - عزي، بهاء، الملاحة والانسان في المملكة العربية السعودية، ص ٤٥ (بالانكليزية)
٢ - النحسيي، غازي عبد الرحمن، عن هذا وذاك، ص ٢٧.
٣ - Chamieh, Jebran, Saudi Arabia, Record of Economic Development 1983, p. 164, 165.
٤ - Ibid. 149.
٥ - النحسيي، غازي، سبق ذكره، ص ٢٩.
٦ - المصدر السابق، ص ٣٠ و٣٢.
٧ - المصدر السابق، ص ٩٤ - ٩٦.
٨ - سلامة، غسان، السياسة الخارجية السعودية، ص ٢١ و٨٢.
٩ - Lacy, Roberts, The Kingdom, pp. 438, 441 and
Holden, Johns, The House of Saud, p.p. 267, 324.
١٠ - Ibid., p. 267
١١ - Ibid., 267 and Lacy, Robert, op. cit., p. 439.
١٢ - Holden and Johns, op. cit., pp. 267, 324, and Lacy, Robert, op. cit., pp. 440-441.
١٣ - Ibid., and 441.
١٤ - Ibid., p. 442.
١٥ - Holden and Johns, op. cit., p. 500.
١٦ - Ibid, p. 394.
١٧ - Ibid, p. 426.
١٨ - Holden and Johns, op. cit., p. 531.
١٩ - النحسيي، غازي، سبق ذكره، ص ١٤٣.
٢٠ - المصدر السابق، ص ٥١.
٢١ - Lacy, Robert, op. cit., p. 447.
٢٢ - Ibid., p. 447.

# الفصل الثالث عشر

## الجيش والقوات المسلحة

بعدما بحثنا في الفصل السابق طبيعة المجتمع السعودي، ونظام الحكم في عهد آل فهد، والخلافات ضمن العائلة المالكة، وكيفية اتخاذ القرارات في الدولة السعودية، واحوال الأجهزة السياسة والادارية، والمواقف السعودية في السياسة العربية والخارجية، نخصص هذا الفصل لبحث جهاز رئيسي في الدولة السعودية هو الجيش والقوات المسلحة.

فمن الشائع في الادب السياسي العربي بعد الاستقلال في الاربعينات تمجيد الجيش واحاطته بهالة من الاكبار والاعجاب فهو سياج الوطن، وحامي الذمار، ورمز الاستقلال، ومحرر فلسطين إلى ما هنالك من عبارات التبجيل والاجلال.

ولم يغير من هذا اللغو أن الجيش، وبالاحرى بعض ضباطه، قاموا في عدة بلاد عربية بانقلابات سياسية عطلوا فيها الحياة الدستورية واستعملوا الآلة العسكرية لقمع المعارضة الداخلية لا لرد الاخطار الخارجية. وكان انشغال بعض الجيوش بالقمع الداخلي احد اسباب هزيمة العرب في الحروب مع اسرائيل.

وليس الجيش في حقيقته الا جهازاً من اجهزة الدولة يصلح بصلاح القيادتين السياسية والعسكرية ويفسد بفسادهما، ولا يمتاز عن غيره إلا بكثرة مصاريفه والحصة الضخمة التي يستهلكها من ميزانية البلاد.

وكما أن الدولة لا تنشىء مدارس وجامعات ومستشفيات، ولا تمد طرقات

وأنابيب مياه ومجاري وشبكات كهرباء، وتلفون، إلا بموجب معطيات معروفة مستمدة من حاجة البلاد وعدد السكان وكثافة المدن وبعد المسافات الخ، فان تقرير عدد الجيش في فروعه المختلفة وتحديد أنواع الاسلحة التي يحتاجها وكميتها يخضع لاعتبارات ومقاييس معروفة في الفن العسكري، كما يخضع قبل ذلك لتحديد واضح للاعداء والخصوم، ولمصادر العدوان المحتمل. وإلا يصبح التسلح تخبطاً لا جدوى منه.

## السياسة الدفاعية: وضوح الغرض
## تحديد الخصوم ومصادر العدوان المحتمل

قبل أي بحث في الجيش وتشكيله واسلحته، يجب على الدولة أن تحدد مصادر الخطر التي يحتمل أن ترد عليها بالوسائل العسكرية.

كما يجب أن تقرر الدولة سياسة دفاعية واضحة تنفذها على عدد من السنين. ومن العبث تحديد حجم الجيش واسلحته قبل الاتفاق على ما يطلب منه.

في الدول الديمقراطية الحرة يناقش المجلس النيابي بالسياسة الدفاعية. وتشترك بالمناقشة الصحافة ووسائل الاعلام الخاصة، ويبدي كل من يريد رأيه حتى يحصل توافق شعبي. وتبقى مراحل تنفيذ السياسة الدفاعية تحت مراقبة مستمرة حين اقرار الميزانية السنوية.

وليس في السعودية شيء من هذا. فلا مجلس يناقش ولا شعب يبحث، ولا حكومة تُعلن. لذلك نلجأ إلى التساؤل حول مصادر الخطر الخارجي الذي يحدد سياسة آل سعود الدفاعية.

هل هي ايران الخمينية راعية الثورة الاسلامية (الشيعية)؟ إن ايران الحالية عدوة للسعودية في ناحيتين: أنها أولاً ثورية ضد الحكومات الملكية على اختلافها فقد اقتلعت النظام الملكي في أيران ولا يضيرها أبداً أن تساعد على ازالة الملكية في

حوارها خصوصاً إذا كانت ملكية سنية. والخمينية من ناحية ثانية تنكر خلافة ابي بكر وعمر وعثمان الذين سبقوا الامام علي وتعتبرهم منشقين، في حين يمجد السلفيون السنة ابا بكر وعمر. ومن الواضح أنه كلما تعلق المسلمون بالعهد الذي خلف وفاة الرسول واستوحوا منه نظام الدولة التي يدعون اليها، تشتد حدة الخلاف وتستعر بين الطائفتين الكبيرتين. فذلك التاريخ البعيد يفرق ولا يوحد.

بعد ايران نتساءل هل تشكل اليمن الجنوبية الماركسية المتحالفة مع الاتحاد السوفياتي خطراً على السعودية وقد سبق أن هاجمت مخافرها الامامية؟

هل تشعر السعودية بخطر من مصر التي غزت نجد مرتين في القرن التاسع عشر وحاولت قلب نظام الحكم أيام الرئيس عبد الناصر؟

هل يخشى آل سعود الاردن الهاشمي؟

هل يرون خطراً في العراق البعثي الثوري؟

هل يأتيهم الخطر من اليمن المجاورة الضائعة بين القبلية والاشتراكية والتي قد تكون طامعة ببترولهم؟

هل هناك خطر انقلابي من سوريا البعثية المتحالفة مع الاتحاد السوفياتي؟

هل آل سعود جادون في ادعائهم أنهم يتسلحون ضد اسرائيل، أم يكتفون كما فعلوا في الحروب الماضية بالتأييد الكلامي ودفع الأموال والاشتراك الرمزي بالمعارك؟

وخارج المحيط الملاصق للسعودية، هل يدخل آل سعود في سياستهم الدفاعية الدول التي تقابلهم عبر البحر الاحمر أي السودان واثيوبيا الشيوعية؟

وهل يصدق آل سعود انفسهم عندما يعلنون في كل مناسبة أن واجبهم المقدس الاول هو الدفاع عن الاسلام. والاسلام يمتد من اندونيسيا إلى بورنيو وماليزيا، ثم غربا إلى افغانستان وشمال الهند والباكستان، ويدخل إلى الامبراطورية السوفياتية حيث يوجد خمسون مليون مسلم، ثم يشمل بلدان الشرق

الاوسط وشمال افريقيا وقسماً كبيراً من افريقيا السوداء إلى المحيط الاطلسي. فهل آل سعود مسئولون حقاً عن حماية الاسلام في جميع هذه البلدان؟ وإذا كان الأمر كما يدعون، فلماذا لا يحمونه في الاتحادالسوفياتي حيث تضطهده الحكومة الملحدة، أو في افغانستان حيث تفتك تلك الحكومة نفسها بالسكان المسلمين.

هنيئاً لمن عرف حده فوقف عنده!

واهم من كل هذا، هل يمكن أن ينشأ وضع في بلد عربي يشكل خطراً على النظام السعودي السياسي والاجتماعي بحيث تصبح مقاومته والسعي لاسقاطه عملاً واجباً على آل سعود دفاعاً عن النفس أم ان مجرد اللغو بشعار «الاخوة العربية» كافي لرد هذه المطامع؟

لا نظن أن آل سعود حددوا مصادر الخطر على بلادهم أو فكروا بالموضوع تفكيراً علمياً منظماً. ولو فكروا لادركوا أن الشرط الاول لاية سياسة ناجحة، هو تكافؤ الامكانات مع الأهداف. ولا نظن أن اربعة ملايين سعودي ستكافأ امكاناتهم في أي وقت مع اهداف حماية المسلمين أينما وجدوا أو التصدي للشيوعية العالمية.

بدل التفكير الجدي لجأ آل سعود إلى الشعارات. والشعارات تعفي الانسان والجماعات من صعوبة التفكير. من هذه الشعارات «الدفاع عن الاسلام» كما قلنا، و«القضاء على الصهيونية» و«التضامن العربي».

أما قصة التسلح للقضاء على الصهيونية فاستغلال مفضوح. فالسعودية تشتري معظم سلاحها وتستورد المدربين العسكريين من الولايات المتحدة ويُعلن الاميركيون عند بيع كل صفقة سلاح أنهم اخذوا من آل فهد تعهداً بالا تستعمل هذه الأسلحة ضد اسرائيل، وأن لا تصل لدولة اخرى يمكن أن تحارب اسرائيل. وبذلك سقطت حجة التسلح بسبب اسرائيل.

وقد جعل آل فهد من شعار «التضامن العربي» ركن سياستهم علماً بان

الدول العربية العشرين لم تكن يوماً كلها متضامنة خلال الاربعين سنة منذ تأسيس جامعة الدول العربية. وفي يومنا الحاضر لا نجد ثلاث دول عربية تمشي معاً في خط واحد فالتمزق والتشتت والنكاية ببعضها البعض هي الصفات الملازمة للعلاقات العربية. ولا يجهل آل فهد هذا الواقع. ومع ذلك تعلقوا بشعار «التضامن العربي» الخيالي ليتهربوا من أي وضع يحملهم على الصدام مع بلد عربي حتى ولو كان يدعو علناً للقضاء على الرجعية (الملكية) عن طريق الثورة والعنف.

وما دامت السعودية تخشى احتمال الحرب مع دولة عربية، وتتعهد للولايات المتحدة بأن لا تحارب اسرائيل، وهي اعجز من أن تتصدى لدول اكبر كايران أو لهدف حماية المسلمين، فلماذا تتسلح اذن بمبالغ تفوق الاف ملايين الدولارات حتى اصبحت اكبر مستورد سلاح في العالم؟

لا يوجد جواب واضح على هذا السؤال الملح. لكنه يمكن التكهن.

لا شك أن عمولات السلاح الهائلة التي يتقاضها كبار الامراء حافز رئيسي للتسلح غير الواعي.

وما دامت لا توجد رقابة شعبية على الانفاق فإن التذرع بالدفاع عن الاسلاة والقضاء على الصهيونية يغطي نوعاً ما الصفقات المشبوهة التي تجري في حالة من الفوضى وعدم المسئولية تعم الحكم والادارة وصفناها في الفصل الثاني عشر.

المدن العسكرية

لعله أيضاً يمكننا استنتاج تفكيرهم الستراتيجي من الخطط الدفاعية التي نفذوها. فقد اختاروا، بناءاً لنصيحة الاميركيين، بناء مدن عسكرية محصنة على طريق القوافل القديمة التي تربط نجد والحجاز بجوارها، والتي يحتمل أن تكون المعبر لأي جيش يغزو البلاد من الجوار. فبنوا أول مدينة عسكرية في خيس مشيط في جنوب غرب البلاد لصد أي هجوم من اليمن ومن القرن الافريقي انتهى بناؤها عام ١٩٧١.

وبنوا مدينة عسكرية ثانية في تبوك قريباً من خليج العقبة حيث تلتقي حدود السعودية والاردن واسرائيل انتهى العمل بها عام ١٩٧٣. والمدينتان في خميس مشيط وتبوك توسعتا كثيراً في السنوات اللاحقة.

وبنوا مدينة ثالثة اكبر في حفر الباطن في شمال شرقي البلاد قرب الحدود العراقية وهي مثمنة الأضلاع على شكل البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) تتسع لسبعين الف ساكن منهم ثلاثون الفاً في الخدمة الفعلية، والباقون من عائلات الضباط والجنود وخبراء الصيانة والخدمات المتممة.

تضم كل من هذه المدن المحصّنة مدارج للطائرات العسكرية ومحطات لتوليد الكهرباء وتنقية المياه ومعالجة أقذار المجاري، وتبريد المكاتب والبيوت، ومساكن فخمة للضباط، وثكنات للجنود العازبين ومساكن للجنود المتزوجين، ومراكز قيادة، وملاعب رياضية، ومستشفيات، ومدارس، ومساجد.

وقد قدّرت تكاليف مدينة حفر الباطن بعشرة آلاف مليون دولار.

الواضح من مواقع هذه المدن العسكرية المحصنة ان ما يخشى منه آل سعود هو الإعتداء من جيرانهم العرب، أي من اليمن الشمالي والجنوبي، ومن الأردن، ومن العراق. ولهذا تظهر شعارات الأخوة العربية والتضامن العربي التي يبنون سياستهم عليها مجرد لغو للإستهلاك الشعبي.

## كفاءة الجيش السعودي، مقاييس الكفاءة

في ظل هذا الواقع المضطرب نبحث كفاءة الجيش السعودي بموجب مقاييس الكفاءة المتبعة في الجيوش عموماً والتي ترتكز على العناصر التالية:

أولاً ـ وضوح الغرض من التسلح لدى القادة السياسيين والعسكريين مما يشكل أساساً لوضع خطة استراتيجية لحماية البلاد. وهذا غير موجود كما شرحنا.

ثانياً ـ درجة التنسيق والتقارب بين اسلحة الجيش وقياداته المختلفة.

ثالثاً - حيازة الأسلحة الحديثة المتطورة وقد اصبحت بالغة التعقيد.

رابعاً - قدرة الضابط والجندي الفنية على حسن استعمال الأسلحة المتطورة وصيانتها.

خامساً - الروح المعنوية والحوافز النفسية التي تدفع بالضابط والجندي الى التضحية والإستبسال في حالة الحرب.

سادساً - مدى استيعاب المواطنين لأهداف السياسة العسكرية، ودرجة تجاوبهم معها بحيث يشكل الشعب المدني سنداً للجيش المحارب.

**المقياس الأول: وضوح الغرض**

لقد رأينا أنه لا توجد رؤية واضحة لدى آل سعود عن الغرض من الجيش ولذلك لا توجد عندهم خطة ستراتيجية شاملة لحماية البلاد.

**المقياس الثاني: التنسيق والتعاون**

أما بالنسبة للمقياس الثاني في كفاءة الجيوش وهو التنسيق والتعاون بين اسلحة الجيش وقياداته، فقد قسم آل سعود الجيش الى ثلاث مجموعات متنافسة ومتنافرة كما سيأتي، في لعبة توازن تفقد الجيش قدرته القتالية لكنها تقي آل سعود، حسب اعتقادهم، من خطر الإنقلابات العسكرية بعدما شاهدوا ان أكثر الإنقلابات في البلاد العربية إن لم يكن كلها، جرت على أيدي ضباط.

إن الفن الحربي الحديث يتطلب التنسيق والتعاون والتكامل بين مختلف الأسلحة خلال المعركة. فالجنود في الناقلات تحميهم الصواريخ والمصفحات والمدرعات المدعومة بالطائرات التي تستكشف أجواء المعركة وتدمر المواقع والقوى العدوة وتحاول السيطرة على الجو في منطقة القتال. فإذا تسنى لها ذلك كان نصرها مؤكداً. ويترافق كل ذلك مع إتصال مستمر بين مختلف القيادات ومع الوحدات المقاتلة.

ونرى السعوديين يتبعون ستراتيجية مناقضة تماماً لمبدأ التنسيق والتكامل.

فقد اقاموا ثلاثة جيوش مستقلة ومتنافسة تحت قيادات متفرقة ومنفصلة هي:

اولاً ـ وزارة الدفاع المسئولة عن الجيش البري وسلاح الطيران وسلاح البحرية وهي بعهدة الأمير سلطان بن عبد العزيز.

ثانياً ـ رئاسة الحرس الوطني التي تشرف على جيش مستقل بميزانية مختصة وهو كامل التجهيزات العسكرية وظيفته حماية آل سعود من أي إنقلاب قد يقوم به الجيش النظامي، وهي بعهدة الأمير عبدالله ابن عبد العزيز ولي العهد.

ثالثاً ـ قوى الأمن الداخلي وحرس الحدود التابعة لوزارة الداخلية وقد أنشأها الأمير فهد لما كان وزيراً للداخلية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥) وهي الآن بعهدة الأمير نايف ابن عبد العزيز.

ولكلّ من هذه الإدارات ميزانية سنوية ضخمة للتسلح يتصرف بها الأمير المسئول على هواه دون مراقبة فعالة.

وقد استقلّت كل واحدة من هذه القوى العسكرية الثلاث ببرامج تسلحها دون تنسيق مع القوى الأخرى فتنوعت مصادر الأسلحة وأجناسها وخصائصها، وصار لكل قوة مركز الكتروني للمواصلات بالغ التعقيد، وتدربت كل فئة من الضباط والجنود على أنواع مختلفة من الأسلحة فنقصت كفاءة القوات المسلحة كمجموع؛ وتعددت أساليب الصيانة وقطع الغيار، وأنشأت كل إدارة مدناً عسكرية لضباطها وجنودها في مناطق البلاد المختلفة في ازدواجية لا مبرر عسكري لها.

أُضيف الى هذه القوات الثلاث فرقة باكستانية تضم عشرة آلاف ضابط وجندي تدفع الدولة السعودية نفقاتها وظيفتها الوحيدة الدفاع عن آل سعود ضد أية انتفاضة داخلية عسكرية أو مدنية.

يقول في ذلك الكاتب الإنكليزي بيتر لاسي*: «بعد إبرام اتفاقية كامب دافيد عقد الأمير فهد اتفاقات مع الجنرال ضياء الحق رئيس الباكستان على تمويل

* Lacy, Peter, The Kingdom, p. 455.

كتيبتين من الكوماندو الباكستانيين تبقيان دائماً على استعداد كامل للتدخل إذا حدث أي اضطراب في المملكة. وليس للملكة أي خيار آخر سوى أن تدفع للآخرين ليقاتلوا عنها (١٥).

ويُلاحظ أن الإستعانة بالأجانب للدفاع عن نظام آل فهد جرى بعدما صرفت البلاد آلاف ملايين الدولارات لشترى أحدث الأسلحة وأكثرها تقدماً وتعقيداً بحجة الدفاع.

خلال العشرين سنة الماضية لم تجرِ أية مناورة مشتركة بين قوى وزارة الدفاع (الجيش والطيران والأسطول) وبين الحرس الوطني وقوات الحدود كما يقتضي الإستعداد لمواجهة عدو خارجي بل حرصت السلطات على الفصل بين هذه القوى بكل طريقة ممكنة.

إن أي تلميذ في إدارة الأعمال يدرك أن توحيد أصناف الأسلحة وقطع الغيار والذخائر وأساليب الصيانة والتدريب أمر لا بد منه لتشكيل جيش عصري فعال. كما أن من شأن ذلك تخفيض النفقات بدرجة كبيرة. يضاف الى ذلك أن توحيد المدن العسكرية وطرح مناقصات موحدة لشترى الأسلحة والذخائر وقطع الغيار يوفر على الدولة مبالغ هائلة. هذا امر معروف ومتبع في جميع جيوش العالم. فلماذا تشذ السعودية عن غيرها في هذا المضمار.

لعل سبب ذلك ان هذا الترتيب المفكك يمكّن القائمين على الإدارات الثلاث من عقد صفقات الأسلحة والأجهزة والعتاد والصيانة والبناء منفردين بحيث يتصرف كل منهم في وزارته مستقلاً غير خاضع لرقابة احد وبذلك تنفتح ابواب العمولة والسمسرة لكل واحد منهم على مصاريعها.

إن اصرار آل سعود على اقامة هذا التوازن بين ثلاثة جيوش على حساب كفاءة القوات المسلحة القتالية يدعم ما قلناه بأن هاجس آل سعود الوحيد ليس الإستعداد لمقاومة الأعداء الخارجيين بل حماية أنفسهم من خطر انقلاب داخلي مع

التظاهر بتجهيز البلاد للدفاع الوطني بتكديس احدث الأسلحة التي تدر عليهم اكبر المنافع المالية.

المقياس الثالث: حيازة الأسلحة الحديثة

إن المقياس الثالث لكفاءة الجيوش هو حيازة الأسلحة الحديثة المتطورة. ولم تقصر السعودية في هذا المجال فقد اصبحت اكبر مشتري للسلاح في العالم بعد الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي. وفيما يلي ميزانيات الأمن والدفاع في السنوات الأخيرة:

| | بليون ريال | بليون دولار* |
|---|---|---|
| ميزانية ١٩٨٠ - ١٩٨١ | ٦٨,٥٤٥ | ١٩,٩٨٤ |
| ميزانية ١٩٨١ - ١٩٨٢ | ٨٢,٥٣٣ | ٢٣,٩٢٢ |
| ميزانية ١٩٨٢ - ١٩٨٣ | ٩٢,٨٨٩ | ٢٦,٩٢٧ |
| ميزانية ١٩٨٣ - ١٩٨٤ | ٧٥,٧٣٣ | ٢١,٩٥٢ |
| ميزانية ١٩٨٤ - ١٩٨٥ | ٧٩,٩٠٠ | ٢٣,١٦٠ |
| ميزانية ١٩٨٥ - ١٩٨٦ | ٦٤,٥٨٠ | ١٨,٧١٩ |
| المجموع | ٤٦٤,١٨٠ | ١٣٤,٦٦٤ |

إن هذا الإنفاق العسكري ضخم لدرجة انه لا تجاري السعودية فيه أية دولة اخرى كبريطانيا وفرنسا والمانيا عدا الدولتين العظيمتين.

ويزيد هذا الإنفاق على مجموع نفقات التعليم، والصحة، والإعلام، ورعاية الشباب، وقطاع النقل والمواصلات، وقطاع الخدمات في السعودية، ويبلغ معدله السنوي على ست سنوات اثنين وعشرين بليونا واربعمائة وأربعة وأربعين مليون دولار (٢٢,٤٤٤,٠٠٠,٠٠٠)

فإذا قسمنا هذا المبلغ السنوي على عدد الجنود في مختلف اجهزة الجيش

* باعتبار سعر الدولار الوسطي = ٣,٤٠ ريال.

(٨٥,٠٠٠) يكون نصيب الجندي الواحد من أسلحة وتجهيزات ولباس ومسكن وطعام ٣٦٤,٠٤٧ دولاراً كل عام. وهذا رقم لا يوجد ما يقاربه في أي جيش من جيوش العالم ويدل على مقدار العمولات والرشوات والهدر في هذه النفقات.

تصرف هذه المبالغ على القوات التالية حسب دراسة «المؤسسة الدولية للدراسات الستراتيجية في لندن الصادرة بعنوان»: «التوازن العسكري ١٩٨٣ - ١٩٨٤» «The Military Balance 1983 - 1984»:[١]

| | |
|---|---|
| عدد افراد الجيش | ٣٥,٠٠٠ |
| عدد افراد الأسطول | ٢,٥٠٠ |
| عدد افراد القوات الجوية | ١٤,٠٠٠ |
| مجموع عدد الجيش النظامي | ٥١,٥٠٠ |
| عدد افراد الحرس الوطني | ٢٥,٠٠٠ |
| عدد افراد قوات الحدود والسواحل | ٠٨,٥٠٠٠ |
| مجموع القوات السعودية | ٨٥,٠٠٠ |
| عدد المرتزقة الأجانب (الباكستانيين) | ١٠,٠٠٠ |
| المجموع العام | ٩٥,٠٠٠ |

من المفارقات التي تستلفت النظر قلة عدد القوات السعودية بالنسبة للمبالغ الهائلة التي تُصرف عليها. ولم يقدم احدٌ من المسئولين تفسيراً لهذا الوضع الغريب. وتزداد الغرابة عندما نقارن هذا الجيش مع الجيش الأردني الذي يقاربه بالعدد ويتفوق عليه بالكفاءة القتالية في حين أن ميزانيته السنوية لا تزيد عن اربعمائة مليون دولار.

## اسلحة القوات السعودية

سنذكر فيما بعد بعض صفقات الأسلحة الضخمة المعقودة في السنوات

الماضية. وفيما يلي كميات وأنواع الأسلحة لدى الدولة السعودية حسبما نشرته المؤسسة الدولية المذكورة اعلاه.

الجيش ٣٥,٠٠٠ جندي

يتألف الجيش من:

٢ لواء مسلح (armed brigades) منه لواء تحت التكوين.

يتألف اللواء من نحو ٤٥٠٠ جندي + ١٠٨ مصفحة.

٢ لواء مدرع (mechanized brigades).

يتألف اللواء المدرع من نحو ٤٨٠٠ جندي + ٥٠ دبابة.

٢ لواء مشاة (احدها سيتحول الى لواء مدرع).

١ لواء منقول جواً (٢ كتائب مظلات battalions، ٣ سريات للقوات الخاصة (companies).

١ فوج (regiment) من الحرس الملكي (٣ كتائب battalions).

٥ كتائب مدفعية.

١٨ بطارية مدفعية مضادة للطائرات.

١٨ بطارية صواريخ ارض - جو: ١٦ منها تستعمل صواريخ هوك Hawk مطورة، ٢ تستعمل صواريخ Shahin شاهين (٤٨ صاروخ).

٣٠٠ دبابة ام اكس - ٣٠ (AMX - 30)،

١٥٠ دبابة (M - 60 A1)،

٢٠٠ سيارة مصفحة (AML - 60/90)،

٣٥٠ دبابة (AMX - 10P)،

٢٠ ناقلة جنود مدرعة (VCC - I with Tow)،

٨٠٠ ناقلات جنود مصفحة ماركة بانهارد (Panhard M-113).

مدافع عيار ١٠٥ و١٥٥ و٨١ و١٠٧ و٧٥ و٩٠ و١٠٦ مليمتر. بعضها مجهز

بصواريخ ضد الدبابات ماركة Tow, Dragon, HOT.

بطاريات ضد الطيارات مجهزة بصواريخ ارض - جو ماركة رد اي، وشاهين وهوك (Red Eye, Shahin and Hawk).

البحرية ٢٥٠٠ رجل

يتألف الأسطول من:

٢ مركز لقيادة الأسطول.

٤ كورفيت Corvette مجهزة بصواريخ هاربون Harpoon بحر - بحر.

٩ مراكب هجوم مجهزة بصواريخ هاربون بحر - بحر.

١ مركب كبير للمراقبة.

٣ مراكب هجوم جاغوار Jaguar.

٤ كاسحات الغام.

٤ مراكب إنزال، ٨ مراكب إنزال مدرعة.

تعاقد الأسطول على المراكب والمعدات التالية:

٤ فرغاطة frigate F-2000

٢ مراكب تموين وسوقيات.

٢ طيارة مساعدة Atlantic II MR

٢٤ طيارة دوفين Dauphine (٤ منها للتفتيش والإنقاذ، و٢٠ مزودة بصواريخ جو - سطح)

صواريخ اوتومات Otomat سطح - سطح.

٢٠٠ صاروخ جو - سطح

وللأسطول قاعدتان رئيستان هما جدة للأسطول الغربي، والقطيف/جبيل للأسطول الشرقي، ويستعمل الأسطول ايضاً قواعد في ينبع ورأس تنورة والدمام.

القوة الجوية ١٤,٠٠٠ رجل + ١٧٠ طائرة مقاتلة

٣ أسراب: تتألف من ٦٥ طائرة (أف - F-5E) مقاتلة - مهاجمة.

٤ أسراب طائرات معترضة: سرب من ١٥ طائرة (Lightning F-53)، سربان طائرة (تي ـ ٥٥ T-55)،
٣ أسراب تتألف من ٤٢ طائرة (اف ـ ١٥ F-15).

٢ وحدات عاملة Operational Conversion Units مؤلفة من ٢٤ طائرة (اف ـ ٥ اف F-5F)، و١٦ (اف ـ ٥ ـ بي F-5B) و ٦((TF - 15 D)).

٣ اسراب نقل من ٢٩ طائرة (سي ـ ١٣٠ C-130E)، ٢٥ طائرة (سي ـ ١٣٠ ـ C-130H)، ٦ طائرات (KC-130H)، طائرتان (جتستار Jetstar).

سربان طائرات عامودية: مؤلفان من ١٢ (AB-206 B)، و١٤ (AB - 205)، و١٠ (AB-212).

طائرات عامودية اخرى تتألف من: ٢ (Alouette III)، ١ (AB-204B)، ٤٠ (AB-206 B)، ١ (Bell 212)، ١٠ (KV-107 IIA).

طائرات تدريب: ٤٦ (Bac-167)، ١٢ (Cessna 172 G/HL).

صواريخ جو ـ جو: Red Top, Firestreak, Sidewinder AIM - 7F Sparrow.

صواريخ جو ـ سطح: Maverick

في الإحتياط: ١٧ طائرة Lightning

متعاقد على: طائرات مقاتلة: ٩ (F-15)، ٥ (F-SE)،

طائرات تدريب: ١١ (TF-11)، ١ (F-SF)،

طائرات استكشاف: ١٠ (RF-5E)، ٥ اواك Awacs، Sentry . Awacs E-3A)

في ميدان التسلح الجوي ذكرت صحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٨٥ ان الحكومة السعودية تقدمت من واشنطن بطلب جديد ضخم للأسلحة قبل زيارة الملك فهد لواشنطن بتاريخ ١١ فبراير (شباط) ١٩٨٥ بلغت

قيمته آلاف ملايين الدولارات وهو يتضمن ٤٠ طائرة مقاتلة (اف ١٥) تضاف الى ستين طائرة مماثلة اشترتها السعودية عام ١٩٧٨ .

كما يتضمن الطلب ٣٠٠٠ صاروخ جو - جو ماركة سايد وايندر، والف صاروخ (ستينجر) مضاد للطائرات يطلق من الكتف، وصواريخ جو - ارض، ورفوف لإطلاق قنابل متعددة تحول طائرات (أف ١٥) الى طائرات هجومية، وعدد من طائرات المراقبة (اواكس).

وقالت وكالة (يونايتدبرس) الأميركية بتاريخ ٣١ يناير ان الحكومة الأميركية لم تبت بالطلب وهي تدرس تأثيره على مجمل الوضع في الشرق الأوسط.

طائرات نقل : ١ بوينغ ٧٤٧ ، ٤٠ (C-212-200) .

طائرات نقل وقود : ٦ بوينغ ( K C - 757)٢ (E CM) .

طائرات عامودية : ٢٢(AB-212)، ٨ (KV 107) .

صواريخ : ١٠٠٠ (سبارو Sparrow AIM) ١١٧٧(Sidewinder AAM) ٩١٦ جو - سطح Maverick .

الحرس الوطني ٢٥,٠٠٠ جندي

قيادة اللواء : ٤ كتائب مسلحة ، ١٦ كتيبة مشاة نظامية ، ٢٤ كتيبة مشاة غير نظامية ، فرقة خيالة استعراضية ، وحدات مساعدة .

٢٤٠ ناقلات جنود مدرعة (Commando V-150) .

بطاريات مدفعية متنوعة عيار ١٠٥ و ٨١ و ١٠٦ ميليمتر .

صواريخ مضادة للطائرات .

متعاقد على : ٤٨٩ ناقلة جنود مدرعة Commando ، ومدفعية مضادة للطائرات ، ومصفحات مقاتلة .

جنود اجانب مقاتلون ١٠,٠٠٠ (تقول مصادر اخرى غير مؤكدة أن عدد الجنود الباكستانيين يزيد عن خمسين الف) .

وزارة الداخلية

وحدة مكافحة الارهاب مع طيارات عامودية .

قوة الحدود وخفر السواحل ۸,٥۰۰، جندي ۱۸۱ هوفر كرافت Hover-craft ساحلية ، ۳۰۰ مركب مراقبة صغير .

المقياس الرابع : الكفاءة الفنية .

إن المقياس الرابع لكفاءة الجيش هو كفاءة الضابط والجندي الفنية للتخطيط والاشتراك بالمعركة ، وحس استعمال الاسلحة الحديثة المتطورة وصيانتها . وهذه القدرة تعتمد مباشرة على مستوى الثقافة العلمية العامة لافراد الشعب الذي ينتمي اليه الضباط والجنود .

تدلنا دراسات مؤسسة اليونسكو الدولية أن ٧٥ ـ ٨٠ بالماية من السعوديين لا يزالون اميين . ويعني هذا أن القاعدة المتعلمة المتوفرة للتجنيد لا تزيد عن تسعماية الف من أصل مجموع السكان البالغ ٤,٥ مليون من ذكور واناث . ولو افترضنا أن الاناث يشكلن خمس المتعلمين فإن عدد الذكور المتعلمين من جميع الاعمال يبلغ نحو سبعماية وعشرين الفاً فقط .

وبما أن الاصول العسكري لا يجند أكثر من عشرة بالماية من مجموع السكان إلا في حالة التعبئة وخطر الحرب ، فإن ما تستطيع الدولة السعودية تجنيدهم من الشباب المتعلم هو اثنان وسبعون الفاً ، هذا إذا كان لديها نظام الخدمة العسكرية الالزامي ، وهو غير موجود بل تعتمد الحكومة السعودية على التطوع .

ونحن نعرف أن القسم الاكبر من الشباب المتعلم يتهربون من الخدمة العسكرية رغم الاغراءات الكثيرة التي تقدم لهم ويفضلون الاعمال المدنية الاقل مشقة . ونرى من ناحية اخرى في الجدول السابق أن عدد الضباط والجنود في مختلف اسلحة الجيش السعودي قد بلغ حالياً خمسة وثمانين الفاً اي أكثر من مجموع المتعلمين الذين يمكن تجنيدهم إذا انتسبوا بكامل عددهم الى الجيش مهما كانت

أعمارهم ، وهذا أمر غير واقع مما يعني أن الدولة تعتمد اعتماداً رئيسياً في تجنيدها على الاميين وأن أي زيادة في عدد القوات المسلحة ستكون منهم .

وما دام الجندي يجهل لغته العربية فكيف يستطيع فهم التعليمات عن كيفية استعمال الاسلحة المتطورة وصيانتها هذا إذا أمكن ترجمتها بشكل مفهوم من اللغة الاجنبية .

بالاضافة إلى ذلك فإن هؤلاء المتطوعين ، خصوصاً القادمون من البادية ، غير انضباطيين بتكوينهم النفسي والاجتماعي ولا ينتظر أن يألفوا حياة الجندية الصارمة بسهولة .

وقد لوّحت وزارة الدفاع من بضع سنوات باصدار قانون لفرض الخدمة العسكرية الالزامية على جميع الشباب لكنها تراجعت بسرعة لشدة معارضة المجتمع السعودي .

ومن الاشارات ذات الدلالة ان نسبة عدد افراد الجيش لمجموع السكان ضئيلة تبلغ اثنين بالمائة ، كما أن النسبة إلى مساحة البلاد هي جندي واحد لكل خمسة وعشرين كيلومتراً مربعاً .

نظراً لعزوف الشباب السعودي عن الانتساب للجيش ، يبدو الكلام الرسمي عن زيادة عدد القوات المسلحة وتعزيز قدرتها مجرد لغو لا يستند على أساس . يتضح ذلك من أنه حين أصبح الامير فهد ولياً للعهد سنة ١٩٧٥ كان عدد القوات السعودية البرية والجوية والبحرية سبعة وأربعين ألفاً (عدا الحرس الوطني وقوات السواحل والحدود) . وفي سنة ١٩٨٤ أصبح العدد ٥١,٥٠٠ أي بزيادة ٤,٥٠٠ ضابط وجندي فقط في مدة تسع سنوات . أو بزيادة ما معدله ٥٠٠ ضابط وجندي سنوياً . ولا تدل هذه الزيادة الضئيلة على رغبة حقيقية بتعزيز الجيش كما أنها لا تبرر مشترى كميات الاسلحة الهائلة خلال هذه السنوات التسع طالما لا يوجد من يستعملها .

يزيد من ضعف القوات المسلحة أن الولاء للعشيرة السعودية يتقدم على الكفاءة العسكرية والقيادية والفنية في تعيين القواد والضباط. أما اختيار ضباط الحرس الوطني فيتم بطريقة شبه اعتباطية من بين أفراد القبائل. ويُفضَّل منهم من ينتسب الى زعيم عشيرة قوية ومن يؤيد الامير عبد الله ولي العهد في صراعه على السلطة مع آل فهد.

تأكيداً للصفة السياسية غير القتالية للجيش فإن القوات المسلحة تقسم الى «محسوبيات» يتصرف بها امراء نافذون من آل سعود. فالحرس الوطني هو جيش الامير عبد الله ابن عبد العزيز في مواجهة سيطرة آل فهد على الجيش النظامي وقوى الامن الداخلي وحرس الحدود. ويمتاز الحرس الوطني بولائه الثابت إذ لم تحدث في صفوفه بوادر انقلاب على آل سعود في حين لجأ عدد من ضباط الجيش إلى عواصم معادية أيام انتعاش الناصرية، وقام ضباط الطيران بمحاولة انقلاب سنة ١٩٦٩.

تأكيداً لهذه الصفة السياسية ايضاً رأينا كيف يحتل اولاد الملك عبد العزيز جميع الوزارات التي تتبعها القوات المسلحة كما يحتل امراء آل سعود من الجيلين الثاني والثالث كثيراً من المراكز القيادية الحساسة. فعبد الرحمن ابن الملك فيصل مثلاً هو قائد لسلاح المدرعات، وأخوه بندر قائد سلاح الطيران، وأخوه تركي رئيس المخابرات. وينتشر امراء من الجيل الثالث في مختلف الاسلحة خاصة في سلاح الطيران والمدرعات مما يشكل حماية للعشيرة السعودية إذا بقيت متحدة. ويشكل هذا الوجود الملكي داخل القوات المسلحة برهاناً اضافياً على غموض المهام المنوطة بالعسكريين، هل هي لحماية آل سعود أم للدفاع عن البلاد.

نعود إلى بحث الكفاءة الفنية لدى الضابط والجندي السعودي فنلاحظ أن التكنولوجيا الالكترونية التي تدخل في تركيب معظم الاسلحة الحديثة لا يمكن استيعابها على نطاق واسع في بلد ومجتمع لا يزالان في مرحلة التغلب على الامية. من هنا تزداد التبعية لليد العاملة الاجنبية في الجيش من اميركان واوروبيين

وباكستانيين وانكليز وفرنسيين وغيرهم ، خصوصاً وأن استعمال اليد العاملة العربية غير السعودية مستبعد خوفاً من الاطماع التي ترافقها . ولو ترك الاجانب المستخدمون في القوات المسلحة البلاد بصورة مفاجئة لسبب من الاسباب لانشل عمل هذه القوات بالتمام . ويعلق الاميركيون المعارضون لتسليح السعودية قائلين : كيف نضمن عدم وقوع اسلحتنا المتطورة في أيدي عدوة والجيش السعودي يكتظ بهذا العدد الكبير من الاجانب .

يزداد غموض دور العسكريين الاجانب والمرتزقة في القوى المسلحة فهل يساندون العشيرة أم الدولة ، وهل يخدمون البلد أم يخدمون مصلحة وطنهم الاصلي .

بدأت الشكوك تساور آل سعود من ناحية الباكستانيين . فقد اكتشفت المخابرات السعودية مؤخراً أن الجنود الشيعة في الفرقة الباكستانية ، وهم يشكلون خمس عددها ، يقومون بأعمال معادية إذ يحرضون عمال البترول في المنطقة الشرقية على توزيع مناشير تدعو للامام الخميني .

وقد طلبت الحكومة السعودية من الرئيس ضياء الحق استعادة الجنود المشكو منهم لكنه لم يستجب للطلب حتى لا يزعل شيعة بلاده[٢] .

وهكذا يكتشف آل فهد أن استعانتهم بالجنود المرتزقة لا يحل مشكلتهم مع شعبهم .

ولا شك أن قبض العمولات يلعب دوراً رئيسياً في تسلح السعودية وفي مشترى اسلحة تكدسها ولا تحتاجها أو لا تعرف كيف تستعملها .

ويميل أصحاب الظنون السيئة إلى تفسير تكديس الاسلحة بأنها معدة لاستعمال الجيوش الاميركية في حال الصدام مع الاتحاد السوفياتي . فالسعودية تدفع وتخزّن والولايات المتحدة تقبض وتجد السلاح جاهزاً في المنطقة . وقد أصبحت هذه الحاجة ملحة بعدما أعلنت حكومة الولايات المتحدة عن إنشاء «فرقة

التدخل السريع، للدفاع عن منابع البترول ضد أي معتدي . ويتمم هذا التجهيز العسكري الاميركي وجود ما يقدر بمائة وثلاثين الف اميركي واوروبي في السعودية جاهزين تحت اسم خبراء ومدربين لاستعمال مختلاف الاسلحة التي اشترتها الحكومة .

ثمة خلل خطير آخر في البنية العسكرية السعودية . فبدلاً من أن يصرف الجهد لتدريب الضباط والجنود على الاسلحة المشتراة البالغة التعقيد وعلى تخريج ضباط الاركان والقادة والطيارين والميكانيكيين وخبراء المدفعية والدبابات والمواصلات وكل ما يلزم لجيش عصري حديث ، انصرف الجهد الى مشترى ولاء القوات المسلحة بدفع مرتبات خيالية وتوفير حياة مترفة لا تتناسب مع مقتضيات الجندية . فالضابط السعودي برتبة نقيب في الجيش يتقاضى ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه ضابط من الرتبة نفسها في الجيش الاميركي وهو أغنى جيوش العالم . ويتمتع الضابط السعودي بالاضافة الى ذلك بمسكن فخم مجهز بأحدث الادوات المنزلية .ومن الطبيعي أن الترف لا ينشيء جيشاً مقاتلاً بل جيشا مترهلاً همه العيشة الطيبة وجمع المال . ومع ذلك يبتعد الشباب السعوديون عن الخدمة العسكرية منفضلين الاعمال المدنية التي ليست فيها مشقة .

المقياس الخامس : الروح المعنوية

ننتقل إلى المقياس الخامس الذي يحدد كفاءة الجيش القتالية وهو الروح المعنوية التي تسود صفوف الضباط والجنود وتدفعهم الى التضحية والاستبسال في المعارك .

يتصل هذا العنصر اتصالاً مباشراً بالعنصر الاول وهو وضوح الهدف الوطني وتحديد مصادر العدوان . وقد رأينا أن آل سعود يتفادون تحديدها خشية ورهبة من جيرانهم .

يضاف إلى ذلك أنهم ارتكبوا أول خطأ مع الروح المعنوية لما سمّى الملك

عبد العزيز البلاد «المملكة العربية السعودية» نسبة إلى عائلته لا إلى وطن ، فالضابط والجندي قد يستبسل دفاعاً عن أرض ووطن لكننا نستبعد أن يضحي بنفسه دفاعاً عن تسلط عائلة على بلاده .

نذكر بهذه المناسبة حادثة تبين التيارات المتناقضة التي تتجاذب أهل الحكم وتحبط الروح المعنوية في الجيش . ففي احدى الامسيات في الرياض ، حيث يشتد الملل ويشعر الزائر بالاختناق لفقدان التسلية ، كان المؤلف في غرفته في الفندق يشاهد برنامجاً تلفزيونياً يتحدث فيه مدير البرنامج مع الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ وزير الزراعة عن مشروع تجنيد الشباب في الجيش في الفترة التي أطلقت وزارة الدفاع بالون اختبار لترى مدى استجابة الناس له .

ظهر بوضوح في المقابلة أن مدير البرنامج كان يحاول الحصول من الدكتور عبد الرحمن ، الذي يمثل آل الشيخ في الوزارة ، على حديث يركز فيه على الشعور الوطني الذي يجب أن يدفع الشباب للانتساب الى الجيش للدفاع عن بلادهم ووطنهم . لكن الدكتور عبد الرحمن لم يستجب لهذا الاتجاه وركز حديثه على واجب الجيش في خدمة الاسلام والدفاع عنه دون أن يذكر كلمة عن الوطن السعودي . وعبثاً حاول مدير البرنامج توجيه الحديث إلى الموضوع الوطني فقد أصر الوزير على البحث بالاخطار التي تهدد الاسلام وضرورة حمايته . وليس ذلك بمستغرب لان فكرة الوطن بحد ذاتها غير مقبولة لدى آل الشيخ وامثالهم من السلفيين الذين يؤمنون بمبدأ «الامة الاسلامية» الجامعة دون إقامة اعتبار لوطن أو حدود . تساءلت كيف يمكن تشكيل جيش مستعد للتضحية في سبيل بلاده إذا كان أركان الحكم يمانعون في تنمية الروح الوطنية ؟

المقياس السادس : مدى استيعاب المواطنين للسياسة العسكرية ، ودرجة تجاوبهم معها .

من أهم ما يعزز قدرة الجيش في المعارك شعور ضباطه وجنوده أن الشعب

يؤيدهم ويدعمهم ويشكل سنداً لهم . ولا يندفع الناس في هذا التأييد إلا إذا فهموا أسباب الحرب واقتنعوا بها . وهذا يتطلب اتصالاً وثيقاً بين الحاكمين والمحكومين ومشاركة شعبية فعلية في قرار الحرب والسلم .

وهذه المشاركة مفقودة تماماً في النظام السعودي القائم .

## النشاطات الأميركية في الميدان العسكري السعودي

لا يمكننا إنهاء البحث عن القوات المسلحة السعودية دون ذكر الدور الرئيسي الذي تلعبه الولايات المتحدة في هذا الميدان .

في سنة ١٩٨٤ قدر عدد الاميركيين العاملين في السعودية بمائة الف في خدمات تتصل بالقوات المسلحة وبأجهزة الاستخبارات . وتتمثل النشاطات العسكرية الاميركية بالاجهزة التالية :

١ ـ بعثة التدريب الاميركية (U. S. Military Training Mission) تعمل منذ ١٩٥١ وتتولى الاشراف على المساعدة العسكرية الاميركية وتقيم في الظهران ورئيسها يمثل وزارة الدفاع الاميركية لدى الحكومة وهي تنسق أعمال الشركات الاميركية العاملة في السعودية التي تقوم بثمانين بالمائة من أشغال الدفاع في البلاد .

٢ ـ المفرزة ٢٢ (Detachment 22) من سلاح الجو الاميركي تهتم بالتنسيق وبالاشراف على برنامج تجهيز سلاح الجو الذي يتعامل خاصة مع شركة نورتروب .

٣ ـ برنامج الحرس الوطني السعودي . يتولى الاشراف على مشاريع تحديث الحرس الوطني .

٤ ـ الوحدات الهندسية العسكرية (U. S. Army Corps of Engineers) تعمل منذ ١٩٥١ ونشاطها واسع جداً يشمل :

آ ـ بناء المدن العسكرية .

ب ـ تشكيل قوة بحرية وإنشاء مرافىء عميقة في الدمام وجبيل وجدة .

ج ـ تحديث تجهيزات ومعسكرات الحرس الوطني .

د ـ إقامة مراكز الدفاع الجوي التي تشرف على عملها الفرزة ٢٢ .

هـ ـ وضع برنامج للتجهيز والسوقيات (Logistics) .

هذه الاعمال يقوم بها أكثر من الف موظف رسمي من البنتاغون (وزارة الدفاع) يشرفون على الاعمال الخاصة وعلى الشركات المرتبطة بالقطاع العسكري وتوجه اكثر العقود الضخمة إلى الشركات الاميركية .

نشاطات الشركات الخاصة

إن جميع شركات الصناعة العسكرية الاميركية ممثلة في السعودية ولديها نحو ١٤ الف موظف وأهم هذه الشركات : لوكهيد ، نورتروب ، ريثيون ، فينيل ، بنديكس .

## صفقات سعودية ضخمة وجديدة للاسلحة

قبل زيارة الملك فهد لواشنطن بتاريخ ١١ فبراير ١٩٨٥ تقدمت السعودية بطلب لمشتري اسلحة متطورة تبلغ قيمتها الاف ملايين الدولارات تشمل ٤٠ طائرة مقاتلة (ا ف ١٥) تضاف الى ٦٠ طائرة مماثلة اشترتها عام ١٩٧٨ . وتشمل أيضاً ثلاثة آلاف صاروخ جو ـ جو (سايد وايندر) ، والف صاروخ مضاد للطائرات (ستينجر) يطلق من كتف الجندي ، وصواريخ جو ـ ارض مضادة للدبابات ، وربما طائرات اواكس إضافية ، ورفوف لاطلاق القنابل تحوّل طائرات (ا ف ١٥) من طائرات دفاعية الى طائرات هجومية[٥] .

وقد استبقت الادارة الاميركية وصول الملك فهد فأعلن وزير الخارجية جورج شولتز يوم ٣٠ يناير أن الحكومة أجلت النظر بالطلب السعودي لمدة بضعة اسابيع بينها تجري مراجعة لسياسة بيع الاسلحة للمنطقة آخذة بعين الاعتبار تأثير ذلك على سلام المنطقة وامنها وسياسة المملكة السعودية وطريقة تصرفها[٦] .

والحقيقة أن الحكومة الاميركية لاقت معارضة قوية في الكونغرس لبيع الاسلحة للسعودية مبعثها عدم ثقة الشيوخ والنواب بالحكم السعودي .

من ناحية ثانية ، كانت السعودية تتفاوض مع شركات بريطانية واميركية هي ايروسباس البريطانية ، وجنرال ديناميكس ، وماكدونيل الاميركية ، على صفقة تبلغ قيمتها ١٢٠٠ مليون دولار لمشترى ٦٠ طائرة (تورنادو) وطيارات تدريب ومعدات مساعدة .

لما تأخر البت بالصفقة سافر وزير الدفاع البريطاني مايكل هزلتاين إلى الرياض لكنه لم يحصل على نتيجة قاطعة لأن فرنسا قدمت عرضاً منافساً لبيع السعودية طائرات (ميراج ٢٠٠٠) ينقص سعرها نحو ثلاثين بالمائة عن السعر الانكليزي ـ الاميركي وإن كانت الميراج ليست بمستوى التورناندو حسب قول بريطانيا[٧] قبل البت بين الميراج والتورنادو بقيت السعودية تنتظر توجيهاً واضحاً من الولايات المتحدة . فلما اقتنعت هذه أن الكونغرس لن يسمح ببيع طائرات اميركية ، أشارت على السعوديين بالاتجاه الى بريطانيا لا إلى فرنسا .

وهكذا قررت السعودية ، حسبما أوردته وكالات الانباء (رويتر ، وآب ، وا ف ب) يوم ١٦ سبتمبر ١٩٨٥ أن تشتري ٤٨ طائرة تورناندو مقاتلة و ٣٠ طائرة تدريب من طراز هوك بقيمة تبلغ نحو اربعة آلاف مليون دولار. والجدير بالملاحظة أن طيارة تورنادو هي من انتاج الكونسورتيوم البريطاني ـ الالماني ـ الايطالي الذي لا تشترك به فرنسا .

بعد هذه الصفقة يبقى التساؤل قائماً :

هل السعودية حقاً بحاجة لهذا التسلح الذي فاق حد التصور ، وهل لديها الطواقم المؤهلة من السعوديين لاستعمال هذه الاسلحة وصيانتها ، وهذا امر مشكوك به ، أم أنها تكدس هذه الاسلحة المعقدة لاستعمال الغير ، وهل يربط آل فهد بين ايراد النفط المتدني كمية وثمناً وبين هذا الترف التسلحي الذي لا لزوم له .

# مراجع الفصل الثالث عشر

## الجيش والقوات المسلحة


١ - The Military Balance 1983-84, The International Institute for Strategic Studies (IISS), London.

٢ - Newsweek, March 24, 1985, p. 13.

٣ - السعيد، ناصر، تاريخ آل سعود، ص ٦٣٨.

٤ - New York Times, March 25, 1985, p. 1 and 8.

٥ - The Guardian, London, January 25, 1985.

٦ - UPI, January 31. 1985.

٧ - Financial Times, London, December 21, 1984.

# الفصل الرابع عشر

## التفكك والانحلال

### بأي حق يحكم آل سعود

إن متابعتنا لتاريخ آل سعود منذ نشأتهم إلى نهاية عهد الملك فيصل ، ثم شرحنا لطبيعة المجتمع السعودي ونظام الحكم في عهد آل فهد من حيث تنظيمه السياسي والاداري والدفاعي ، ثم بحث سياسته العربية ، كل ذلك يؤدي بنا إلى التساؤل :

بأي حق يحكم آل سعود البلاد وبموجب أي مسوغ شرعي .

إن كل حاكم في العالم ، قديماً وحديثاً ، يبرر تسلطه بمبدأ اخلاقي يتقبله الناس لأن الطبيعة البشرية على ما يبدو لا تقبل بالقوة العسكرية وحدها مبرراً للتسلط على الشعب بل تطلب أن يُغلف ذلك بعقيدة دينية او وطنية او اجتماعية .

قديماً ادعى الفراعنة والاشوريون وغيرهم الالوهية فحكموا كمنفذين لمشيئة الرب . وجاء بعدهم سلاطين وملوك حكموا حكماً ظالماً مستندين إلى حق الفتح . ثم جاء الاسلام فوضعت بعض آياته أسس نظام عادل استنبط منها الفقهاء اسلوباً متكاملاً للحكم سيأتي تفصيله .

وجاء بعدهم ملوك في اوروبا وغيرها يحكمون حكماً وراثياً مدعين أن الله منحهم حقاً الهياً للحكم المطلق .

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر صارت مشيئة المواطنين في الدول الغربية متمثلة بحق الانتخاب هي الشرعية التي يستند إليها الحاكمون وقد حددت

دساتير هذه الدول وقوانينها بتفصيل حقوق الشعب والافراد وطريقة التعبير عن المشيئة الشعبية واطلق على هذا النظام اسم الديمقراطية .

وظهرت في الزمن ذاته عقائد سياسية واقتصادية تعتبر هذه الديمقراطية مزيفة لأنها تعبر عن مصالح الطبقة الرأسمالية المستغلة حسب قولها ودعت إلى حكم الطبقة العاملة ممثلة بحزب واحد وحرمان الطبقات الاخرى من الاشتراك بالحياة السياسية مثال ذلك الدول الشيوعية وما يسمى بالجمهوريات الشعبية .

في البلاد العربية حدثت انقلابات كثيرة في العقود الاربعة الماضية فاتخذ كل انقلاب أراد لنفسه الاستمرار، عقيدة يحكم بذريعتها . وما من نظام اعتمد القوة العسكرية المجردة مبرراً لحكمه .

الرئيس جمال عبد الناصر اختط عقيدة سميت باسمه (الناصرية) يشوبها كثير من الغموض لكنها استهوت أعداداً كبيرة من الناس في بلاد عربية مختلفة .

الحكمان الحاليان في سوريا والعراق يعتنقان العقيدة البعثية الاشتراكية ويسعيان إلى تطبيق مبادئها وإن اختلفا بتفسيرها .

العقيد معمر القذافي طور نظرية جديدة للحكم وللمجتمع شرحها في «الكتاب الاخضر» يحكم بلاده بموجبها .

الجزائر تتلمس طريقها في تطبيق فكرة ثورية اشتراكية .

الاردن ولبنان يتبعان بصورة عامة النظام الديمقراطي الغربي .

طبقت الكويت ، ولفترة ما البحرين ، النظام التمثيلي النيابي مطعماً على حكم الشيوخ العشائري .

أما اليمن التي قضت على شرعية الامامة الزيدية فلا تزال تتنقل من انقلاب إلى آخر دون استقرار وتفتش عن هويتها .

واقتبست اليمن الجنوبية نظام الجمهوريات الشعبية . وفي الامارات العربية المتحدة حكام عشائريون يتمثلون في مجلس اتحاد .

وفي قطر حكم عشائري آخر .

فأين يصنف النظام السعودي نفسه بين هذه الانظمة العربية والعالمية ؟

إن حق الفتح الذي يعتمد على حروب عبد العزيز في بداية هذا القرن ، يبرر قيام أي مغامر بانقلاب عسكري يزيل آل سعود ويتولى مكانهم ، ان تذرعوا بالفتح وحده دون سند اخلاقي .

وآل سعود أعداء للنظام التمثيلي الديمقراطي الذي يعبر عن مشيئة المواطنين ويمكن أن يمنحهم الشرعية التي يحتاجون لأنه يحدّ حتماً من تسلطهم على المال العام ، وربما يقصيهم عن الحكم كلياً أو جزئياً ، وقد يحاسبهم بموجب قاعدة «من أين لك هذا» ؟

وآل سعود أشد عداء للعقائد الماركسية والثورية التي تطالب برأسهم .

بقيت لهم شرعية الحكم العشائري إن كان ذلك الطراز البدائي من التجمعات البشرية يشكل شرعية . لكن آل سعود ليسوا شيئاً في انساب شيوخ القبائل العربية العريقة كما رأينا في الفصل الثاني .

فلماذا إذن يحكم آل سعود وبأي مبرر أخلاقي ؟

يأتينا الجواب من تاريخهم .

### شرعية مستمدة من الوهابية

رأينا في الفصل الثاني أن آل سعود لم يتميزوا عن غيرهم من شيوخ الواحات النجدية نصف الحضر إلا بعدما تحالفوا مع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في منتصف القرن الثامن عشر واعتنقوا دعوته .

تحث هذه الدعوة الناس على الرجوع إلى أصول الدين (القرآن والسنة) حسب المذهب الحنبلي ، ولها مفهوم خاص في تطبيق هذه الاصول على حياة السكان اليومية فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات تختلف عما اعتاده المسلمون السنّة منذ مئات السنين في ظل الخلافة العثمانية وما سبقها .

وتحض هذه الدعوة على التقشف في اللباس والمسكن والطعام ، والابتعاد عن مباهج الدنيا والانصراف إلى العبادة ، وتستنكر مظاهر الثروة والجاه والعظمة ، وتساوي نظرياً بين الكبير والصغير .

من خصائص هذه الدعوة ايضاً إنكارها التام لأي تسامح بين المذاهب والاديان ، ورفضها لاي تساهل أو تسوية في شئون الدين والدنيا تختلف عن التعاليم التي دعا إليها محمد ابن عبد الوهاب . فكأن العالم تجمد في ذلك التاريخ ، وكأن التطور البشري في العلوم والفنون والاداب والمعارف والاقتصاد والمال والتعامل الاجتماعي توقف عند مفاهيم الصحراء النجدية في ذلك الزمن .

نظراً لبساطة ذلك المحيط البدوي وخلوه من التعقيد ، فإن الامور عندهم كانت تبدو جلية واضحة فهي سواد حالك أو بياض ناصع لا ظلال بينها ولا يغشاها لون رمادي. فالمسلم مؤمن إذا أتبع تعاليمهم ، وكافر إذا رفضها ، والامور شرعية أو منكرة ، ليس بين الحالتين احتمالات تشوش الذهن وتبذر الشكوك .

باسم هذه الدعوة وتحت لوائها أخضع آل سعود القبائل واجبروها على إتباع تعاليمها وجبوا منها المال والضرائب . لكن عمق ايمان جمهرة السكان بهذه الدعوة كان ولا يزال موضع شكوك وتخمينات أظهرها انضمام كثير من القبائل والاهالي الى الغزوة المصرية ضد الامام السعودي الوهابي سنة ١٨٣٦ ، واستكانة النجديين الى حكم آل رشيد ما بين ١٨٨٧ الى ١٩٠٢ وهم غير وهابيين ، ثم ما ظهر من مشاعر السكان عند استقبال الرئيس عبد الناصر في الضهران والرياض عام ١٩٥٤ وهو يمثل مبادىء علمانية وثورية مناهضة للتعاليم الوهابية ، وأخيراً رفض الاهالي لدعوة جيهمان ابن محمد العتيبي واتباعه الذين استولوا على المسجد الحرام يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ وعدم ظهور تأييد شعبي لها مع أن الحركة دعت إلى العودة بالبلاد إلى صفاء المبادىء الوهابية في أيامها الاولى .

والجدير بالملاحظة أن الوهابيين الذين فرضوا دعوتهم بالقوة في المناطق

الواقعة تحت نفوذ آل سعود ، فشلوا بذلك في الدول المجاورة حيث صدتهم القوات العراقية والاردنية . ولم تجد الدعوة أية استجابة سلمية في الشمال العربي المتحضر نسبياً فانحصرت في المملكة السعودية وقطر .

مع كل ما يشوب الدعوة الوهابية من إعراض عربي شعبي عنها، فإنها تبقى المسوغ الشرعي الوحيد لحكم آل سعود. فهي التي تمنحهم الغطاء الادبي والاخلاقي الذي يبرر حكمهم، وتنبثق شرعيتهم من التزامهم بقيمها الدينية والاخلاقية. ومن الطبيعي أن تسقط هذه الشرعية إذا تنكروا لهذه القيم والاخلاق.

ويدرك آل سعود ذلك فيرددون في كل مناسبة أن دستورهم هو القرآن، وأن نظامهم اسلامي مستمد من الاصول وقد استمروا بهذا الادعاء من أيام الملك عبد العزيز إلى الان.

## نظام الحكم الاسلامي

إن ادعاء آل سعود أنهم يقيمون نظام حكم اسلامي يلقي عليهم مسؤوليات أوضحها الفقهاء المسلمون السنة، خصوصاً الاصوليون منهم الذين عالجوا موضوع الحكم في الاسلام وهي تتناول الامور التالية: البيعة، وتولية الامام أو الحاكم، ولاية العهد، حق عزل الحاكم إذا اساء، تعين الموظفين، مخصصات رئيس الدولة، الشورى.

وسننقل باختصار اراء الفقهاء بهذه المواضيع لنتبين مدى تقيد آل سعود بها ومدى التزامهم بمبادىء الحكم الاسلامي الصحيح.

### البيعة

يقول ابو الحسن الماوردي «البيعة عقد وكالة بين الامة وحاكمها المنتخب من افرادها المسؤول عنها. وعقد البيعة عقد موقت مشروط، فهو خاضع لرأي الاصل

(أي الامة) فإن رأي الوكيل ملتزماً للشروط المحددة ابقى الوكيل إن شاء، وإن رأى الوكيل قد جانب الشرط وخرج من العقيدة عزله إن شاء».

ويقول ابن تيمية «الامامة (أي رئاسة الدولة) تثبت بمبايعة الناس (لرئيس الدولة) لا بعهد السابق له»[1].

وقد اجمع الفقهاء أن رئيس الدولة في الاسلام رجل تختاره الجماعة التي تتألف ممن يعرفون بأهل الحل والعقد.

ولم يحدد الشرع اسلوباً معيناً للبيعة كما لم يحدد من هم «أهل الحل والعقد» بل ترك ذلك عن حكمة لاهل كل عصر يتصرفون به بما يتوافق مع حاجات عصرهم ومحيطهم ضمن نطاق المبادىء الشرعية. وما دام عصرنا قد اختار اسلوب الانتخاب الشعبي فمن الطبيعي أن تتخذ «البيعة» هذا الاسلوب.

**ولاية العهد والاستخلاف**

الاستخلاف هو أن يرشح رئيس الدولة شخصاً يراه صالحاً ليخلفه فيعرضه على الامة فأما أن تبايعه أو ترفضه وتختار غيره.

يفسر الاستاذ عبد القادر عودة «الاستخلاف» ويميز بينه وبين تعيين ولي العهد مسبقاً فيقول: «لا يكون الاستخلاف إلا عندما تحضر الوفاة رئيس الدولة فيستخلف غيره أي يرشحه لرئاسة الدولة ولا يقصد بذلك إلا توجيه الناس إلى الرجل الصالح ليخلفه على أن لا يختاره من ذوي قرباه. أما ولاية العهد فتكون قبل ولاية الحاكم بزمن طويل. ولا يقصد من ولاية العهد إلا ايثار ذوي القربى وحفظ الحكم في اسرة بعينها دون رعاية مصلحة الامة. وهكذا يقوم الاستخلاف على النظر الى مصلحة الامة، وتقوم ولاية العهد على المحاباة. ويرمي الاستخلاف إلى اقامة الشورى التي فرضها الله، أما ولاية العهد فترمي إلى اقامة الملك العضوض الذي يبغضه الله»[2].

ويقول الدكتور عبدالله النفيسي «أن الرئاسة (الامامة) لا تنعقد بولاية العهد

لأنه عقد بين المسلمين والرئيس. ووراثة الحكم ليست فيه طبيعة العقد فهو ملك جبري. وفي ظل الحكم الوراثي ليس المسلمون فيه هم الذين يختارون الحاكم وانما هو الذي يفرض نفسه عليهم ثم يأتون يبايعون بيعة المجبورين»[٣].

ثم يقول «إن حكم العائلة في عالمنا الاسلامي اليوم هو أخطر انحراف وقع في التاريخ الاسلامي. ذلك أنه يحيط العائلة بسياج من الهيبة والامتياز المادي والمعنوي على حساب كل الآيات التي وردت في الكتاب الكريم حول القسط والعدل والمساواة بين الناس. وحكم كهذا يحول العائلة الحاكمة إلى مؤسسة تآمرية: التآمر على الامة كي تبقى خاضعة، والتآمر ضمن العائلة الحاكمة فيمن يأتي للحكم بعد هلاك الحاكم»[٤].

حق العزل

إن حق عزل رئيس الدولة نتيجة طبيعية لحق المسلمين بممارسة البيعة، أي انتخاب رئيس الدولة. فالذي يملك تعيين الوكيل، يملك عزله إذا خرج عن حدود وكالته أو لم يقم بمهام الوكالة عجزاً أو تقصيراً. وما رئيس الدولة في الاسلام إلا وكيلاً عن الامة[٥].

ويقول الاستاذ عبد القادر عودة: «من مبادىء الاسلام أن يخلع المحكومون طاعة الحاكمين إذا ما خرج الحاكمون على طاعة الله. وفي ذلك يقول الرسول «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وبذلك ربط الاسلام طاعة المحكومين بطاعة الحاكمين لامر الله»[٦].

تعيين الموظفين

عالج الفقهاء مسألة تولي المناصب في الدولة الاسلامية فأكد ابن تيمية أنه يجب على ولي الامر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل بغض النظر عن النسب والقرابة والمصالح العائلية والخاصة. فإن عدل ولي الامر عن الاحق الاصلح إلى غيره لاجل قرابة بينهما، أو صداقة، أو

مرافقة في بلد، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة «فقد خان الله ورسوله» استناداً إلى قول الرسول «من ولي من امر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله»، وإلى قول عمر بن الخطاب: من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين.

### مخصصات رئيس الدولة

يقول الفقهاء أنه إذا كان للامام مال يقوم بحاجته وحاجة عياله فليس له أن يأخذ من مال المسلمين إلا بمقدار ما يأخذ أي فرد أخر. فإذا كان ماله لا يكفي حاجته، أخذ من بيت المال ما ينقصه. وإن لم يكن له مال اصلاً، أخذ من بيت المال ما يقوم بحاجته وحاجة عياله كرجل من اواسط الناس ليس باغناهم ولا بافقرهم(٧).

ويستند الفقهاء في هذا القول إلى مسلك ابي بكر وعمر وعلي.

### الشورى

ذهب أكثر الفقهاء، وخاصة فقهاء الاصوليين، إلى أن الشورى واجبة على الحاكمين بموجب الاية «وامرهم شورى بينهم» (الشورى ٣٨)، «وشاورهم في الامر» (آل عمران ١٥٩)(٨). وقرروا أن الشورى من اصول الشريعة الاسلامية وقواعدها، ورتبوا على ذلك أن من ترك الشورى من الحكام فعزله واجب دون خلاف(٩).

يقول الاستاذ عبد القادر عودة أن نظام الحكم الوحيد الذي يعرفه الاسلام هو القائم على دعامتين: احداهما طاعة الله واجتناب نواهيه، والثانية الشورى أي أن يكون أمر الناس شورى بينهم. فإذا قام الحكم على هاتين الدعامتين فهو حكم اسلامي خالص وليسمى بعد ذلك بالخلافة أو الامامة او الملك فكل هذه التسميات صحيحة لا غبار عليها.

## اين موقع آل سعود من قوانين الحكم الاسلامي

حدد آل سعود طبيعة نظامهم منذ نشأتهم . فهم ائمة الدعوة السلفية الوهابية يتوجب عليهم التقيد باحكامها فيما يتعلق بالبيعة، وولاية العهد، وتعيين الموظفين، ومخصصات رئيس الدولة، وتطبيق مبدأ الشورى في الحكم.

لكنه يوجد بون شاسع بين وجوب التقيد بالاحكام الشرعية، وبين تطبيقها عملياً. وقد برع آل سعود بالادعاء بالالتزام بها في حين يتصرفون بعكسها. ولنتعرض بعض تصرفاتهم منذ ولاية الملك عبد العزيز.

### مسخ مبدأ البيعة

لقد ذكرنا قرار الفقهاء بأن الرئيس في الدولة الاسلامية رجل تختاره الجماعة وهذه الجماعة تتألف من «أهل الحل والعقد» «وهم المتبوعون في الامة الذين تثق بهم وترضى برأيهم» كما قرروا أن الرئيس المنتخب مقيد بشروط البيعة فإذا اخل بها أو نكل عنها سقطت بيعته.

وقد جرت بيعة الملك عبد العزيز آل سعود على أساس شروط فرضها أهل الحجاز وبيناها في الفصل السابع من أهمها أن يبقى الحجاز منفصلاً ومستقلاً عن نجد، وأن يقوم اهله بادارة شئونه بواسطة مجلس شورى وبموجب دستور اصدره عبد العزيز بتاريخ ٣١ اغسطس (آب) ١٩٢٦.

لكن الملك عبد العزيز نقض شروط البيعة لما الغى استقلال الحجاز وضمه إلى نجد سنة ١٩٣٢ ففسدت بيعته ولم تعد ولايته على الحجاز شرعية.

### اغتصاب دور «اهل الحل والعقد»

قبيل وفاته ارتكب الملك عبد العزيز مخالفة شرعية اخرى ما زال اولاده مستمرين عليها إلى اليوم. فقد اوجب الشرع أن يختار «أهل الحل والعقد» رئيس

الدولة. ومع أن الشرع لم يحدد من هم اهل الحل والعقد، فهم بكل الأحوال لا ينحصرون بأفراد عائلة، واحدة كما يجري في البلاد السعودية حيث يجتمع عدد من اولاد عبد العزيز واخوته وربما لا يزيد عددهم عن عشرين شخصاً فيتناقشون ويتعاقدون على اقتسام منافع الملك ثم يعلنون اسم الملك وولي العهد. بعد ذلك يدعون العلماء ليطلعوهم على القرار فيوافق هؤلاء دون مناقشة على اختيار الامراء ويُعلن ذلك على أهل البلاد الذين يأتون للمبايعة «بيعة المجبورين».

هكذا مسخ آل سعود نظام البيعة في الاسلام ودور أهل الحل والعقد وحصروه بأنفسهم لا يشاركهم به احد من مواطنيهم فاخلّوا بالركن الاساسي في «حكم الاسلام» وفقدوا شرعيتهم.

## ولاية العهد بالتعيين

اضاف آل سعود إلى هذه المخالفة الشرعية مخالفة اخرى هي تعيين ولي العهد مع اعلان اسم الملك وحمل الناس على مبايعة الاثنين معاً حتى اصبح الحكم وراثة وقام «الملك العضوض» حسب تعبير الاستاذ عبد القادر عودة، وتحولت العائلة الحاكمة إلى «مؤسسة تآمرية على الامة» حسب قول الدكتور عبدالله النفيسي.

## توظيف الاقارب

يقول الفقهاء السلفيون أن التعيينات في الدولة الناتجة عن صلة النسب والقرابة والمصالح العائلية والرشوة تشكل «خيانة لله ولرسوله» استناداً إلى قول الرسول: «من ولي من امر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله».

وننظر فنجد آل سعود من اولاد الملك عبد العزيز، وكلهم شبه امين لا يكادون يحسنون القراءة والكتابة البسيطة، يتولون رئاسة الدولة، وولاية العهد، ورئاسة مجلس الوزراء، وكل الوزارات الرئيسية في الدولة كالداخلية والدفاع والخارجية والاشغال العامة ورئاسة الحرس الوطني.

كما نجد اربعة عشر من اولاد الملك عبد العزيز حكاماً للمناطق الرئيسية والحساسة في البلاد، يضاف إليهم تسعة من آل السديري المتحالفين مع آل سعود بالقرابة والمصلحة يحكمون تسع مناطق. ويحكم منطقة الباحة شخص صاهره الملك فهد مؤخراً. فلا يبقى من مناطق المملكة إلا اثنتين يحكمها اشخاص لا قرابة لهم مع آل سعود هما منطقة الخرج والطائف(١٠) وإن كانا من الموالين لهم.

فهل يعقل أن لا يوجد بين الاف السعوديين حملة الشهادات العليا من يصلح لتولي الوزارات وأمارات المناطق، وأن تنحصر الكفاءات بآل سعود واقاربهم.

وكيف يبرر آل سعود هذا التصرف الذي يقول عنه الاصوليون أنه «خيانة لله ولرسوله».

**ابتلاع اموال الدولة**

فرض الشرع. لرئيس الدولة أن يأخذ من بيت المال، إذا احتاج، «ما يقوم بحاجته وحاجة عياله كرجل من اواسط الناس ليس باغناهم ولا بافقرهم».

أما الملك عبد العزيز واولاده من بعده فقد اعتبروا أموال الدولة ملكاً خاصاً لهم فغرفوا منها واستولوا على الحصة الكبرى منها بأساليب مختلفة كما سيأتي تفصيله.

**انكار مبدأ الشورى.**

لعل اخطر مخالفات آل سعود الشرعية هو انكارهم لمبدأ الشورى، واصرارهم على رفضه، وعصيانهم للأمر الواضح الوارد في الآيات: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ ﴿وشاورهم في الامر﴾.

ولم يسكت الشعب السعودي على هذه المخالفة فأصر اهل الحجاز على الشورى وعلقوا بيعتهم لعبد العزيز على تحقيقها فانصاع مضطراً وشكل مجلس شورى من علماء الحجاز واعيانها ليشارك بادارة المنطقة كما اصدر دستوراً تحت اسم «التعليمات الاساسية للمملكة الحجازية».

لكن الملك عبد العزيز لم يكن مخلصاً لمبدأ الشورى فما زال يقلص من صلاحيات المجلس الاستشاري ويلغي بنوداً من «التعليمات الاساسية» حتى تخلص من كل ذلك باعلان وحدة الحجاز ونجد عام ١٩٣٢ وعاد يحكم حكماً شخصياً مطلقاً كما مر معنا في الفصل السابع فانهى دور الشورى الاسلامية في مملكة آل سعود الوهابية.

## تطورات قضية الشورى

نظراً لأهمية قضية الشورى في مصير البلاد السعودية فسنعرض فيما يلي ببعض التفصيل تطور مطالبة الشعب السعودي بدستور يحدد من طغيان الحاكمين، وبمجلس شعبي فعّال.

في اواخر الخمسينات وتحت ضغط الحملات الناصرية على العشيرة السعودية والإستجابة الشعبية الواسعة لها، اتفق اولاد الملك عبد العزيز تقليديين وتقدميين بشهر مارس ١٩٥٨ على إصلاحات دستورية تتضمن وضع دستور للبلاد، وإسناد صلاحيات جديدة لمجلس الشورى القديم تجعل منه مجلساً استشارياً فاعلاً، وإعادة تنظيم الحكم المحلي في المناطق.

وافق الملك سعود على ذلك والأمير فيصل الذي الف حكومة لتنفيذ هذه الإصلاحات. وتفاءل الدستوريون بهذا الإتفاق فأعلن عبدالله الطريقي وزير البترول «أننا في السعودية سرنا الخطوة الأولى نحو الدستور وستطور البلاد لتصبح ملكية دستورية». وبدأت تظهر مقالات في الصحف السعودية سنة ١٩٦٠ تدعو للإصلاح الدستوري. وأعلن نواف ابن عبد العزيز في القاهرة بشهر مايو (ايار) ١٩٦٠ «عن اتجاه لإنشاء مجلس شورى يسن اول دستور للبلاد».

لم ينفذ فيصل الإصلاح المتفق عليه فماطل به الى ان أقصاه الملك سعود عن الحكم وشكل وزارة في نهاية ١٩٦٠ اشترك بها الدستوريون وعلى رأسهم الأمير طلال الذي صرح لجريدة «الحياة» البيروتية عن اعتقاده بأن الوزارة ستحقق الإصلاحات الموعودة.

قدم الدستوريون مشروعهم الى الملك سعود الذي نكل عن تعهده متذرعاً بالقول أن دستور البلاد هو القرآن. وايّد العلماء موقفه فاظهروا، كما أظهروا في مناسبات أخرى، أنهم عنصر ثابت في مقاومة الأماني الشعبية.

وجاء فيصل ثانية رئيساً للوزراء بعد انقلاب اليمن الذي هدد كيان العشيرة السعودية فأعلن برنامجاً إصلاحياً من عشر نقاط بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٦٢ وعد فيه بوضع دستور للبلاد (قانون أساسي)، وتوسيع صلاحيات مجلس الشورى، وزيادة مشاركة المواطنين بتقرير سياسة الدولة، ووضع نظام لإدارة المناطق، وإلغاء الرق. لكن البلاد انشغلت بمقاومة الغزو المصري لليمن الذي استمر الى عام ١٩٦٧ وتوقف البحث بالإصلاح الدستوري.

وكان الأمراء الدستوريون قد لجأوا الى القاهرة في صيف ١٩٦٢ ثم عادوا تباعاً الى الرياض بعد سنتين كما رأينا في الفصل العاشر.

وفي عهد الملك فيصل (١٩٦٤ ـ ١٩٧٥) خفتت المطالبة بالإصلاح الدستوري ولم يعد يسمع لها صوت وتناسى فيصل برنامجه الإصلاحي.

كان على البلاد أن تنتظر أربع سنوات اخرى (من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠) لتعود العشيرة السعودية الى التلويح بالإصلاح بعدما اهتزت أركانها من جراء عملية جهيمان العتيبي سنة ١٩٧٩ الذي نادى علناً بالفضائح الأخلاقية لآل سعود فأثار النقمة الشعبية عليهم.

سارعت العشيرة لاسترضاء الناس فأعلن الديوان الملكي يوم ١٨ مارس (آذار) ١٩٨٠ أي بعد ثلاثة أشهر من حركة العتيبي، تشكيل لجنة عالية المستوى «لتضع بالشكل النهائي القانون الأساسي للبلاد (الدستور)، وقانون مجلس الشورى، ونظام المقاطعات، ونظام الخدمة العسكرية على ان تنهي عملها بوقت قريب جداً».

لجنة وضع الدستور وقانون مجلس الشورى، ١٨ مارس ١٩٨٠

تألفت لجنة برئاسة الأمير نايف وزير الداخلية وعضوية وزير العدلية ابراهيم محمد آل الشيخ، ووزير العمل والشؤون الإجتماعية ابراهيم العنقري، ووزير الحج والأوقاف عبد الوهاب عبد الواسع، ووزيري الدولة محمد ابراهيم مسعود ومحمد الملحم، ورئيس مجلس المظالم محمد ابن جبير، وعضو لجنة العلماء العليا محمد لحيدان، وعضو مجلس القضاء الأعلى، ووزير دولة سابق صالح الحسين. ويلاحظ كثرة رجال الدين في هذه اللجنة.

سبق تشكيل اللجنة تصريح لولي العهد الأمير فهد، يوم ١٠ يناير ١٩٨٠ في مجلة الحوادث الصادرة في لندن قال فيه: إن «القانون الأساسي» للبلاد يتألف من مايتي مادة مستمدة من الشريعة وسيوضع موضع التنفيذ خلال شهرين. كما قال إن تشكيل مجلس الشورى سيعلن في الوقت ذاته.

بعد ثلاثة ايام في ١٣ يناير ١٩٨٠ قال الأمير فهد لجريدة «السفير» البيروتية إن مجلس الشورى العتيد سيتألف من ٥٠ ـ ٧٠ عضواً تعينهم الدولة «لأننا جربنا أسلوب الإنتخاب في المجالس البلدية فلم ينجح إلا الأغنياء». ولم يفهم الناس هذه الإشارة المسيئة للأغنياء بينما هو في عداد كبارهم.

وفي حديث مع راديو مونت كارلو يوم ٣١ يناير ١٩٨٠ قال الأمير فهد إننا نامل ان تنتهي صياغة مواد مجلس الشورى قريباً وهدفنا منه هو أن نستفيد من علم أعضائه وخبرتهم.

واستمرت مناورات التعمية. فأعلن الأمير نايف رئيس اللجنة، يوم ١٧ مايو ١٩٨٠ إن اللجنة تسير بعملها بشكل مرضي لكنها تحتاج الى وقت أطول. وقال إن مجلس الشورى سيكون مساعداً لمجلس الوزراء ومتمماً له. (أي أن الأمير نايف نزع من مجلس الشورى حق التشريع، ووضع الأنظمة، ومناقشة ميزانية الدولة، ومراقبة الحكام، وجعله ملحقاً لمجلس الوزراء).

وتابع يقول إن قانون المقاطعات يهدف الى إنشاء مجالس في كل منطقة، تساعدة حاكمها (أي أنه لن يكون لها حق التخطيط لإنماء مرافقها ومراقبة أعمال الحاكم المعين وطريقة صرفه لميزانية المقاطعة).

وقال الملك خالد في تصريح لجريدة السياسة الكويتية يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٠ إن إنشاء مجلس الشورى لا يزال مدار بحث جدي لكن الموضوع يحتاج الى وقت أطول لتأتي الدراسة شاملة.

يُلاحظ ان التصريحات السعودية المتكررة جرت خلال عام ١٩٨٠ اي العام الذي تلا انتفاضة جهيمان العتيبي التي هزت أركان العائلة، فسارعت تتقرب من الشعب بالوعود. ولم تكن العشيرة السعودية مخلصة في دعواها إذ ما ان هدأت البلاد ودخل عام ١٩٨١ حتى أسدل آل سعود ستار النسيان على موضوع الدستور والشورى واكتفى الأمير نايف بإصدار تصريحات متباعدة عن لجنته تفيد بأنها مستمرة بعملها وتحتاج الى وقت إضافي لإنجازه.

واحتار الناس فيمن يصدقون. هل يصدقون الملك فهد الذي قال لمجلة الحوادث يوم ١٠ يناير ١٩٨٠ إن القانون الأساسي يتألف من مائتي مادة وسيوضع موضع التنفيذ خلال شهرين مع إعلان تشكيل مجلس الشورى، أم يصدقون أخاه الأمير نايف الذي يماطل ويطالب بوقت إضافي لإنجاز عمل اللجنة؟

## نفضة الدكتور القصيبي تعيد آل سعود لنغمة الإصلاح الدستوري

في شهر مارس (آذار) ١٩٨٤ أقال الملك فهد الدكتور غازي القصيبي وزير الصحة لأنه احتج بشدة في جلسات مجلس الوزراء على الرشوات والعمولات التي يتقاضاها آل فهد وطلب وضع حد لها.

أثارت هذه الإقالة وأسبابها غضب المتعلمين والطبقات الوسطى وقفت على

كل أمل بإمكانية تطوير النظام بشكل سلمي وأيقن الناس أن لا سبيل للإصلاح في ظل هذا الحكم.

شعر آل فهد بالأرض تميد تحتهم فعادوا الى المناورات التي اعتادوها.

تحدث الملك فهد في مقابلة مع ستيفان ميليفان رئيس تحرير الشئون الخارجية في صحيفة «السنداي تايمس» اللندنية يوم ٢ ديسمبر ١٩٨٤ عن مشروع لتعديل الحكم الملكي المطلق الذي يسود البلاد.

قال الملك فهد للصحيفة انه «خلال ثلاثة أو اربعة أشهر ينوي إنشاء مجلس الشورى وسيعيّن أعضاءه خلال عام ١٩٨٥. وفي الوقت نفسه سيمنح البلاد دستوراً مكتوباً.

وقال الملك فهد انه «بعد سنتين او ما يقارب ذلك ينوي إجراء انتخابات غير مباشرة لنصف اعضاء المجلس عن طريق مجالس اقليمية. ومع الوقت ستجري انتخابات مباشرة لبعض اعضاء مجلس الشورى او لجميعهم».

قال الملك فهد في المقابلة نفسها ان مجلس الشورى سيكون «برلمانياً مثل اي برلمان في البلاد الأخرى». لكنه سيتطور تدريجياً «لتفادي الأخطار وسنمشي خطوة خطوة حتى نبني نظاماً ثابتاً».

اما المهمة الرئيسية للمجلس المقبل كما قال، فهي التعبير عن رأي المواطنين ومراقبة تنفيذ سياسة الحكومة وتحقيق مشاركة السكان بالحكم. وقال الملك ان بناء المجلس في وسط الرياض بدأ منذ شهر (اهـ).

وها نحن في بداية ١٩٨٦ نرى وعود فهد تلحق بوعود خالد. لذلك لا يسع اهل السعودية إلا أن ينظروا بريبة الى هذا المشروع الجديد القديم. فهو لا يختلف بشيء عن مشروع ١٨ مارس ١٩٨٠ والتصريحات التي سبقته والذي بقي حرفاً ميتاً

لكننا حتى إذا افترضنا الإخلاص والصدق فيما صرح به الملك فهد فهناك خوف من ان ينطبق عليه المثل: «ذاهب الى الحج والناس راجعة». فالمجلس المعيّن الذي ربما كان مقبولاً في الستينات. لم يعد مقبولاً الآن، والتدرج الذي يدعو اليه، اي مجلس نصفه معيّن ونصفه منتخب بطريقة غير مباشرة، ثم احتمال تحويله الى انتخاب مباشر بعد عدد غير محدد من السنين، محاولات عقيمة فات عليها الزمن.

وقبل كل ذلك، بأي حق يتخذ الملك فهد لنفسه سلطة تقرير طريقة ممارسة السعوديين لحقوقهم السياسية وهي حقوق نصّ عليها الإسلام كما قال الفقهاء.

ينطبق على آل فهد في موضوع الشورى قول الإمام ابن القيّم: «إن الخطايا ينادي بعضها بعضاً. ولما كان الإستبداد شرّ ما اعتور حياة البشر من خطايا فإن على الذين يختارونه اسلوباً للحكم ان يتوقعوا حشوداً هائلة من الخطايا تلبي نداءه وتسارع الى هواه».

## التحدي السياسي الإصلاحي من الجوار

### انتخابات الكويت والباكستان

فيما آل سعود يناورون ويتخبطون حائرين في وجه المد الشعبي المتصاعد الذي يطالب بالحقوق السياسية، نرى الأحداث المجاورة تتخطاهم وتجعل من اقتراحاتهم التي عبّر عنها الملك فهد لصحيفة «سنداي تايمس»، اضحوكة مؤلمة.

فقد شهدت بداية عام ١٩٨٥ انتخابات نيابية في الكويت وباكستان. الأولى دولة خليجية مجاورة لا يختلف سكانها عن سكان السعودية من حيث الأصول والتقاليد والعادات، ومع ذلك تمارس الحياة الديمقراطية من عام ١٩٦١. والثانية دولة اسلامية سلفية كالسعودية لا تجد ان الشريعة تمنع من إجراء انتخابات نيابية يشترك بها عموم السكان.

كما شهد العام الجديد دعوة جديدة للديمقراطية أطلقها حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي.

### انتخابات الكويت

تمتعت الكويت بحكم نيابي نشط منذ استقلالها عام ١٩٦١ عدا فترة خمس سنوات من ١٩٧٦ - ١٩٨١ علق فيها الشيخ صباح الأحمد الصباح أعمال المجلس الذي يتألف من خمسين عضواً.

جرت الإنتخابات للمجلس النيابي السادس يوم ٢٠ فبراير ١٩٨٥ وكانت حرة ونزيهة بشهادة المرشحين. ويتمتع المجلس الكويتي بصلاحيات دستورية فريدة في محيط الجزيرة العربية. فهو الذي يسنّ القوانين ويمنح الثقة للحكومة، ويستطيع ان يتخطى معارضة رئيس الدولة إذا أصدر قانوناً بأكثرية الثلثين.

مارس حق الإنتخاب اكثر من نصف الناخبين المسجلين وأسفرت النتائج عن رغبة واضحة بالتغيير. فقد اعيد انتخاب ٢٢ من النواب السابقين لكن الشعب انتخب ٢٨ نائباً جديداً. أي إن نسبة التجديد زادت عن خمسين بالمائة. ويلاحظ أن معدل السن في المجلس الجديد لا يزيد عن الأربعين عاماً إلا بقليل فهو اكثر المجالس النيابية العربية شباباً.

ويلاحظ أيضاً ان القبائل البدوية فازت بنصيبها في الانتخابات لكنها تمثلت هذه المرة بمتعلمين من ابنائها.

ليس في الكويت أحزاب سياسية إذ إن القانون يمنعها. لكن فيها اتجاهات سياسية واضحة من أهمها التيار القومي التقدمي الذي يضم الإتجاه اليساري، والتيار الديني.

يمثل التيار القومي «التجمع الديمقراطي» و«كتلة الطليعة» والقوميون العرب. وقد سقط مرشحو هذا التيار في الانتخابات السابقة امام موجة التيار الديني.

اما في الانتخابات الحالية فقد نجح منهم ستة مرشحين من بينهم الدكتور

احمد الخطيب رئيس حركة القوميين العرب، وجاسم القطامي وسامي المنيس رئيس تحرير «الطليعة».

اما التيار الديني فيمثله «الأخوان المسلمون» و«السلفيون» و«جمعية الإصلاح الإجتماعي» وقد اصبح له عشرة اعضاء بزيادة ثلاثة عن المجلس السابق لكن سقط ثلاثة من زعمائه الأكثر تصلباً وهم السادة عيسى شاهين، وخالد سلطان، وجاسم شريدة.

ونجح ثلاثة مرشحين يمثلون الطائفة الشيعية التي تعد ثلاثين بالمائة من سكان الكويت.

اما باقي الفائزين فكانوا من المستقلين وبينهم عدد كبير من التكنوقراطيين. وتميزت هذه الإنتخابات باشتراك اثنين من أبناء العائلة الحاكمة لأول مرة هما الشيخ فهد الأحمد الجابر شقيق رئيس الدولة، والشيخ جابر مبارك الحمد. ويفسر بعض المعلقين نتائج الانتخابات بأنها دلت على عودة التيار القومي العربي وتراجع شعبية السلفيين.

دعوة شيخ الشارقة

في محيط الخليج ايضاً تبنّى الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة دعوة التقدم نحو الديمقراطية فاقترح في ٣ يناير ١٩٨٥ تحويل مجلس اتحاد الإمارات العربية المتحدة المؤلف من اربعين عضواً، من مجلس معين استشاري الى مجلس منتخب بطريقة غير مباشرة يتمتع بسلطات تشريعية.

وفسر ذلك بقوله إن للشارقة ستة ممثلين معينين في مجلس الإتحاد وهو يرغب باختيار نحو مائة من المواطنين الممثلين للإتجاهات والقبائل المختلفة ليختاروا بدورهم من بينهم الستة الذين يمثلون الإمارة في «المجلس الإتحادي»(١١).

لم يظهر بعد مدى استجابة شيوخ الإمارات العربية المتحدة لهذا الرأي. فالشيخ سلطان اكثرهم تحرراً وتقدمية وقد جعل من إمارته مركزاً للإشعاع الثقافي

في ذلك المحيط وهو يحضّر الآن لشهادة الدكتوراه بالتاريخ من جامعة اكستر الإنكليزية. ولكن لا بد لدعوته من ان تتفاعل لأن الدستور المؤقت للإتحاد ستنتهي مدته بآخر عام ١٩٨٥ وسيضطر حكام الإمارات الى وضع دستور جديد قبل ذلك التاريخ. وسيشكل ذلك إحراجاً جديداً للحكومة السعودية.

**انتخابات الباكستان**

بعد اسبوع من انتخابات الكويت جرب انتخابات نيابية في الباكستان يوم ٢٦ فبراير ١٩٨٥ في ظل الأحكام العرفية وعلى أساس دستور ١٩٧٣ بعدما أدخل عليه الرئيس ضياء الحق تعديلات عززت سلطة رئيس الدولة.

اشترك ٥٣ بالماية من الناخبين بالإقتراع رغم ان احد عشر حزباً معارضاً دعا لمقاطعة الإنتخابات بدعوى ان الحريات الحزبية وحرية عقد الإجتماعات والدعاية الإنتخابية كانت ممنوعة.

كانت الإنتخابات على العموم حرة ونزيهة ضمن القيود المفروضة. ودلت على استقلالية واضحة لدى الناخبين، وتبيّنت إرادتهم الواضحة من نتائجها.

تقدم المرشحون على اساس شخصي لا حزبي لأن تنظيم الأحزاب ممنوع. فقط ستة من وزراء الرئيس ضياء الحق الذين ترشحوا من أصل تسعة.

ورفض الناخبون المرشحين الداعين الى «الدولة الإسلامية» الذين تؤيدهم جمعية «جامعتي اسلامي» واوضحوا بذلك رغبتهم بإيقاف برنامج «الأسلمة» الذي سار عليه الرئيس ضياء الحق في السابق.

وخذل الناخبون ايضاً عدداً كبيراً من المرشحين الذين عينهم الرئيس ضياء الحق اعضاء في المجلس السابق، ونجح عدد كبير من المرشحين الذين يدخلون المجلس لأول مرة مما يدل على رغبة الناخبين الواضحة بالتغيير. ويتألف المجلس الجديد بأغلبيته من عناصر مستقلة ومعتدلة تمثل رجال اعمال ومحامين وأطباء ومالكين زراعيين وضباط متقاعدين.

والشيء البارز المشترك في انتخابات الكويت والباكستان هو تراجع ملحوظ في قوة التيار الديني السلفي بعدما مارس في السنوات الماضية نفوذاً واضحاً أوحى الى الحكام انه يتمتع بشعبية تزيد كثيراً عن عدد ممثليه في المجلسين النيابيين. وقد عبر عن ذلك احد الناخبين الباكستانيين فقال «انه اختار حين الاستقلال عام ١٩٤٧ ان يعيش في دولة اسلامية لكنه لا يريد عصبة من المتعصبين تدخل الدين في زلعومه ليلاً نهاراً وتجبره على ازدراده».

كيف سيتجاوب آل سعود مع هذه التطورات الدستورية نحو المشاركة الشعبية في الحكم التي جرت في جوارهم، في الكويت والباكستان ويحتمل ان تمتد الى الإمارات العربية المتحدة؟

قياساً على تصرفهم السابق، نتوقع ان يبقوا على جمودهم ويستمروا بالمماطلة املاً بأن الوقت سينسي الشعب مطالبه.

يروّج لآل سعود بعض السفراء والكتاب الأجانب الذين يدعون ان آل سعود يرغبون بإحداث التطور الدستوري لكنهم يحاولون السير بتؤدة ليوفقوا بين الفئات الدينية القوية وبين الطبقات الوسطى الناشئة. وهم في هذا يكررون ما يسمعونه من آل سعود دون تمحيص. وقد اثبتت انتخابات الكويت والباكستان انصراف الناس عن النزعات الدينية المتطرفة.

والحقيقة ان آل سعود لا يخشون التيار الديني بل يستغلونه فهم مسيطرون عليه بواسطة علمائهم، لكنهم يلوّحون به لصدّ ضغط اصدقائهم الأجانب عليهم بضرورة الإنفتاح ولإسكات صوت المطالبين بالإصلاح.

ولو كان لدى آل سعود رغبة حقيقية بمعرفة اتجاه البلاد فهل هناك مقياس اصدق من الإنتخابات لبيان قوة التيار الديني السلفي، بالمقارنة مع التيار التقدمي العصري؟

يل آل سعود بقوة التيار الديني اسلوب ممجوج وغير صادق غايته
ح الدستوري الذي لا بد آتٍ.

## زوال شرعية آل سعود الدينية

خلاصة ما تقدم أن آل سعود خالفوا كل المبادىء الشرعية المترجمة على الامام ـ الملك حسب الدعوة السلفية ، الاصولية ، تلك المبادىء المختصة بولاية الملك وولي العهد ، ودور «اهل الحل والعقد» والبيعة ، والشورى ، وحق التعيين والعزل ، وتحديد مخصصات رئيس الدولة والامراء .

ويجب أن يجيب الملك السعودي على تساؤلات مواطنيه التالية :

أولاً ـ هل يعترف الملك أن اختيار الامام وترشيحه هو ديناً من حق أهل الحل والعقد ومسؤوليتهم حسب رأي الفقهاء الذين استوحوا قرارهم من «السلف الصالح» أي من بيعة أبي بكر وعمر بن الخطاب .

ثانياً ـ هل يعترف آل سعود أنه لا يجوز لهم شرعاً حصر رئاسة الدولة بهم ، وأن الترشيح للامامة ولرئاسة الدولة حق لكل مسلم سعودي كما قال الفقهاء .

ثالثاً ـ هل يعترف الملك بأن عدد أهل الحل والعقد في البلاد السعودية يفوق بكثير عدد آل سعود والعلماء الذين يستأثرون للآن بتنصيب الامام ـ الملك وولي عهده ويبعدون باقي المواطنين عن المشاركة الفعالة .

رابعاً ـ إذا اعترف ملك السعودية بذلك فما عذره بعدم المبادرة إلى وضع نظام يحدد هوية أهل الحل والعقد وينظم عملهم فيما أوكلت اليهم الشريعة .

خامساً ـ هل يعترف الملك السعودي أن الشورى مفروضة عليه في الاسلام وأن لا خيار له بتنفيذ ما ورد في الآيات الكريمة الصريحة . وإذا كان الامر كذلك فلماذا يجعل تأليف مجلس الشورى وكأنه فضل يمنّ به على السعوديين مع أنه احد الزم واجباته ، وما عذره بالمماطلة في دعوة المواطنين لانتخاب مجلس شورى يتمتع بصلاحيات حقيقية لادارة أمور الدولة ومراقبتها .

سادساً ـ إذا لم يقبل آل سعود بما تقدم فما هو السند الشرعي الذي يستندون اليه في حكمهم علماً بأن شرعيتهم مستمدة من الدعوة الوهابية السلفية والاصولية .

## هل حاز آل سعود على الشرعية المدنية ؟

ما دام آل سعود قد فقدوا شرعيتهم المستندة الى الدين كما اسلفنا ، فهل يستطيعون التذرع بالشرعية المدنية ليستمروا بالحكم ؟

تستند الشرعية المدنية في عصرنا الحاضر إلى عدة نظريات اكثرها شيوعاً هي : الشرعية الليبرالية ، والشرعية الطبقية ، والشرعية الثورية .

الشرعية الثورية تحققها جماعة مسلحة تحمل مبادىء سياسية واجتماعية معينة (غالباً ما تكون يسارية) ، ترفض الوضع الاجتماعي والسياسي القائم وتعمل على تغييره باسلوب العنف والثورة . فإذا نجحت بقلب نظام الحكم وبالاستيلاء على السلطة وثبتت اقدامها في البلاد تكتسب شرعية دولية وداخلية .

أما الشرعية الطبقية فإنها تنبثق من النظرية الشيوعية التي ترى أن الحكم من حق الطبقة العاملة ممثلة بالحزب الشيوعي . وهي ايضاً تلجأ إلى العنف والثورة للاستيلاء على الحكم .

وليس آل سعود في وارد الاعتماد على الشرعية الثورية والطبقية بالنظر لوضعهم الاجتماعي ولاستئثارهم بالحكم . فلا يبقى أمامهم إلا الشرعية الليبرالية أي الشرعية المنبثقة عن شعور شعبي عام يعبر عن رضا السكان على الحكام . فإذا تمتع الحكم بهذا التأييد الشعبي العفوي ينفتح الباب أمامه ليسير بالبلاد في جو من الاستقرار السياسي والحرية نحو التقدم والازدهار .

وليس للشرعية الليبرالية وجه واحد معين من أنظمة الحكم . فقد يتخذ الحكم مظهراً ملكياً ، أو جمهورياً ، أو مجلسياً فذلك لا يغير شيئاً من حقيقته ما دام يلتزم بمبادىء سياسية واخلاقية واحدة .

المبدأ السياسي الرئيسي هو مشاركة الشعب بالسلطة السياسية الفاعلة مشاركة مباشرة عن طريق ممثليه المنتخبين ليضمن تجاوب الحاكم مع ارادة المواطنين ، حتى يحقق لهم الامن والاستقرار والازدهار والعدالة باساليب مقبولة ·

لديهم ومتفقة مع أخلاقيتهم . فلا يحقق الامن مثلاً بطريق الإرهاب ، ولا الاستقرار بحرمان المواطنين من حق الاعتراض والمناقشة ، ولا العدالة بقسوة القوانين .

إن استجابة الحاكم لارادة المواطنين ، سواء كان ملكاً او رئيس جمهورية أو مجلساً ، لا يعني حرمانه من قيادة الشعب في السبل التي يراها أفضل لتحقيق أهداف البلاد . فهو الذي يخطط ويقود ، والشعب يراقب ويحاسب ويوقف السير أو يغير السبيل أن أخطأ الحاكم .

إن المبدأ الرئيسي في الشرعية الليبرالية هو استنباط أفضل الوسائل واسهلها لضمان التفاعل المستمر بين الشعب والحكم فإذا تيسر هذا رسخت الشرعية على قواعد متينة .

لكن هذه الشرعية ليست مطلقة أو ابدية . إنها ليست كنزاً مادياً يحوزه الانسان فيصبح إرثاً عائلياً يتوارثه الابناء عن الاباء على مدى الدهور .

وليست الشرعية ملكاً شخصياً يهبه الوالد لولده أو لاقربائه . انها استحقاق متجدد يجب أن يحوزه كل حاكم . فإما أن يجدد الشعب القبول ، أو أن الحاكم يزول .

في الانظمة الديمقراطية الليبرالية تتجدد الشرعية بالانتخاب . والانتخاب ، على نقائصه ، لا يزال الطريقة الفضلى التي اهتدت اليها المجتمعات الحرة للتعبير عن إرادة المواطنين . حتى الانظمة الثورية والشيوعية التي تحكم باسم الطبقة العاملةوالحزب الواحد تجد نفسها مضطرة أن تستمد شرعيتها من الشعب فتجري انتخابات تستند على نتائجها لتبرير استمرار نظامها .

والانتخابات في الدول الليبرالية تفترض تكويناً سياسياً معيناً . فيجب أن يسبقها تشكيل احزاب ذات برامج معروضة على الشعب . ويجب أن يتمتع الافراد والاحزاب بحرية الكلام والمناقشة والاجتماع ، وبحق عرض آرائهم في المنشورات

والصحف والاذاعة والتفزيون متحررين من الرقابة الحكومية . وتلعب المعارضة السياسية دوراً رئيسياً في إبقاء الحكم متحفزاً ومتيقظاً لتفادي الاخطاء .

يجري كل هذا في رحاب مجلس الشورى ، أو المجلس النيابي ، أو مجلس الشعب . تختلف الاسماء والشيء واحد . وهذا المجلس هو الممثل للشعب ، الرقيب على الحكم ، مشترع القوانين والانظمة ، محدد اساليب الجباية والانفاق ومبالغها .

تكتمل الشرعية الليبيرالية بالنزاهة والاخلاق . فالشعب لا ينتخب لصاً او مختلساً او محتالاً او مرتشياً أو منافقاً ليمثله في المجلس أو في الحكم . وإذا اكتشف بعض ذلك في أحد السياسيين فإنها تكون نهاية الحياة السياسية لذلك الشخص .

فأين آل سعود من هذه الشرعية المدنية القائمة على الحرية والاخلاق ؟

حرمان الشعب من الحريات السياسية

أول ما يلاحظه الباحث في أحوال السعودية هو فقدان الحريات السياسية الكامل ، والكبت الشامل للافراد والجماعات . فلا يسمح باجتماعات عامة تبحث شئون البلاد السياسية والاقتصادية والمالية إلا إذا نظمها أحد أجهزة الحكم . والمناقشات السياسية العلنية ممنوعة إلا إذا كان غرضها تمجيد النظام .

والصحافة المحلية على اختلاف مواضيعها تخضع يومياً لرقابة مسبقة من مديرية المطبوعات فلا ينشر رأي يخالف ما يريده آل سعود . ومثل ذلك الصحافة الاجنبية .

أما الراديو والتلفزيون فهما محتكران لوزارة الاعلام .

ويعمّق آل سعود العزلة الفكرية لمجتمعهم عن التطورات العالمية فلا يدخل اسواق المملكة كتاب بالعربية او باللغات الاجنبية إلا بعد أن يمرّ على مديرية المطبوعات التي ينصرف مراقبوها بموجب تعليمات وزارية ضيقة الافق وقصيرة

النظر مستمدة من عقلية رجعية خائفة تخشى إنتشار الكلمة لئلا تتفتح أذهان المواطنين .

أما الاحزاب السياسية والنقابات العمالية فلا تخطر على بال لأنها من أعمال الشيطان .

يظن آل سعود أنهم يستطيعون بهذا الكبت السياسي والفكري حماية نظامهم ، وهو رجعي بجميع المقاييس ، من التيارات السياسية السائدة في جوارهم العربي ، وهم واهمون . وكل ما يجنونه من هذه الرجعية هي فقدانهم للشرعية المدنية التي كان يمكن أن يعوضوا بها عن فقدان الشرعية الدينية .

## التجاوزات الاخلاقية

بالاضافة الى الكبت السياسي والفكري ، فقد أحاط بآل سعود مطعن آخر خطير يتعلق بتخلي معظمهم شبه التام عن المبادىء الاخلاقية والادبية مما يكفي وحده لينزع عنهم حق تولي أمور الناس في السياسة والاقتصاد والمال .

ونحن لا ندعي حق الحكم على أخلاق الناس . فالانسان حرّ في رأينا ، أن يشرب الخمر ويقامر ويمارس الجنس في حياته الخاصة على هواه ما دام متقيداً بالنظام العام للبلد المقيم فيه .

لكنه يفقد هذا الحق ويصبح عرضة للانتقاد في ثلاث حالات :

١ - إذا تولى منصباً عاماً فيصبح مضطراً إلى الالتزام بمستوى أخلاقي معين في حياته الخاصة .

٢ - وإذا دعا علناً الى مبادىء اخلاقية صارمة وفرضها على غيره ثم مارس في حياته الخاصة نقيضها فيصبح في عداد المنافقين .

٣ - وإذا مد يده بالسرقة إلى المال العام .

أمثلة عن تجاوزات آل سعود الاخلاقية

في شهر يونيو ١٩٤٧ أقام الامير ناصر حاكم مدينة الرياض والابن الخامس بعد عبد العزيز الذي يأتي بعد خالد في التسلسل الوراثي ، حفلة في قصره دعا إليها عدداً من الاصدقاء والنساء . وكان استحضر آلة لتقطير الكحول ركبها في قصره . ويبدو أنها انتجت كحولاً سامة سببت موت سبعة من ضيوفه بينهم أحد آل رشيد والباقون من النساء . وقد إتهم أقرباء الرشيدي الامير ناصر أنه سمم قريبهم عمداً فانتقلوا إلى بغداد حيث قاموا بدعاية واسعة ضد آل سعود . وخسر ناصر وظيفته وطرح مدة في السجن . ولما تولى خالد الملك حمل فهد العائلة على تجاوز ناصر وتعيينه هو ولياً للعهد .

بعد حادثة ناصر بأربع سنوات وفي عهد الملك عبد العزيز أيضاً أقام نائب القنصل البريطاني في جدة سيريل اوسمان حفلة في منزله يوم ١٦ نوفمبر ١٩٥١ دعى إليها مشاري ابن عبد العزيز الذي شرب حتى سكر ثم أطلق النار على صاحب المنزل فقتله . ولفلفت الحكومة القضية ودفعت ديّة لزوجته ورحلتها لبلادها . على أثر ذلك أصدر الملك عبد العزيز قراراً يحرم على غير المسلمين الاجانب تناول المسكرات . فعلق صديقه هاري فيلبي على ذلك قائلاً : «إنه من الغريب ان يكون بمقدور المسلمين وحدهم عبّ الخمر في السعودية» لأنه كان معلوماً عند عبد العزيز وغيره أن أكثر اولاده يتعاطون المسكرات ، وكذلك وزير ماليته عبد الله السليمان الذي كان مدمناً ، وكثيرون من آل سعود وكبار الحاشية ، فلم يفعل عبد العزيز شيئاً لردعهم . والحقيقة أن الخمر بأنواعه موفور في كل وقت في السعودية لمن رغب لكن بثمن مرتفع .

من الذين أدمنوا على المسكرات الملك سعود كما مر معنا ، والامير فيصل ابن تركي الذي عينه سعود وزيراً للداخلية في ربيع ١٩٥٨ وتوفي بعد سبعة اشهر لادمانه على الخمر .

ومنهم تركي ابن عبد العزيز نائب وزير الدفاع الذي أقيل من منصبه سنة ١٩٧٨ لسكره بالاضافة إلى أنه أهمل زوجته أخت خالد ابن عبد الرحمن وتزوج ابنة محمد الفاسي فلم ترضَ العائلة عن هذا الزواج .

ومن الغريب أن اميري المدينتين المقدستين مكة والمدينة فواز وعبد المحسن أولاد عبد العزيز يتعاطون المسكرات بصورة دائمة وبكميات كبيرة . وقد نُحي فواز عن منصبه بعدما احتل جهيمان العتيبي المسجد الحرام ١٩٧٩ واتهمه بالفساد . ولم يعتبر الملوك فيصل وخالد وفهد السكر سبباً لاقالة الوزراء والموظفين فقد كان السيد عمر السقاف وزير الدولة للخارجية مدمناً على الخمر ومع ذلك احتفظ به الملك فيصل إلى حين وفاته .

أما الملك فهد فقد ذكرنا شيئاً عن شخصيته في الفصل الثاني عشر . وقد أذاعت الصحف والمجلات العالمية سنة ١٩٧٤ خبر خسارته ستة ملايين دولار في ليلة واحدة في أحد ملاهي الريفيرا الفرنسية لكن ذلك لم يحل دون تعيينه ولياً للعهد بعد سنة فالسفطائية فصلت ما بين التصرفات الخاصة وبين مسؤوليات ولاية العهد ومسئوليات الملك من بعدها . وطبعاً لم تكن جلسة القمار هذه الاولى أو الاخيرة. وقد عرف عن الامير (الملك) فهد تردده على نوادي القمار الخاصة عندما يزور العواصم الغربية . وعائله بذلك الامير طلال . وفي زيارة خاصة للندن في صيف ١٩٧٥ أي بعد وفاة الملك فيصل امضى الامير فهد ولي عهد السعودية سهرة قمار ممتعة في نادي (كلير مونت) بعد عشاء حيم تخلله الخمور الفاخرة في نادي (انابل: الشهير[١٢] .

بعدما بنى آل سعود القصور في ماربلا باسبانيا مع أصدقائهم وحاشيتهم صاروا يستطيعون التمتع بالنساء والخمر والقمار وغير ذلك دون أن يتعرضوا بالدرجة ذاتها لفضول الصحفيين الاجانب . وقد كتبت بذلك مجلة الشرق الجديد الانتقادية الصادرة في لندن في عدد اكتوبر ١٩٨٤ تحت عنوان : «مال العرب الداشر» :

المال الداشر وفي قول آخر الفالت يفسد الضمائر ويعلم الناس الحرام ويبعدهم عن الحلال . وهذا هو الحال بالنسبة لما تبقى من المال العربي في أيدي المسؤولين عليه ، والذين فرضوا أنفسهم قيمين عليه فبددوه منذ ظهر على وجه الارض شذر نذر ونثروه أوراقاً خضراء على موائد القمار وسيقان الراقصات واحضان البغايا ومسارح المنكرات وما أكثر هذه المسارح .

وهذا المال لم يفسد ضمائر المسؤولين عليه المستأثرين به دون سائر عباد الله من سكان البلاد التي ظهر فيها لأن هؤلاء أصلاً ولدوا دون ضمائر ونشأوا وترعرعوا دون أخلاق ذلك لأنهم نسوا مع الزمان اصولهم المنغرسة في الاخلاق والفضيلة ومدوا فروعهم في اراضي الفسق والرذيلة وذلك عندما تحولوا عن الرمل والجمل الى الكاديلاك والرولزرويس وعرض الدنيا الزائل فلا هم طوروا الرمل والجمل ولا هم عرفوا كيف يستعملون السيارة والطائرة .

ماربلا الاسبانية أصبحت الآن مدينة عربية . لقد اشتراها المال العربي الداشر . عمرها قصوراً ومساجد ومسارح وكباريهات وحدائق غناء وشوارع فسيحة وقد كانت قرية كباقي القرى الاسبانية . وماربلا واحدة من مئات القرى التي عمرها المال الداشر والذي لو لم يكن داشراً لعمر مثلاً افرام في المغرب، ووجده والحمامات في تونس ، واللاذقية في سوريا وطرطوس وكم في بلادنا من متجعات يمكن أن تبنى وتعمر وتصير جناناً لكن المال كما نعلم داشر والفساد يتغلغل في الضمائر .

واسبانيا التي لها تاريخها العريق في فن التعامل مع الاعراب والتفاهم مع عقليتهم عرفت كيف تبيح شراء لارض والعقار على ترابها لتأخذ حصتها من المال الداشر .

وبعدها جاءت تركيا مؤخراً لتسن قانوناً يبيح للاعراب دون غيرهم بامتلاك الارض والعقار واقامة المباني والحدائق والمرابع والقصور . فالارض لا يمكن أن تُنقل . وفي ليلة لا نجم فيها سترى العربان خارجاً والارض تبقى لاصحابها

الاصليين. والعربان ما عرفوا عمرهم فن الحفاظ على الارض والتراث لأنهم اخذوها سبيلة بالميراث، ولذا اصبحت مالاً داشراً. (اهـ)

والحقيقة أنه يصعب استثناء أحد من اولاد عبد العزيز، عدا الملكين فيصل وخالد، من شرب الخمر والمقامرة، وان اختلفت النسب بينهم.

أما فيما يتعلق بالنساء فالامر أدهى. فكل واحد من اولاد عبد العزيز متزوج من عدة زوجات بالاضافة الى المحظيات الموزعات على القصور. ولا يكتفون بذلك إذ ينتحلون الاعذار ويخلقون المناسبات للسفر الى الخارج. وكانت محطاتهم بيروت والقاهرة في البداية، ثم تطورت فأصبحت العواصم الغربية مرتعاً لمغامراتهم.

ولا يحرم آل سعود أنفسهم من متع الغرب عندما يعودون إلى بلادهم. فإذا اشتد بهم الشوق ونأى المزار يرسل لهم عملاؤهم في الغرب من حين لآخر طيارات ملأى بالحسان يأتين دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول فتحط بهن الطائرة في مكان نائي من مطاري جدة او الرياض وتأتي سيارات الامراء توزعهن على القصور ثم يتبادلون الغواني الى أن يرتووا فتعود الحسان إلى بلادها محملة بالمال والهدايا. وتتكرر الزيارات مراراً كل سنة وتجري تحت سمع وبصر وزير الداخلية الامير نايف ونائبه الامير احمد ابن عبد العزيز.

النفاق في التعامل الاجتماعي

لم يكتف آل سعود، أو معظمهم، بممارسة المحرمات من شرب الخمر والميسر واباحة الجنس على أعلى المستويات، فاضافوا اليها النفاق. والنفاق هو ما يعتقده أو يفعله الانسان في السر بينما يدعو إلى نقيضه في العلن.

وقد حلل آل سعود لانفسهم ما حرموه على غيرهم. فهم يجلدون رعاياهم إذا سكروا أو لعبوا القمار، ويرجمونهم إذا زنوا، في حين يمارسون هم الفواحش على أنواعها فلا يهتز لهم ضمير ولا يتعرضون لعقاب.

مثال على هذه الازدواجية ان الامير نايف وزير الداخلية يسكت عن دخول البغايا لمتعة الامراء دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول، لكن طالب العمل الشريف من بلاد العرب يمضي الأشهر يتوسط ليحصل على تأشيرة دخول للسعودية.

وتمنع وزارة الداخلية المرأة السعودية والاجنبية من العمل الشريف في المكاتب، وتحرم الطالبات من متابعة العلم في الجامعات الاجنبية، وتحظر على المرأة السفر إلى الخارج إذ لم يرافقها احد محرميها، وتمنع الزوجات من مرافقة ازواجهن القادمين للعمل في المملكة، وتلزم المرأة بلبس الحجاب والعباءة، إلى اخر ما هناك من اجراءات تستهدف المرأة السعودية بالدرجة الاولى، لكن دخول الغانيات سراً لمتعة الامراء مباح!

وقد روى المؤلفان هولدن وجونز[١٣] أن الكبت الذي يمارسه الحكم الرجعي ضد النساء، والحياة المملة المفروضة عليهن ولد ثورة في نفس الفتيات الموسرات فقمن يتجولن بسياراتهن، التي يقودها سائق، في شوارع المدن والمتنزهات حتى إذا صادفن فتى يروق لهن يدسسن له بواسطة السائق رقم التلفون ثم يتفقن معه على موعد غرامي، ويبدو أن هذه عادة شائعة قديمة. فقد ذكر السيد ناصر السعيد في كتابه «تاريخ آل سعود»[١٤] ان الأميرة جوهرة بنت الملك عبد العزيز وهي متزوجة من احد ابناء عمها الامير خالد بن ناصر بن عبد العزيز، صادفت الفتى الطيار الزهراني وهي في سيارتها في أحد شوارع الرياض فراق لها فأخذته إلى قصرها واغتصبته. ثم غضبت عليه وطردته لما اشعل سيكارة ليدخنها باعتبار أن ذلك مخالف للدين! فالزنا مقبول أما التدخين فمحرم!

وقد عرف المؤلف شباباً غير سعوديين في جدة والرياض يستقبلون فتيات سعوديات في شققهم فيمضون ساعتين أو ثلاث للمتعة ثم تعود الفتيات مع السائق إلى بيوتهن. وقد تبين أنه إذا كان الحجاب والعباءة يمنعان الرجال من النظر إلى النساء، فإنهما أيضاً خير ما يخفي المرأة عندما تذهب إلى مواعيدها الغرامية.

فالغريزة الجنسية أقوى من أن تكبتها القوانين والعقوبات، ومعالجتها لا تكون بالزجر والشدة.

### حادثة الأميرة مشاعل

جاءت حادثة الاميرة مشاعل بنت فهد حفيدة الامير محمد ابن عبد العزيز عم الملك فهد، وعشيقها خالد مهلهل ابن اخ وزير الاعلام علي الشاعر تمثل بصورة علنية وضع المرأة السعودية المكبوتة. فقد زوّجها اهلها من قريب لم ترتاح اليه فحصلت لدى خالد على المتعة التي تنشدها. ثم خطط العشيقان للهرب لكنه قبض عليهما واصر جدها على اعدامها وهو نافذ الرأي في الاسرة السعودية فنفذ الحكم بها باطلاق النار عليها أما عشيقها ثم اعدم هذا بقطع الرأس وتم ذلك في نهاية شهر يوليو (تموز) ١٩٧٩.

إن حادثة الاميرة مشاعل ليست حالة منفردة بل تمثل مئات وربما الاف الحالات المشابهة التي تتكرر يومياً لفتيات نجحن بابقاء علاقاتهن مكتومة. وليس هذا بأي شكل طعناً بالفتيات السعوديات إذ لو تسنى لهن الاختلاط العادي البريء وشغلن اوقاتهن باعمال منتجة ومفيدة لهن ولمجتمعهن لربما تفادين التورط الكامل. لكنه المجتمع المغلق الضاغط الذي يورثهن السآمة والملل في ظل النظام الرجعي الفاسد هو الذي يدفعهن الى التفتيش عن التسلية والمتعة.

ربما يتساءل القارىء لما ذا نركز على فساد آل سعود وعلى فسقهم في نواحي الجنس والخمر والقمار في حين أن المتعة الجنسية شبه مباحة في المجتمعات الغربية المتقدمة، والمقامرة شرعية في بعضها، وشرب الخمر عادي في جميعها.

الجواب في ما قلناه سابقاً بأن شرعية آل سعود منبثقة من التزامهم بالدعوة الوهابية وقيمها الدينية والاخلاقية التي تحرم الزنا والخمر والميسر، فإذا تنكروا لهذه القيم والاخلاق سقطت شرعيتهم. لذلك يجب أن يحاسبوا على اعمالهم بموجب هذه القيم لا بموجب العادات السائدة في حضارات اخرى. أما إذا تخلوا عن

الامامة والملك والسلطة وعاشوا كمواطنين عاديين فلا شأن لنا معهم، والأمر بينهم وبين خالقهم.

وقد طرح سؤال على مفتي الجماعة الاسلامية في مصر الدكتور عبد الرحمن علي عبد الرحمن: «هل يحل دم حاكم لا يحكم طبقاً لما انزل الله؟». فاجاب: «نعم يحل دم مثل هذا الحاكم لأنه يكون قد خرج الى دائرة الكفر». (الدكتور عبد الرحمن اشتغل بالتدريس لبعض الوقت في السعودية)(١٥).

## السفه في الانفاق الشخصي

يتصرف آل سعود في صرف المال «كأغنياء الحرب» حديثي النعمة. و«اغنياء الحرب» تعبير اطلق في الخمسينات على اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية على طبقة من الناس حازت ثروات كبيرة في مدة قصيرة من صفقات مشبوهة تتعلق على الغالب بالتجارة بمخلفات الجيوش أو غيرها، ثم برزت هذه الطبقة تحاول أن تحتل مركزاً لها في المجتمعات الراقية عن طريق التظاهر بالغنى باسلوب ممجوج يستقبحه اصحاب النعم العريقين.

وهذا ما يفعله الان «اغنياء البترول». فقد بطروا بالثروة التي نزلت عليهم دون تعب. ويعرف القاموس البطر بمن «طغى بالنعمة فصرفها إلى غير وجهها». وهكذا نرى الملك فهد يبني قصراً في ماربلا على طراز البيت الابيض مسكن رئيس الولايات المتحدة ولكنه أكبر منه بثلاث مرات كلفه سبعة الاف مليون دولار. وتبعه باقي امراء آل سعود على مقياس اصغر، ثم المتزلفون للامراء من السماسرة ومن يشابههم حتى غدت ماربلا مدينة للعرب للفاسقين.

وانطلق الملك فهد يبني قصوراً اخرى. فبنى قصراً في المنطقة الشرقية قطره كيلومتر يحط به سور ارتفاعه سبعون قدماً. وهو يبني قطراً على شاطئ البحر الاحمر لا يقل فخامة وكلفة.

ويروي العارفون عن هذه القصور قصصاً اشبه بقصص الف ليلة وليلة. وكذلك عن اليخت الذي اوصى عليه الملك فهد في مدينة بورتسماوث في انكلترا بكلفة ستة الاف مليون دولار. وقد قالت عنه جريدة «فايننشال انكوايرر» الانكليزية بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٨٤ أن طول اليخت يبلغ ٤٧٠ قدماً وهو اطول بـ ٥٨ قدماً من يخت ملكة بريطانيا الذي يعتبر أكبر يخت خاص في العالم. ويبلغ ارتفاع يخت الملك فهد بناء مكوناً من ثلاث طبقات.

ويحتوي اليخت على قسم فخم للعائلة المالكة، وقسم اخر يتسع لستين ضيفاً، وهو مطلي بشكل يمنع الرؤية من الخارج كما أن زجاجه لا يخرقه الرصاص. وفي اليخت رصيف لطائرة هيليكوبتر وهو مزود بجهاز الكتروني للحماية من الغارات الجوية.

أما البذخ في الأثاث فيفوق الوصف ذكرت عنه صحيفة دايلي تلغراف اللندنية بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٤ أن ادوات الحمام مصنوعة من الذهب الخالص وأن ارضه واحواضه مرصوفة باحجار نصف كريمة.

بالاضافة إلى اليخت، اوص الملك فهد على طائرة خاصة كلفت مائة وخمسين مليون دولار.

أن فداحة هذا الاسراف تتجلى بالمقارنة مع ما كان عليه الملك فيصل من تقشف فقد رفض أن يبني لنفسه قصراً أو مكتباً جديداً واستعمل الابنية التي كانت موجودة، كما رفض أن يستعمل شيئاً من ابنية مدينة الناصرية التي أقامها الملك سعود لنفسه قبل عزله.

وإذا كان اسراف الملك فهد يذكرنا بشيء فإنه يذكرنا بما كان عليه اخوه الملك سعود وما آل اليه.

## آل سعود والفن الاسلامي

في الماضي تبارى الخلفاء والملوك والامراء في العهود الاسلامية بتخليد ذكرهم واعلاء شأن دينهم بمساجد ومدارس ومباني تبرز جمال فن هندسة العمارة الاسلامية فتركوا للعالم آثاراً فنية رائعة تشيد بما وصلوا إليه من تقدم ورقي وتبرز معالم الحضارة الاسلامية.

ففي الهند تاج محل ومسجد لاهور، وفي ايران مساجد طهران وقم واصفهان وشيراز، وفي العراق التي هدمها المغول مسجد الكاظمية والعتبات المقدسة في نجف وكربلاء، وفي حلب الجامع الكبير الذي بناه الامويون، وفي دمشق مسجد بني امية الرائع، وفي القاهرة مسجد السلطان حسن وجامع ابن طولون ومسجد محمد علي، وحديثاً مسجد عبد الناصر، وفي اسطنبول مساجد وقصور خلفاء بني عثمان لا تحصى، وفي تونس مسجد القيروان، وفي فاس جامع الزيتونة، وفي الاندلس جامع قرطبة وطليطلة وبدائع غرناطة.

ولدى آل فهد من الأموال ما لم يتيسر لأي خليفة أو حاكم قبليهم ومع ذلك فلا نرى في السعودية في عهدهم أي أثر لصرح اسلامي جديد بل كل ما يراه الزائر عقم فني، وقحط ذهني، ورجعية وعداء لكل فن وجمال، ونقل تافه وسطحي عن فن البناء الغربي. فإذا قالوا أن الوهابية ترفض الفنون فإنما يؤكدون تأخرهم وعزلتهم عن المدينة الاسلامية قديماً وحديثاً. علماً بأن الوهابية لم تمنع إمامها الملك فهد من بناء افخم القصور وأكثرها ترفاً لكن في البلاد الاجنبية وحسب الفن الغربي.

يحافظ على الفن الاسلامي في عصرنا حفنة من العمال المهرة في مراكز الحضارة الاسلامية في الهند والباكستان وايران وسوريا ومصر وتونس والمغرب يتوارثون الصنعة ضمن العائلة الواحدة على الغالب.

وهؤلاء ينقص عددهم تدريجياً ويسيرون على طريق الانقراض نظراً لأن الاثر الفني الواحد يستغرق صنعه زمناً طويلاً فإذا انتهى منه صاحبه لا يجد مكافئة

مجزية. لذلك يتحول هؤلاء العمال إلى اشغال اخرى أكثر ربحاً.

وكان ينتظر من الامام الوهابي البالغ الثراء أن ينشىء مؤسسة تحتضن هؤلاء العمال في مختلف الاقطار وتشجعهم وتساعدهم مالياً وتقيم لانتاجهم المعارض، وتدرب من ترى فيه النباهة والميل لهذا الفن ليبقى التراث الاسلامي حياً ويتشر.

لكن أين هذا التفكير من آل سعود الغارقين في لهوهم وعبثهم.

ثم أن عملاً حضارياً كهذا يحتاج إلى اناس متحضرين.

## النهم للمال

ليس للمال رائحة عن أي طريق أتى

ركزنا في الصفحات السابقة على مخالفة آل سعود للمقاييس الدينية والاخلاقية التي تدعو إليها الوهابية. وهي مخالفات تكفي وحدها لاسقاط شرعيتهم وتصنيفهم بين الحكام المغتصبين الذين تحل ازالتهم. فما بالك إذا اضافوا إلى تلك المعاصي السطو على بيت مال المسلمين؟

بدأ سطو آل سعود على المال العام أيام الملك عبد العزيز والملك سعود فكانوا يغرفون منه ما شاؤوا على اعتبار ان مال الدولة هو ملكهم الخاص. وكانت ايرادات البترول في بداية تدفقها.

ثم جاء الملك فيصل فضبط الميزانية وعين مرتبات كافية للامراء. لكن ذلك لم يشبع نهمهم خصوصاً بعد سنة ١٩٧٣ عندما تضاعفت اسعار النفط وزاد انتاجه، فقاموا ينافسون التجار والمقاولين على موارد رزقهم وخالفوا وصية والدهم الذي حذرهم من ذلك وقال لهم: لا تنافسوا التجار في اعمالهم حتى لا ينافسوكم على الحكم.

واتفق ذلك مع شروع الدولة بتنفيذ مشاريع اقتصادية وعمرانية ضخمة

توجب الخطط الخمسية الثلاث بين ١٩٧٠ ـ ١٩٨٥ فاقت مخصصاتها الاف الملايين من الدولارات، بالاضافة إلى برامج تسلح صرفت نحو مائة الف مليون دولار خلال ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣ فقط، فزادت شراهتهم للمال وتفننوا بأساليب الحصول عليه.

وبما أن الكفاءات السعودية محدودة للقيام بالمشاريع الضخمة المطلوبة، كان لا بد من الاستعانة بالشركات الاجنبية. وتهافتت الشركات من بلاد الشرق الاقصى الى الولايات المتحدة مروراً بالشرق الاوسط واوروبا كل منها تبغي حصة من قرص الحلوى المعروض.

لم تكن الكفاءة المالية والخبرة العملية كافية وحدها لحصول الشركات على الاشغال. فقد اكتشفت هذه في وقت مبكر أن وكيلها السعودي يلعب دوراً هاماً، واحياناً دوراً تقريرياً، في من يحصل على عقد العمل من بين الشركات المتنافسة.

وهنا برز دور امراء آل سعود في السمسرة للشركات. فمن كان منهم خارج الحكم فتح مكاتب تجارية وحصل على وكالات شركات كبرى ليس لأن لديه كفاءة خاصة بالتجارة وادارة الأعمال فالجيل الأول من اولاد عبد العزيز شبه اميين لم يدخلوا مدرسة في حياتهم عدا اثنين منهم. لكن امراء آل سعود تاجروا بقرابتهم وبصلاتهم مع الحاكمين.

أما الذين منهم في الحكم فلهم نصيبهم مما تدفعه الشركات لاقربائهم وبما تدفعه لهم مباشرة في بعض الاحيان.

قد يتبادر إلى الذهن أنه ما دامت الشركة الاجنبية هي التي تدفع العمولة فلا بأس بذلك لأن الدولة السعودية لا تخسر شيئاً من هذا العمل. وقد فرضت الدولة على كل شركة اجنبية أن تتمثل بوكيل سعودي يتقاضى خمسة بالمائة من قيمة العقد لقاء خدمات كثيرة يقدمها كمراجعة دوائر الحكومة بشئون الشركة، والحصول لموظفيها على رخص الاقامة والعمل، وتدبير سكنهم ومأكلهم، وتسهيل سفرهم

وانتفاخم، واستجار اليد العاملة المحلية، إلى اخر ما هنالك من أمور تحتاجها الشركة في بلد لا تعرف لغته أو عاداته.

هذه العمولة الشرعية ليست موضع اهتمامنا لأننا نبحث عن العمولات المخفية والمخيفة التي تدفع لاهل الحكم مباشرة أو مداورة وتشكل نهباً للمال العام لأن مبالغها الكبيرة تضاف إلى نفقات العقد الشرعية بطرق ملتوية.

فعندما تتنافس الشركات على مشاريع بمئات أو الاف الملايين من الدولارات سواء في ميدان الانماء والمشاريع الاقتصادية، أو في مجالات التسلح، يتغير دور الوكيل السعودي من مساعد للشركة على تصريف اعمالها بعد حيازتها على العقد، إلى عنصر رئيسي في حصول الشركة على العقد.

وهنا تبرز الأهمية في أن يكون الوكيل من الأمراء. فاللجان الوزارية التي تبت بالعقود أكثر استجابة لرأي الأمير مع حفظ حقها بجزء من العمولة أما إذا كان المشروع ضخماً فالبت بأمره يعود إلى الأمراء من أهل الحكم.

وفي احيان كثيرة تمثل الشركات المتنافسة بامراء من الطبقة الاولى فيحصل التجاذب ضمن العائلة وينجح من هو أقرب بالدم والقربى مع الفئة المسيطرة من آل سعود وهم الان آل فهد أي الملك فهد واشقاؤه الستة، لكن آل فهد يسترضون بقية اخوانهم بعقود اخرى أقل اهمية، فالمال موفور يمكن أن يرضي الجميع.

وفي هذه الاحوال تتغلب ضرورة استرضاء العائلة على مبلغ العقد الضخمة أو على كفاءة المتعاقدين الفنية.

من الطبيعي أن الامير الذي يستغل اسمه وقرابته للحصول على عقد لشركة اجنبية لا يقبل بنسبة الخمسة بالمائة التي قررها القانون خصوصاً وأن عليه مشاركة اخوانه من أهل الحكم الذين اصدروا القرار لمصلحته. وعندها ترتفع عمولته إلى خمسة وعشرين أو ثلاثين بالمئة.

لكن شركات الاعمال لا تستطيع أن تدفع هذه العمولات المرتفعة من

رباحها فهي تعمل ضمن نطاق معين لمنافسة غيرها. وهنا تتحول العمولة الشرعية الى سرقة المال العام. إذ من مهمات الامير الوكيل أن يحسب بواسطة أهل الحكم من أقربائه زيادة ثمن العقد بمبلغ يكفي لدفع حصص الامراء والوزراء المسؤولين بالاضافة إلى الامير الوكيل مع ضمان الربح المقبول للشركة.

وهكذا نرى أن الرشوات التي تدفعها الشركات لا تخرج من ارباحها كما يظن البعض، بل من خزينة الدولة.

ويلعب الأمير الوكيل دور المهندس للصفقة. فهو يعرف كل أطرافها وما يريده كل واحد منهم وما يستحقه، وعليه ان يوفّق بين مطالبهم فيخفض لهذا ويراعي ذاك، كل حسب قيمته، حتى يتوصل الى مبلغ يرضي الجميع.

بعد هذا المخاض العسير تعلن نتيجة المناقصة وتتحول الرشوات الى الحسابات السرية في البنوك الأجنبية، وتدفع الخزينة السعودية ثمن هذه الصفقات.

هذا اسلوب شائع لسرقة المال العام في السعودية.

وهناك اسلوب آخر منتشر اكثر فجاجة يتمثل بدفع الرشوة نقداً من الراشي الى مانحي العقد. لكن الأسلوبين لا يختلفان من حيث النتيجة وهي نقل أموال الدولة الى جيوب الأفراد دون مسوغ شرعي وقانوني. وسنعرض بعض الأمثلة.

## صفقة المستشفيات للحرس الوطني

يقول الكاتب ستيفان فاي في كتابه «الشناعة النفطية الكبيرة»:[16] في عام ١٩٧٦ فازت شركة بلجيكية اسمها «اوروسيستم او سبيتالية» Eurosystem Hospitalier بعقد لبناء مستشفيين للحرس الوطني في الرياض وجدة يتسع كلٌ منها لخمسماية سرير في وجه منافسة عالية شديدة. وكانت قيمة العقد ١,٢ بليون دولار.

بعد اقل من ثلاث سنوات وفي شهر يوليو (تموز) ١٩٧٩ اعلنت الشركة

البلجيكية افلاسها بسبب العمولات الضخمة التي دفعتها للحصول على العقد وبلغت ٣٦٠ مليون دولار.

ويوجد في الغرب جماعة من السعوديين يدعون أنفسهم «الثوريين الشباب» يتابعون تصرفات امراء آل سعود ويرسلون ما يكتشفونه الى الصحف الغربية. وقد وصلت احدى رسائلهم في صيف ١٩٨٠ الى جريدة الفاينشال تايمس اللندنية التي طلبت من الإختصاصيين في الشؤون السعودية في لندن ان يدققوا في صحتها، فقالوا بعد فحصها ان البند المتعلق بدفع ٣٦٠ مليون دولار قابل جداً للتصديق.

وقد دفعت العمولة، حسب قول الرسالة، الى حاشية الأمير عبدالله ممن دبروا الصفقة وعلى رأسهم السيد محمد فتى. وادعى الثوريون الشباب انهم يعرفون البنوك التي أودعت فيها الأموال ولديهم صور عن الحسابات التي تثبت تحويل الأموال الى المتفعين (اهـ).

صفقة المواصلات اللاسلكية والتلفونية

في سنة ١٩٧٧ أرادت المملكة تحديث مواصلاتها السلكية واللاسلكية التي كانت في حالة بدائية فتقدمت للمناقصة على المشروع الذي يكلف ٦,٧ بلايين دولار ثلاث شركات عالمية هي شركة انترناشيونال تلغراف اند تلفون كوربوريشين الأميركية (ITT) بواسطة وكيلها الأمير محمد ابن عبد العزيز (اخو الملك فهد)، وشركة وسترن الكتريك ووكيلها كمال ادهم، ومجموعة مؤلفة من شركات فيليبس الهولندية وأريكسون السويدية وبل كندا الكندية تمثلها شركة «البلاد» التي يملكها الأمير محمد ابن فهد (ولي العهد في ذلك الوقت).

كان الأمير فهد مصمماً على أن يحصل ابنه على العقد رغم منافسة عمه الأمير محمد الذي كان واسع النفوذ في العائلة لكنه لم يكن له نفوذ مباشر في الحكم.

واهتمت حكومة الولايات المتحدة بهذا المشروع نظراً لضخامته ولأنه يمكن بواسطته الإطلاع على كافة الإتصالات الداخلية والخارجية لدوائر الحكومة

وللأفراد فأرسل الرئيس الأميركي جيمي كارتر وزير خارجيته سايروس فانس سنة ١٩٧٧ بحمل رسالة خاصة للملك خالد لتعزيز موقف الشركة الأميركية.

قبل وصول فانس ببضع ساعات، وتلافياً للضغط الأميركي، أُوقظ وزير البرق والبريد والهاتف من نومه الساعة الثالثة صباحاً فوقع العقد مع «فيليبس واريكسون وبل» بمبلغ اربعة آلاف وخمسماية مليون دولار فكانت اكبر صفقة عرفها العالم في شئون المواصلات.

ووصل وزير الخارجية الأميركية الى الرياض فوجد الأمر منتهياً.

وكانت حصة الأمير محمد بن فهد ستبلغ ١,٣ بليون دولار. لكن بعد انفضاح الصفقة تعدلت العمولة فحصل على خمسماية مليون دولار فقط.

انتهت مدة العقد بشهر ديسمبر ١٩٨٣. فتجدد لخمس سنوات اخرى تبلغ بليون وثلاثماية الف دولار اميركي. وتتقاضى شركة «البلاد» عمولة اخرى على هذه الصفقة.

تقول نشرة (برايفت اي Private Eye) اللندنية في عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٨٣ ان الأمير محمد بن فهد جمع ثروة تقدر بألف مليون دولار من الصفقات والعمولات وكانت له يدٌ طولى في حصول شركة (بكتل Bechtel) الأميركية الضخمة على عقد إنشاء مطار الرياض الجديد بمبلغ يزيد عن ثلاثة آلف وربع مليون دولار.

أدرك التجار السعوديون ضرورة إشراك أمراء نافذين معهم إذا ارادوا الحصول على صفقات مهمة. وظهر من قيود السجل التجاري السعودي انه بعد سنة ١٩٧٥ صارت اكثر الشركات الكبرى تضم بين مساهميها امراء من الجيل الأول والثاني. وكمثال على ذلك بين امثلة كثيرة «شركة المقاولات» التي ضمت بين اعضائها الامير سعود ابن نايف وزير الداخلية، والأمير عبد العزيز بن سلمان امير الرياض، ولكل منهما تسعة وعشرون بالماية من اسهم الشركة.

وتروى قصص كثيرة عن امراء صغار ليس لهم نفوذ يذكر يفرضون أنفسهم على رجال أعمال حصلوا على عقود ويتقاضون منهم عمولة فيدفع هؤلاء رداً للأذى إذ لا يجد التاجر في الدولة ملاذاً يردع الطامعين من آل سعود فالعائلة من كبيرها الى صغيرها متضامنة في السطو على المال العام وفي مشاركة التجار بأرباحهم.

ويروي دافيد هولدن وريتشارد جونز [١٧] إن احد أمراء الجيل الثاني المعروف بطمعه تقاضى سنة ١٩٧٨ عمولة سبع عشرة بالماية من شركة اميركية حازت على عقد هندسي بقيمة ضخمة وأضيفت العمولة الى قيمة العقد.

رشوة شركة هيونداي

في سنة ١٩٧٩ ضجت البلاد بقصة حدثت مع شركة هيونداي الكورية وفضحت مبالغ الرشوات الخيالية والمستوى الرفيع للأفراد الذين يقبضونها.

فالشركة الكورية التي حصلت على اكبر حصة من تعهدات البناء في مختلف وزارات المملكة خلال سنوات كانت تسعى للحصول على صفقة ضخمة للبناء طرحتها وزارة الدفاع والطيران.

حسبما اعتادته الشركة جاء احد مديريها الى مديرية الأشغال في الوزارة حاملاً معه مليونين ونصف مليون دولار نقداً سلمها لموظف كبير في المديرية. ومن الطبيعي انه ما كان تجرأ على ذلك لو لم تكن الشركة قد اعتادت على مثل ذلك في السابق.

لم يرض المبلغ الموظف المذكور فذهب مدير الشركة وعاد يحمل مع بعض موظفيه مبلغ خمسة ملايين ونصف مليون دولار بأوراق نقدية من فئة خمسين وماية دولار فبلغ مجموع الرشوة ثمانية ملايين دولار. وأثناء تسليم الرشوة داهم البوليس الحربي الغرفة وقبض على الراشين ثم صدر قرار بمنع شركة هيونداي من الإشتراك بالمناقصات لفترة من الزمن.

بينت هذه الواقعة للعالم انه بالإضافة الى اشتراك المسئولين بالعمولات المخفية التي تضاف الى قيمة العقد، فإن الرشوة المباشرة امر عادي في مختلف

الوزارات. فلكل مسئول مرتبة في سلّم الرشوات تبيّن حصته من الصفقات المعقودة. وقد كشف المسئولون رشوة شركة هيونداي لتكون امثولة تعلم الشركات جميعاً بأن تكون اكثر سخاء بالدفع.

## عمولة شركة بويك الفرنسية

حصلت شركة بويك الفرنسية للإنشاءات على عقد كبير من الحكومة السعودية وكان وكيلها الرسمي الشيخ بندر السديري وبلغت عمولته خمسين مليون دولار. لكنه بعد توقيع العقد بأربع وعشرين ساعة ابلغت الشركة الحكومة السعودية انها عيّنت الأمير سعود ابن الملك فهد وكيلاً لها بدل الشيخ بندر وأرادت دفع العمولة له.

لكن الشيخ بندر هدد برفع دعوى على الشركة في فرنسا. وبعد وساطات اهل الخير قسمت الشركة العمولة فدفعت لبندر ثلاثين مليوناً ودفعت لسعود ابن فهد عشرين مليوناً وعيّنة وكيلاً عنها للصفقات المقبلة.

## عمولات البترول

تفشى الفساد والرشوه في المملكة وانتشر دون ان يتصدى له احد من كبار آل سعود، وكيف يتصدون له وهم اكبر المتفعين منه. ووصل الفساد الى صفقات بيع البترول على يد مؤسسة بترومين الحكومية التابعة لوزارة البترول والمعادن التي يرأسها الوزير احمد زكي اليماني وكان نائبه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية حالياً.

فقد شهد سوق البترول العالمي سنة ١٩٧٩ اضطراباً شديداً بعد سقوط شاه ايران بسبب خوف دول اوروبا والشرق الأقصى من انقطاع شحن بترول الخليج فتضاعفت الأسعار وتهافتت الحكومات والشركات الأجنبية على المشتري. وتبعاً لذلك ارتفعت مبيعات البترول السعودي عن طريق مؤسسة بترومين الحكومية الى مليون ونصف مليون برميل يومياً.

نظراً لارتفاع السعر واشتداد الطلب، حددت السعودية سعرين للبترول فأعلنت ان السعر الرسمي للبرميل هو ٣٢ دولاراً اي أنقص بأربعة دولارات ونصف عن سعر السوق. وقالت إن غرضها من ذلك هو مساعدة اقتصاديات الغرب التي تشكو من ضائقة.

لكن النتيجة كانت اختراع وسيلة جديدة لإغناء بعض الأمراء. إذ انه منذ عام ١٩٧٨ خصصت وزارة البترول والمعادن حصصاً من البترول كانت تبيعها لبعض الأمراء المختارين بالسعر الرسمي في حين كان هؤلاء يبيعونه بدورهم في السوق الحرّ بأسعار تتراوح بين ٣٦ ـ ٣٧ دولاراً للبرميل فيربحون ٤,٥ الى ٥ دولارات بكل برميل يعطون جزءاً منها للوسطاء. وبلغت أرباح هذه الصفقات مئات الملايين.[١٨]

من الأمثلة على هذه الصفقات المشينة ما ذكرته نشرة المكتب السياسي لرابطة ابناء الجزيرة وبلدان الخليج الصادرة في لندن ان حصة الأميرة موضى بنت عبد العزيز اخت الملك فهد من هذا البترول بلغت عام ١٩٨٠ مليونين ونصف مليون برميل جنت منها الأميرة ربحاً قدره ٢٥ مليون دولاراً وهو الفرق بين السعر الرسمي ٣٢ دولاراً وسعر السوق الحر الذي بلغ ٤٣ دولاراً في أواخر عام ١٩٨٠ عندما توقف ضخ البترول الإيراني حسب قول النشرة.

لم يكتفِ الأمراء بالكميات المخصصة لهم فعمدوا الى ابتزاز المال من الحكومات المشترية للبترول السعودي.

وقد انكشفت هذه الرشوات لما أذاع البرلمان الإيطالي في شهر نوفمبر ١٩٧٩ ان صفقة بترول تتناول كمية تسعين مليون برميل بين مؤسسة بترومين وشركة (ايني ENI) الإيطالية التي تملكها الحكومة، تضمنت عمولة ١,٢٧ دولاراً على البرميل الواحد زيادة عن السعر المتفق عليه فبلغت العمولة مابة وعشرين مليون دولار دفعتها شركة (ايني) في حساب سري لأحد الأمراء في دولة باناما. وقالت نشرة

(برايفت آي Private Eye) اللندنية في عددها تاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٨٣ ان الأمير محمد ابن فهد كان احد كبار العملاء في هذه الصفقة.

وأظهر تحقيق أجرته صحيفة فاينشال تايمس اللندنية بتاريخ ٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٠ ان أميراً سعودياً من الجيل الثاني لم تسمّه، حصل على ٢,٤ دولار من عمولة بلغت ١٧,٤ دولاراً على البرميل الواحد من صفقة بيع مائة الف برميل يومياً لمدة سنة كاملة. اما باقي العمولة فقد توزعها شركاء الأمير السعودي ووسيط اوروبي فبلغت عمولة الأمير السعودي سبعة وثمانين مليوناً وستماية الف دولاراً.

وقد كان معروفاً في أوساط البترول العالمية ان كبار آل سعود هم المتنفعون الرئيسيون من صفقات بترومين. ويبدو ان آل سعود لم يتعظوا بما حدث لشاه إيران قبل فترة وجيزة من ذلك الوقت بسبب الفساد والرشوة فاستمروا على نهجه وازدادت النقمة الداخلية والعربية عليهم خصوصاً بعدما صار يغذيها الإمام الخميني عبر الخليج.

انفضحت هذه الرشوات وتناولتها الصحافة فأثار موضوعها المرحوم سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث مع ولي العهد الأمير فهد ونشرها بتاريخ ١١ يناير ١٩٨٠ في مجلته التي تصدر في لندن.

وفيما يلي الحديث:

ألا ترون يا صاحب السمو أن مشاركة الامراء والوزراء والمسؤولين واولادهم في مناقصات الدولة يخلق مناخاً مضراً بسمعة الدولة في الداخل والخارج؟ هل تنوون عمل شيء في هذا الموضوع؟

ج - افراد العائلة المالكة في السعودية ليسوا مائة أو مائتين بل بضعة الاف، وبالتالي فليس في الامكان أن يكونوا كلهم موظفين في الدولة أو مسؤولين فيها.. فهل يمكن منع الذين خارج السلطة من تعاطي التجارة الحرة؟ أما الذين داخل المسؤولية والسلطة فلا يحق لهم ممارسة أي عمل تجاري. وهذا ينطبق على الامراء كما ينطبق على الوزراء.

س - ولكن الذي يجري يختلف على هذه الروح. . . لقد قرأت في جريدة «ام القرى» (الجريدة الرسمية للدولة السعودية) عن تأليف شركة اعضاؤها مجموعة من اولاد بعض الامراء. الطريف أن بعضهم لم يتجاوز التاسعة من عمره. وهذا يعني أن الشركة سيديرها الاباء باسم الابناء. ألا يعتبر هذا استغلالاً للنفوذ؟

ج - تنبهت لهذه الواقعة في «ام القرى» وسنعالج هذا الموضوع، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يحدث مثل هذا الاحتيال على القوانين. المشاكل كثيرة من هذا النوع. وكلما تعرضنا لمشكلة منها سنمنعها ونمنع أي شخص يريد استغلال السلطة بواسطة قريب أو ابن. لقد سمحنا في الماضي للمسؤولين بالمساهمة في الشركات على أن لا يكونوا في مركز رئيس الشركة، في موقع استغلال سلطاته. كل ما نريد تحقيقه هو خلق جوّ في البلاد تتعادل فيه الفرص بين الناس، وأي خلل في هذه المعادلة، وأية محاولة لاستغلال النفوذ والسلطة ستتصدى لها بقوة القوانين. . .

س - والسفه يا سيدي. . . السفه في استعمال المال، وهدره على الملذات السخيفة، والتبذير الجاهل الأحمق. . . هل سمعت بالمسؤول السعودي في مؤسسة «بترومين» الذي استأجر طائرة دعا اليها اصدقاءه وزوجاتهم لقضاء عيد رأس السنة في باريس؟ وهل سمعت عن ذلك المسؤول السابق الذي فعل نفس الشيء ولكن الدعوة كانت إلى لندن؟

ج - سمعت، والمني ما سمعت. هذا النوع من السفه اصبح ظاهرة مرضية لا بد من معالجتها. وأنا افكر في وضع تعليمات تلصق بجوازات سفر السعوديين تذكرهم عندما يخرجون من المملكة أنهم ينتمون إلى بلد مسلم له تقاليده ومكانته وعاداته، وأن عليهم واجب صيانتها. ولن نكتفي بالتعليمات بل سنقيم رقابة على هذا النوع من السفه والخروج على المألوف. لقد سمعت أن بعض من أثرى يظهر في الملاهي في لندن ويغرق المغنين والراقصات بأوراق النقد. . . هل ممكن السكوت عليه؟ المال سلاح، على من يقتنيه أن يحصن ماله لا أن يعبث به ويجرح سمعته وسمعة بلده كما كنا حريصين على أن لا يتناولنا خصومنا واعداء امتنا

نحن أكثر حرصاً على أن لا نعطي هؤلاء الاعداء المادة التي يستعملونها ضدنا . . .

وختم الأمير نايف كلامه قائلاً :

إن اجراءات ستتخذ ضد كل عابث بسمعة هذا البلد وستطبق على العائلة المالكة قبل أن تطبق على سائر الناس (انتهى الحديث) .

كانت اجوبة ولي العهد طريفة ، فهو لم يعد بتطبيق أحكام الشريعة على الفاسقين ومعاقبة من هم في الوظيفة بل قال أنه يفكر بوضع تعليمات تلصق بجوازات السفر تذكر السعوديين بأنهم مسلمون!

ولعل ولي العهد لا يريد أن يفعل أكثر من ذلك ما دام أكثر السفهاء المشكو من تصرفاتهم هم من آل سعود أو من بطانتهم المقربة .

وقد اصبح ولي العهد ملكاً ومرّ على الحديث خمس سنوات . وازداد الامراء واصدقاؤهم سفهاً ولم يطبق عليهم الملك أية عقوبة .

## عمولات السلاح

لقد عرضنا نماذج من الرشوة والفساد في ميادين المشاريع الاقتصادية والانمائية التي يوغل فيها آل سعود . ولهذه النماذج الاف الحالات المشابهة حتى يصح القول بأن كل مشروع أو عقد أو صفقة أو مناقصة يخفي رشوة لبعض من في الحكم والادارة . ومن الأحاديث المعتادة في المجتمع السعودي التكلم عن المشاريع المحالة ومبلغ الرشوة المتعلقة بكل عقد وكيفية توزيعها .

فإذا انتقلنا من صفقات المشاريع الاقتصادية إلى عمولات السلاح نجد الامر ادهى ، ومبالغ الرشوة اضخم ، والانتفاع محصور بعدد أقل من الامراء هم الذين يسيطرون على وزارتي الدفاع والداخلية وعلى الحرس الوطني .

يقول بعض المطلعين أن بعض الشركات الاميركية الكبرى المنتجة للاسلحة الحديثة تعتمد بنسبة خمسين بالمائة من مبيعاتها على السوق السعودية .

لذلك نرى الحكومة الاميركية تسكت عن الرشوات الضخمة التي تُدفع للسعوديين عن كل صفقة وتشجعهم على مشترى المزيد من الاسلحة المعقدة الباهظة التكاليف التي لا يعرفون استعمالها.

بعد ضلوع مصر في حرب اليمن سنة ١٩٦٢ اصبح الخطر الفعلي محدقاً بالبلاد من جنوبها حيث استقر جيش عصري حسن التسلح ذو نوايا عدوانية. وكان تسلح السعودية أمراً مشروعاً ومطلوباً فواجب الحكام الاول هو الدفاع عن سلامة البلاد.

ويروي روبرت لاسي صديق آل سعود(١٩) أن السيد عدنان خاشقجي حصل خلال السبعينات على وكالات اهم الشركات الاميركية المصدرة للاسلحة وهي لوكهيد، ونورثروب، ورايثيون.

وقد بلغت مشتروات المملكة من الاسلحة الاميركية سنة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ اربعماية وستين مليون دولار ارتفعت في السنة التالية إلى الفي مليون دولار. وبلغت عمولة الخاشقجي في منتصف السبعينات ماية مليون دولار من لوكهيد، واربعة وخمسين مليوناً من نورثروب، وخمسة واربعين مليوناً عن مركبات مسلحة ماركة (بانهارد) من فرنسا، كما تقاضى اربعة ملايين ونصف مليون دولار من بلجيكا لقاء مشترى اسلحة خفيفة.

وكان الكاتبان دافيد هولدن وريتشارد جونز أكثر صراحة فقالا أن السيد خاشقجي اصبح شبه محتكر لتوريد السلاح إلى وزارة الدفاع بسبب علاقته الوثيقة بالامير سلطان فصارت شركات السلاح من مختلف الجنسيات توسطه للحصول على العقود المربحة وتدفع له عمولات ضخمة يتقاسمها طبعاً مع اسياده.

أن المبالغ التي تهدر في السعودية باسم التسلح يكاد لا يستوعبها العقل خصوصاً إذا تذكرنا أن مجموع القوات في جميع الاسلحة تقارب ٨٥,٠٠٠ جندي وضابط، وأنه ليس هناك دليل على أن السعودية اصبحت تستطيع الدفاع عن

نفسها بعد صرف هذه المبالغ الخيالية. وفيما يلي بعض الأرقام:

في سنة ١٩٧٢ اتفقت وزارة الدفاع مع سلاح المهندسين في الجيش الاميركي على برنامج لانشاء الاسطول السعودي بكلفة الفي مليون دولار. وحصلت مجموعة شركات اميركية اخرى على عقد لصيانة وتشغيل القواعد البحرية بلغت قيمته ٦٧٠ مليون دولار.

في سنة ١٩٧٤ اشترى الامير سلطان وزير الدفاع اسلحة فرنسية تبلغ تسعمائة مليون دولار تتضمن ثمن ثمانية وثلاثين طيارة مقاتلة (ميراج - ٥) هدية لمصر. وتضمن الثمن عمولة بلغت خمسة وعشرين بالمائة من قيمة العقد أي ٢٢٥ مليون دولار.

في السنة التالية طلب الامير عبدالله رئيس الحرس الوطني مساعدة الولايات المتحدة لاعادة تنظيم الحرس وتدريبه فاقترحت عليه الاستعانة بشركة رايثيون. وتقدمت الشركة بعرض عيّنت فيه وكيلاً عنها الامير عبدالله ابن الملك فيصل بموجب تفاهم مع الخاشقجي لأن هذا لم يكن مقبولاً لدى الملك فيصل أو الأمير عبدالله. فحصل عبدالله الفيصل على مبلغ ٧٥ مليون دولار لقاء مساعيه.

ونشر الصحفي جيم هوغلاند في صحيفة الواشنطن بوست في شهر سبتمبر ١٩٧٥ أن التفاهم بين الخاشقجي وعبدالله الفيصل على العمولة وصل إلى مسامع الملك فيصل واخيه الامير عبدالله فغضبا واستبعدا شركة رايثيون ومنحا العقد لشركة فينل Vinnell التي مثلها كمال أدهم وغسان شاكر. وكان كمال أدهم مع شريكه أشرف مروان صهر الرئيس جمال عبد الناصر وسطاء مشترى السعودية للأسلحة الفرنسية لحساب مصر بما فيها عقد طائرة الميراج وتشاركا بالعمولة.

في ربيع ١٩٧٥ زادت قيمة الاعمال والانشاءات العسكرية التي يشرف عليها سلاح الهندسة الاميركية عن عشرة الاف مليون دولار يستخدم فيها انشا

وخمسماية موظف اميركي. وكانت تشكل نحو ثمانين بالماية من جميع اعمال الدفاع في البلاد.

ذاعت اخبار الرشوات التي تدفعها شركات السلاح الاميركية في السعودية وغيرها مما حمل لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي المسؤولة عن مراقبة اعمال الشركات المتعددة الجنسيات على وضع يدها على صفقات الاسلحة فاكتشفت أن شركتي لوكهيد ونورثروب دفعتا الملايين كرشوات للامير برنهاردت زوج ملكة هولندا، ولرئيس وزراء اليابان كاكيو تاناكا، ولاعضاء بارزين في الحكومة الايطالية، وللسيد عدنان خاشقجي.

وأظهرت سجلات شركتي لوكهيد ونورتروب التي وضعت اللجنة يدها عليها اموراً مريبة كثيرة عن طريقة دفع الرشوات. منها أن شركة نورثروب كانت على وشك الحصول على عقد مع وزارة الدفاع السعودية عام ١٩٧١ لصفقة طيارات. فاتصل الامير خالد ابن عبدالله ابن عبد الرحمن بالشركة ممثلا لنائب وزير الدفاع الامير تركي ابن عبد العزيز طالباً حصة من العمولة. ونصح خاشقجي الشركة بتلبية الطلب تسهيلاً لاعمالها المقبلة. واخّر الامير سلطان وزير الدفاع توقيع العقد إلى أن دفعت نورثروب ثلاثة ملايين دولار لشركة (كونتينا) التي يملكها الامير خالد المذكور.

ويحاول بيتر لاسي صديق آل سعود أن يبعد عن الامير سلطان تهمة الرشوة بواسطة الخاشقجي فيروي في كتابه «المملكة» أن أحد موظفي وزارة الدفاع الاميركية سأل الخاشقجي عن المبالغ التي دفعها للامير سلطان للحصول على العقود الكثيرة من وزارة الدفاع على مر السنين. فاجابه الخاشقجي مستنكراً «أن الامير سلطان لا يحتاج إلى الخاشقجي وهو لن يعرض مالا عليه لأن ذلك يكون كمثل متسول يقدم الهدايا إلى ملك»[٢٠].

وقد يكون الخاشقجي صادقاً لكنه لم يتقدم احد من آل سعود يخبر الناس عن مصادر ثرواتهم الخيالية التي تكونت خلال أقل من عشرين سنة. هل ورثوها من

والدهم والمعروف أنه توفي مديناً وخزينة الدولة خاوية؟ هل وفروا من معاشاتهم الشهرية فاصبح عندهم مئات ملايين الدولارات وعند بعضهم آلاف الملايين، هل درس احدهم الطب أو المحاماة أو غيرهما من المهن الحرة فجنى منها ثروة؟ هل بدأ احدهم حياته تاجراً أو صناعياً أو مزارعاً كبيراً فكدس الملايين؟

وإذا كان آل سعود لم يجنوا ثرواتهم من سرقة المال العام فهل لهم أن يخبروا الشعب العربي من أين جاءتهم هذه الثروات الفاحشة؟

جاءت تحقيقات لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي تثبت ضلوع الأمير سلطان في عمليات الرشوة. فقد شهد م. س. غونزالس احد مديري شركة نورثروب امام اللجنة ان عدنان الخاشقجي تعيّن وكيلاً عن الشركة سنة ١٩٧٠ بتوصية من الأمير سلطان نقلها اليه عميل وكالة المخابرات الأميركية (C.I.A.) السابق كرميت روزفلت. ويلاحظ هنا علاقة المخابرات الأميركية بالأمير سلطان ودورها ببيع الأسلحة للسعودية. فهل يوصي الأمير سلطان بعدنان الخاشقجي ويورط سمعته خدمة مجانية لوجه الله؟

أظهرت تحقيقات اللجنة ايضاً ان شركة نورثروب دفعت اربعماية وخمسين الف دولار بتوصية من الخاشقجي الى الجنرال هاشم الهاشم قائد سلاح الطيران السعودي «لتسهيل بيع طائرات اف ـ اس ـ تايجر (F-SE Tigers) لسلاح الجو ولمبيعات اخرى لاحقة».

ويتهم الكاتبان هولدن وجونز الأميرين سلطان وفهد (الملك فهد حالياً) بقبض العمولات على صفقات الأسلحة فيقولان: «إن اهتمام الأمير سلطان بمشترى الأسلحة تصاعد بالنظر للعمولات الهائلة التي ترافقها. وقد شارك سلطان أخاه فهداً في بداية السبعينات بهذه العمولات لكنه احتفظ بالحصة الكبرى أي ستين بالماية له وأربعين بالماية لفهد». [٢١]

على أثر الفضائح التي كشفت عنها لجنة التحقيق في مجلس الشيوخ أصدرت السعودية قراراً يمنع مشترى السلاح بواسطة وكلاء او عملاء وصارت الصفقات

تجري بين حكومة واخرى او بين وزارة الدفاع والشركات مباشرة. لكن ذلك لم يلغ دفع الرشوات لأصحاب القرار. وفيما يلي بعض الصفقات وكل واحدة منها متلازمة مع رشوة كبرى:

في سنة ١٩٧٦ حصلت شركة لوكهيد على عقد لإنشاء جهاز مراقبة للطيران يغطي البلاد بكاملها بمبلغ ستماية مليون دولار. ولحق به عقد مع شركة تورثروب بمبلغ الف وخمسماية مليون دولار لأعمال الصيانة والتدريب.

في بداية ١٩٧٧ وقعت وزارة الدفاع عقداً مع شركة رايثيون لمشترى صواريخ ارض جو ماركة هوك بمبلغ الف مليون دولار.

في شهر مايو ١٩٧٨ وقعت رئاسة الحرس الوطني اتفاقاً لخمس سنوات مع الشركة البريطانية كابل اندوايرلس (Cable and Wireless) لتحديث جهاز الإتصالات بمبلغ ٣٣٠ مليون دولار يضاف اليه ١٧ مليون للتجهيزات.

اشترت وزارة الدفاع سنة ١٩٧٨ ستين طائرة ماركة (اف ـ ١٥) (F-15) بمبلغ اربعة آلاف مليون دولار في وجه معارضة شديدة من مجلس الشيوخ الأميركي.

في شهر اكتوبر ١٩٨٠ عقدت وزارة الدفاع مع فرنسا اتفاقاً بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسماية مليون دولار لتحديث البحرية السعودية وتوسيعها وتدريب افرادها.

ثم عقدت اتفاقية مع الولايات المتحدة في بداية ١٩٨١ لتطوير سلاح البحر بمبلغ ثمانماية وخمسين مليون دولار.

توجت جميع هذه العقود صفقة الأواكس (طائرات الرادار) مع اجهزة لتطوير طيارات (اف ـ ١٥) المشتراة سنة ١٩٧٨ وبلغ ثمن الصفقة الجديدة ثمانية آلاف وخمسماية مليون دولار وافق عليها الكونغرس بشهر اغسطس (آب) ١٩٨١ فغطت هذه الصفقة وحدها مشتريات الولايات المتحدة من البترول السعودي لمدة عام.

في شتاء ١٩٨٢ اشترت السعودية خمس عشرة طائرة (اف ـ ٥) بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار.

في صيف السنة ذاتها جددت وزارة الدفاع لثلاث سنوات الإنفاق مع بريطانيا لتدريب أفراد القوات الجوية وتقديم الخدمات الفنية والتجهيزات بمبلغ ٥٨٣ مليون دولار.

وقعت رئاسة الحرس الوطني خلال ١٩٨١ عقوداً بمبلغ الفين ومائة وتسعين مليون دولار لبناء بيوت للضباط في الرياض والاحساء والدمام وجدة والطائف في مرحلة اولى.

كما تعاقدت مع شركة بريطانية للقيام بخدمات صحية للحرس الوطني بمبلغ مائتين وتسعين مليون دولار.

في تلك الفترة (نوفمبر ١٩٨٣) تعيّن الأمير عبد الرحمن ابن عبد العزيز، من السديرين السبعة، نائباً لوزير الدفاع فتمت السيطرة الكاملة لهم على الوزراة وعقودها الضخمة. وجاء الأمير عبد الرحمن مزوداً بخبرة تجارية سابقة وعلاقات مع شركات تتعامل مع وزارة الدفاع كشركة بنديكس الأميركية التي حازت على عقد لصيانة سيارات الوزارة، وشركة فرانك باسيل الأميركية ـ اليونانية للإستشارات، وشركة تعهدات كامون الهندية.

كما حمل الأمير عبد الرحمن معه خلافاته ودعاويه مع شركات اخرى كبيرة كشركة جي. أي. ـ ماركوني وغيرها وهي خلافات تنظر فيها محاكم اوروبية وسعودية. ولا شك ان وجوده في المنصب الجديد سيساعده على حل هذه الخلافات بشكل مرضي له.

في يناير ١٩٨٤ وقعت وزارة الدفاع السعودية مع فرنسا عقداً بقيمة خمسة آلاف وخمسماية مليون دولار لإنشاء جهاز دفاع جوي فكان اكبر عقد لبيع الأسلحة في تاريخ فرنسا. ومع ان العقد جرى بين حكومتين بلد بلغت العمولة سبعماية وخمسين مليون دولار.

هندس الصفقة ونفذها الأمير خالد ابن الأمير سلطان وزير الدفاع وتقاضى عنها عمولة ثلاثمائة مليون دولار. وذكرت مجلة «الشرق الجديد» الصادرة في لندن في عدد مارس ١٩٨٤ ان بين المنتفعين الذين ساهموا بترتيب العملية السادة اكرم العجة وعدنان الخاشقجي الذي نال كل منهما ٧٥ مليون دولار كما نال السيد رفيق السعيد وكيل الأمير خالد خمسين مليوناً. ويصعب التصديق ان الأمير سلطان وزير الدفاع كان غريباً عن هذه العملية التي رتّبها نجله.

## عمولات الطيران التجاري

يجب أن نضيف الى عمولات شراء الأسلحة عمولات شراء الطائرات المدنية لشركة الطيران السعودية لأنها بدورها خاضعة لوزارة الدفاع، وما يتبعها من اتفاقات الادارة والتدريب والصيانة.

وقد توسع الأسطول التجاري السعودي كثيراً خلال العقدين الماضيين واصبح يضم ١٠ طائرات (بوينغ ٧٤٧)، و٨ طائرات (اير باس)، و٣ اخرى قيد التسليم، و١٧ طائرة (تريستار)، و١٧ طائرة (بوينغ ٧٣٧).

رافق توسع الأسطول الجوي عمليات السمسرة المعهودة عن كل صفقة. وكان آخرها الصفقة التي تمت في صيف ١٩٨٤ وأثارت ضجة عالمية نظراً لشروطها المستغربة وغير المعتادة.

### صفقة طائرات مقابل بترول

في شهر يوليو ١٩٨٤ بدأت تسرب معلومات عن صفقة ضخمة مشبوهة لشترى طائرات تجارية ومحركات مقابل بترول. وتوافق ذلك مع دخول عنصر جديد في ميدان السمسرة والعمولات هو الشيخ عبد العزيز ابراهيم شقيق زوجة الملك فهد الجديدة وابن حاكم منطقة الباحة.

فقد ذكرت وكالة رويتر يوم ١٨ يوليو (تموز) ١٩٨٤ ان شركة الطيران السعودية اتفقت على مشترى عشر طائرات بوينغ من طراز (٣٠٠ ـ ٧٤٧) وهي

احدث الطائرات التي تنتجها الشركة واغلاها ثمناً على أن تجهز هذه الطائرات بمحركات رولس رويس الإنكليزية بمعدل اربع محركات لكل طائرة مع عشرة محركات احتياط. وتبلغ قيمة الصفقة للطائرات والمحركات الف مليون دولار.

وكان الملفت للنظر في هذه الصفقة انها تجري على اساس مقايضة. وتقول مجلة اكونوميست الإنكليزية في عدد ٢١ يوليو ١٩٨٤ ان السعودية تحتاج الى بيع خمسة وثلاثين مليون برميل بترول بسعر الأوبيك الرسمي للحصول على الف مليون دولار مع العلم ان ذلك غير ممكن في الوقت الذي يغصّ فيه سوق البترول العالمي بالعروض ويميل سعر البترول الى الإنخفاض.

تابعت مجلة اكونوميست الموضوع في عدد ١٥ اغسطس (ص ٥٥) فقالت ان الأمير سلطان وزير الدفاع كان وراء صفقة المقايضة وأنه اصرّ على طرح كامل كمية البترول المتفق عليها (٣٥ مليون برميل) للبيع في سوق البترول الحرّ خلال شهر اغسطس لمصلحة الوسطاء الذي سيتفعون من العمولات متغلباً على معارضة وزير البترول وغير عابيء بأثر هذا العمل على سعر البترول العالمي.

أثارت هذه الصفقة عدة تساؤلات:

١ ـ ما هي حاجة السعودية الحقيقية لهذه الطائرات.

٢ ـ لماذا تلجأ للمقايضة هل عجز إيرادها ورصيدها المالي عن دفع الثمن نقداً.

٣ ـ ما هو تأثير بيع هذه الكمية الجديدة على سوق البترول العالمي وهي مخالفة لتعهدات السعودية تجاه دول الأوبيك.

٤ ـ من هم المنتفعون من هذه الصفقة من آل سعود. فالدوائر الاجنبية تعرف أن صفقة كبيرة كهذه لا تتم في السعودية دون سماسرة ومنتفعين من كبار العائلة.

أجاب على ذلك محرر الشئون الخارجية ستيفان مبلمان في صحيفة سنداي

تايمس اللندنية يوم ٥ اغسطس ١٩٨٤ على صفحة كاملة فقال :

أعلنت مجلة «بتروليوم انتلجنس» الاسبوعية الموثوقة الصادرة يوم الاثنين ٣٠ يوليو ١٩٨٤ في نيويورك أن الحكومة السعودية أغرقت سوق البترول العالمي خلال شهري يونيو ويوليو بخمسة وثلاثين مليون برميل بترول لتمويل صفقة الطائرات متجاوزة الحصة المقررة لها بموجب اتفاق منظمة الاوبيك الذي عقد في فينا بتاريخ ١٠ يوليو ١٩٨٤ والذي تعهدت فيه الدول الاعضاء بالالتزام بانتاج مقادير معينة من البترول للمحافظة على أسعاره . وكانت حصة السعودية خمسة ملايين برميل يومياً .

وجاء هذا التصرف مناقضاً لجهود وزير البترول السعودي احمد زكي يماني الذي كان يسعى خلال الاشهر السابقة لتطمين المنتجين والمشترين بأن سوق البترول سيحافظ على الاستقرار من حيث كمية الانتاج والاسعار .

كان من نتيجة مخالفة الحكومة السعودية ، وهي أكبر منتج لبترول الاوبيك ، أن سعره سقط في السوق الحرة من سعر اوبيك الرسمي وهو ٢٩ دولاراً للبرميل إلى نحو ٢٦,٥ دولاراً .

كان رد الفعل السعودي صمتاً مطبقاً . وكذلك فعلت شركتا بوينغ ورولس رويس وشركة الخطوط السعودية وسماسرة الصفقة الذين رفضوا التعليق .

تابعت سنداي تايمس روايتها فقالت أن شركة الطيران السعودية تتبع وزارة الدفاع التي يرأسها الامير سلطان اخو الملك فهد وأحد «السديرين السبعة» الذين يحكمون البلاد ويُعتبر الشخصية الثانية القوية بعد الملك . وقد بدأت تظهر الرغبة بشترى طائرات جديدة منذ سنتين . وبطبيعة الحال كانت شركة بوينغ صاحبة الحظ الاوفر نظراً لعلاقاتها الوثيقة السابقة مع أركان المملكة ولمكانة وكيلها ذي العلاقة كوثيقة مع آل سعود لكن خبراء الطيران بدأوا يتساءلون : ما هي حاجة شركة الطيران السعودية لمضاعفة عدد طائراتها من البوينغ بشترى عشر طائرات

(٣٠٠ ـ ٧٤٧) وهي اكبر وأغلى الطائرات ، وماذا سيفعلون بها ؟ وكان الجواب انهم لا يحتاجونها ويجب التفتيش عن سبب آخر لهذه الصفقة .

ثم بدأ التساؤل يدور عن شركة المحركات التي ستحصل على العقد . فهناك ثلاث شركات في العالم تصنع المحركات لهذا النوع من الطائرات الضخمة هي شركة جنرال الكتريك ، وشركة برات اند هويتني وهما اميكيتان ، وشركة رولس رويس الانكليزية . وجميع هذه الشركات سبقت لها عقود مع الحكومة السعودية .

كانت شركة رولس رويس بحاجة مالية ماسة الى الظفر بهذا العقد . وكان من حسن حظها وبعد نظرها ومعرفتها بالعلاقات داخل آل سعود أنها عينت لها وكيلاً سعودياً جديداً هو الشيخ عبد العزيز ابرهيم ابن حاكم منطقة الباحة واخو زوجة الملك فهد الجديدة كما أنه مقرب من الامير سلطان . وقد لعب الشيخ ابرهيم دوراً حاسماً في الحصول على العقد لشركة رولس رويس وفي ترتيب صفقة مقايضة البترول بالطائرات والمحركات إذ استطاع ، رغم معارضة الشيخ احمد مطر مدير شركة الطيران السعودية ، أن يضمن بأن تكون رولس رويس الشركة الوحيدة التي اشتركت بمفاوضات جدية بشأن المحركات . وقد جرت اتصالات سطحية بشركة برات‌اند هويتني الاميركية بشهر ديسمبر ١٩٨٣ تغطية للعملية لكن السعوديين قطعوا الاتصال معها في ربيع ١٩٨٤ دون تفسير . أما شركة جنرال الكتريك فلم توجه إليها مجرد دعوة للاشتراك بالمناقصة . وهكذا استطاع الشيخ عبد العزيز ابرهيم أن يقيم احتكاراً عملياً لشركة رولس رويس كان من نتيجته أنها حصلت في بداية صيف ١٩٨٤ على عقد لمدة خمس سنوات قيمته ٣٥٠ مليون دولار . ولا بد أن الشيخ عبد العزيز حصل من رولس رويس على تقدير يتجاوز الخمسة بالمائة المقررة للوكيل بموجب القانون السعودي .

تابعت سنداي تايمس قائلة : كانت شركتا بوينغ ورولس رويس تعرفان منذ البداية ان الصفقة غير عادية وأنها ستقبضان بترولاً بدل النقود .

المقايضة ـ ليست عمليات المقايضة مستغربة في عالم التجارة حالياً ، لولا أن هذه الصفقة وضعت شرطاً غريباً ، فقد اصرّ السعوديون ، محافظة على المظاهر تجاه منظمة أوبيك ، أن يكون سعر البيع في العقد هو السعر الذي قررته المنظمة أي ٢٩ دولاراً للبرميل. لكن السعوديين يعرفون أن هذا السعر غير واقعي لأن ثمن البترول في السوق الحر ينقص عن ذلك . لذلك توصل الفرقاء الى التسوية التالية حسبما يستدل من رواية الصحيفة :

محافظة على مصلحة الشركتين زادت السعودية في العقد ثمن البوينغ وورولس رويس عن السعر الحقيقي ، كما ضمنت لهما أن لا ينقص سعر البترول المباع عن حد أدنى غير معلن فحمتهما بذلك من أية خسارة قد يتعرضان لها إذا هبطت أسعار البترول .

محافظة على مصلحة المتنفعين من آل سعود تعهدت الشركتان بأن لا تبيعا البترول في السوق الحرة ووافقتا على تسليمه لتجار عيّنهم السعودية فضمن آل سعود لأنفسهم الارباح من فروق الاسعار بين الحد الادنى الذي ضمنته الحكومة وما يمكن الحصول عليه في السوق الحرة .

وتقول الصحيفة أن السعر الاسمي المتفق عليه لكامل الصفقة هو الف مليون دولار أي ٣٤,٣٨ مليون برميل بسعر ٢٩ دولاراً . وتقدر الصحيفة أن الشركتين ستحصلان عملياً على ٩٣٠ مليون دولار ثمناً للبترول أي ٢٧ دولاراً للبرميل بدلاً من السعر الاسمي وهو الف مليون دولار . ولا يعني ذلك خسارة للشركتين لأن السعر الحقيقي للطائرة هو ٩١ مليون دولار حسب المعدات المجهزة بها . وقد قال احد مديري شركة بوينغ استهزاء بالبهلوانية السعودية بأن الصفقة تشابه «بيع ثلاجات لقرية اسكيمو في القطب الشمالي في فصل الشتاء مع قبض أجر على ذلك» .

تابعت سنداي تايمس قائلة أن عمولة عبد العزيز ابرهيم وهي خمسة بالمائة

من قيمة الصفقة حسب القانون السعودي بلغت خمسين مليون دولار إن لم يشارك ايضاً بأرباح بيع البترول الخفية .

وتساءلت الصحيفة : لماذا توافق العائلة المالكة السعودية على صفقة تمس سمعتها ، وتهدد علاقة بلدها بشركائها في الاوبيك ، وتزعزع سوق البترول العالمي الذي يعتمد عليه الاقتصاد السعودي ؟ وأجابت على التساؤل قائلة : من المعروف أن الاقتصاد السعودي يعاني من ازمة وقد انخفضت صادرات البلاد من البترول سنة ١٩٨٣ ، بنسبة اربعين بالمائة . وتقول مؤسسة دراسات هوارتن في الولايات المتحدة أن عجز ميزان المدفوعات السعودي سيبلغ عشرين بليون دولار سنة ١٩٨٤ ، أي أن السعوديين يعانون من نقص في السيولة وهم بحاجة الى بيع بترول إضافي لتسديد نفقات الدولة لا لمشترى طائرات لا حاجة لها إذ أن الطيران السعودي سيتسلم قريباً إحدى عشر طائرة (اير باص) متفق عليها سابقاً .

إن الاستنتاج الحتمي لما جرى هو أن أفراداً نافذين في العائلة المالكة يشكون من نقص في سيولتهم الخاصة المعتمدة على مشاركة دائمة في السمسرة على كل مشروع انمائي أو عسكري يجري في البلاد . ولما كان كثير من المشاريع قد ألغي أو أجّل بسبب الحالة الاقتصادية فقد نقص بالتالي ايراد الامراء الى أن تفتقت ذهنية أحدهم على مشروع المقايضة هذا .

وتقول الصحيفة في ختام مقالها أن أحد المطلعين على تفاصيل الصفقة أخبرها أن الغرض الرئيسي منها كان «تسريب مبالغ كبيرة الى الامراء وابنائهم راغبين عن طريق حصولهم على عمولات وأرباح من إعادة بيع البترول في السوق التجاري» . (انتهى مقال صنداي تايمس) .

على اثر صدور هذا المقال انزعجت الحكومة السعودية فدعت كاتبه ستيفان ميليغان لزيارة المملكة في أواخر نوفمبر ١٩٨٤ للتحقق من عدم صحة

الرواية حسب زعمها . وفعلاً سافر الكاتب الى السعودية ثم عاد فكتب مقالاً في صحيفة سنداي تايمس بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٨٤ جاء فيه :

إن أول اتصال لي مع العائلة المالكة السعودية تركت طعماً مراً في فمي . لقد ركبت الطائرة السعودية من مطار هيثرو في لندن مع ثلاثماية مسافر في الموعد المقرر . وكان من سوء حظنا أن إحدى المسافرات كانت الاميرة طرفة احدى اخوات الملك فهد .

كانت الاميرة مشغولة بشترى حاجيات وثياب من مخازن لندن فانتظر المسافرون ساعتين ونصف حتى جاءت وورائها تسعة عشر من خدمها يحملون الرزم التي اشترتها . ولم اتمالك عن الذهاب إليها في الدرجة الاولى وسؤالها لماذا أخّرت ثلاثماية مسافر ساعتين ونصف فاجابت بكل بساطة «إني آسفة» . وقد اخبرتني احدى مضيفات الطائرة أنه قبل بضعة اسابيع كانت الاميرة طرفة في فرانكفورت في المانيا الغربية وارادت العودة الى بلادها وتأخرت عن موعد الاقلاع كعادتها فاستدعت الطائرة السعودية بعد طيرانها فرجعت الطائرة من الجو لتحمل الاميرة وحاشيتها . وقالت المضيفة أن هذه الحوادث لا تتكرر كثيراً في اوروبا لكنها تجري باستمرار في السعودية .

وتابع ميليغان يقول : ان تحقيقاتي عن موضوع صفقة البترول لم تأتِ بالنتيجة التي توخاها آل سعود . ولم اتمكن من مقابلة الامير سلطان الذي كان وراء العملية لكن رسميين سعوديين اخبروني أن شركة الطيران السعودية تحتاج الى الطائرات بسبب ازدياد الحاجة التجارية . في حين أخبرني الشيخ احمد زكي يماني وزير البترول أن الحكومة تحتاج الطيارات لاغراض حربية لتنقل الجيوش بسرعة في الحالات الطارئة . لكن ثلاث مصادر سعودية اخرى لا أستطيع تسميتها اخبرتني أن ما ذكرناه عن صفقة البترول كان صحيحاً بالاجمال (ا هـ) .

لقد شغلت هذه الصفقة وما تدل عليه من فساد في أعلى مراتب

الحكم، كبريات الصحف والمجلات العالمية خلال صيف ١٩٨٤ فكتبت مجلة الكونوميست الانكليزية الرصينة في عدد ١٣ اغسطس (آب) ١٩٨٤ عن تأثير هذه الصفقة على سوق البترول العالمية فقالت:

لقد بدا أن وحش الاوبيك بدأ يخنق نفسه بنفسه. فاسعار البترول تتهاوى في السوق الحر وقد خفض الاتحاد السوفياتي سعره بنسبة دولار ونصف للبرميل.

واسوأ ما حدث أن المملكة السعودية التي اتخذت لنفسها في السابق دور المثبت للاسعار فكانت تخفض من انتاجها كلما مالت الاسعار إلى الهبوط، قد تخلت الان عن هذا الدور على ما يبدو وساهمت بتدهور الاسعار من خلال صفقتها لمشترى البوينغ.

وتابعت المجلة قائلة: يقول الخبراء أن اوبيك تخوض حرباً خاسرة وأن الاسعار ستستمر بالهبوط وسيكون ذلك استمراراً للانخفاض الذي بدأ سنة ١٩٨١ وبلغ حتى الآن ٢٥ بالماية.

ثم قالت أن الناس توقعوا أن تبيع السعودية كمية الخمسة والثلاثين مليون برميل تدريجياً وخلال سنة من الزمن حتى لا تحدث رجة في السوق. لكنها طرحت الكمية بكاملها خلال بضعة اسابيع فخسرت مصداقيتها كعنصر مهدىء ومثبت للاسعار (انتهى مقال الاكونوميست).

بمناسبة صفقة الطائرات نشرت مجلة «الشرق الجديد» الانتقادية التي تصدر في لندن في عددها تاريخ اول اكتوبر ١٩٨٤ مقالها الشيري التهكمي المسلسل تحت عنوان «الدر المنثور في اخبار مملكة وندسور» الذي تروي فيه كيف تحاول العائلة المالكة البريطانية أن تستفيد من تجارب الحكام العرب اصحاب النفط لتصل إلى مستواهم. وتعرض المقال لانجاب الاولاد بلا حساب، واصدار الفتاوي تحت الطلب، وتفاهة البحث بطول اللحية وقصر

الشوب والشوارب كشرط لدخول الجنة، واعتبار مال الدولة ملكاً للعائلة المالكة، وافساد الضمائر وشراء الذمم، وصفقة مشترى الطائرات مقايضة بالبترول وفيها يلي المثال:

دخل الامير تشارلس ولي العهد قاعة الاجتماع فرحان جذلا وأعلن بصوت قوي واضح أن زوجته طويلة الظفر (العمر) قد انجبت له ابناً ثانياً. وصفقت الاسرة بكاملها تحية لهذا النبأ السعيد، وتعالت الاصوات بالتهاني. لكن وجه تشارلس تغير فجأة من السرور إلى التلق ثم إلى شيء قليل من الريبة والغضب وقال: لقد كبرت عائلتي وتضخمت وازدادت مطالبي زيادة كبيرة فهذا الطفل الجديد مسؤولية جديدة ولا بد من مواجهة النفقات المطلوبة له، ولهذا اطلب أن يحول لي نصف انتاج البترول حتى استطيع الحياة على المستوى المطلوب. ويجب أن تقام الزينات في سائر انحاء البلاد احتفالاً بالمولود وتكريماً لشخصي المعظم وطويلة الظفر زوجتنا المحبوبة.

صمت الجميع وانقبضت قلوبهم وقالت اخته الاميرة آن: أن الزينات لم تقم لولادة ابنائي ولم أطالب بنصف دخل المملكة مع أن نفقاتي كثيرة. وقال الدكتور رونسي: (رئيس الكنيسة الانكليكانية) أنه لا ينبغي للعائلة المالكة أن تسرف في النفقات في الازمة الحالية الحاضرة وزاد: أنه إن أعجبه شيء في تقاليد الاعراب فهو عدم احتفائهم بميلاد أفراد الاسرة المالكة فهم لا يتكلفون كل هذه النفقات التي تذهب ادراج الرياح.

فقال خبير الشؤون العربية: أن السبب في هذا هو أن سادتنا الاعراب وقادة العالم في فنون الحكم ينجبون كما تنجب الارانب فلو احتفلوا بأنجالهم لاقاموا الزينات كل دقيقة بل وكل ثانية فهم يتكاثرون بلا حساب.

وسأله الدكتور رونسي بشيء من الحيرة: ولكن كيف يحدث ذلك؟ هل يلد نساءهم اربعة في كل بطن؟ أو تضع الواحدة منهن كل عشرة أيام

وتحمل في مطلع كل شهر؟ فأجاب الخبير: لا، ليس هذا هو السر وانما السر هو أن طوال العمر في بلاد الزفت والقطران يتزوجون عدداً كبيراً من النساء ولما يحملن جميعاً فيطلقهن ويتزوج زوجات اخريات فيجب فيطبعاً من الاطفال بلا حساب.

فسأل تشارلس: وهل يأخذون جميعاً نصيباً من البترول؟ فأجاب الخبير: طبعاً! فلمعت عينا تشارلس وقال: نظام ممتاز نظام عبقري! فهب الدكتور روني واقفاً وصاح: حذار أن تنقضوا قوانين الكنيسة في أمور الزواج والطلاق.

نظر تشارلس الى قسيس الملكة الذي تكلم في هدوء والابتسامة مرتسمة على وجهه: يا طويل الظفر نحن نستطيع أن نصدر لك الفتوى التي ترضيك كما يحدث في بلاد الاعراب فإن كنت تريد منع تعدد الزوجات منعناه، وإن كنت تريد تحريم الزواج من الأجانب حرمناه، وإن كنت تحب تعدد الزوجات حللناه، وإن كنت تكره هذا الدكتور روني كفرناه، وإن كنت صديقاً لشير نيكو أعلناه جندياً من جنود الايمان، وإن كنت معجباً بلينين وستالين حشرناهما بين القديسين والشهداء، فعلماء سادتنا الحكام الاعراب هم سدة العلماء. وهم لا يؤمنون بقانون ولا نظام بل حكموا أن تثبيت شريعتهم بدعة والحاد، وأن القضاء على الحق والبقاء على الفوضى في محاكمهم دين وتقوى.

وصاح الدكتور روني: لو فعلتم هذا في هذه الدولة المتحضرة لقامت ضدكم ثورة ولطرد الشعب رجال الدين المنافقين وأحرق كتبهم ودمر معابدهم.

فقال قسيس الملكة بخبث ظاهر: إن الدكتور روني - كالعادة - شديد التشاؤم فنحن اقتداء بسادتنا علماء الحكام في بلاد العربان نستطيع أن نشغل الناس بالتفاهات فنقول لهم أن حلق الحاجبين واطالة الاظافر من

الواجبات الدينية التي بدونها لا يدخل أحدهم ملكوت السماوات. ولنا في علماء الاعراب أسوة فهم يجادلون حول الذقن كأن مصير الدنيا كلها يتوقف عليها ويشغلون الناس عن التفكير بشئون الحياة. هنا صاح الامير ادوارد اخو ولي العهد: أنا اريد شراء عشرة طائرات جامبو فوراً للاستعمال الشخصي لطوال الظفر المعظمين فإن وسائل انتقالهم لا تزال متأخرة جداً بالمقارنة بزملائهم وقادتهم في بلاد الاعراب.

وقف وزير المالية وقال هو يرتجف من الخوف: يا طوال الظفر يا حماة العقيدة لا يوجد لدينا أي فائض من الأموال نشتري بها سيارة فورد فضلاً عن طائرة جامبو فأرجوكم أن تنظروا في حال هذا البلد ومقدرة الحكومة على الدفع.

وصاح ادوارد غاضباً: وما دخل الحكومة في هذا؟ إننا سنشتري الطائرات بالبترول الذي هو بترولنا ورثناه عن آبائنا وأجدادنا وأنا لهذا اقترح أن نفتح ابار البترول وأن نبيع منه الكمية الكافية لشراء ما نريد.

وصاحت اخته الاميرة مارغريت: وهل استطيع شراء بعض الجواهر. وانضمت إليها الاميرة آن: وهل استطيع شراء بعض الخيول؟

كرر وزير المالية وقد اصفر وجهه واصطكت اسنانه: اكرر يا طوال الظفر أن هذا غير ممكن فالدولة نفسها تعيش من البترول فإذا اغرقتم السوق انخفض سعره وخرب اقتصادنا. فقالت آن: هذا كلام الجبناء او الخونة. أنا اريد أن اشتري بعض الخيول. لن اشتري فرساً بعشرة ملايين أو عشرين مليوناً كما يفعل بعض سادتنا حكام الاعراب ولكن اريد خيولاً رخيصة أركبها فأنا كما تعلمون بطلة من بطلات سباق الحواجز.

لكن الوزير تكلم هذه المرة بحزم فقد وقفت بجانبه السيدة تاتشر رئيس الوزراء وقال: هذا غير ممكن. إذا كان أفراد الاسرة المالكة يريدون

شراء طيارات أو سيارات أو خيولاً أو جمالاً أو فيلة أو غزلاناً فلا مانع . . شرط أن يشتروها من مخصصاتهم لا من أموال الشعب.

وصاح الامير أندرو: الشعب اي شعب؟ ألم نقل أننا اليوم نحكم ونملك وأننا نمارس سلطتنا كاملة غير منقوصة لأننا نريد حماية هذه المملكة من طغيان الديمقراطية وأننا لا بد لهذا أن نضع في ايدينا كل املاك الدولة فلا فرق بين الخزانة وجيوبنا الخاصة كما هو الحال في بلاد الاعراب.

صاحت تاتشر غاضبة: هذا مستحيل ولا يمكن أن يتم هذا، إن الشعب سيثور ثورة عارمة تطيح بالنظام كلها والعائلة كلها.

فطلب الامير تشارلس رفع الجلسة للتداول في الأمر ولما خرج الجميع دعا تشارلس اخوته وكبار رجال الاسرة للاجتماع والنظر في الحالة الخطيرة التي نشأت عن هذا التدخل السافر في شؤون المملكة من قبل تاتشر التي ليست إلا رئيسة للوزراء أي موظفة صغيرة حسب النظم الاعرابية البديعة التي تريد الاسرة أن تسير على منهاجها في بريطانيا.

وقالت الاميرة آن: لا شك أن تاتشر مريضة بمرض الحسد فلا بد من علاجها. فقال تشارلس هل لدينا خبير في طب الاعراب يخبرنا كيف يعالج عباقرة القرن العشرين الحكام العرب مثل هذا الداء؟ فقال أندرو: يحسن أن نستشير الخبير العربي في هذا الشأن.

لما دخل الخبير في الشؤون العربي: قال أن الحكام الاعراب عباقرة القرن العشرين عندهم دواء هو الاكسير الشافي لكل الامراض. إن الاعراب لديهم مصحة طبية تصف دواء واحداً هو. . . النقد أو بعبارة اخرى المال او الصكوك المالية. فإذا اصيب أحد اصدقائهم بالصداع اعطوه صكاً بعشرة آلاف. اما الحمى فلا يشفيها أقل من خمسين، ومرض الغضب يشفيه جرعة مناسبة بالنسبة لعنف المرض وشأن المريض. فقد يشفي الغضب صك بعشرة

آلاف وقد يحتاج لبضعة ملايين. واستطرد: أنا أعرف كاتباً سياسياً اصابته نزلة غضب شديدة فكتب مقالات نقدية متابعة كل منها أعنف من سابقتها فلما أعطوه الصك المناسب انطفأ غضبه وأصيب قلمه بالصمت المطبق ويقال أنه ينتظر صكاً أخر يعينه على شحذ قلم المدح والثناء ليزيل آثار كلمات الغضب والهجاء.

فقال تشارلس: وكيف نعالج أمر ثاتشر اذن؟ فقال الخبير الماكر: أن العلاج العربي هو أن يسمح لها أن تقول ما تشاء ثم يرسل لها الصك المناسب في المساء وينتظر أن يتم مفعوله عند بزوغ شمس الصباح فهي عندئذ لا بد مسبحة بحمد الاسرة الماجدة الكريمة ثم هي تصبح خير خادم للاسرة في سياستها الجديدة الرشيدة (ا هـ.)

ومغزى المقال أن آل فهد حولوا الدولة إلى تكية للاستغلال، ووضعوا خزانة الدولة في جيبهم الخاص، وجعلوا الرشوة أساس الحكم، والعمولة مصدر الرزق، والنفاق طابع تصرفهم الاجتماعي.

## اختلاف المستويات الاخلاقية

عندما ظهرت نتيجة تحقيقات لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي تثبت رشاوى شركة لوكهيد لرئيس وزراء اليابان كاكيو تاناكا استقال هذا من منصبه ولا يزال إلى الان معزولاً عن الحكم.

واستقال أيضاً الوزراء الايطاليون الذين تناولهم التحقيق.

أما آل سعود في وزارتي الدفاع والداخلية ورئاسة الحرس الوطني فلم يرف لهم جفن واستمروا في مسراهم لا يقيمون وزناً للرأي العام السعودي والعربي والاجنبي.

وقد برر بعض الأجانب هذه التصرفات بأنها تدخل في نطاق الاخلاق العامة للسعوديين الذين لا يستنكرون الرشوات بل يعتبرونها أمراً طبيعياً وعادياً. وهذا يعني أنه يوجد مقاييس مختلفة للاخلاق العامة: مقياس متدني لسكان السعودية ينظر إلى سرقة المال العام كأمر عادي مقبول، ومقياس اخر لسكان اليابان واوروبا واميركا الشمالية الذين يعاقبون المرتشي بالسجن والطرد من الحياة العامة.

في تلك المجتمعات المتقدمة التي ننعتها بالانحلال الخلقي، يُطلب من رجال الدولة أن ينتهج في حياته الخاصة سلوكاً اخلاقياً ارفع من عامة المواطنين، وأن يعيش حياة عائلية لا تشوبها شبهة ويصبح هو واسرته سجلاً مفتوحاً أمام الشعب. وفيما يلي بعض الامثلة:

تضع الصحافة الانكليزية حياة العائلة المالكة البريطانية تحت المجهر فتحصي على افرادها تحركاتهم وسهراتهم وصديقاتهم وما يملكون وما يصرفون، وتعتبر ذلك حقاً من حقوق الشعب على حاكميه.

وكذلك تفعل الصحافة السويدية والنرويجية والدانمركية والهولندية بالنسبة لعائلاتها المالكة. ومن الطبيعي أن ينطبق الشيء ذاته على رؤساء الجمهوريات في العالم الغربي.

أما بالنسبة للسياسين والذين يتولون المناصب العامة فحياتهم الخاصة موضوعة أيضاً تحت مجهر الرأي العام.

من الامثلة على ذلك:

في سنة ١٩٦٣ أقام جون بروفيومو وزير الدفاع البريطاني في حكومة المحافظين السابقة، علاقة مع الغانية كريستين كيلر ذاع خبرها فثار عليه الرأي العام واضطر إلى الاستقالة والتخلي عن مستقبله السياسي.

ومنذ ما يزيد عن عشر سنوات أقام السناتور ادوارد كندي شقيق

رئيس الولايات المتحدة حفلة صاخبة دعا إليها أصدقاء وصديقات . ثم اصطحب إحدى الصديقات بسيارته وهما بحالة سكر . وسقطت السيارة عن جسر خشبي في نهر فنجا السناتور وغرقت الفتاة . وحمّل الرأي العام ادوارد كندي مسئولية الحادث وما زالت هذه الوصمة تلاحقه إلى الآن وتحول دون ترشيحه لرئاسة الجمهورية مع انه من أبرز أعضاء الحزب الديمقراطي .

سنة ١٩٧٤ ضجت الولايات المتحدة على رئيسها ريتشارد نيكسون واضطره مجلس الشيوخ والنواب الى الاستقالة تحت التهديد بمحاكمته وعزله إذا لم يفعل وعرفت القضية باسم «فضيحة ووترغيت» .

ماذا فعل نيكسون ليستحق هذا العقاب والتشهير ؟

انه لم يسرق مالاً من الدولة. لم يختلس ، لم يسمسر ، لم يقبض عمولة ، لم يجر صفقات مالية مشبوهة ، لم يتهم بعلاقة غرامية ، لم يفش سراً للدولة ، لم يخن بلاده .

كل ما جرى أن صحفيين من جريدة الواشنطن بوست اكتشفا أن عدداً من مؤيدي الرئيس نيكسون الصغار دخلوا خلسة مكتباً للحزب الديمقراطي المنافس للرئيس نيكسون في بناية ووترغيت في واشنطن وسرقوا منه بعض المعلومات الحزبية لاستعمالها في الدعاية الانتخابية . وقال الصحفيان أن الامر جرى بمعرفة نيكسون وباطلاعه .

واتضح بعد ذلك أن نيكسون كان يسجل سراً عن زواره جميع الاحاديث التي يتبادلها معهم ولم يكن يعرف بهذا إلا سكرتيرته الخاصة وغرضه من ذلك ، كما قال ، أن يستعمل التسجيلات لكتابة مذكراته عندما تنتهي مدة رئاسته .

استغل الحزب الديمقراطي هذه الاتهامات ضد الرئيس المحافظ ولعبت الصحافة ووسائل الاعلام الليبرالية دوراً بارزاً في تضخيم الحادث واثارة

مشاعر الناس فتعين محقق قضائي للنظر فيما إذا كان للرئيس نيكسون علاقة بعملية المداهمة . لم يكن هناك دليل على ذلك إلا ما كان يحتمل وجوده في التسجيلات السرية لدى الرئيس . وكان يكفي نيكسون أن يتلف تلك التسجيلات لتنتهي القضية ويسقط الاتهام . لكنه لم يفعل عن غباوة وعن «نصيحة سيئة» كما قال مؤخراً .

وجد المحقق أن نيكسون كان عارفاً فعلاً بعملية ووترغيت فاضطر رئيس الجمهورية للاستقالة لأنه سمح لبعض معاونيه الصغار بسرقة اوراق حزبية لخصومه السياسيين!!

مثال آخر : اكتشفت الصحافة الفرنسية (سنة ١٩٨٠) أن رئيس الجمهورية السابق جيكار ديستان قبل هدية من الماس من رئيس جمهورية افريقيا الوسطى أثناء رئاسته فأقامت عليه ضجة كانت من أسباب سقوطه في الانتخابات .

في سنة ١٩٨٣ برز النائب والوزير سيسل باركر كأحد ألمع أعضاء حزب المحافظين الانكليزي ويعزى إليه فضل كبير في إدارة المعركة الانتخابية التي انتصر فيها الحزب . وكان مؤهلاً لمستقبل سياسي باهر . ثم اكتشفت الصحافة أن سكرتيرته حملت منه وأنه وعدها بالزواج ثم تراجع . ومع أنه ظهر في الاجتماع السنوي لحزب المحافظين برفقة زوجته التي صفحت عنه فقد إضطر إلى الاستقالة والانسحاب من الحياة السياسية تحت ضغط الرأي العام الذي يطلب من قادته مستوى أخلاقياً أرفع مما يمارسه الشعب .

نعود إلى أمثلة مستمدة من الحياة العامة في الولايات المتحدة .

بعد ما سمي «بفضيحة ووترغيت» صدر قانون في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٨ بعنوان «قانون الاخلاق في الحكم» يفرض على الوزراء وكبار الموظفين ان يقدموا كشفاً كاملاً بأموالهم وأن يستنكفوا عن استثمارها في

التجارة أو السوق المالية طيلة مدة وظيفتهم ، بالاضافة إلى قيود أخرى وتمارس الصحافة وأعضاء مجلسي الشيوخ والنواب رقابة مستمرة على تصرفات كبار الموظفين . وفيما يلي بعض الامثلة عن حوادث جرت في عهد الرئيس رونالد ريغان خلال السنوات الخمس الماضية :

استقال توماس ريد نائب مستشار الامن القومي للرئيس ريغان لما تبين أنه استفاد من معلومات خاصة لتحقيق أرباح في سوق الاسهم المالية قبل أن يتولى وظيفته .

استقال ماكس هيغل نائب مدير مصلحة الاستخبارات لما اتهم بقيامه بمضاربات غير قانونية في سوق الاسهم المالية قبل أن يُعيَّن في وظيفته.

استقال بول تاير نائب وزير الدفاع لما اتهم بأعمال تجارية غير قانونية .

استقال روبرت نيمو رئيس إدارة المحاربين القدماء لأنه استعمل سيارته الحكومية لاغراض شخصية وأعاد للخزينة ٦٤٤٠ دولاراً كأجور للسيارة .

إستقال ريتشارد ألن مستشار الامن القومي للرئيس ريغان لما تبين أنه استلم مبلغ الف دولار من مجلة يابانية دبر لها مقابلة مع زوجة الرئيس ريغان . وكان قد وضع المبلغ في درج مكتبه ونسيه في حين يفرض عليه القانون أن يعلنه .

حققت وزارة العدلية بتهم تدعي أن زوجة الوزير تستعمل السيارة الرسمية في مشاويرها الخاصة فاضطر الوزير وليام فرنش سميث إلى دفع أجور مشاوير زوجته للوزارة .

أراد الرئيس ريغان في صيف ١٩٨٤ تعيين أقرب أصدقائه ومستشاره في البيت الابيض ادوين ميز وزيراً للعدلية . ومَثَل ميز أمام لجنة في مجلس الشيوخ من مهماتها المصادقة على التعيينات في المراكز الرئيسية . ولعبت السياسة دورها في سنة الانتخابات الرئاسية فاثار عليه أعضاء الحزب الديمقراطي

بعض المآخذ منها ان زوجة ميز حصلت على قرض بمبلغ خمسة عشر ألف دولار بدون فائدة من ادوين توماس وهو صديق للعائلة قبل تعيين ميز مستشاراً للرئيس. وبعد مدة عين ميز هذا الصديق مساعداً له في البيت الأبيض. فاعتبرت اللجنة هذه العلاقة غير أخلاقية. وتأخر ميز في دفع أقساط رهن على بيته للبنك قبل أن يصبح مستشاراً للرئيس ليبنها باع ملكاً آخر وسدد الأقساط. وبعد فترة حصل موظفان من البنك المذكور على وظائف حكومية فقالت اللجنة أن المعاملة بكاملها غير أخلاقية.

تعيين محقق خاص للنظر في هذه الامور. وبعد التدقيق والاستماع إلى الشهادات أصدر قراراً بشهر سبتمبر ١٩٨٤ يبرىء ميز من هذه الاتهامات. ومع ذلك دامت المناقشات بقضيته في مجلس الشيوخ فلم تتم المصادقة على تعينه إلا بشهر فبراير ١٩٨٥.

أثناء الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية الاميركية في صيف ١٩٨٤ اختار المرشح الديمقراطي لرئاسة الجمهورية والتر مونديل السيدة جيرالدين فيرارو لنيابة رئاسة الجمهورية فكانت أول امرأة تترشح لهذا المنصب الرفيع الذي يمكن أن ينقلها إلى رئاسة الجمهورية إذا حصل حادث للرئيس.

قدمت السيدة فيرارو عند ترشيحها كشفاً عن حسابها واموالها والضرائب التي دفعتها كما يفرض القانون. لكن اللجنة المكلفة بالتدقيق بأحوال المرشحين المالية طلبت أيضاً الاطلاع على كشف حساب بأموال زوجها الذي يملك مكتباً عقارياً. تمنع الزوج عن ذلك في البداية ثم اضطر إلى التسليم بطلب اللجنة حفاظاً على سمعة زوجته. وتبين من تحقيق اللجنة أنه يستحق عليه ضريبة دخل متأخرة مقدارها ثلاثة وخمسين ألف دولار فبادر إلى دفعها. ولم يكن ذلك كافياً فتألفت لجنة في مجلس النواب تابعت استجواب جيرالدين فيرارو والتدقيق في أخلاقية تصرفاتها المالية حتى اقتنعت بأنه ليس في تصرفاتها ما يشين فأقرت ترشيحها.

في شهر نوفمبر ١٩٨٤ سافر وزير الدفاع الكندي روبرت كوتس مع وفد لزيارة أربع دول اوروبية أعضاء في الحلف الاطلسي من بينها المانيا الغربية .

بعد عشاء في قاعدة للجيش الكندي في مدينة لاهر في المانيا الغربية ، مضى كوتس مع اثنين من مساعديه نحو ساعتين في نادي ليلي تظهر فيه راقصات عاريات .

عرفت بالخبر صحيفة كندية فنشرته بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٨٥ ملمحة بأن زيارة النادي قد تكون مخالفة لانظمة الامن الكندية .

وقد أنكر كوتس التهمة ودعمه رئيس الوزراء الذي أعرب عن ثقته بنزاهة وزيره ومع ذلك قدم كوتس استقالته من وزارة الدفاع بتاريخ ١٣ فبراير فقُبلت .

حقاً أن هؤلاء الاجانب أغبياء ! يحاسبون قادتهم على قبول هدايا زهيدة ، وعلى استعمال سيارات رسمية لاغراض خاصة ، وأخذ مبالغ تافهة ، ومعاشرة غانيات ، وتعيين أقرباء ومريدين في وظائف حكومية . ما بالهم لا يقتبسون فنون الحكم الصحيحة من مملكة آل سعود ؟

ترى لو طبقت هذه المقاييس الاخلاقية الغربية على آل سعود فمن منهم يبقى في منصبه؟

## دلائل الانحلال

ظهر التفكك والانحلال في خمس أزمات خطيرة ومتلاحقة ما بين ١٩٧٩و ١٩٨٤ ، لم يكن بينها علاقة لكنها تُبرز الامراض والعلل المتغلغلة في نواحي أساسية مختلفة من الكيان السعودي وكلها لها علاقة حميمة بالعائلة المالكة .

كانت الازمة الاولى أعدام الإميرة مشاعل وعشيقها في صيف ١٩٧٩ الذي أبرز التباين بين عقلية الحاكمين وبين التطور الاجتماعي الذي تسير نحوه البلاد رغم جميع الحواجز والقيود .

وكانت الازمة الثانية عودة «الاخوان» بقيادة جهيمان العتيبي واستيلاؤهم على المسجد الحرام في نوفمبر ١٩٧٩ وتحديهم المسلح لشرعية آل سعود ولحكمهم .

وكانت الازمة الثالثة انتفاضة الشيعة في المنطقة الشرقية واضطرابات الاحساء التي برهنت عن استجابة نسبة من المواطنين لمبادىء الامام الخميني المناهضة للحكم السعودي .

وكانت الازمة الرابعة إقالة الدكتور غازي القصيبي من وزارة الصحة في شهر مارس ١٩٨٤ لأنه احتج على الرشوة في مراكز الدولة العليا ، وهو من أركان النظام ومن أبرز وجوهه المشرقة .

وتمثلت الازمة الخامسة بالانهيار الاقتصادي الذي تعاني منه البلاد منذ ١٩٨٢

وسنشرح كل ازمة على حدة .

## اعدام الاميرة مشاعل ، يوليو ١٩٧٩

جاءت حادثة الاميرة مشاعل تُبرز وضع المجتمع السعودي بصورة مكبرة ، وتظهر تخلف الاسلوب الذي يعالج به آل فهد الاوضاع .

تكمن أهمية الحادثة في أن الاميرة مشاعل هي في أعلى سلّم اميرات آل سعود فهي حفيدة الامير محمد (ابو الشرّين) الابن الاكبر للملك عبد العزيز الذي لا يزال حياً ويتزعم العائلة .

إن القصة بسيطة في حقيقتها اكتسبت أهميتها وتحدث بها العالم لأنها جرت في مجتمع مغلق مكبوت قلّ مثله ، ولأن آل سعود عالجوا الموضوع بطريقتهم البدائية . ما هي القصة ؟

أحبت فتاة متزوجة شاباً في مثل عمرها وعاشرته ، واتفق الاثنان على النزوح إلى بلد آخر .

حادثة عادية يجري شبيهها يومياً في مختلف بلاد العالم فلا تستحق أن تذكرها الصحف بأكثر من سطر أو سطرين في صفحة خلفية .

وفي بلد عصري كانت تنتهي المسألة بطلاق الفتاة من زوجها ، وزواجها من حبيبها ونشوء اسرة جديدة سعيدة .

أما في السعودية فقد انتهت القصة باعدام الفتى والفتاة ، وطرد السفير البريطاني ، والتهديد بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية ، فخلق آل فهد بغباوتهم أزمة دولية من قصة عادية ، وفضحوا تأخرهم في العالم من حيث أرادوا التستر .

واليكم القصة كما أمكن جمع تفاصيلها .

تزوجت الاميرة مشاعل باكراً من أحد أولاد عمها الذي أهملها . ويقال أنها صادفت خالد المهلهل ابن اخ الجنرال علي الشاعر وزير الاعلام حالياً في أحد متاجر الالبسة النسائية في جدة فتعارفا وتواعدا ونشأت بينهما علاقة عرفت بها العائلة التي سكتت عنها ما بقي الامر مكتوماً .

لكن العاشقين ضجرا من الوضع واتفقا على مغادرة البلاد فألقت الاميرة ثيابها على شاطىء البحر في جدة لتوهم بأنها غرقت ، وتخفت بثياب رجل وذهبت مع رفيقها إلى المطار للسفر إلى الخارج لكن الشرطة كشفتها واعتقلتها .

لا يعرف ماذا حدث لهما بعد ذلك سوى أنهما أعدما علناً في إحدى

ساحات جدة في أواخر شهر يوليو ١٩٧٩ بتهمة الزنا لكن بظروف غير عادية أثارت التساؤل .

إن تهمة الزنا لا تثبت شرعاً إلا بمحاكمة تجرى أمام قاضي تعترف فيها الزانية ثلاث مرات بجريمتها ، أو بشهادة أربعة شهود شاهدوا عملية الجماع . فإذا تم كل ذلك فإن عقوبة المرأة المتزوجة هي الرجم حتى الموت . أما عقوبة الزاني غير المتزوج فمائة جلدة . ومن المؤكد أن هذه الاجراءات القانونية لم تتم .

جرت مخالفات قانونية أخرى . فلم يعلن مسبقاً عن الاعدام ، كما يجري عندما يتم بناء على قرار محكمة . وتم الاعدام يوم السبت وليس في الوقت المعتاد لتنفيذ الاحكام بعد صلاة الجمعة . وجرى الاعدام في ساحة للسيارات متفرعة من شارع الملك عبد العزيز لا في ساحة باب الشريف حيث تنفذ أحكام الاعدام الشرعية .

وأعدمت الاميرة باطلاق ست رصاصات على رأسها وهي عقوبة لم تنص عليها الشريعة . وأعدم خالد المهلهل مع أن الشرع لا يعاقبه بأكثر من الجلد مما يدل على أن الانتقام لا الشرع كان وراء التنفيذ .

وتأكد بعد ذلك أن الامير محمد ابن عبد العزيز أصرّ على إعدام حفيدته ليس بسبب علاقتها مع عشيقها التي كانت معروفة ضمن الاسرة بل لمحاولتها مغادرة البلاد حيث تظهر علاقتها للملأ . وبمعنى آخر فإن الزنا مقبول ما دام مكتوماً لكنه يصبح مستحق العقوبة إذا برز إلى العلن وهذا شكل من أشكال النفاق الاجتماعي السائد .

بعد ثلاث سنوات من حادث الاعدام صدر في بريطانيا فيلم تلفزيوني بعنوان «موت اميرة» سرد حادثة الاميرة مشاعل بصورة مزجت بين الحقيقة والخيال . ولم يكن في الفيلم ما يلفت نظر المشاهدين إلا عملية الاعدام التي

اعتبروها منتهى البربرية لأن الشعوب الغربية ألغت عقوبة الاعدام عن القتلة فكيف تقبل بإعدام العاشقين .

تضمنت الرواية أيضاً مشاهد لسيارات اميرات سعوديات تجوب الشوارع والمتنزهات لالتقاط الشباب فاستشاط الملك خالد غضباً مع أن هذه الأخبار ، سواء كانت صادقة أو كاذبة ، منتشرة في السعودية وخارجها . ولو تجاهل آل سعود الموضوع لمرّت الرواية كمئات الروايات الاخرى التي تعرض على التلفزيون كل مساء دون أن تثير الاهتمام .

لكن الحكومة السعودية طلبت من الحكومة البريطانية منع عرض الفيلم في بريطانيا فاعتذرت هذه بأن القانون لا يسمح لها بذلك . وعندها طلبت الحكومة السعودية من السفير البريطاني مغادرة البلاد وهددت بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية .

ثم سعت الحكومة السعودية مع الحكومة الاميركية سراً لمنع عرض الفيلم فلم تستجب لها الولايات المتحدة ، ولم تجرؤ السعودية على التصرف مع اميركا بمثل ما تصرفت به مع بريطانيا .

كانت نتيجة هذه الحماقة السعودية أنها فضحت القضية من حيث أرادت كتمانها فقد تحدثت الصحافة العالمية عن الفيلم وعن مساعي المملكة لمنعه فشكل ذلك أفضل دعاية له . ولما عرض البرنامج في تلفزيون نيويورك وبوسطن بتاريخ ١٢ مايو ١٩٨٠ بلغت نسبة المتفرجين عليه من مجموع المشاهدين ٢٧ بالماية في نيويورك و٤٩ بالماية في بوسطن ومثلها في لندن والمدن الانكليزية الاخرى .

وتلقى آل سعود درساً بأن مفاهيمهم الاجتماعية وتصرفاتهم غير مقبولة في المجتمعات المتقدمة وأن قوتهم الاقتصادية والمالية غير كافية لفرض مفاهيمهم المتخلفة .

إن العبرة في حادثة الاميرة مشاعل هي أننا نرى العالم يتقدم في اتجاه ، ونشاهد آل سعود يشدون بمجتمعهم إلى الوراء ويقيمون الحواجز بينه وبين العالم الخارجي كأنهم يستطيعون أن يبنوا سوراً حوله . وهم في هذا خاسرون ، أولاً لأنه لم يحدث في تاريخ البشرية أن استطاع نظام حكم أن يقف في وجه موجة تطور إجتماعي تعم أكثر بلاد العالم ، وثانياً لأن البلاد السعودية تضم نحو مليون ونصف مليون أجنبي لا بد أن تؤثر عاداتهم ونمط معيشتهم على السعوديين مهما بالغت الحكومة بالفصل بينهم ، وثالثاً لأن سفر السعوديين إلى العواصم العالمية يزداد باضطراد فيرون إنماطاً جديدة من الحياة تستهويهم فلا يستطيعون لها رداً ، ورابعاً لأن عشرات الآلاف من الطلاب يمضون سنوات في الجامعات الاجنبية يتمتعون خلالها بالحرية إلى جانب العلم .

فإذا عادت هذه الجماعات إلى بلادها لا تجد فيها إلا السأم والملل والضجر والكبت والحكم العشائري الاستبدادي فيما ترى آل سعود يتمتعون بكل ما أتاحه الغرب وأباحه ، مع تظللهم بمظلة الدين . وهكذا تشتد النقمة على المسئولين وينتشر الشعور بضرورة التغيير .

إن مشكلة آل فهد هي ازدواجية مسلكهم ، وخوفهم من التآلف مع الواقع ، وتظاهرهم بالتمسك الشديد بالتقاليد التي ينسبونها إلى الدين مع أنها مخالفة لنمط الحياة في البلاد الاسلامية الأخرى.

وقد اعتقد آل فهد أنهم بتوظيف أنصارهم في مراكز حساسة وما يدفعونه لاسترضاء فئات مختارة من المواطنين والقبائل يضمنون لانفسهم مستقبلاً طويلاً مستقراً ، وهم واهمون . لأن التنازع والتجاذب بين النظام الرجعي الذي يتمسكون به وبين التطور العصري الذي يتسرب إلى البلاد رغماً عن كل القيود التي يفرضونها ، لا بد أن يولدّ انفجاراً ربما يكون وشيكاً .

إن رفض آل سعود التجاوب مع هذا التطور يبشر أيضاً بمستقبل عقيم وبحدث لعلاقاتهم مع الاقوام الاخرى . فإما عداء ومجابهة لا قبل لهم بها كما فعل «الاخوان» وخسروا ، أو ضياع أخلاقي ومعنوي يهمل الضوابط القديمة ولا يأتي بضوابط أخلاقية جديدة . وقد أصبح واضحاً أن أموال البترول خلقت مستنقعاً أخلاقياً في البلاد قضى على الفضائل القديمة من سماته الكسل والنفاق والرياء والسطحية والتفاهة . وقد ولغ كثير من السعوديين في ملذات الغرب دون أن يكتسبوا الضوابط التي ترافقها عند الانسان الغربي .

## التحدي الكبير لشرعية آل سعود
## احتلال المسجد الحرام وعودة الاخوان

صباح ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ أذاع راديو الرياض البلاغ الرسمي التالي :

«في هذا اليوم الثلاثاء أول محرم سنة ١٤٠٠ هـ (بداية القرن الاسلامي الخامس عشر) استطاعت جماعة من المرتدين عن الدين الاسلامي التسلل إلى بيت الله الحرام حاملين معهم الاسلحة والذخائر ودعوا المصلين تحت التهديد بالسلاح إلى الاعتراف بأحدهم اماماً. أن الحكومة تتخذ جميع التدابير للسيطرة على الوضع» .

الذي حدث أن جماعة تقدر بنحو مايتي شخص بينهم نساء وأولاد تسللوا إلى المسجد في الفجر مع المصلين ثم أظهروا أسلحتهم وبدأوا بإطلاق النار . وتراكض الناس نحو أبواب المسجد التسعة والثلاثين طالبين النجاة فسمح لهم المسلحون بالخروج ثم أغلقوا الابواب وتحصنوا في الداخل . وبدأ زعيمهم جهيمان ابن محمد ابن سيف العتيبي يدعو أهل مكة بمكبرات الصوت إلى أتباع المهدي الجديد محمد ابن عبد الله القحطاني «الذي جاء ليطهر الارض من الفساد» .

سمع صوت جهيمان في معظم احياء مكة يندّد بسلوك امراء آل سعود بشربهم الخمر وانصرافهم الى الملذات وقبض الرشوات واسفارهم إلى البلاد الاجنبية للمتعة ، وتشجيعهم الكفار على المجيء إلى البلاد بحيث غيروا عاداتها وتقاليدها . وحدد جهيمان أسماء كثير من الامراء الفاسدين وذكر بالتفصيل بعض العمولات التي تقاضوها والتصرفات المخزية التي قاموا بها . وشمل الاتهام الامير فواز ابن عبد العزيز حاكم مكة لشربه الويسكي ولعب الميسر .

وهكذا بدأ أخطر إسبوعين في تاريخ آل سعود الحديث منذ القضاء على ثورة الاخوان سنة ١٩٢٩ .

ولد جهيمان سنة ١٩٤٠ في مستوطنة للاخوان في القصيم لا تبعد كثيراً عن غطغط مقر سلطان ابن بجاد الذي حارب عبد العزيز في ثورة الاخوان . تشبع جهيمان بالنقمة على آل سعود الذين لم يتقيدوا بالتعاليم الوهابية منذ ما أعلن عبد العزيز نفسه ملكاً . وشملت نقمته طبقة «علماء السوء» .

وأصدر سنة ١٩٧٨ كتاباً بعنوان «الرسائل السبع» ضمنه أفكاره وآراءه فجمعت السلطات السعودية الكتاب ومنعت تداوله كعادتها . ومن جملة تعاليمه قوله «ان الغنيمة الكبري لأي مؤمن وخلاصه ان يَقتل أو يُقتل في سبيل الله» . وقال «إن العلماء وآل سعود ضموا جهودهم في اتحاد ضد الدين الحنيفي وقد باع العلماء أنفسهم لآل سعود لقاء المال . والا فكيف نفسر الاموال التي يكدسها العلماء والشيوخ إن لم يكن عن طريق الفساد» .

هاجم جهيمان بالاخص الشيخ عبد العزيز ابن باز كبير علماء الوهابية الذي شجع الجماعة عند نشوئها ثم انقلب عليها بعدما «استهونه أموال آل سعود وأصبح أداة في أيديهم لتضليل الناس» . وقال جهيمان «إن عدداً من العلماء أنذر بسوء المصير بسبب فساد آل سعود فأسكتهم عبد العزيز ابن

باز» . وقال عنه في نشرته الثالثة «نداء الاخوان» «ان ابن باز يعرف علم الحديث جيداً لكنه يستخدمه ليدعم حكم الفاسقين» .

لا يُعرف الكثير عن نشأة جهيمان سوى أنه خدم في الحرس الوطني في القصيم فترة قصيرة ثم انفصل عنه وانتسب إلى كلية الشريعة في المدينة ودرس على الشيخ عبد العزيز ابن باز مدة سنتين ثم عاد إلى القصيم سنة ١٩٧٤ مع عدد من الطلاب وبدأ ينشيء خلايا دينية تستمد تعاليمها من مبادىء الاخوان .

من المؤكد أن جهيمان اتصل وتباحث أثناء مواسم الحج مع الاخوان المسلمين ، وجماعة التبليغ في الهند ، وأنصار السنة في السودان ، وجماعة الاصلاح في الكويت ، وأهل التكفير والهجرة في مصر . وكان يوجد أعضاء لهذه المنظمات في معظم مدن المملكة بعد مجيء عدد كبير من المصريين والباكستانيين للعمل فيها .

كانت كلية الشريعة في المدينة تضم عدداً كبيراً من الطلاب الاغراب أصحاب تيارات فكرية متصارعة قال عنها أمام جامع الرياض الشيخ حمود ابن صالح العقيل أنه نشأ في الكلية جو ملاءم للبدع والهرطقة بسبب كثرة الاغراب ومنهم جماعة صار لها مفهوم خاص للقرآن والسنة تتلمذت على الشيخ عبد العزيز ابن باز . وتابع ابن عقيل أن السلطات أبعدت الاجانب لكن البدع عادت بعد وفاة الملك فيصل .

من المحتمل أن يكون جهيمان قد تشرب تعاليم ابن باز لكنه مدّ أفقيا لتشمل آل سعود وتجاوزاتهم . وادعى جهيمان أن ابن باز لم يعترض يوماً على تعاليم الاخوان لكنه لامهم لأنهم ركزوا على السعودية وحدها كدولة فاسدة .

خشي عبد العزيز ابن باز على وظيفته من آل سعود ورأى منفعته في

ستمرار التحالف معهم فطرد الطلاب من محاضراته . وكانت خطوة خطيرة إذ كتب جهيمان في رسالته الثالثة «نداء الاخوان» انه ورفاقه عندما لم يحصلوا على العلم الديني في كليات الشريعة اضطروا ان يعلموا أنفسهم فانتشروا يبشرون في المناطق المحيطة فزاد عددهم كثيراً وانتقلوا إلى الرياض سنة ١٩٧٦ .

إنتسب إلى حركة جهيمان شاب حجازي من عائلة تجارية غنية يدعى يوسف باجنيد اشترى بيتاً لجهيمان في الرياض ويقال أنه هو الذي كتب الرسائل التي كان جهيمان يوقعها . ومن المؤكد أنه هو الذي موّل طباعتها في مطبعة الطليعة في الكويت .

ظهرت أول رسالة بعنوان «قانون الولاء والطاعة : فساد الحكم» وكانت هجوماً واضحاً على العلماء وعلى شرعية آل سعود . وجاء في الرسالة أن الحكام المسلمين الذين لا يتبعون تعاليم القرآن والسنة لا تتوجب لهم طاعة رعاياهم بل يجب مقاومتهم ، وأن آل سعود حكام من هذا الطراز فهم فاسدون يستغلون الشريعة لخدمة مآربهم.ويتعاملون مع الكفرة . (يذكرنا هذا الكلام باقوال «الاخوان» في مؤتمر الارطاوية) (راجع الفصل السابع).

لم يستطع آل سعود التغاضي عن هذه الحملة فـارقفت المباحث في الرياض جهيمان مع ثمانية وتسعين من أتباعه في صيف ١٩٧٨ لكنهم لم يجرأوا على تقديمهم إلى المحاكمة فسجنوهم واستدعوا الشيخ عبد العزيز بن باز من المدينة ليتفحص أقوالهم .

بعد الاستماع اليهم رفض ابن باز أن يعتبرهم مارقين أو خونة فأطلقت السلطات سراحهم بعدما أمضوا ستة أسابيع في السجن ووعدوا بالكف عن الوعظ ومهاجمة الحكام .

أثار موقف ابن باز تساؤل الناس عن بواعثه وكذلك عن بواعث زميله

الشيخ صالح ابن لحدان احد العلماء النافذين الذين عرف عنه تشجيعه للاخوان . ويبدو أن بعض العلماء وأتباعهم استغلوا حركة جهيمان وسيلة ضغط على آل سعود ليلتزموا باتجاهاتهم المتزمتة .

ترافق ذلك مع سلسلة أنظمة أصدرها الامير نايف وزير الداخلية تقرباً من العلماء ، منع فيها النساء من السفر وحدهن ، ومن العمل إلى جانب الرجال ، ووعد بفرض زيّ معين تلبسه كل النساء ، ومنع السباحة المختلطة في مسابح الفنادق ، وأصدر العلماء فتوى بمنع لعب كرة الطاولة لأنها مسيئة للاخلاق ، وظهرت نشرات على جدران الشوارع تنذر الاجانب بالاحتشام بملابسهم وتمنعهم من لبس الصلبان .

في رسالته الاولى أشار جهيمان إلى ظهور المهدي ، واستفاض في وصف المهدي في رسالته الثالثة التي ظهرت في شهر رمضان من العام التالي . وقال في أواسط ١٩٧٩ ان محمداً ابن عبد الله القحطاني ظهر له في رؤيا ثم خاطبه الله وأمره أن يعلن القحطاني مهدياً جاء ليطهر الارض من الفساد . وبعدما أخبر جهيمان القحطاني برؤياه صار هذا يحلم أيضاً بأن الله دعاه لتخليص العالم من الفساد . بعد ذلك تزوج المهدي أخت جهيمان فتوثقت العلاقة بينهما .

إختفى جهيمان بعد خروجه من السجن . وقيل أنه طاف على جماعاته في القصيم والمدينة وغيرهما واعظاً ومرشداً في طول البلاد وعرضها . وفقدت المباحث أثره .

كان كثير من أتباع جهيمان شاباً من طلاب كلية الشريعة في مثل عمره ينتسب معظمهم إلى قبيلة العتيبة منهم عفاس ابن مهيا قائد فرقه القناصة وهو ابن عقاب ابن مهيا احد شيوخ العتيبة الذي قتل أثناء ثورة الاخوان (١٩٢٩) . وبينهم أيضاً بعض المصريين والكويتيين واليمنيين الذين اقتنعوا بالدعوة .

وافادت التحقيقات مع من بقوا احياء بعد تحرير المسجد الحرام أن جهيمان اعطى أتباعه اسبوعين فقط لتدبير السلاح والمجيء إلى مكة . وباع يوسف باجنيد ملكاً له في مكة ليدفع ثمن السلاح .

ظهر بعد الحادثة أن كمية السلاح بأيدي المقاومين كانت كبيرة ومتنوعة وفعالة كما أن تدريبهم على استعمال السلاح تفوق على تدريب قوى الجيش . وتمكن جهيمان من إدخال السلاح والذخائر خلسة إلى دهاليز المسجد مع حمولة شاحنة من الارز والتمر .

لا شك أن جهيمان ورفاقه استوحوا حركتهم من حركة الاخوان التي قضى عليها الملك عبد العزيز . ورغم اختلافهم الشديد مع الشيعة فإن نجاح ثورة الامام الخميني ضد الشاه سنة ١٩٧٩ معتمداً على الدعوة الدينية شجعهم على القيام بمثل عمله وغايتهم الاطاحة بآل سعود كما أطاح الخميني بالشاه .

في الرياض التي فاجأها الخبر أمر الملك خالد فوراً بقطع المواصلات وأسدل ستاراً من الصمت على ما يجري وطوق الجيش مكة ومنع الدخول إليها والخروج منها .

ثم دعا الملك العلماء إلى إجتماع عاجل أفتوا فيه باستعمال السلاح داخل المسجد لاحلال الامن . وكان ولي العهد الامير فهد يحضر مؤتمراً عربياً في تونس كما كان الامير عبد الله قائد الحرس الوطني في المغرب فبقيا حيث هما .

سارع الاميران سلطان ونايف إلى مكة ليشرفا على العمل مع تركي الفيصل رئيس الاستخبارات واستدعوا فرقاً من مختلف الاسلحة إلى مكة . عندها ظهر فساد النظام السعودي في ناحية جديدة . فقد كانت سياسة آل سعود تقضي بابقاء القوات المسلحة متفرقة لا تعاون بينها ومنعها من القيام

بمناورات مشتركة حتى لا تتحد ضدهم. كما ذكرنا في الفصل الثالث عشر. فلما احتاجوها ظهر النقص جلياً. فقد فشلت الهجمات الاولى وكانت خسائر الجنود كبيرة. ومضت خمسة أيام قبل أن تتمكن قوات الحكومة من السيطرة على الطبقات العليا من المسجد وانسحب المتاتلون إلى السراديب. واستعانت السعودية بفرنسا التي ارسلت خبراء في مكافحة الارهاب مع اسلحة مخصصة لهذا العمل.

قطعت الحكومة الاكل والماء والكهرباء عن السراديب ثم اغرقتها بالمياه وارسلت فيها تياراً كهربائياً ثم ملاءت السراديب بالغاز المسيل للدموع. وبعد بدء العصيان باسبوعين استسلم جهيمان ومن بقي حياً من جماعته. وأعلن وزير الداخلية أنه تم تطهير المسجد الساعة الواحدة والنصف من صباح ٥ ديسمبر ١٩٧٩ وأنه قبض على جهيمان بين الجرحى.

في ٩ يناير اعلنت وزارة الداخلية المعلومات التالية:

قتل من رجال الجيش ١٢ ضابطاً و١١٥ صف ضابط وجندي، وجرح ٤٩ ضابطاً و٤٠٢ جندي.

وقتل من المتمردين ٧٥ بينهم محمد ابن عبدالله القحطاني الذي لقب بالمهدي.

جرى التحقيق مع المعتقلين وبقيت نتائجه سرية على عادة المافيا السعودية. ثم جرت محاكمتهم فحكم على ثلاثة وستين بالأعدام. وصدق الملك خالد على الحكم وتوزع المحكومون على ثمان مدن حيث نفذ بهم الاعدام في ٩ يناير. وكانت جنسياتهم ٤١ سعودي، وعشرة مصريين، وثلاثة كويتيين وستة من اليمن الجنوبي، وسوداني وعراقي ويمني شمالي.

وأفاد وزير الداخلية أنه وجدت خمس عشرة جثة في السراديب كما توفي سبعة وعشرون بسبب الجراح. وكان بين المحاصرين ثلاثة وعشرون امرأة وصبي فحكم على النساء بالسجن سنتين أما القاصرون من الاولاد فارسلوا

ن معاهد رعاية اجتماعية. وافرج عن ثمانية وثلاثين شخصاً ثبت أنه لم تكن لهم علاقة بالحادث.

شكلت عملية جهيمان ورفاقه أول تحدي علني لشرعية آل سعود لما اذاعوا على أهل مكة بمكبرات الصوت مفاسدهم الاخلاقية التي تنزع عنهم صفة الامامة وحق الولاية. وجاء الاستيلاء على المسجد الحرام ليذكر الناس أن شرعية هذه العائلة تستند على حمايتها للأماكن المقدسة وعلى رفع شأن الدين. واثبت جهيمان أنها فشلت في الناحيتين. وكان العالم الخارجي، عدا الامام الخميني والعقيد معمر القذافي، يثق باهلية آل سعود وقدرتهم على ضبط الامور في بلادهم فاثبت لهم جهيمان أنهم مخطئون.

وقد فشل جهيمان ورفاقه لا لأنهم طالبوا بالاصلاح الذي ينشده جميع السعوديين بل لأنهم ارادوا العودة بالبلاد باسم الدين وبالعنف إلى طراز من المعيشة لم يعد مقبولاً من غالبية السكان فلم يحصلوا على تأييد شعبي خلافاً لما توقعوا.

## الشيعة واضطرابات الاحساء

يبلغ عدد الشيعة في المنطقة الشرقية نحو ٢٧٥ الفاً يتوزعون على اربع مناطق سكنية رئيسية هي:

منطقة الدمام، وتضم مدن الدمام والخبر وثقبة والضهران وهي أكثف بقعة سكنية في المنطقة وتضم أكثر العمال الغرباء وتشكل المركز التجاري والمالي والصناعي ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثماية الف.

واحة الاحساء، وهي منطقة زراعية وثاني منطقة سكنية ويبلغ عدد نفوسها مايتين وخمسين الفاً.

واحة القطيف؛ وهي المنطقة الزراعية الثانية وسكانها ماية وخمسون الفاً.

المدن الصناعية في الخفجي وجبيل ورحيمة وابقيق.

بلغ مجموع سكان المنطقة الشرقية سنة ١٩٧٤ حسب احصاء قامت به الارامكو ٧١٥ الفاً بينهم عدد كبير من العمال الاغراب. لكن الاحصاء لم يبين عدد السعوديين من هذا المجموع. وتقول الارامكو أن الشيعة يشكلون اربعين بالمائة من عمالها. وفي غياب الاحصاءات الدقيقة يمكن تقدير عدد الشيعة بنحو نصف مجموع سكان المنطقة السعوديين.

وقد اهملت الدولة هذه الاقلية واساء آل جلوي معاملتها وامتهنوها مع أن افرادها أكثر اقبالاً على العلم ورغبة بالعمل اليدوي من غيرهم. وقد اقصي السكان الشيعة عن مناصب الدولة العليا وهم يتعرضون لمضايقات يومية تافهة. وإذا قيس مستوى معيشتهم بمستوى المناطق الاخرى يظهر مدى اهمال الدولة لهم. فهم ينتجون ثروة البترول لكنهم لا يتمتعون بحصة عادلة منها. وعندما يقيسون حالهم بما هي عليه الكويت أو البحرين أو قطر يشعرون بالغبن النازل بهم مع أن بترول منطقتهم أوفر من بترول هذين البلدين.

والشيعة حسب المبادىء الوهابية «كفرة» يجب ردهم إلى الدين الصحيح بالقوة. وفي مؤتمر الارطاوية الذي عقده الاخوان سنة ١٩٢٦ طالبوا عبد العزيز بفرض اسلامهم الوهابي على شيعة الاحساء والقطيف. وأجابهم عبد العزيز إلى طلبهم في مؤتمر الرياض بتاريخ ١٧ يناير ١٩٢٧ كما مر معنا.

لما نجحت ثورة الامام الخميني وبدأ يعلن تصدير ثورته الاسلامية (الشيعية) انتعشت آمال شيعة الاحساء واشتد عزمهم واصبحوا أكثر جرأة بالمطالبة بحقوقهم فصاروا يعودون من زيارتهم لكربلاء والنجف يحملون مناشير وكاسيتات تسرد المظالم التي يتعرضون لها وتحثهم على الانتفاض ضد «الطغيان». وقامت بينهم منظمة تنتسب لطهران تدعى «المنظمة الثورية الاسلامية» تبث روح المقاومة وتروج لسياسة ايران.

مساء اليوم الذي تم فيه القضاء على الاخوان في المسجد الحرام بدأت تصل اخبار مشوشة عن اشتعال المقاومة الشيعية في المنطقة الشرقية. ولم يكن يوجد ترابط بين الحادثين. لكن ذلك صادف عاشر يوم من محرم (عاشوراء) وهو ذكرى استشهاد الحسين ابن علي الذي يحتفل به الشيعة ويعيدون ذكرى مقتله.

كان آل جلوي حكام المنطقة الشرقية يمنعون في الماضي مثل هذه الاحتفالات لكن نجاح ثورة الخميني شجع سكان المنطقة فقامت مظاهرة في بلدة صفوة حاولت الشرطة قمعها فتحولت إلى العنف وامتدت التظاهرات إلى بلدة القطيف حيث احرقت سيارات ونهبت محلات وعمت الفوضى وكأن اضطهاد خمسين عاماً وجد له مخرجاً في ذلك اليوم فانفجر.

اثبتت هذه المظاهرات فشل سياسة آل جلوي القمعية. واستمرت الاضطرابات في المنطقة الشرقية طوال شهري نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩. وظهر اثناءها رسم كاريكاتوري يعبر عن شعور السكان وهو يمثل ناقة ضخمة ترعى العشب في المنطقة الشرقية ويحلبها تاجر في الغرب (الحجاز) ثم يسلم حليبها لرجل كسول في الرياض.

لم يستطع وزير الدفاع أو وزير الداخلية مغادرة مكة لمعالجة وضع الاحساء فذهب اليها احمد ابن عبد العزيز نائب وزير الداخلية الذي اطلق الحرس الوطني على المتظاهرين فقتل منهم سبعة عشر، واحاط بالقطيف وعزلها واعتقل عدداً كبيراً من اهلها فاتلاً بهم سجن المخوف. وهدأت الأحوال في نهاية ديسمبر.

هكذا أنهى آل سعود بالقوة والبطش عودة الاخوان وانتفاضة الشيعة في الاحساء دون أن يتعظوا من الحادثين فلا استقامت تصرفاتهم الشخصية ولا انصفوا المنطقة الشرقية، ولا لبوا المطالب الشعبية للمشاركة بالحكم، بل

نشـروا بذور فتنـة مقبلة قد لا يسـتطيعون مقـاومتهـا إذا انتهت حـرب الخليـج وشملت إيران بحمايتها شيعة الاحسـاء.

بقيت النـاس تسـاءل: إذا كـان جهيمان وجماعته غير محقين في ثورتهم واتهاماتهم فلمـاذا استقال حـاكم مكة الـذي اتهمه جهيمـان بالسكـر والقمار. ولمـاذا سارع الملك خـالد فعين عدداً كبيـراً من اخوتـه حكاماً عـلى المنـاطق. ولماذا عاد ولي العهد الامير فهد يعد باحياء مجلس الشـورى وتعزيـز صلاحيـاته ووضـع دستور للبـلاد استرضـاء للناس كـما مر معنـا. ولماذا طمسـت الحكـومة نتائج التحقيق مـع جهيمان وجمـاعته قبـل اعدامهم كـما فعلت مع قـاتل الملك فيصـل. ولماذا يتـوقع آل سعـود أن يستمر النـاس بقبول المـافيا التي تحكمهم؟ هذه التـساؤلات بقيت إلى الان حائرة تنتظر جواباً.

من ناحية اخـرى تابعت ايـزان الخميني ارسـال الايـرانيين في كـل موسم حج مزودين بالكاسـيات والمناشـير يوزعـونها على الحجـاج ويقيمون المظاهرات تحت ستـار الدعـوة إلى الاسـلام الصحيـح فتثير قلق آل سعـود وتنـذرهم بمـا سيأتي وتبقي مشاعر شيعة الاحسـاء متقدة.

## اعفاء الدكتور غازي القصيبي
## وزير الصحة من منصبه، مارس ١٩٨٤

كـان على البـلاد السـعوديـة أن تنتظر اربـع سنـوات ونصف بعـد انتهـاء حـركـة جهيمـان العتيبي لتتفـاعـل النقمـة في النفـوس بسـب استمـرار سـوء السـياسة والادارة والفسـاد فتنفجـر في بـادرة جـديـدة تتحـدى الحكم مـطالبـة بـالاصلاح. وكـانت هذه البـادرة، على خـلاف ما سبقهـا، منبثقـة من صلب النظام ومن أحد اساطين السـلطة.

يوم ٥ مارس ١٩٨٤ نشرت صحيفة «الجزيرة» في الـرياض قصيـدة من

خمسين بيتاً للوزير الشاعر الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي وجهها إلى الملك فهد بعنوان «رسالة المتنبي الإخيرة إلى سيف الدولة» معاتباً وملمحاً ومحذراً نحا فيها منحى المتنبي في قصيدته الشهيرة لما هاجمه ابو فراس الحمداني في مجلس سيف الدولة وكان مطلعها:

ما حرَّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وفيما يلي قصيدة القصيبي كاملة:

بيني وبينك ألفُ واشٍ ينعبُ
فعلامَ أسهبُ في الغناء وأطنبُ؟
صوتي يضيعُ ولا تحسّ برجعه
ولقد عهدتُك حين أنشدُ تطربُ
وأراكَ ما بينَ الجموعِ فلا أرى
تلكَ البشاشةَ في الملامحِ تعشبُ
وتمرُّ عينُكَ بي وتهرعُ مثلما
عبر الغريب مروعاً يتوثبُ
بيني وبينكَ ألفُ واشٍ يكذبُ
وتظلُّ تسمعُهُ.. ولستَ تُكذِّبُ

*****

خدعوا فأعجبكَ الخداعُ ولم تكن
من قبلُ بالزيفِ المعطرِ تُعجبُ
سبحان من جعل القلوب خزائناً
لمشاعرٍ لما تزلْ تتقلبُ

*****

قُـلْ لِـلْوُشَـاةِ انَـبـتُ ارفَـعُ رايَـتِي
الـبَـيْـضَـاءَ فَـاسْعَـوْا في أديمِي واضْـرِبُـوا!
هـذِي المعـاركُ لـسْتُ أُحْسِـنُ خَـوْضَـهَـا
مَـن ذَا يُحَـاربُ والـغَـرِيـمُ الـثُّـعْـلَبُ؟!
ومَـن الْمُـنَـاضِـلُ والـسِّلاحُ دنِـيـئَـةٌ
ومَـن الْمُكَـافِـحُ والـعَـدُوُّ الـعَـقْـرَبُ؟!
تَـأْبَى الـرُّجُـولَـةُ أَنْ تُـدَنِّسَ سَيْـفَـهَـا
قَـد يَـغْـلِبُ المِـقْـدَامُ سَـاعـةَ يُـغْـلَبُ
في الـفَـجْـرِ تَحْـتَـضِـنُ الـقِـفَـارُ رواحِـلِي
الحُـرُّ حِـين يَـرى المَـلالَـةَ يَهْـرُبُ
والـغَـفْـرُ اكْـرَمُ لا يَـغِـيضُ عَـطَاؤُهُ
حِينـاً.. ويصـغِي لِلوُشَـاةِ فَيـنْـضُـبُ
والـقَـفْـرُ أَصْـدَقُ مِـن خَـلِيـلٍ وُدُّهُ
مُـتَـغَـيِّرٌ.. مُـتَـلَوِّنٌ.. مُـتَـذَبْـذِبُ
سَـأصُبُّ في سَمْـعِ الـرِّيَـاحِ قَـصَـائِـدِي
لا أَرْتَجِـي غُـنْـماً.. وَلاَ اتَـكَـسَّـبُ
وأَصُـوغُ في شَـفَـةِ الـتُّرَابِ مَـلاَحِمِـي
إن الـتُّراب مـع الـكـرامـةِ يُـشْـرَبُ!

* * * * *

أَزِفَ الـفِـراقُ.. فَـهَـلْ أُوَدِّعُ صَـامِـتـاً
ام انـتَ مُـصْـغٍ لـلعِـتَـابِ فَـأعْـتَـبُ؟
هـيـهَـاتَ مـا أحـيـا الـعِـتَـابُ مَـودَّةً
تُـغْـتَـالُ.. او صَـدَّ الـصُّـدود تَـقَـرُّبُ

يـا سَـيّـدي! في الـقـلـبِ جـرْحٌ مـشـعَـلٌ
بـالحُـبِّ.. يـلـمُّـه الحـنـينُ فـيَـسْـكُـبُ
يـا سَـيّـدي! والـظُّـلْمُ غـيرِ مُحَـبَّـبٍ
أمّـا وقَـد ارضـاكَ فـهـو مُحَـبَّـبُ!

*****

سَـتـقـالُ فـيـكَ قـصـائـدٌ مـاجـورةٌ
فـالمـادِحُـونَ الجـائِـعـونُ تـأهَّـبُـوا
دعـوى الـودادِ تجُـولُ فـوقَ شِـفـاهِـهِـم
أمّـا الـقـلوبُ فـجـالَ فـيـهـا أشْـعَـبُ
لا يَـسـتـوِي قَـلمٌ يُـبَـاعُ ويـشْـتَرى
ويَـراعـةٌ بـدَمِ المـحـاجِـرِ تـكْـتُـبُ
انـا شـاعـرُ الـدُّنـيـا!.. تـبـطَّن ظهـرهـا
شِـعْـرِي.. يُشْـرِّقُ عَـبـرهـا وَيُـغَـرِّبُ
انـا شـاعـرُ الأفْـلاكِ!.. كُـلُّ كُـلَـيـمَـةٍ
مِـنّي... عـلى شَـفَـقِ الخُـلودِ تُـلَـقَّـبُ

ليس الدكتور غازي القصيبي متزلماً نكرة خلقه آل سعود واوصلوه إلى الوزارة كما فعلوا بغيره، وليس شخصية معزولة عن محيطها. فعائلته من العائلات التجارية السعودية الكبيرة التي سبقت عهد الملك عبد العزيز وكان مركزها الهفوف عاصمة الاحساء. وعندما اراد عبد العزيز احتلال الاحساء عام ١٩١٣ كان آل القصيبي في مقدمة الذين اعانوه على ذلك وعلى طرد الاتراك.

بعد ذلك عمل عبد الله القصيبي الجد الأكبر للدكتور غازي وكيلاً لاعمال الامام عبد العزيز في المنطقة الشرقية كما قام مكتبه في البحرين باعمال القنصلية للدولة السعودية الناشئة.

وفي سنة ١٩١٩ انتدبه الامام عبد العزيز مع عبدالله الثنيان لمرافقة الامير فيصل في زيارته للندن عن طريق بومباي.

عاد عبدالله القصيبي إلى نجد ومعه اول سيارة دخلت البلاد اهداها للامام عبد العزيز. وبعد فتح الحجاز واحتياج عبد العزيز للأموال كان آل القصيبي ممن اقرضوه اموالا كثيرة. وقد منح الملك عبد العزيز عبد الرحمن القصيبي والد الدكتور غازي لقب «وزير دولة» سنة ١٩٥٥ نظراً لخدمات عائلته المستمرة.

ولد غازي القصيبي في الاحساء. وتوفيت والدته وهو رضيع فحضنته جدته وانتقل معها إلى البحرين حيث درس في مدارسها إلى أن غادرها إلى القاهرة في منتصف ١٩٥٦ والتحق طالباً بالتوجيهية ثم بكلية الحقوق. فكانت نشأته في البحرين ودراسته فيها وفي القاهرة والبلدان يختلف مجتمعهما اختلافاً كبيراً عن محيط نجد ولا أثر فيهما للمباديء الوهابية.

في صيف ١٩٦١ انهى دراسته في كلية الحقوق فسافر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة «جنوب كاليفورنيا» حيث درس العلاقات الدولية.

في ذلك الوقت كانت موجة القومية العربية (الناصرية) تنتشر في البلاد وكان غازي القصيبي من المتحمسين لها بخلاف والده على ما يروي.

حصل غازي على الماجستير في صيف ١٩٦٤ وكان يتطلع إلى التدريس في الجامعات السعودية. فكان له ما تمناه في اوائل ١٩٦٥ وعمل في قسم العلوم السياسية بكلية التجارة في جامعة الرياض.

خلال ذلك عينه الملك فيصل مستشاراً للجانب السعودي في لجنة السلام لليمن برئاسة الشيخ عبدالله السديري فانتقل موقتاً من عالم الدراسة إلى عالم السياسة. وعاد من اليمن إلى الجامعة في ربيع ١٩٦٦.

بعد ذلك انتسب إلى جامعة لندن للحصول على الدكتوراه في العلاقات الدولية وكتب رسالته عام ١٩٧٠ عن التاريخ السياسي لليمن خلال فترة حكم الامام احمد حميد الدين. وعاد بعد ذلك مدرساً في كلية التجارة في جامعة الرياض، فرئيساً لقسم العلوم السياسية فعميداً.

ثم انتقل للعمل مديراً عاماً لمؤسسة الخطوط الحديدية إلى أن عدل الملك فيصل وزارته عام ١٩٧٥ وانشأ وزارة الصناعة والكهرباء وعين الدكتور غازي القصيبي وزيراً لها وكان عمره آنذاك خمسا وثلاثين سنة فنجح بتنظيمها وادارتها.

خلال عامي ١٩٨٢ و١٩٨٣ شغل وزارة الصحة بالوكالة اضافة إلى وزارة الصناعة ثم تفرغ لوزارة الصحة بشهر اكتوبر ١٩٨٣ لتنظيم الفوضى السائدة فيها وكانت ميزانيتها تبلغ ستة الاف مليون دولار.

أضاف غازي القصيبي إلى كفاءاته العلمية والادارية موهبة الشعر والادب فقربه ذلك إلى المثقفين السعوديين وإلى الجمهور من خلال ما كان ينشره من مقالات وقصائد في الصحف أبقته على اتصال بالاتجاهات الشعبية.

وقد اتضح أنه كان على رأس المعارضين في مجلس الوزراء للصفقات المشبوهة وللعمولات الهائلة التي تجد طريقها بأساليب مختلفة الى جيوب آل فهد فأحبط عدداً منها وخلق لنفسه أعداء نافذين بين الامراء والوزراء .

جرى الصدام الحاسم بينه وبين وزير الدفاع الامير سلطان لما تصدى لصفقة أسلحة أراد الامير ابتياعها من اسبانيا لكن القصيبي عارضها وأحبطها فنقم عليه الامير سلطان واتهمه بالمقابل أنه عقد صفقة أدوية مشبوهة مع استراليا. لكن الاتهام سقط لما تبين أن الأدوية المذكورة مقدمة هدية من الحكومة الاسترالية.

وفي ذلك قال غازي القصيبي في قصيدته مخاطباً الملك فهد :

بيني وبينك ألف واشٍ يكذب وتظل تسمعه ولست تكذّب

وتابع يتحدى الملك فهد أن يصلح الامور ويكافح الفساد ، مع علمه باستحالة ذلك بسبب اطباع الملك المتقلبة فقال :

القفر أصدقُ من خليل ودّه متغير متلون متذبذب

وأدرك بحسه أن لا أمل يرتجى تجاه المتنفعين من آل سعود وبطانتهم فقال :

ستقال فيك قصائد مأجورة فالمادحون الجائعون تأهبوا
دعوى الوداد تجول فوق شفاههم أما القلوب فجال فيها أشعب
لا يستوي قلم يباع ويشترى ويراعة بدم المحاجر تكتب

وصدق حدس الشاعر . فكيف يعاقب الملك فهد الفاسدين والمرتشين ، وآل سعود هم أول المتنفعين من الفساد .

انحاز الملك لاهله مع كونهم على ضلال فأصدر قراراً يوم ١٨ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ أي بعد شهر ونصف من تاريخ نشر القصيدة ، باعفاء الدكتور غازي القصيبي من منصبه ففوت فرصة ربما تكون نادرة لانقاذ

نظام السعودي من مصير قاتم . ويلاحظ مقدار حقد آل فهد على الدكتور القصيبي إذ عمدوا إلى إقالته وكان باستطاعتهم أن يعلنوا استقالته .

ما هي أهمية القصيدة والاقالة ؟

أولاً - إنها أول صرخة ضد فساد الحكم تصدر من داخل المؤسسة الحاكمة . فالدكتور القصيبي كما ذكرنا ليس دخيلاً على الحكم والادارة بل هو من صميمها منذ عشر سنوات . لذلك لا يمكن اتهامه بأنه عدو لآل سعود . وجاءت صرخته مؤشراً على يأسه من احتمال إصلاح الحكم من الداخل .

ثانياً - عبّرت القصيدة عن نقمة البورجوازية السعودية التي يمثلها الدكتور القصيبي على الاوضاع الفاسدة التي ترسخت في عهد الملك فهد حتى لم يعد يمكن الصبر عليها .

ثالثاً - عبّرت القصيدة عن يأس الطبقات الوسطى المتنورة التي تضم المثقفين والمتعلمين والتجار وأصحاب الاعمال والمهن الحرة والضباط ، من أمكان اشتراكهم بالحياة السياسية وبحكم البلاد .

وبدلاً من توسيع المشاركة الوطنية عن طريق إصدار الدستور وإنشاء مجلس الشورى التي وعد بها آل فهد ، نراهم يقيلون احد كبار المصلحين لانه تجرأ على الاعتراض على فساد الحكم .

رابعاً - أعطت الاقالة دليلاً واضحاً على أن الحاكمين ركبوا رأسهم واستمروا في غيّهم ورفضوا نصيحة أقرب الناس إليهم فقضوا على الامل بأن يتطور الوضع السياسي بطريقة سلمية . وتأكد للجميع أن النهَم للمال عندهم يعلو فوق كل اعتبار .

لم تخطىء جريدة الفاينشال تايمس اللندنية التي ترجمت بعض أبيات القصيدة في عددها تاريخ ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٨٤ عندما قالت عنها أنها

أهم حدث سياسي جرى في السعودية منذ استيلاء جهيمان العتيبي على المسجد الحرام سنة ١٩٧٩ .

ونحن نعتبرها أهم من حركة جهيمان لأن تلك مثلث إرادة جزء صغير منخلف من الشعب لم يلقَ تأييداً من جمهرةَ المواطنين ، في حين تعبر الظاهرة الجديدة عن تململ الطبقات الصاعدة المتحضرة في المجتمع السعودي التي لا تلقى إلا الكبت والاهمال .

## الأزمة الاقتصادية والمالية

استطاع آل فهد أن يجتازوا الازمات الاربع التي تخبط فيها حكمهم منذ عام ١٩٧٩ وهي أزمة إعدام الاميرة مشاعل وعشيقها ، وأزمة عودة «الاخوان» واحتلال المسجد الحرام ، وأزمة انتفاضة الشيعة في المنطقة الشرقية ، وأزمة إقالة الدكتور غازي القصيبي ، وهي أزمات مرهونة بظرف أو بشخص ، وظنوا أن تجاوزها قد أراحهم نهائياً منها ومن نتائجها ، وغاب عن بالهم أن كل أزمة تترك ذيولاً تتفاعل في أذهان الناس ومشاعرهم فيتولد من تراكمها احتقانات كامنة تنتظر شرارة تفجرها .

أما الازمة الخامسة فليست مرهونة بظرف أو بشخص ، بل هي حالة مزمنة مستمرة منذ عام ١٩٨١ ، ظهرت حدتها عام ١٩٨٢ وهي مرشحة للاستمرار سنوات أخرى طويلة ، ونعني بها الضيق الاقتصادي والمالي الذي حلّ بالبلاد في هذه الفترة فامتزجت تفاعلاتها بالاحتقانات المتأتية من الازمات الاربع السابقة واججتها .

وقد ذكرنا في الفصل الثاني عشر تحت عنوان «ثروة البترول الزائلة» أن الرخاء الذي تمتعت به البلاد السعودية في العقدين الماضيين كان نتيجة صدفة جيولوجية لا يعتمد على كدّ السعوديين وجدهم ونشاطهم ، وأن هذه الثروة

تـ نقص يوماً بعد يـوم وقد بـدد آل سعود مـا وقع بـأيديهم منهـا حتى اليوم في ‍مور كثيرة غير مجدية .

ومع أن بحث الاقتصاد السـعـودي لا يدخـل في نطاق هـذا الكتاب فـلا بـ من ذكر بعض المعلومـات التي تدل عـلى خطورة الازمـة التي تـتاب البـلاد وتزعزع حكم آل سعود حتى أصبحت مدار تعليقات الصحف العالمية .

لقـد بلغ الضيق المـالي بـالحكـومـة حـداً لم تعـد تـستـطيـع معـه الـوفـاء بـالتزامـاتها للمتعهـدين الذين نفـذوا مـشاريـع تعاقـدت الحكومـة معهم عليهـا وكـان من المفروض أن تكـون مبالغهـا مودعـة في الخزينـة ، فعمـدت مختلف الوزارات والادارات إلى المماطلة بدفع الاستحقاقات المترتبة عليهـا مما دفـع إلى الافـلاس آلاف الشـركـات الصغيـرة وعـدداً كبيـراً من الشـركـات العـالميـة الكبيـرة . ولا عبرة لارقـام الميزانيـة وللمخصصـات المعلنـة لكل إدارة فـذلـك يدخل في بـاب التمويـه . والحقيقة أن الامـوال الجاهـزة أقل بكثير من المبالـغ المعلنة ، رغم أن الدولـة لجأت إلى سحب كميـات ضخمة من احتـياطي النقد الموجـود في الخـارج ومن اسـتثمـاراتهـا الاجنبيـة لكن قـسمـاً كبيـراً من هـذه الاموال يتسرب إلى الجيوب بأساليـب مختلفة .

وقد اسـتفحل الوضـع فتنـاولتـه الصحف العـالمية التي حصـرت اهتمامهـا بأحوال بعض الشـركات الكبيـرة ولم تتعرض لآلاف الافـلاسـات في الشـركـات المتوسطة والصغيـرة فكتبـت صحيفة الفايننشـال تـايمس اللنـدنيـة المتخصصـة بالشئون المالية والاقتصادية في عددها تاريخ ٣١ اغسطس (آب) ١٩٨٤ :

في الاسبوع الماضي اغلقت شـركة «كـارلسـون السـعودية» إفـلاسـهـا وهي مؤلفة من شركة كارلسـون الاميركيـة ومن ممولين سعوديين منهم الاميـران محمد وسعـود أبناء الملك فهـد وكانت قـد أنهت عملها في بنـاء منازل لجـامعـة الملك سعـود في الريـاض . وسبب إفلاسـهـا مماطلة الحكـومـة في دفـع اسـتحقـاقـات

الشـركة . ولا يعلم بـالتحديـد مبلغ الديـون المـتحقة عـلى الشركـة لكنـه من المعـروف أنها تـستخـدم نحـو ألفي عـامـل أسـيوي لا تـسـتطيـع إعـادتهم الى بـلادهم ، كما أنها مـدينة بمبلغ أربعـة ملايـين دولار ونصف لشركـة سفريـات نقلت هؤلاء العمال . أما مقدار ديونها للبنوك فغير معروف .

وتـابعت الفاتيتـشـال تايمـس تقـول أن فـرع المقـاولات في مؤسـسـة عـلي وفهـد الشـبوكشي في جـدة وقع تحت عجـز بلغ أربعمايـة مليون دولار مستحق لنحـو ثمانـين مصرفـاً على رأسهم «نـاشيونـال بانك أوف شيكاغـو» ، والبنك التجاري الوطني الـسعـودي ، وبنوك بحـرانية . وتعتبـر مؤسـسـة الشـبوكشي من بـين أكبر ثـلاثـين أو أربعـين مؤسـسـة تجاريـة سعـوديـة . وسبب عجـز فـرع المقاولات فيها تأخر الحكومة عن دفع قيمة الاعمال المنجزة .

روت الصحيفـة أيضاً أنـه في ربيع ١٩٨٤ تقـدمت «شركـة الصنـاعـات الكيماوية الـسعـودية» بـطلب التصفية لأن الحكـومة عجـزت عن دفع المستحق لها لوفاء ديونها . ويملك الشـركة التاجر محمـد البدراوي والامـير تركي الفيصـل أصغر أبناء الملك فيصل ورئيـس الاسـتخبارات الـسعودية .

وفي بـداية صيف ١٩٨٤ استحق عـلى الحكومـة أربعمايـة مليـون دولار لشركة «بـلاونت الاباما» الاميركيـة وشركـة «بويـك» الفرنسـيـة اللتين انجـزتا معظم أعمال جامعة الرياض . لكن الحكومة لم تدفع اسـتحقـاق الشـركتـين إلا بعد ضغط شديد من سفيري البلدين .

وقـالـت الصحيفـة أن الـوزارات والادارات المختلفـة اعتـادت عـلى تفضيل المشـاريع الباهظة الثمن التي تترك مجـالاً واسـعاً للعمـولات وتضفي أبهة على الادارة المعنية . وقـد عالجت الحكـومة العجـز الحاصـل من بدايـة ١٩٨٢ بتأجيل دفع المبالـغ التي تـستحق عليها غـير مبالية بالافـلاسات التي تـسببهـا . ولا تـنزعج الحكـومة إلا من قضيـة واحدة هي قضيـة العمال الغـربـاء الـذين

يقون بلا معيل عند إفلاس الشركة التي استقدمتهم . وتعالج الحكومة الموضوع بأسلوبها البدائي فتزج مديري الشركة في سجن المدينين إلى أن يدفعوا ما عليهم . وقد أصبح المديرون يستبقون الامر ويغادرون البلاد عندما يشعرون أنه لن يكون باستطاعتهم دفع أجور العمال ومصاريف إعادتهم إلى بلادهم ، ويتركون الحكومة تتدبر الامر (انتهى مقال الفاينشال تايمس) .

وقالت مجلة الحوادث الصادرة في لندن أن ثمانية من شركات المقاولات ذات الجنسية الكورية شارفت على الافلاس لتأخر الحكومة السعودية بتسديد استحقاقاتها لو لم تسارع الحكومة الكورية لمساعدتها بقروض من البنك المركزي .

كثر لغط التجار وتذمرهم من هذه الاوضاع التي أصبحت حديث العامة والخاصة فرد عليهم آل سعود ببيانات وتصريحات غير مقنعة مدعين أن كل شيء على ما يرام ولا داعي للقلق . من ذلك حديث الامير فيصل ابن الملك فهد رئيس مؤسسة رعاية الشباب في اجتماع عقده مع الطلاب السعوديين الذين يدرسون في الولايات المتحدة ونقلته جريدة الجزيرة السعودية يوم ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ . قال الامير : «هناك سؤال تسمعه يومياً : أين تذهب أموال المملكة ؟ هذه البلايين اين تذهب . . . ؟» وأجاب الامير سعود على السؤال : «إن أموال المملكة في أيدي أمينة تحكم فيها شرع الله وكتاب الله ولا تُصرف إطلاقاً إلا ضمن خطة موضوعة . فيجب أن تكون عندنا حصانة وأن نعرف أن أي خلل يعالج فوراً بحسم نهائي» .

ولا نعتقد أن كلام الامير سعود وما يشابهه من الاقوال أقنع الطلاب خصوصاً وأنه لم يتعرض لفضيحة الطائرات ، والسمسرة التي رافقتها ، وتحدثت بها الاوساط السعودية والدولية في الشهر الذي سبق الاجتماع .

لقد شملت الازمة الاقتصادية في السعودية القطاعين العام والخاص

بمختلف فروعها . ومن المؤشرات على ذلك المعلومات المختصرة التالية :

- تقلصت الاعمال بسرعة مفاجئة فغادر السعودية ما يقدر بسبعماية ألف عامل أجنبي وخلفوا وراءهم كساداً في السوق التجاري .

- أوقفت الحكومة عدداً كبيراً من مشاريعها قبل إنتهائها ، وكذلك المشاريع الخاصة من بناء أو صناعة فزادت في البطالة وفي الكساد التجاري .

- هبطت أسعار العقارات إلى النصف عما كانت عليه في الستينات والسبعينات . وتعرض أصحابها والذين ضاربوا بها إلى خسائر فادحة .

- خسرت الاستثمارات السعودية في اوروبا نحو نصف قيمتها لأن السعوديين صرفوا الدولار لما كانت العملات الا روبية مرتفعة ثم هبطت قيمتها ٤٠ - ٥٠ بالماية بالنسبة للدولار فلم يعودوا يستطيعون استعادة رأس مالهم .

- لا يُعلم مقدار الاحتياطي الذي تملكه الحكومة بالنقد الاجنبي ، لكنه بالتأكيد يتناقص شهرياً بمبالغ كبيرة تسحبها الحكومة لتسديد نفقاتها .

- علقت الحكومة السعودية آمالها على صناعة البتروكيماويات وعلى بيعها في الاسواق الخارجية لتنافس مثيلاتها الاوروبية واليابانية باعتبار أن المادة الخام لهذه الصناعة وهو الغاز ، موفور في السعودية بأسعار رخيصة جداً وموجود قرب المعامل .

لكنه سهي عن اذهان المخططين أن كلفة انشاء المعامل في السعودية يزيد ثلاثة اضعاف أو أكثر عن الكلفة في الدول الاجنبية نظراً لحرارة الطقس وللعمولات الضخمة التي تلصق بكل مشروع .

يضاف إلى ذلك كلفة الصيانة الفاحشة نظراً للطقس أيضاً ولضرورة استيراد عمال الصيانة الاجانب المهرة بأجور مرتفعة .

ثم أن اجور المديرين والفنيين والعمال المهرة الاجانب الذين يعملون في هذه المعامل ومصاريفهم، تفوق بكثير ما يتقاضون لو كانوا يعملون في بلادهم. وليس من المحتمل أن يقوم السعوديون بهذه الاعمال في زمن ملحوظ.

ربما تفوق هذه النفقات الزائدة الناتجة عن الوضع السعودي، الوفر الحاصل من رخص الغاز، بحيث تساوي أو تزيد كلفة البتروكيماويات السعودية عن مثيلاتها في اوروبا.

ومن سوء حظ السعودية أنها دخلت السوق العالمي عام ١٩٨٥ وهو يغص بالانتاج البتروكيماوي أكثر من حاجته. وترافق ذلك مع فيض من البترول يفوق الحاجة العالمية ففقدت السعودية وسيلة ضغط على الدول الأجنبية لتصريف انتاجها من البتروكيماويات.

وتبين عدم أكتراث السوق الاوروبية المشتركة بالقوة المالية السعودية السابقة لما فرضت على منتوجها من البتروكيماويات في اواسط ١٩٨٥ رسماً جمركياً بلغ نحو ١٣,٥ بالماية حماية لصناعتها وغير آبهة للاحتجاج السعودي.

- خفضت الحكومة السعودية رواتب الموظفين الغرباء المتعاقدين معها بنسب تتفاوت بين ٤٠ ـ ٥٠ بالماية.

- خفضت الحكومة السعودية رواتب الموظفين المحليين في سفاراتها في البلاد الاجنبية بنسبة ٢٠ ـ ٣٠ بالماية.

- هبطت نسبة إشغال الغرف في الفنادق السعودية إلى ٣٥ بالماية بسبب تقلص الاعمال والركود التجاري.

- خفضت الحكومة الدعم الذي كانت تقدمه لانتاج القمح وتربية المواشي والدواجن وانتاج العلف، كما خفضت الدعم لبعض المواد الاستهلاكية،

وللبنزين وغيره فارتفعت الاسعار وضج الناس.

- يشير المواطنون إلى عشرات الابنية الشاهقة الفارغة التي تحتوي على الاف الشقق، بنتها الحكومة في الرياض وجدة والدمام وغيرها لاسكان الناس فلم يسكنها احد لأن السعوديين لم يعتادوا المعيشة في مساكن مزدحمة كهذه. وكان الاحرى بالحكومة أن تعرف طبيعة شعبها قبل أن تتورط بهذه النفقات الفادحة.

- يقول العارفون أن مجموع الميزانية المعلنة لعام ١٩٨٥ - ١٩٨٦ لا تكفي لمجردة نفقات الصيانة التي تحتاجها الطرقات والابنية والانشاءات، ومراكز تحليلة المياه وأنابيب البترول، وشبكات الكهرباء والماء والمجاري والغاز والتليفون، ومصافي البترول، وصناعة الزيوت والشحوم، وصناعة البتروكيماويات، وجميع مشاريع مؤسسة بترومين وسابيك. فماذا يبقى إذاً لمصاريف التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية التي يحتاجها المواطن العادي.

مع ذلك يستمر آل سعود بتكديس الاسلحة. فقد ذكرنا أن الامير سلطان وزير الدفاع وقّع في لندن يوم ٢٦ سبتمبر ( ايلول ) ١٩٨٥ عقداً مع بريطانيا قيمته ٤٥٠٠ مليون دولار لمشترى ١٣٢ طائرة (٧٢ مقاتلة ترنيدو، و٣٠ طائرة تدريب هوك، و٣٠ طائرة بيلاتوس).

وقالت وكالة رويتر من بون يوم ٧ اكتوبر ١٩٨٥ أن الحكومة السعودية تجري مباحثات مع شركات اسلحة المانية غربية لبناء مصنع لانتاج ذخائر للدبابات والمدفعية بقيمة اجمالية تقدر بنحو ثلاثة الاف مليون دولار.

ويتساءل السعوديون ما هي حاجة البلاد إلى كل هذا السلاح. وتخامرهم الشكوك في أن يكون هذا السلاح معداً لاستعمال الغير لاغراض ستراتيجية تتعلق بالصراع بين الجبارين العالميين مع حفظ حق المشتري

بالعمولات المعلومة. ويضيفون قائلين ألم يكن أفضل للبلاد وهي تعاني من الأزمة الاقتصادية والمالية الخانقة، أن تُنفق هذه المبالغ الفخمة لتسديد التزامات الحكومة لأصحاب الاستحقاقات، ولتنشيط الوضع الاقتصادي؟

وفي ضوء سوء تصرف الحكام يفتقد السعوديون المجالس الشعبية المنتخبة التي كانت تستطيع وضع حدّ لهدر المال العام ويزدادون تصميماً على تغيير الوضع.

الخروج على اسعار منظمة اوبيك

خلال شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥ اتخذت السعودية قراراً بالتخلي عن السعر الرسمي الذي حددته اوبيك (منظمة الدول المصدرة للبترول) وهو ٢٨ دولاراً للبرميل، وبزيادة انتاجها من المستوى المنخفض الذي وصلته في الأشهر السابقة وهو نحو مليوني برميل يومياً.

وحجة السعودية في ذلك أن دولاً اخرى في المنظمة لم تتقيد بما اتفق عليه بما يتعلق بحصة الانتاج المحددة لكل دولة في الاتفاقات السابقة، وبأسعار البيع. وتناست السعودية دورها بتحطيم المنظمة لما اغرقت السوق بخمسة وثلاثين مليون برميل خلال بضعة أسابيع في صيف ١٩٨٤ لتشتري طيارات بوينغ لا حاجة لها بها.

وعادت السعودية فزدات انتاجها في شهر سبتمبر ١٩٨٥ إلى ثلاثة ملايين ونصف برميل يومياً حسب ما نقلته وكالة رويتر. واضافت الوكالة أن السعودية اتفقت مع شركات اكسون وموبيل وتكساكو وشل على بيعها الكمية الاضافية بموجب تسعيرة لا تتقيد باسعار الاوبيك بل تقارب سعر السوق الحر. وهذا يعني تخفيضا بسعر البترول.

اجتمعت منظمة اوبيك في فينا يوم ٤ اكتوبر ١٩٨٥ ولم يستطع اعضاؤها الاتفاق على حصص الانتاج لكل دولة أو على تحديد سعر موحد

وانفض الاجتماع دون نتيجة واعلنت دولة الاكوادور تعليق عضويتها في المنظمة نظراً لعدم جدواها. وشهد العالم في نهاية عام ١٩٨٥ انهيار المنظمة التي تحكمت باقتصاديات العالم منذ عام ١٩٧٣، وحلّ التنافس والتزاحم بين المتجين مما يشر بتدني اسعار هذه المادة الاساسية بعد انقضاء شتاء عام ١٩٨٦ مما ينعكس بمزيد من الصعوبات على الاقتصاد السعودي، وبمزيد من النشاط في الاقتصاد العالمي.

# مراجع الفصل الرابع عشر

## التفكك والانحلال


١ - ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ١، ص ١٤٢.
٢ - عودة ، عبد القادر ، الاسلام وأوضاعنا السياسية ، ص ١٣٨ ، ١٤٢ .
٣ - النفيسي ، عبد الله ، عندما يحكم الاسلام ، ص ١٢ .
٤ - المصدر السابق ، ص ٢٤ .
٥ - المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
٦ - عودة ، عبد القادر ، المال والحكم في الاسلام ، ص ٩١ .
٧ - عودة ، عبد القادر ، الاسلام وأوضاعنا السياسية ، ص ٢٢٧ ، وعبد الله النفيسي ، عندما يحكم الاسلام ، ص ٦٧ .
٨ - المصدر السابق (عودة) ص ١٧٢ .
٩ - المصدر السابق، ص ١٦٨ و١٦٩ .
١٠ - Chamieh, Jebran, Saudi Arabia; Record Economic Development, 1983, p. 240.
١١ - Financial Times, London, Jan. 3, 1985.
١٢ - David Hoden, Richard Johns, The House Saud, p. 420
١٣ - المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .
١٤ - السعيد ، ناصر ، تاريخ آل سعود ، ص ٤٩٣ .
١٥ - هيكل ، محمد حسنين ، خريف الغضب ، ص ٤٩٣ .
١٦ - Fay, Stephen, The Great Silver Buble, p p. 86, 87.
١٧ - David Holden- Richard Johns, op. cit., p 535.
١٨ - Fay, Stephen, op. cit., p. 87,88.
١٩ - Lacy, Robert, The Kingdom, p. 468, 469
٢٠ - Ibid, p. 470
٢١ - Holden, David, Johns, Richard, op. cit., p.324.

## الخاتمة

استعرضنا في القسم الاول من الكتاب تاريخ آل سعود واسلوب حكمهم وطريقة معاملتهم للاقوام التي حكموها حكماً بدائياً عشائرياً ليس به شيء من مقومات الدولة. كما رأينا كيف قضى عبد العزيز آل سعود على حركة «الاخوان» الوهابية التي كانت عماد فتوحاته واساس ملكه، لما تعارضت مبادؤهم مع مصالح ملكه المرتبطة بالدولة الانكليزية (الكافرة حسب عقيدتهم)، فقدم مصلحة الملك على صفاء العقيدة.

وقد شكل هذا التاريخ بايجابياته وسلبياته، خلفية للتطور الذي بدأه الملك فيصل، وللسياسة الداخلية والخارجية الحكيمة التي سار عليها بهدف نقل البلاد من الحكم العشائري إلى نوع مقبول من الحكم المدني المعاصر. وقد شُغل الملك فيصل بحرب اليمن وبالنزاع مع الموجة الناصرية عن اجراء اصلاحات سياسية تتضمن المشاركة الشعبية بالحكم خصوصاً وأن المطالبين بالاصلاح الدستوري في بداية عهده كانوا بأكثريتهم من المأخوذين بالثورة الناصرية ويرغبون بتطبيق اسلوبها ومبادئها.

فلما زال الخطر الناصري عن البلاد بعد انسحاب مصر من اليمن كان السن قد تقدم بالملك فيصل ولم يعد ينتظر منه أن يُقدم على تجارب سياسية جديدة تاركاً ذلك خلفه.

في القسم الثاني من الكتاب انتقلنا إلى بحث العهد المعاصر الذي سيطر فيه آل فهد على الحكم بعد اغتيال الملك فيصل ونقضوا جميع ما بناه. فما هو مستقبل آل سعود تحت حكم آل فهد؟

في البلاد استياء من الوضع السياسي الذي يسمح لآل سعود باحتكار «صناعة القرار» والسيطرة على مقدرات البلاد.

وفيها شكوى من فساد الحاكمين ومن تسلطهم على المال العام كأن البلاد وثرواتها مزرعة لهم ينفقونه في أوجه غير مشروعة خلافاً لما يدعونه من التمسك بالمبادىء الوهابية التي تحث على الزهد والتقشف.

ونذكر بما قاله في منتصف عهد الملك سعود صديق الملك عبد العزيز ومستشاره هاري سانت جون (عبدالله) فيلبي الرحالة والبحاثة الذي كتب تاريخ آل سعود واعتنق الاسلام، وكان مال البترول لا يزال قليلاً نسبياً، فقال «أن المال قضى على الفضائل العربية» نظراً لما رآه من تصرفات الملك واولاده. ترى ماذا كان يقول لو عاش ليرى المال يتدفق بالاف الملايين في عهد آل فهد فلا يُشبع نهمهم.

ويتذمر السعوديون من أن اصغر آل سعود فهما وكفاءة يتقدم بالرأي والمكانة على اكفأ الوزراء والتقنيين والمثقفين الذين يجدون ابواب الحكم موصدة أمامهم فلا يستطيعون المشاركة بسياسة وطنهم حتى يأسوا من احتمال اصلاح الحال بالاساليب السلمية.

وقد رأينا أن آل سعود فقدوا «شرعيتهم الدينية» لما خالفوا كل ما نصت عليه الشريعة فيما يتعلق باسلوب «الحكم الاسلامي» كما ورد في الفصل الرابع عشر، وصاروا يحكمون الأن كملوك مستبدين مطلقين وليس «كوكلاء عن الامة بموجب مبادىء الشورى» التي أمر بها الشرع. ولا يفيدهم الادعاء يومياً في الراديو والصحافة والتلفزيون، وفي كل خطاب وبيان رسمي، أنهم المدافعون عن الاسلام والمحافظون على كيانه، فقد اصبح هذا الكلام ممجوجاً عند السامعين لشدة بعده عن الحقيقة.

ولا نشك أن آل فهد سيدفعون بعض علماء الوهابية من المعروفين

ـسم «علماء السوق» الذين لديهم «فتاوي تحت الطلب»، ليدافعوا عن تصرفاتهم وليبينوا أنها متوافقة مع ما أمرت به الشريعة.

وللقارىء أن يقدر لنفسه ما إذا كان حكم آل فهد يتقيد بالاوامر الشرعية.

ثم أن آل سعود لم يكتسبوا الشرعية المدنية بعد فقدانهم الشرعية الدينية لأن تلك تستند إلى موافقة صريحة وواضحة من الشعب على حكامه وعلى سياستهم تعبر عن نفسها بانتخابات حرة تتكرر في فترات معينة وتنشأ عنها مجالس منتخبة تشرع، وتمنح الثقة للحكام أو تبدلهم، وتراقب سير الامور وتصرفات الحكام.

وليس في السعودية شيء من هذا لذلك تساءلنا: بأية شرعية يحكم آل سعود؟

لقد واجه آل سعود تحدي الطبقات المثقفة والوسطى بعدم مبالاة واستمروا يماطلونهم في كل ما يتعلق باحتمال تطور الحكم.

ولا يبدو أنهم في وارد التوفيق بين التقليديين المتمسكين بالقديم وبين المتحررين الذين يريدون اللحاق بالعصر الحديث بل تبدو الامور سائبة دون هدف مع ميل واضح نحو التزمت والرجعية. وليس بين آل سعود في الوقت الحاضر شخصية تحظى بالاحترام وتستطيع قيادة الدولة عند انتقال المجتمع السعودي إلى وضع جديد.

وقد حصل آل سعود على تعهد اميركي بحمايتهم عند اجتماع الملك عبد العزيز بالرئيس روزفلت في أواخر الحرب العالمية. وتكرر أيام الرئيس كارتر. ولم يقتصر هذا التعهد على حماية البلاد من الاخطار الخارجية، بل شمل حماية آل سعود من الاخطار الداخلية فأصبح يُنظر إليهم كعملاء للدولة الاميركية فاثاروا نقمة مواطنيهم والدول العربية المجاورة. ثم اكتشفوا

في معاملة حكومة الولايات المتحدة لشاه ايران قيمة التعهدات الأميركية فابتدأوا بالابتعاد عنها ومقاومة سياستها في المنطقة.

من ناحية أخرى ارتفعت أصوات مسؤولة في الكونغرس الاميركي تنتقد النظام السعودي العشائري وتلفت النظر إلى فساده وتساءل عن جدوى مساندته .

وهكذا ساءت علاقات آل فهد مع حليفهم الدولي ، ونافسوا على الزعامة حليفهم العربي القادر (مصر) فأصبحوا شبه معزولين عربياً ودولياً .

وقد ادعى بعض الكتاب والسفراء المتعاطفين مع آل سعود من عرب وأجانب أنه لولا هذه العائلة لتجزأت البلاد إلى مقاطعاتها الاصلية أي الاحساء ونجد والحجاز وعسير ، وينسبون إليها الفضل في بقاء الدولة موحدة . وهذا منطق غريب مؤداه أن فساد الاخلاق والاستئثار بالسلطة وسرقة مال الدولة هو الاسلوب الصحيح لتوحيد البلاد . أما التمثيل الشعبي ورضا المواطنين وضبط مال الدولة والحكم الديمقراطي فيقسم البلاد . إنه منطق عجيب يصدر عن هوى لا عن قناعة .

تجاه جميع هذه السلبيات الداخلية والخارجية ما هو مستقبل آل سعود ؟

لقد وضع خراب الدرعية على يد الجيش المصري عام ١٨١٨ حداً لعهد في تاريخ آل سعود . أما الان فإن قصور الرياض تبدو شامخة لكنها تخفي خراباً يفوق خراب الدرعية لأنه يتناول الروح والضمير . ولا تعمّر دولة فقدت روحها وضميرها .

## مصادر الكتاب

ابن الاثير ، أبو الحسن عز الدين (١١٦٠ ـ ١٢٣٤م) ، الكامل في التاريخ (١٠ أجزاء) ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ ، بيروت .

ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، جزءان ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

ابن تيمية ، تقي الدين ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ .

ابن خلدون ، شمس الدين ، ابو العباس احمد بن ابرهيم ، بمقدمة ابن خلدون في كتاب «العبر» ، تحقيق وتعليق علي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥٦ .

ابن خميس ، عبد الله ، بلادنا والزيت ، النادي الادبي في الرياض ، ابريل ١٩٧٩ ، مطابع الفرزدق التجارية ، شارع جرير ، الرياض .

ابن عثيمين (ديوان) ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض .

ابو حاكمة ، احمد ، تاريخ الكويت ، جزءان ، باشراف لجنة تاريخ الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، الجزء الاول ١٩٦٧ ، الجزء الثاني ١٩٧٣ .

ابو حاكمة ، احمد ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠ ، نشأة وتطور الكويت والبحرين (بالانكليزية) ترجمة محمد امين عبد الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (دون تاريخ) ، طبع شركة الطباعة والتجليد الفني ، بيروت .

ابو عليه ، عبد الفتاح حسن ، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٩٦٧ ، طبع على نفقة وزارة التعليم العالي السعودية .

ابو علية ، عبد الفتاح حسن ، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، دار المريخ ، الرياض ١٩٧٩ .

ابو علية ، عبد الفتاح حسن ، الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ ـ ١٨٩١ ، مؤسسة الانوار للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٦٩ .
ابو علية ، عبد الفتاح حسن.، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الاولى ، دار المريخ الرياض ١٩٨٣ .
الجبرتي ، عبد الرحمن ، عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، من أخبار نجد في تاريخ الجبرتي لمحمد اديب غالب ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، جدة الطبعة الاولى ١٩٧٥ .
حمزة ، فؤاد ، البلاد العربية السعودية ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .
حمزة فؤاد ، قلب جزيرة العرب ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ . (صدرت الطبعة الاولى عام ١٩٣٣) .
الخطة الخمسية الثالثة للانماء الاقتصادي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥ ، منشورات وزارة التخطيط ، الرياض .
رسلان ، صلاح الدين البسيوني ، الفكر السياسي عند الماوردي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ٢ شارع سيف الدين المهراني ، القاهرة ١٩٨٣ .
الرشيد ، عبد العزيز ، تاريخ الكويت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٨ .
الريحاني ، امين ، تاريخ نجد الحديث ، سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .
الريحاني ، امين ، ملوك العرب ، الطبعة الرابعة ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت .
الزامل ، عبد الله علي المنصور ـ اصدق البنود في تاريخ آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٢ .
الزركلي ، خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد عبد العزيز ، ٤ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ .
السعدون ، خالد محمود، العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢ ـ ١٩٢٢ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٩٨٣ .
السعودية مملكة ونفط (اسم المؤلف غير مذكور) المركز العربي للنشر والتوزيع والدراسات ، باريس ابريل ١٩٨٢ .

سعيد ، امين ـ تاريخ الدولة السعودية ٣ أجزاء في مجلد واحد مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض .
السعيد ، رفعت : حسن البنا ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، اغسطس (آب) ١٩٧٩ بيروت ص ب ٨١٣ ـ ١١١
سعيد ، محمد علي ، بريطانيا وابن سعود ، دار الجزيرة للنشر ١٩٨٢ (ليس لها عنوان) .
السعيد ، ناصر ، تاريخ آل سعود (ليس في الكتاب ذكر للناشر والطابع)
سلامه ، غسان ، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ ، معهد الانماء العربي ١٩٨٠ ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت
الشيخ ، عبد الرحمن ، انتفاضة المنطقة الشرقية ١٩٧٩ ، منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية ١٩٨١ (دون عنوان)
عبد الرازق ، علي ، الاسلام وأصول الحكم ١٩٢٥ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (٨٣٨ ـ ٩٢٣م) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ .
عزي ، بهاء ، الملاحة والانماء في المملكة العربية السعودية ، (بالانكليزية) منشورات تهامة ، جدة .
عسه ، احمد ، معجزة فوق الرمال ، المطابع الاهلية اللبنانية ١٩٦٥ .
العطار ، احمد عبد الغفور ، ابن سعود وقضية فلسطين .
العطار ، احمد عبد الغفور ، صقر الجزيرة ، مطابع المؤسسة العربية ، جدة ١٩٦٤ .
عودة، عبد القادر، المال والحكم في الاسلام ١٩٧٧، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب. ١٧٠٧، القاهرة.
القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي، الطبعة الرابعة ١٩٨٢، دار النفائس، بيروت، الكتاب الاول: الحياة الدستورية.
عودة، عبد القادر، الاسلام واوضاعنا السياسية الطبعة الثالثة ١٩٧٨، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب. ١٧٠٧، القاهرة.
القحطاني، فهد، صراع الاجنحة في الاسرة المالكة السعودية، منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية ١٩٨٢، (دون عنوان).

القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ١٩٦٧.
القصيبي، غازي عبد الرحمن، سيرة شعرية ١٩٨٠، منشورات دار الفيصل الثقافية، الرياض، طبع شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، العمارية، الرياض.
القصيبي، غازي عبد الرحمن، عن هذا وذاك (مقالات) ١٩٧٨، منشورات دار الوطن، الرياض، طبع مطابع البادية للاوفست، الرياض.
قطب، سيد ـ العدالة الاجتماعية في الاسلام، دار الشروق، ١٦ شارع جواد حني، القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٨١.
كشك، محمد جلال، السعوديون والحل الاسلامي، مصدر الشرعية للنظام السعودي ١٩٨١، طبع في لندن: Moody Graphics and trans. Centre Ltd. 49 St. James's Street, London SWIA IES
المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية (مترجم عن الانكليزية Arabia Unified) ١٩٨٢، طبع شركة مطابع المطوع، الدمام، المملكة السعودية.
الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، الفكر السياسي عند الماوردي للدكتور صلاح الدين ارسلان ١٩٨٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، شارع سيف الدين المهراني، القاهرة.
المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جزءان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (دون تاريخ).
المنجد (قاموس) ـ دار الشرق (المطبعة الكاثوليكية)، الطبعة الثانية، ص.ب. ٩٤٦ بيروت.
المهر، خضير عباس، اقتصاديات نفط الشرق الاوسط وعلاقته بالسوق الدولية للنفط الخام، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٤.
مرضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ (رسائل جامعية) ١٩٨٢، مؤسسة تهامة، جدة، ص.ب. ٥٤٥٥.
نخلة، اميل، اميركا والسعودية: الابعاد الاقتصادية والسياسية والستراتيجية ١٩٨٠، دار الكلمة للنشر، ص.ب. ٥١٨٨ ـ ١٣ بيروت.
النفط للغرب والقهر للشعب، منشورات الثورة الاسلامية، مايو ١٩٨٤.

ـفيـي، عبدالله فهد:
١ ـ عندما يحكم الاسلام ١٩٨٢.
ط ـ الكويت والرأي الاخر ١٩٧٨.
٣ ـ مجلس التعاون الخليجي، التعاون السياسي والاستراتيجي ١٩٨٢،
الناشر للكتب الثلاثة: TA - HA Publishers
68 a Delancey St.
London, NWI 7RY
ـنفيـي، عبدالله فهد، في السياسة الشرعية، دار الدعوة، الكويت ١٩٨٤.
هيكل، محمد حسنين، خريف الغضب ١٩٨٣، اسم الناشر والمطبعة غير مذكورين.
وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٦١.
وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ١٩٦٠، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الاولى ١٩٦٠.

## قوانين وتقارير ونشرات رسمية

احصاءات الخدمة المدنية، منشورات ديوان الخدمة المدنية ١٩٨٣.
تقرير مديرية الاحصاءات المركزية ١٩٨٣، منشورات وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
تقرير مؤسسة النقد العربي السعودي ١٩٨٣
قانون تنظيم استثمار الاموال الاجنبية، مرسوم ملكي رقم م/٤ تاريخ ١٣٩٩/٢/٢ (يناير ١٩٧٩).
قانون تنظيم الخدمة المدنية، مرسوم ملكي رقم م/٤٨ تاريخ ١٣٩٧/٧/١٠ (١٩٧٧)
قانون تنظيم العلاقة بين المتعهد الاجنبي ووكيله السعودي مرسوم ملكي رقم م/٢ تاريخ ١٣٩٨/١/٢١ (١٩٧٨)
قانون الضمان الاجتماعي، مرسوم ملكي رقم م/٢٢ تاريخ ١٣٨٩/٩/٦ (١٩٦٩).
قانون العمل والعمال ١٩٦٩، مرسوم ملكي رقم م/٢١ تاريخ ١٣٨٩/٩/٦ (١٩٦٩).

قانون مراقبة المصارف، مرسوم ملكي رقم م/٥ تاريخ ١٣٨٦/٢/٢٢ (١٩٦٦).
قانون المقاطعات، مرسوم ملكي رقم ١٢ تاريخ ١٣٨٣/٥/٢١ (١٩٦٣).
النشرة الاحصائية ١٩٨٣، مؤسسة النقد العربي، الرياض.

## مصادر اجنبية

Asad, Muhammad, Islam at the Crossroads, Dar al Andalus, Gibraltar, Fourteenth revised edition, 1982.

Asad, Muhammad, The Principles of State and Government in Islam, Dar al Andalus, Gibraltar, 1980 edition.

Asad, Muhammad, The Road to Mecca, Dar al Andalus, Gibraltar, 1980.

Chamiech, Jebran;

1 - Record of the Arab World, 1966 - 1977.

2 - Saudi Arabia Yearbooks: 1979 - 80, 1980 - 81.

3 - Saudi Arabia, The Third Five - Year Economic Development Plan 1980 - 1985.

4 - Saudi Arabia, Record, of Economic Development 1983.

All published by the Research and Publishing House, P.O.Box 55025, Sin el Fil, Lebanon.

De Gaury, Gerald, Faisal of Saudi Arabi, Arthur Barker Ltd., 5 Winselsy St., London WL.

Dickson, H.R.P., Kuwait and Her Neighbours, Allen and Unwin, London, 1956.

Encyclopedia Brittanica, 1965 edition.

David Holden and Richard Johns, The House of Saud, Pan Books, London 1981.

Eisenhower, Dwight, The white House Years, vol. 2, Waging Peace, Heinemann, London 1965.

Fay, Stephen, The Great Silver Bubble, Hodder and Stoughton, 47 Bedford Sq. London 1982.

The Financial Times, London, December 21, 1984 and January 3, 1985.

Lacey, Robert, The Kingdom, Harcourt Brace Jovanovich, Pablisher New york, London.

LIDD, Local Industrial Development Department, Aramco publications, Dhahran, Saudi Arabia.

The Military Balance 1983- 84. The International Institute for Strategic Studies. IISS. 23 Tavistock ST.. London SW 2 E NQ

New york Times. March 25. 1985. p 18.

Philby. Harry ST. John. Arabia. C. Scribner's Sons 1930.

Revel. Jean François. Comment les Démocratries finissent. Collection Pluriel. Editions Grosset- Fasquelles 1983

Saudi Arabia. Achievements of the Development Plans 1970- 85 Ministry of Planning. Riyad.

Saudi Arabia's Search for Security. By Adeed Dawisha, Adelphi Papers no 158. The International Institute for Strategic Studies, IISS. 23 Tavistock ST. London SW2E 7 NQ.

United Press International (UPI) Jan 31, 1985.

Wall Street Journal. July 8 and Oct 14, 1984, Article: Continent Strategy for the Islamic Holy War by Prof, Amos Perlmutter.

Winder. R. Bayly. Saudi Arabia in the Nineteenth Century. Macmillan Co. Ltd., 1965.

## محتويات الكتاب